



THE HERITAGE OF AHLUL BAYT SERIES

**SHARH
AL-ARBA'IN AL-NABAWIYYAH**

**By:
MOHAMMAD HUSAIN JALALI**

1423



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653 - 0398

شرح الأربعين النبوية

تأليف

محمد حسين الحسيني الجلابي

تحقيق

السيد محمد جواد الحسيني الجلابي

١٤٢٣

تحقيق



The Open School

P.O. BOX 53573

CHICAGO, IL 60653-0398

شرح الأربعين النبوية

شرح الأربعين النبوية	٤
----------------------------	---

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد واله الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبع هداة إلى يوم الدين .

وبعد، هذه أحاديث دينية في مجالي العقيدة والشريعة مما يكثر الاحتياج اليه علما وعملا، حاولت التوضيح كي ينتفع بها شبابنا الذين حاولت قوى الضلال الفصل بينهم وبين الايمان كعقيدة وبين الشريعة كدستور، ومهما كانت ضخامة قوى الباطل فإن بذرة الايمان الكامنة في النفوس لا بد وان تنمو وتنتج آثارها الخيرة ما دام المسلمون تجمعهم الصلاة إلى قبلة واحدة .

وفي سبيل هذا الهدف طلب مني بعض الأصحاب ، لازال محفوظا ، تقديم دراسة وافية بأهم المفاهيم الإسلامية ، فرأيت شرح الأربعين حديثا النبوية، ضمن فصول خمسة: في الاعتقادات، ولمحات من تاريخ أهل البيت (عليه السلام)^(١)، والعبادات، والمزارات، والمواظ .

على أمل أن ينتفع بها في أوقات الفراغ التي لا تخلو منها حياة الإنسان .
وفق الله الجميع لصالح الإسلام والمسلمين .

محمد حسين الجلاي

(١) طبع هذا الفصل والفصل الرابع في كتاب « مزارات اهل البيت»، ولم نورد هنا سوى لمحة من مزارات مكة والمدينة وطالب التفصيل يراجع الكتاب المذكور.

شرح الأربعين النبوية	٦
----------------------------	---

متن الأربعين النبوية

روى الشيخ الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (المتوفى سنة ٣٨١ هـ) في كتاب الخصال باسناده عن النبي ﷺ قال: «من حفظ من امتي اربعين حديثا يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة، حشرة الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا.

فقال علي عليه السلام : يا رسول الله، اخبرني ماهذه الاحاديث ؟ فقال ﷺ :

- ١- ان تؤمن بالله وحده لا شريك له .
- ٢- وتعبده ولا تعبد غيره .
- ٣- وتقيم الصلاة بوضوء سابغ في مواقيتها، ولا تؤخرها؛ فإنّ في تأخيرها من غير علة غضب الله عز وجل .
- ٤- وتؤدي الزكاة .
- ٥- وتصوم شهر رمضان .
- ٦- وتحج البيت اذا كان لك مال وكنت مستطيعا .
- ٧- وان لا تعق والديك .
- ٨- ولا تأكل مال اليتيم ظلما .
- ٩- ولا تأكل الربا .
- ١٠- ولا تشرب الخمر ولا شيئا من الاشربة المسكرة .

١١- ولا تزن .

١٢- ولا تلوط .

١٣- ولا تمشي بالنميمة .

١٤- ولا تحلف بالله كاذبا .

١٥- ولا تسرق .

١٦- ولا تشهد شهادة زور لأحد، قريبا كان أو بعيدا .

١٧- وان تقبل الحق ممن جاء به، صغيرا كان أو كبيرا .

١٨- وان لا تركز الى ظالم وان كان حميما قريبا .

١٩- وان لا تعمل بالهوى .

٢٠- ولا تقذف المحصنة .



٢١- ولا ترائي؛ فإن أيسر الرياء شرك بالله عز وجل .

٢٢- وان لا تقول لقصير: يا قصير، ولا لطويل: يا طويل، تريد بذلك عيبه .

٢٣- وان لا تسخر من احد من خلق الله .

٢٤- وان تصبر على البلاء والمصيبة .

٢٥- وان تشكر نعم الله التي انعم بها عليك .

٢٦- وان لا تأمن عقاب الله على ذنب تصيبيه، وان لا تقنط من رحمة الله .

٢٧- وان تتوب الى الله عز وجل من ذنوبك ، فإنّ التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له ،

وان لا تصر على الذنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئ بالله وآياته ورسله .

٢٨- وان تعلم أنّ ما صابك لم يكن ليخطئك، وأنّ ما أخطاك لم يكن ليصيبك .

٢٩- وان لا تطلب سخط الخالق برضى المخلوق .

وان لا تؤثر الدنيا على الآخرة؛ لان الدنيا فانية والآخرة باقية .

وان لا تبخل على اخوانك بما تقدر عليه .

شرح الأربعين النبوية / محمد جواد الحسيني الجلاي ٩

٣٠- وان تكون سريرتك كعلائيتك ، وان لاتكون علايتك حسنة وسريرتك قبيحة ،
فان فعلت ذلك كنت من المنافقين .

○○○

٣١- وان لاتكذب وان لاتخالط الكذابين .

٣٢- وان لاتغضب اذا سمعت حقاً .

٣٣- وان تؤدب نفسك واهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة .

٣٤- وان تعمل بما علمت ، ولا تعاملن احداً من خلق الله عزوجل إلا بالحق .

٣٥- وان تكون سهلاً للقريب والبعيد ، وان لاتكون جباراً عنيداً .

٣٦- وان تكثر من التسبيح والتهليل والدعاء وذكر الموت وما بعده من القيامة والجنة
والنار .

٣٧- وان تكثر من قراءة القران وتعمل بما فيه .

٣٨- وان تستغنم البر والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات .

٣٩- وان تنظر الى كل ما لاترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين .

(أ) ولاتمل من فعل الخير .

(ب) وان لاتثقل على احد .

(ج) وان لاتمن على احد اذا انعمت عليه .

٤٠- وان تكون الدنيا عندك سجنأ حتى يجعل الله لك جنة .

فهذه اربعون حديثاً من استقام عليها وحفظها عني من امتي دخل الجنة برحمة الله ،

وكان افضل الناس واحبهم الى الله عزوجل بعد النبيين والوصيين ، وحشره الله يوم

القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا»^(١).

واليك شرح الاحاديث المذكورة في فصول :

شرح الأربعين النبوية	١٠
----------------------------	----

الفصل الاول

الاعتقادات

- الإيمان هو الفطرة
- التوحيد
- العدل
- المعاد
- في رحاب القرآن
- النبوة
- سيرة النبي ﷺ
- الإمامة
- المهدي المنتظر ﷺ
- المرجعية الدينية

١٢	شرح الأربعين النبوية
----	----------------------------

الايمان والالحاد

هناك قضيتان شغلتا الفكر الانساني، مدى التاريخ، وهما قضيتا (المادة) و (الروح) وبما ان الانسان متكوّن من (الروح) تسيّره وتشق امامه الطريق في الحياة، و (الجسم) ينفذ به المآرب والامال .. اذا فكل منهما ضروري في الحياة فلو اختلف ما به حياة الجسم من الغذاء والرعاية الصحية لاعتثرته العاهات والامراض، وكذا اذا اختلف ما به حياة الروح من الايمان والرعاية الاخلاقية لسيطر عليه القلق النفسي ونشأت عنده العقد النفسية. وبما ان (الايمان بالله) يعتبر المبدأ الاول للكمال الروحي، نستفتح به حديثنا على امل ان نتبعه بسلسلة من الاحاديث الدينية متتابعة ان شاء الله تعالى .

معرفة النفس:

كل انسان على وجه الارض لابد وان يفكر في حياته ومصالحه، اذاً فهو موجود مفكر ، وهذا ما يقوله (ديكارت) : «انا افكر فانا موجود»^(١) وفي الحديث : «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(٢)، اذاً من اين وجدنا، ومن الذي اوجدنا، بعد ان لم نكن شيئاً مذكوراً؟

واضح اننا لم نخلق انفسنا، اذ لا يعقل ان يكون العدم موجداً للشيء، ولم نكن موجودين قبل ان نوجد ، وان اباءنا لم يوجدونا، لانهم يجهلون ما يتركب منه جسم الانسان من الاعضاء ووظائفها، ويجهلون النظام الدقيق في كيفية خلقها، وكل موجود

(١) ان قول ديكارت : انا افكر، هو اقرار بالوجود بكلمة (انا) ، فلا حاجة الى قوله: فانا موجود؛ فان من يلاحظ انيته فهو ملاحظ لوجوده . (٢) شرح مئة كلمة : للبحراني : ٥٧ .

وصانع لا بد ان يعرف ما صنع.

نعم، هم واسطة وسبب في وجودنا كسائر الاسباب والادوات في وجود الاشياء، ففي الحديث: «أبى الله أن يجري الاشياء إلا بأسباب»^(١).

ثم من الذي اوجد الانسان الاول، الذي بسببه انتشر النوع الانساني؟ وهل وجد بالصدفة، ان الصدفة لاتصنع ساعة، لماذا؟ لان في الساعة نظام دقيق، والصدفة لاتتصف بالنظام.

وعليه، هذا الكون العظيم - الذي يعتبر الانسان موجودا من موجداته - في غاية الصنع ودقة النظام لا يمكن أن يوجد بالصدفة.

والكواكب التي منها كوكب الارض وما فيه من جماد ونبات وحيوان . ومنها: القمر والكواكب من نظام دقيق حاكم في سيرها، بحيث لو اختلف هذا النظام لحظة لجعل الحياة في خطر .

فهل يعقل ان تكون هذه الموجودات وبهذا النظام الدقيق وجدت بالصدفة ؟ صحيح انا لم نكتشف للكون من مبدأ سوى المادة والنظام المحتف به، ولكن من أين تكونت المادة ؟ ومن أين نشأ النظام ؟ أليس من قدرة أوجدتها ؟ اليس تلك قدرة تفوق قدرة المادة نفسها، وقدرة النظام الحاكم فيها ؟ تلك القدرة العليا هي ماندعوه (الله). قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۚ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ۚ ﴾^(٢).

حرية الفكر:

يعتبر الاسلام الايمان نتيجة حتمية للفكر الحر، وعلى اساس الفكر المتحرر من الشهوات وتقاليذ العادات كانت الدعوة الاسلامية، ولقد حارب الاسلام التقليد الأعمى

(١) الفصول المهمة في اصول الاثمة ١: ٤٨٦، ح ٦٨٥.

(٢) الطور: ٣٥ - ٣٦.

من دون تحكيم للفكر القويم، وأوجب ان يكون الاعتقاد بـ(اصول الدين) عن الدليل والبرهان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٢).

وفي الحديث: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة»^(٣).

وسأل رجل امير المؤمنين عليه السلام قائلا: بماذا عرفت ربك؟ قال علي عليه السلام: «بالتمييز الذي خولني والعقل الذي دلني»^(٤).

اننا بلا شك نوؤمن بوجود اشياء نشاهد آثارها، ونؤمن بوجود العقل؛ لانا نرى هناك انسانا عاقلا وآخر غير عاقل بما نشاهد من اثار التعقل، ونؤمن بوجود (الذرة) التي لا تشاهد بالبصر، ونؤمن بوجود القوة الكهربائية في الاسلاك في حين اننا لا نشاهد سوى الأسلاك؛ لاننا نشاهد النور المضىء اذا كانت هناك قوة كهربائية... وهكذا فإن منطق العقل وحده هو الدليل الى معرفة الله سبحانه وتعالى، فكما ان علماء الطبيعة يتفرغون الى معرفة ظواهر ما يشاهدون ودراسة خصائصها وآثارها بمنطق العقل، وكذلك ينتهي بنا منطق العقل الى الخالق العليم، كما قال تعالى: ﴿سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٥)، فإن منطق العقل يتساءل عن الموجد لهذا النظام الكوني السائد؟ وحيث ان الطبيعة نفسها نظام كوني فمن أين وجدت؟ لا طريق سوى الاذعان بان الموجد لها يتصف بالحكمة والقدرة، وهو ما ندعوه (الله) تعالى، وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام قوله: «لو رأيت تمثال الانسان مصور على الحائط، فقال لك قائل: ان هذا ظهر من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع، أكنت تقبل ذلك؟ بل كنت تستهزى به، فكيف

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) البقرة: ١٧٠.

(٣) عوالي اللآلي ٢: ٥٧.

(٤) تحف العقول: ٤٦٨.

(٥) فصلت: ٥٣.

تنكر هذا في تمثال مصور جامد، ولا تنكر في الانسان الحي الناطق؟»^(١)

معرفة الله:

ان قانون العلية قانون حاكم في الكون، وليس نظرية النشوء والارتقاء الا ادعانا بهذا القانون، وان كل موجود لابد له من موجد وسبب، وقد تعمق الفلاسفة ورجال اللاهوت في معرفة حقيقة الالهية أي الموجد الاول، ومن هنا نشأت اضطرابات فكرية حتى قيل:

فيك يا اعجوبة الـ كون غدا الفكر كليلا
كلما قدّم فكري فيك شبراً فرّ ميلا

ولكن هل يجب ان يكون علمنا بالاشياء علما تاما ومعرفة كاملة؟

والجواب: ان الانسان تارة يحصل له العلم بالشيء علما كاملا كعلمه بطلوع الشمس، وقد لا يحصل سوى العلم الاجمالي البسيط كعلمه بوجود كوكب (بلوتو) من دون معرفة كاملة بما في هذا الكوكب من مواد وآثار، ومعرفتنا بالله تعالى انما هي معرفة بسيطة نابعة من معرفة آثاره، ودلنا وجود الآثار على ان لها موقدا، ودلتنا دقة هذه الآثار في الصنع على اتصاف موقدها بالحكمة والعلم والقدرة العليا، وكذلك نؤمن بالله الذي لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .

وهذا ما يؤكده الامام الصادق عليه السلام بقوله: «ان العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الاقرار ولا يعرف بما يوجب الاحاطة بصفته»^(٢).

الايمان هو الفطرة:

ان الفطرة الانسانية والضمير الانساني تدعوان الى الايمان، واذا سترتها عوامل الجهل والشذوذ والانحراف سمي (كفرا)، ومهما يتمادى الانسان في الشك فانه لابد ان يتصادم

(١) راجع: كتاب توحيد المفضل، وهو من املاء الامام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمرو.

(٢) توحيد المفضل: ١١٨ (باب معرفة العقل للخالق معرفة اقرار لامعرفة احاطة).

مع الحقيقة يوماً ما، وان يتيقظ الوجدان والضمير في حالات صعبة تلم به كحالات المرض واليأس الطارئة على كل انسان، فينقطع الامل من الناس ويتوجه الى القوة الخفية القادرة على انتقاذه، وتلك القوة القديرة على كل شيء ما ندعوه (الله) .

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِئَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

والمحادثة التالية بين الامام الصادق عليه السلام والمنكر يكشف لنا هذه الفطرة في الانسان، قال عليه السلام: «هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى. فقال الامام عليه السلام: هل كسرت بك حيث لاسفينة تنجيك ولاسباحة تغنيك؟ فقال: بلى، فقال الامام عليه السلام: فهل تعلق قلبك بشيء قادر ان يخلصك؟ قال: بلى. ثم قال الامام الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي وعلى الاغاثة حيث لا مغيث»^(٣).

في رحاب القرآن:

الشيء الوحيد الذي يؤكد عليه القرآن الكريم في قضية الايمان هو تنبيه الانسان على فطرته ووجدانه وضميره، كي ينظر الى العالم والى السماء بما فيهما من آيات دالة على الخالق، من النجوم والكواكب التي لاتعد ولا تحصى، والتي يقول عنها انيشتاين: «انها تزيد في المستقبل عدداً بمختلف اوصافها واحجامها».

والى الارض بما فيها من معادن ونبات وحيوان مما يستخدمه الانسان الممتاز بالعقل والتقدم والرقي، الى الانسان المكون من آلاف الاجزاء والخلايا والكريات الحمر والبيض، التي تكونت من غير معرفته، والمكرم بالعلم والعقل على سائر المخلوقات، والمخلوق في احسن تقويم واتم صورة وافضل تقدير، فإن النظام السائد في الكون

(٢) يونس: ٢٢.

(١) يونس: ١٢.

(٣) التوحيد: ٢٣١.

وروائع الخلق العظيم والايات الكونية الظاهرة، وما فيها من تأثير على حياة الانسان والكرة الارضية^(١)، يجعلنا نؤمن بالله تعالى، وانظر ما تؤكد الايات التالية :

- ١- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢) ٢- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ اللَّسَانِ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾^(٣).
- ٣- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٤).
- ٤- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءً أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥).
- ٥- ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٦).

(١) أقرأ كتاب مع الله في السماء تأليف : الدكتور احمد زكي ، وكتاب الطب محراب الايمان ، للدكتور خالد كنجو ، طبع بيروت ١٣٩١ هـ ، وغيرهما.

(٢) البقرة : ١٦٤ . (٣) الروم : ٢١ - ٢٥ .

(٤) يونس : ٥ . (٥) القصص : ٧١ - ٧٣ .

(٦) فصلت : ٥٣ .

التوحيد

يعتبر التوحيد روح الاديان كلها، أكد عليه جميع الانبياء والمرسلين، ويقول النبي هود عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾^(١). وهكذا غيره من الانبياء عليهم السلام كالنبي ابراهيم عليه السلام وحتى عصر نبينا محمد عليه السلام حيث استفتح دعوته الى التوحيد بقوله: «قولوا لا اله الا الله تفلحوا» كما كانت تقتضيه طبيعة المجتمع المشرك، الذي انبثق فيه الاسلام لتنزيه الدين عن الشرك والتعدد والتجسيم.

ونعني بالتوحيد: ان الله تعالى واحد في ذاته وصفاته، فليس في ذاته تعدد من اشخاص، ولا تركيب من اشياء، وهذا يعبر عنه بـ (توحيد الذات).

وأن صفاته تعالى من العلم والقدرة والحكمة ليست عارضة وزائدة على ذاته، بل العلم نفس ذاته، ويعبر عنه بـ (توحيد الصفات) وهكذا ما يعنيه الامام علي عليه السلام بقوله: «التوحيد أن لا تتوهمه»^(٢).

ويقول الامام الصادق عليه السلام: «اما التوحيد فأن لا تجوز على ربك ما جاز عليك»^(٣) فإن المسؤولية في الحياة تقع على كل فرد اذا كانت تناط بالجميع وتنحصر المسؤولية في فرد خاص إذا كانت بمستوى خاص، فلا يصح ان يترأس دولة واحدة رئيسان، ولا على المملكة ملكان، ولا على الحكومة اميران، بل لا يجوز في المدرسة الواحدة ان يستعدّد المدير، هذا هو الشأن في مملكة الانسان، لماذا؟ لان المسؤولية اذا تعددت وتعدد الملك والرئيس والامير، بل وحتى المدير، جاز للفرد ان يفكر في عصيان احدهما مستظاهراً

(١) هود: ٥٠. (٢) نهج البلاغة ٤: ١٠٨ (الحكمة ٤٧٠).

(٣) التوحيد للصدوق: ٩٦.

٢٠..... شرح الأربعين النبوية

بالطاعة للآخر ، وبالنتيجة يختل نظام المسؤولية فاذا كان هكذا شأن نظام الانسان فكيف بشأن نظام الكون الدقيق الذي لا يمكن ان يصدر الا من قدرة عليا ؟ .

ان الايمان يستلزم التوحيد، فانه لا يمكن ان تتعدد القدرة العليا ، اذ لو تعددت فلا تكون قدرة عليا ، لان التعدد يعني عجز احدهما بالنسبة الى الآخر ، فلا تبقى قدرة عليا ؟ . وهكذا ما يؤكد الامام علي عليه السلام بقوله : « اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق ^(١) به ، وكمال التصديق به توحيده » ^(٢) ، فالايمان بلا توحيد يعني عدم الايمان بالذي على كل شيء قدير .

في رحاب القران :

ولحظة واحدة مع الايات القرانية توقفنا على التوحيد الخالص الذي يدعو اليه الاسلام قال تعالى :

١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ ^(٣) .

٢ - ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝﴾ ^(٤) .
٣ - ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝﴾ ^(٥) .

٤ - ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝﴾ ^(٦) .
٥ - ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝﴾ ^(٧) .

(١) أي الايمان . (٢) نهج البلاغة ١ : ١٤ ، الخطبة الاولى .

(٣) البقرة : ٢٢ . (٤) الصافات : ٥ .

(٥) المؤمنون : ٩١ . (٦) طه : ٩٨ .

(٧) الانبياء : ٢٢ .

٦- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾^(١).

ونختم الحديث عن التوحيد بشذرة مقتطفة من كلام الامام علي عليه السلام في وصيته للامام الحسن عليه السلام ، قال : «لو كان لربك شريك لأنتك رسله، ولرايت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت افعاله وصفاته ، ولكنّه اله واحد كما وصف نفسه لا يضاد في ملكه احد»^(٢).
وقال : «أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده»^(٣).

(١) النمل : ٦٠. (٢) نهج البلاغة ٤ : ١٠٨ ، الكتاب ٣١.

(٣) نهج البلاغة ١ : ١٤ ، الخطبة الاولى .

العدل

والايمان بالله يستلزم الاعتقاد بأنه عادل، حيث ان الظلم لا يصدر إلا من العاجز، وذلك اما بسبب الجهل أو الاحتياج فيتوسل بالظلم لشفاء غضبه أو سد حاجته ، والله سبحانه العالم بكل شيء والقادر على كل شيء لا يتصور فيه الظلم والجور وهو الغني الحميد . وهذا ما يؤكده الامام السجاد عليه السلام بقوله : « انما يحتاج الى الظلم الضعيف »^(١)، ولذلك نعتقد بان الله تعالى لا يظلم احدا ولا يجبر احدا على عمل كان ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾^(٢).

(٢) ويقول الامام علي عليه السلام : « العدل ان لا تنتهمه »^(٣).

وقال الامام الصادق عليه السلام : « واما العدل فان لا تنسب الى خالقك ما لامك عليه »^(٤).

وقال عليه السلام ايضا : « ان الله اكرم من ان يكلف الناس ما لا يطيقون »^(٥).

وقال ايضا : « ما كلف الله العباد كلفة فعل ولا نهاهم عن شيء حتى جعل لهم الاستطاعة ، ثم امرهم ونهاهم ، فلا يكون العبد آخذا ولا تاركا إلا باستطاعة متقدمة قبل الامر والنهي... »^(٦).

ويقول الامام الصادق عليه السلام : « ان الله عز وجل خلق الخلق ، فعلم ما هم اليه صائرون ، فأمرهم ونهاهم ، فما امرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل الى الاخذ به ، وما نهاهم عن

(١) الصحيفة السجادية (ابطحي) : ١٠٧ . (٢) الانسان : ٣ .

(٣) نهج البلاغة : ١٠٨ (الحكمة : ٤٧) . (٤) معاني الاخبار : ١١ .

(٥) المحاسن ، للبرقي ١ : ٢٩٦ ، الحديث ٤٦٤ .

(٦) التوحيد ، للصدوق : ٣٥٢ ، الحديث ١٩ .

شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه»^(١).

وما جبر الله احدا من خلقه على معصية، بل اختبرهم بالبلوى كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢)، فما نجد في الناس من تفاوت من اختلاف حالات الغنى والفقر والصحة والمرض والمقام ونحوها ليست الابسعي الانسان وبتقدير الله كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۚ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾^(٣).

معنى السعي ان الانسان بحريته يختار سببا من الاسباب وبالنسبة لنتيجة يترتب الاثر المفروض المقدر، وقد جعل الله تعالى جميع البشر سواء في هذه الحرية . ولم يدع ارشاده في استخدام هذه الحرية في سبيل الحياة السعيدة بالمشورة والتدبير ﴿وشاورهم في الامر﴾^(٤) و «لا عقل كالتدبير»^(٥).

فاذا اهمل الانسان بنفسه ارشادات العقل واوامر الشرع ولم يكن له تدبير ولا مشورة ممن ينبغي مشورته . فطبيعي ان يترتب على ذلك الشقاء والتخلف والبؤس واختلال الاقتصاد والمعاش والابتلاء بالفقر والحرمان وليس الظالم الا من اهمل التدبير والمشورة التي امر بها الله تعالى ونبيه الكريم ﷺ .

في رحاب القرآن:

ويرشدنا القرآن الكريم في هذا المجال الى عظيم فضله وعدله فقال سبحانه وتعالى :

١ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٦).

٢ - ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ۝ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا

(١) التوحيد ، للصدوق : ٣٤٩ ، الحديث ١٨ .

(٢) هود: ٧ . (٣) النجم : ٣٩ - ٤٠ .

(٤) آل عمران : ١٥٩ . (٥) امالي الشيخ الطوسي : ٥٤١ .

(٦) النساء: ٤٠ .

عَمَلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾

٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢).

والخلاصة: الايمان نتيجة طبيعية للعلم كما قال الامام علي عليه السلام: «بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحّد» (٣)، وهذه الحقيقة يؤكدتها الاسلام في مختلف الايات والاحاديث التي ذكرنا بعضها، واما الالحاد فهو نتيجة طبيعية للجهل، والملحدون احدى طائفتين : من يجد الدين حجر عثرة لمقاصده الشخصية، ومن يأخذ مفهوما خاطئا عن الدين ويعتبر العادات الدخيلة دينا وهو الجهل بحقيقة الدين .

وختاما، اليك ما قاله الدكتور (كرسي موريسون) ، في كتابه الجدير بالقراءة باسم (العلم يدعو الى الايمان) قال : «ان البشر لا يزالون في فجر العلم، وكلما ازداد ضياء العلم سطوعا جلى لنا شيئا فشيئا صنعه خالق مبدع» (٤).

(١) الانعام: ١٣١ و ١٣٢ . (٢) يونس: ٤٤ .

(٣) الفصول المهمة في اصول الائمة : ٤٦٨ .

(٤) العلم يدعو الى الايمان (المقدمة) .

البعث والمعاد

كل منا يعلم ان للحياة في الدنيا خاتمة، آتية لامحالة، وليس للحياة في الدنيا خلود ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١) واما بعد هذه الحياة التي نعبر عنها بـ (الموت) فهل هناك حياة اخرى ؟ أم ان الانسان ينعدم بالموت ولا حياة اخرى ؟ كدت الاديان السماوية على الحياة الثانية وان فيها يكون العدل والحساب ، يثاب المطيع ويعاقب العاصي. ويعتبر الحياة الدنيا دور العمل والاخرة دور الجزاء قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ ﴾^(٢).

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

ويقول الامام علي عليه السلام: «انما الدنيا دار مجاز والاخرة دار القرار، فخذوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج ابدانكم، ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتكم»^(٤).

اذا فالموت حياة تتعقب الحياة الدنيا، ذلك ان الانسان يتكون من روح وجسد والروح هي الشخصية الاخرى التي لا تتغير باختلاف الاحوال والتي تعبر عنها بقولك: (انا)، والموت يفرق بين الروح والجسد ولا يبقى في القبر سوى الجسد الذي سوف يتحول الى حالات اخرى، وتبقى نسبة التراب الى الانسان ولو بعد آلاف السنين، والشيء الذي يمنع من الاعتقاد بالمعاد هو: ان جسد الانسان الميت بعد هذه التطورات كيف يتكون من

(٢) الملك: ١ - ٢.

(١) الزمر: ٣٠.

(٤) نهج البلاغة ٢: ١٨٣.

(٣) المؤمنون: ١١٥.

جديد؟ وبصير حيا بعد انعدامها في آلاف السنين .

وقد يبدو سؤالاً بلا جواب، ولكن لحظة قصيرة مع العلم توقفنا على ان الانسان باعتباره موجوداً مادياً لا يتصور فيه كيميائياً الفناء والعدم، وانما تطرأ الاحوال المختلفة على العنصر والمادة، ونكتفي بمثال بسيط، فالماء مكون من عنصرين هما، غاز الاوكسجين وغاز الهيدروجين، ويمكن تجزئتهما بالتحليل الكيميائي، فاذا تركب عنصر الاوكسجين مع الهيدروجين يتكون الماء، واذا تركب مع شيء آخر يتكون شيء اخر، اذاً فغاز الاوكسجين عنصر تطرأ عليه الحالات المختلفة، ويمكن تحليلها كيميائياً بتجزئة العناصر الطبيعية من غيرها، والانسان بموته انما تنتقل عناصره المادية الى حالة اخرى، والله العالم لكل شيء عالم بحالتي الانسان قبل الموت وبعده، وعالم بمصير عناصره، وبما انه تعالى له القدرة العليا فهو قادر على تجزئة هذه العناصر وتحليلها حتى يتكون الانسان الذي تحولت هذه العناصر منه فيكونها انساناً من جديد برّد الروح اليه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمَنَّ أَنَ اللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

وتصح نسبة الانسان المكون من نفس العناصر والروح ولو بعد الاف السنين الى التراب، كما تصح نسبة القبر الى من دفن فيه قبل الاف السنين، وهكذا يعتبر الاعتقاد بالبعث والمعاد امتداداً للاعتقاد بالقدرة العليا وان الله على شيء قدير، فانك لم تكن موجوداً فوجدت: والقدرة التي اوجدتك من العدم قادرة على ايجادك من العدم بعد الموت أيضاً.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٢)
﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

(٢) يس: ٧٨.

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٣) يس: ٧٩.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

ان الجهل لا يكون مبرراً للانكار، وقد ظلت البشرية طيلة قرون عديدة تجهل (الميكروب) و (الذرة) وهي لم تفقد واقعيتها بالرغم من جهل الناس اياها. صحيح ان الحياة بعد الموت مجهولة للانسان ولكن لا يجوز ان تنكر ذلك مستنداً الى الجهل مادام القادر الحكيم الذي خلق الانسان من العدم، والنبي العظيم والقرآن الكريم يخبرنا بذلك، وهكذا شأن الدنيا، المدرسة الانسانية التي بشر وأنذر فيها الانبياء، لا بد لها من يوم للعدلة، تظهر فيه درجات الايمان والعمل الصالح قوةً وضعفاً.

في رحاب القرآن:

قال تعالى: ١- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۖ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾^(٢).

٢- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۚ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَنَّى ۚ (القيامة: ٣٧) ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۚ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ (القيامة: ٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾^(٣).

٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لُنَبِّئَنَّكُمْ وَتَقَرُّوا فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٤).

(٢) الطارق: ٥ - ٨.

(١) الروم: ٢٧.

(٤) الحج: ٥ - ٧.

(٣) القيامة: ٣٦ - ٤٠.

النبوة

العدالة تستلزم هداية البشر الى طريق الخير والسعادة فإنّ الاهمال يعني الاضلال، وهذا مايؤكدده القران الكريم بقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾^(١). وهداية الانسان بواسطة رسولين؛ الاول: رسول الباطل وهو الفكر والعقل. والثاني: رسول الظاهر وهو النبي، ويكون دور الانبياء هداية فكر الانسان الى الحياة الفضلى، والنبوة رسالة الهية وسفارة دينية لهداية الانسان الى الصراط المستقيم والنجاة في الدنيا والآخرة. ومهمة الرسل والانبياء ايقاض القلوب وتوجيه الارادة البشرية نحو الكرامة والسعادة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾^(٢). وقال سبحانه: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣).

واذا تأمل الانسان ادوار حياته وتدرّجه في مراحل الولادة فالرضاعة فالطفولة فالمرحلة حتى استوى عضوا كاملا نافعا في المجتمع الانساني، وكلما ازداد كمالا ازداد يقينا بأن الانسان في حياته يحتاج الى موجه ومرشد يوجهه الى السير الافضل في الحياة هذا هو شأن المجتمع الانساني الذي يمر بمراحل التطور الفكري في العقيدة والشرعية، ويفتقر في سيرة التكامل الى الموجه والمرشد وذلك هو دور الانبياء ﷺ، وهذا ما يفيد

(٢) الانعام: ٤٨.

(١) الانسان: ٣.

(٣) الاعراف: ٨٥ - ٨٦.

كلام الامام الصادق عليه السلام: «انا آلمنا آتبتنا ان لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا، ثبت ان له سفراء يعبرون عنه الى خلقه، وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم، فثبت الامرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبرون عنه، وهم الانبياء عليهم السلام»^(١)، ولهذا السبب اقتضت الحكمة الالهية ان يرسل الانبياء بشرا مثل سائر الناس يعطونهم بنفس اللغة التي يتفاهم بها الناس.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

ولم يرسلهم ملائكة تأكيداً على هذه الظاهرة كما يؤكد على ذلك القرآن الكريم.
وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٣).

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَنَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۚ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾^(٥).

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۚ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾^(٦).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾^(٧).

(١) توحيد المفضل: ١١٨. (٢) ابراهيم: ٤.

(٣) الكهف: ١١٠. (٤) الانعام: ٥٠.

(٥) الفرقان: ٨. (٦) الاسراء: ٩٤ - ٩٥.

(٧) الفرقان: ٢٠.

أولوا العزم:

وحيث ان البشرية تتدرج في النضج الفكري يكون من الطبيعي ان تتدرج الرسالة الالهية حسب هذا النضج، وان تختلف باختلاف الشعوب والامم، وان تختلف حدود الرسالة من حيث الزمان والمكان، وهكذا مايؤكد القران الكريم بقوله: ﴿ولكل امة رسول﴾^(١)

وتفيد الروايات ان عدد الانبياء هو (١٢٤/٠٠٠) نبياً، وكانت النبوات تختص بطائفة خاصة أو قوم خاص أو قبيلة خاصة، وقد برز منها رسالات عامة وانبياء عرفوا بـ (اولو العزم) بسبب أن رسالتهم عامة وعالمية.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٢).
وهم كالاتي:

١- النبي نوح عليه السلام: كان منطلق دعوته الى التوحيد العراق، وعمر طويلاً كما نص عليه القرآن الكريم: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(٣)، واستمر في دعوته ليلاً ونهاراً، ولم يستجب لدعوته الا ثمانون شخصاً منهم ابنته، أما زوجته وابنه فبقيا على الكفر، وأمره الله بصنع السفينة وحمل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات وقاية من الطوفان، وقد صنعها - كما تفيد الروايات - في مئة سنة في مسجد الكوفة بالعراق، ولما طغى الماء فوق كل شيء مدة ستة أشهر، استوت السفينة على الجودي بالموصل، ومدفنه عليه السلام في النجف الاشرف، وهو ضجيع الامام علي عليه السلام.

١- النبي نوح عليه السلام، وهو أطول الانبياء عمراً، ويعرف بشيخ المرسلين؛ لأنه عاش مبلغاً لرسالة السماء ألف سنة إلا خمسين عاماً، كما في القرآن الكريم، وكان موطنه الكوفة.

٢- النبي ابراهيم عليه السلام: ويدعى بأبي الانبياء، مولده في العراق، عاش في سلطنة نمرود،

(٢) الشورى: ١٣.

(١) يونس: ٤٧.

(٣) العنكبوت: ١٤.

ودعا الى التوحيد فيها، ثم استمر في دعوته في الشام، ومنها امر بالهجرة الى مكة المكرمة واداء مناسك الحج حيث اسكن فيها زوجته (هاجر) وابنه (اسماعيل)، وتعرف رسالته بـ (الملة الحنيفة).

٣- النبي موسى ﷺ: ولد في مصر في سلطنة فرعون، وحارب عبادته الفراعنة وخرج منها خائفا يترقب مع بني اسرائيل الى حدود فلسطين وتعرف رسالته بـ (الدين اليهودي).

٤- النبي عيسى ﷺ: وكان موطن دعوته فلسطين، دعا فيها الى محاربة المادية، فحاربه اليهود وأرادوا صلبه فرفعه الله بقدرته الى السماء قال تعالى: ﴿يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي﴾^(١). ومن بعده تابع تلاميذه (الحواريون) ابلاغ رسالته، وتعرف رسالته بـ (الدين المسيحي).

٥- النبي محمد بن عبد الله ﷺ وهو خاتم النبيين: وقد بدأ دعوته في مولده مكة المكرمة، فدعا فيها الناس الى التوحيد، وهاجر منها الى المدينة، ومنها انتشرت كلمة الاسلام حتى عمت شبه الجزيرة العربية ومناطق شاسعة من اسيا وافريقيا. وتوفي ﷺ في المدينة في ٢٨ / صفر / سنة ١١ للهجرة، وفيها دفن. وقام خلفاؤه بالحفاظ على شريعة الاسلام من بعده. ولقد لاقى هذه الرسالات العالمية صعوبات كبيرة في سبيل ابلاغ الناس بها؛ فقد قال تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾^(٢).

وقال النبي محمد ﷺ: «ما أودى نبي مثل ما أوديت»^(٣). وهكذا ارسل سبحانه الانبياء، وكان أولهم آدم ﷺ وآخرهم محمد ﷺ الذي ختم به العقيدة والشريعة، واسس الحياة الفضلى الى الأبد، وهذا ما يؤكده ﷺ بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٤).

(٢) الاحقاف: ٣٥.

(١) ال عمران: ٥٥.

(٤) مسند الرضا ﷺ: ١٣١.

(٣) مسند الرضا: ١٣١.

معرفة النبي ﷺ:

ان هدف الرسالة هو الاصلاح بالوحي الالهي، الذي يبدو عياناً لشخص النبي ﷺ كالنور الباهر، وطبيعي أن تكون الرسالة مصحوبة بالدليل المقنع و (البينة) حسب التعبير الفرآني: (يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقني الا بالله عليه توكلت واليه انيب) ^(١).

وطبيعي ان يكون الدليل مما يفوق القدرة البشرية بالنسبة الى الرسالة نفسها، الهادفة الى صلاح الدنيا وفلاح الآخرة وبالنسبة الى الرسول نفسه، وتختلف باختلاف الازمان والاماكن، وقد تحولت النار بردا وسلاما على ابراهيم ﷺ ازاء تعذيب نمرود، وتحولت عصى موسى ﷺ حية تسعى ازاء اعمال السحرة، وكان عيسى ﷺ يبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى مما يعجز عنه الطب، وكان الدليل المعجزة لمحمد ﷺ تشريع الاسلام ونظامه الذي يفوق التشريعات الوضعي.

وكذلك من الطبيعي عصمة الانبياء؛ ليكونوا محل الثقة والقُدوة للناس، ولهذا السبب لم تجرِ سنة الله تعالى على اختيار المرأة للنبوة ولا للامامة؛ لانها قيادة وزعامة تلازم الكفاح والتغلب على العواطف، التي لا تتحمل ذلك عادة اعصاب المرأة، حيث أنها خلقت ممتازة بالعاطفة والحنان.

النبي محمد ﷺ:

ان انتشار الفساد في المجتمع يستلزم وجوب الاصلاح؛ للسير في مدارج التكامل والرقى، وان ضلال البشرية وشيوع الحياة الجاهلية تعني اقتراب بزوغ شمس الهداية، وفي عصر النبي محمد ﷺ كانت الضلالة والجهالة متفشية في العالم والجزيرة العربية

خاصة، فكان بزوغ شمس النبوة طبيعياً، وقطع دابر الفساد حتماً. قال تعالى:
«هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين»^(١).

وقال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ○ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً
مُنِيراً»^(٢).

وقال سبحانه: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»^(٣).

وقال الامام علي عليه السلام: «فبعث محمداً ﷺ بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان
الى عبادته ومن طاعة الشيطان الى طاعته بقرآن قد بينه واحكمه»^(٤). وقال: «ارسله على
حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الامم، واعتزام من الفتن وانتشار من الامور،
وتلظ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور فجأهم بتصديق الذي بين يديه،
والنور المقتدى به، ذلك القران»^(٥).

وقال الامام السجاد عليه السلام: «اللهم فصل على محمد امينك على وحيك، ونجيبك من
خلقك، وصفيك من عبادك، إمام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة، كما نصب لامرك
نفسه، وعرض فيك للمكروه بدنه...»^(٦).

سيرة النبي ﷺ:

تنقسم سيرة النبي ﷺ الى ثلاثة ادوار:

١- النشأة من المولد الى البعثة. وهذا الدور يعتبر دوراً طبيعياً.

(١) الجمعة: ٢. (٢) الاحزاب: ٤٥ - ٤٦.

(٣) البقرة: ١٣٦. (٤) نهج البلاغة ٢: ٣٠.

(٥) نهج البلاغة ٢: ٥٤. (٦) الصحيفة السجادية، الدعاء الثاني.

٣٤ شرح الأربعين النبوية

٢- دور الدعوة من البعثة الى الهجرة. وفي هذا الدور انتشرت الدعوة الاسلامية .

٣- دور التطبيق من الهجرة الى الوفاة. وفي هذا الدور كان كمال الدين الاسلامي .

ولد النبي محمد ﷺ في عام الفيل، سنة ٥٧٠ م .

وكان والده توفي قبل ولادته، فتكفله جده عبدالمطلب وأرسله للرعاية في قبيلة

بني سعد، كما كانت عليه عادة العرب .

ولما بلغ الرابعة من عمره اعادته مرضعته حليلة السعدية الى أمه امنة بنت وهب .

ولما بلغ ﷺ ست سنوات ماتت امه آمنة .

ولما بلغ الثمان سنوات مات جده عبد المطلب ، فتكفله عمه ابو طالب .

وامتنه التجارة بين مكة وبصرى الشام مع عمه ابي طالب عام ٥٨٢ م ، وعمره اثنتا

عشر سنة.

ولما كان ﷺ معروفاً بالامانة والصدق عرضت عليه خديجة الاتجار بما لها على

النصف ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره في سنة ٥٩٥ م .

وفي نفس العام عرضت عليه الزواج، فتزوج منها.

ويعتبر هذا الدور على العموم دوراً طبيعياً في حياة النبي ﷺ ، وكانت مسألة الزواج

تحول في حياته فقد ساهمت السيدة خديجة لصالح الاسلام فيما بعد مادياً حتى قيل :»

ماقام الاسلام الا بسيف علي واموال خديجة » .

والدور الثاني من حياة النبي ﷺ يبدأ من سنة ٦٠٩ م، فانه ﷺ لما بلغ الاربعين من

عمره كان يذهب ﷺ الى غار حراء متفكراً فيما عليه الناس من الضلالة والجهالة ، فنزل

عليه الوحي في ٢٧ / رجب / سنة ٦٠٩ م فكان المبعث النبوي الشريف

وفي هذا التاريخ امره الله بتبليغ الرسالة، وكانت بداية دعوته في عشيرته الاقربين،

وكان اول من آمن به ابن عمه علي بن ابي طالب ﷺ، وعمره آنذاك تسعة سنين .

فتعرض ﷺ لأذى المشركين من قريش، ولكن قيّض له عمه ابو طالب مدافعاً

ومحامياً عنه .

وقال له عمه ابو طالب : « اذهب يا بن اخي فقل ما احببت؛ فوالله لا اتخلى عن حمايتك ابداً » .

وكان المسلمون يجتمعون سراً في دار زيد بن الارقم المخزومي ، ولما اصبحوا اربعين رجلاً ، بلغ رسالته علناً في سنة ٦١٢ م

وقد لاقى هو ﷺ والمسلمون اذى كثيراً من مشركي مكة في سبيل الدعوة؛ حتى قال ﷺ : « ما اؤذي نبي مثلاً اؤذيت »

واضطر المسلمون على اثر مضايقة قريش ان يهاجروا من مكة؛ فهاجر ثلاثة وثمانون مسلماً الى الحبشة، وكانوا بها حتى فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة النبوية؛ حيث رجعوا الى المدينة المنورة .

والدور الثالث من حياة النبي ﷺ يبتدىء بالعام ٦٢٢ م، الموافق للعام الاول من الهجرة ، فانه لما لم يجد النبي ﷺ في مكة ولا الطائف مكاناً صالحاً لنشر دعوة الاسلام ، وكان اهالي يثرب (= المدينة المنورة) على العكس من اخلاق قريش، ووجدها مكاناً صالحاً لتبني الدعوة ونشرها، هاجر اليها في ١ / ربيع الاول / سنة ٦٢٢ م، وكانت هذه الهجرة بداية تحوّل تاريخي وتقدّم متواصل للاسلام والمسلمين وبداية للتاريخ الاسلامي.

وفي المدينة حدثت سلسلة من الاحداث التي غيرت مسيرة التاريخ، وفي طليعتها (القرآن) الدستور الخالد الذي تحدى البشرية على ان يأتوا بمثله في تشريعه ونظامه ، وكان السبب في الهجرة تحالف كفار قريش على قتله ﷺ، لذلك امر النبي ﷺ ابن عمه علي بن ابي طالب عليه السلام ان يبيت في فراشه ليلة الهجرة خشية ان يفتن المشركون لغيابه، وان يتعقبوه لو علموا ان فراشه خالٍ منه، ولهذا السبب سميت (ليلة المبيت) وصحب معه ابا بكر في هجرته.

واليك باقتضاب اهم الاحداث في حياته ﷺ بعد الهجرة:

العام الاول : صالح النبي ﷺ بين قبيلتي (الاوس) و (الخزرج) وكانت الحرب دائرة

٣٦ شرح الأربعين النبوية

بينهما سنين طويلة، وعقد الاخاء بين (الانصار) وهم المسلمون من اهالي المدينة و (المهاجرين) وهم المسلمون المهاجرون من اهالي مكة وأخى بين نفسه وبين علي عليه السلام.
العام الثاني : أمر باستقبال الكعبة المعظمة في الصلاة، وفيه كانت غزوة بدر الكبرى، وفيه أيضاً تم زواج الامام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام.

العام الثالث : وفيه كانت غزوة احد واستشهد الحمزة عم النبي عليه السلام سيد الشهداء مع سبعين مسلماً، ولاقى علياً عليه السلام سبعين جرحاً في بدنه .

العام الرابع : فيه كانت واقعة بني النضير وهم طائفة من يهود المدينة نقضوا عهدهم مع الرسول بتحريض المشركين فقاتلهم المسلمون وانتصروا عليهم .

العام الخامس: في شوال كانت غزوة الخندق، وكان المسلمون ثلاثة الاف والكفار عشرة الاف، وأرشد الصحابي سليمان الفارسي حفر المسلمون خندقاً في عشرين يوماً حفاظاً على المدينة وانتهت الغزوة بالبراز بين علي عليه السلام وعمرو بن ود وقتل عمرو وسميت بـ (وقعة الاحزاب) .

العام السادس : توجه النبي عليه السلام الى مكة المكرمة لغرض العمرة، فظن المشركون انه يريد الحرب، وبعد محادثات ورسالات في موضع يسمى (الحديبة) قرروا ان يؤخر النبي عليه السلام عمرته وعقدت الهدنة بين الطرفين ضمن شروط واهمها :

١ - حرية السفر بين الجانبين.

٢ - حرية اعتناق الاسلام لمن يشاء.

٣ - الهدنة لمدة عشر سنوات، ولكنها استمرت سنتين فقط.

وكان رضوخ الكفار لهذه الشروط نصراً للمسلمين ونزلت في ذلك سورة الفتح، وقد بايع المسلمون النبي عليه السلام على الموت لذلك سميت (بيعة الرضوان) .

العام السابع : وفيه كانت معركة خيبر، ولم يحضرها النبي عليه السلام لوجع في رأسه، وارسل سرايا لم تنجح في مهمتها ثم ارسل سرية بقيادة علي عليه السلام ففتح خيبر واحرز النصر للاسلام .

العام الثامن : وهو عام فتح مكة، فحيث لم يَفِ المشركون بعهدهم، فتوجه الرسول ﷺ في عشرة الاف مسلم الى مكة ، واستسلم الكفار، واسلم من كان في مكة حتى ابو سفيان وأبناؤه، وعفا عنهم الرسول ﷺ قائلاً: « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

العام التاسع : في هذا العام ابلغ البعض النبي ﷺ باستعداد الروم للحرب، واستعد المسلمون في (تبوك) للحرب ولكن لم يقع حرب بين الطرفين .

العام العاشر: في هذا العام كانت حجة الوداع، وفي الثامن عشر من ذي الحجة عندما رجع النبي ﷺ الى المدينة نصّ رسول الله ﷺ على ولاية وخلافة امير المؤمنين علي عليه السلام في مكان يسمى بـ (غدير خم) .

وفي ٢٤ ذي الحجة عزم النبي على المباهلة بين النبي ﷺ واهل بيته من جهة، ونصارى نجران من جهة اخرى، وفيها نزلت الاية الكريمة: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ^(١).

العام الحادي عشر : في ٢٨ صفر، الموافق لسنة ٦٣٣ م كانت وفاة الرسول الاعظم ﷺ في المدينة المنورة، عن ثلاثة وستين عاماً .

الامامة

كان النبي ﷺ مشرعاً منفذاً في آنٍ واحد ، ولما كمل التشريع بقوله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾^(١) لم يجز لاحد ان يشرع شيئاً بعد وفاة النبي ﷺ، وانما كان على المسلمين تطبيق شريعة الاسلام الكاملة في حياتهم الفردية والاجتماعية مهتدين بالقرآن الكريم وسيرة النبي العظيم، ولما كان النبي ﷺ يتولى بنفسه القيادة العامة في حياته، فكذلك يلزم ان يتولاها بعد وفاته فرد خاص؛ اذ لا يمكن ان تناط بالمسلمين جميعاً لكن وجدت قيادات مختلفة من بعد وفاته ﷺ، وكان لكل منها طابعها الخاص، وهي كالآتي :

اولاً - الخلافة بالشورى : وكان في جمع من الصحابة، اولهم ابو بكر بن ابي قحافة (ت/ ١٣ هـ)، ثم عثمان ابن عفان (ت/ ٣٥ هـ)، وكانت عاصمتهم في المدينة، ورابعهم الامام علي بن ابي طالب ؑ (ت/ ٤١ هـ)، وكانت عاصمته الكوفة .
وعد السيوطي في تاريخ الخلفاء خامسهم: الحسن بن علي ؑ حتى تاريخ الصلح في ١٥/ شعبان / ٤١ هـ^(٢).

وكانت عاصمته الكوفة. وفي الصواعق المحرقة: « هو آخر الخلفاء الراشدين بنصّ جده ﷺ »^(٣).

ثانياً، الخلافة الاموية : وكانت في آل ابي سفيان وآل مروان وكانت عاصمتهم (الشام) ثم (الاندلس) ، ففي الشام ستة ، اولهم : معاوية بن ابي سفيان (ت/ ٦١ هـ)، وآخرهم

(١) المائدة : ٣. (٢) تاريخ الخلفاء : ١٠، ط / ١٣٨٣ هـ.

(٣) الصواعق المحرقة : ١٣٣، ط / القاهرة، ١٣٧٥ هـ.

الاعتقادات / الامامة ٣٩

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك (ت / ١٣٢هـ) وفي الاندلس عبد الرحمن المستظهر بالله (ت / ٤١٤هـ).

ثالثا، الخلافة العباسية : وكانت في آل العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وعددهم سبعة وثلاثون ، اولهم : ابو العباس السفاح (ت / ١٣٢هـ) وكانت عاصمته (الهاشمية) قرب الكوفة . واخرهم : عبد الله المستعصم بالله (ت / ٦٥٦هـ) وكانت عاصمته بغداد .

رابعا، الخلافة الفاطمية : وكانت فيمن يوالون فاطمة الزهراء ﷺ وكانت عاصمتهم القاهرة وعندهم اربعة عشر ، اولهم : عبد الله المهدي (ت / ٣٢٢هـ) واخرهم : العاضد لدين الله (ت / ٥٧٦هـ).

الخامسا، الخلافة العثمانية : وعددهم ستة وثلاثون ، وكانت عاصمتهم (استانبول) ، اولهم : عثمان الاول (ت / ٧٢٥هـ) واخرهم : محمد السادس (ت / ١٣٠١هـ).

وفي سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م قام مصطفى كمال اتاترك بحركة انقلابية في تركيا الغى بها الخلافة رسميا، فتشكلت في البلاد الاسلامية حكومات ودول مختلفة الميول والاتجاهات بعد ان عاشت الامة في ظلال القران واستطلت براية التوحيد برهة طويلة من التاريخ.

موقف الاسلام :

يظهر موقف الاسلام من القيادة واهميتها ومواصفاتها من سيرة النبي ﷺ في العشر سنين الاخيرة من حياته التي قضاها في المدينة ، فما كان ﷺ يذهب الى غزوة ويجعل للمدينة اميرا، وما كان يرسل سرية الا ويجعل عليها قائدا ، وآخر سرية أمر عليها اسامة بن زيد بالرغم من صغر سنه.

ويعتبر هذا امر ضروريا؛ اذ لا يمكن للمجتمع الانساني ان يعيش فوضى ، بل لابد من قيادة حكيمة تطبق الدستور على نفسها وعلى المجتمع .

٤٠ شرح الأربعين النبوية

هذا، ومن جهة أخرى لابد للحاكم العدالة، ولا يمكن للظالم ان يتصدى للقيادة والامامة .

فقد قال تعالى لبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١). وللإمامة مقام سام جدا ووظائف خطيرة . وهذا ما يؤكد الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «ان الإمامة أسّ الاسلام النامي وفرعه السامي ، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الغنى والصدقات وامضاء الحدود والاحكام ومنع الثغور والاطراف، والإمام يحلل حلال الله ويحرّم حرام الله ، ويقيم حدود الله ويذبّ عن دين الله»^(٢) لذلك نجد من كلام الإمام الصادق عليه السلام: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(٣). وقوله: «لا يصلح الناس إلّا بإمام، ولا تصلح الأرض إلّا بذلك»^(٤). ولابد لكل مسلم معرفة إمام زمانه والاهتداء بهديه.

والإمام السجاد عليه السلام يشير الى واجبات القائد في الدعاء (٤٧) من الصحيفة السجادية بقوله: «اللهم ... اقم به كتابك وحدودك وشرائعك وسنن رسولك ﷺ واحيي به ما أماته الظالمون من معالم دينك، واجل به صدأ الجور عن طريقك، وآمن به الصراط من سبيلك، وازل به الناكبين عن صراطك، وامحق به بغاة قصدك عوجاً»^(٥). ويقول الإمام علي عليه السلام: «ألقع من نفسي بأن يقال لي: أمير المؤمنين، ولا اشاركهم مكاره الدهر أو اكون اسوة لهم في جشوبة العيش»^(٦).

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين .
ومن هنا نجد من الشروط المعتبر في قيادة الأمة ما يلي :
اولاً: معرفة الحكم الاسلامي عن قناعة فكرية بدراسة واجتهاد .

(١) البقرة: ١٢٤ . (٢) الكافي ١: ٢٠٠ .

(٣) مستدرک سفينة البحار ١: ١٩٤ . (٤) الإمامة والتبصرة: ٢٨ .

(٥) الصحيفة السجادية ، الدعاء (٤٧) . (٦) نهج البلاغة ٣: ٧٢ ، الكتاب ٤٥ .

ثانياً: العمل بكتاب الله وسنة رسوله؛ اذ ان احدهما يفسر الآخر .

ثالثاً: العدالة في الرعية .

ولكل من العلم والعمل والعدالة دور بارز في مواصفات القيادة ، واما العوامل الاخرى كالنسب والجنس والعمر فليست لها من الناحية النظرية أية قيمة في نظر الاسلام ، لذلك نجد النبي ﷺ يؤمر اسامة بن زيد - وهو ابن عشرين سنة - على الجيش الاسلامي بالرغم من صغر سنه ويأمر كبار الصحابة، ابا بكر وعمر وغيرهما - بأن ينضموا الى جيشه، ويأترون بأمره ، لما تحقت فيه من الكفاءة بالعلم والعمل والعدالة .

معرفة الامام :

فأذا عرفنا مواصفات الامام فكيف يمكننا معرفته ، أبالنص ، أم بالشورى ؟ .

وهنا اختلف المسلمون ، فجمهور السنة على ان النبي ﷺ لم ينص على احد من اصحابه بالقيادة ، وجعل ذلك شورى بينهم ، والشيعه تقول: ان القيادة مسؤولية لا يمكن ان يهملها النبي ﷺ؛ اذ لا بد لكل ملك من ولي عهد، ولكل رئيس من نائب، ولا شك انه ﷺ اعرف بمن تجتمع فيه الشروط والمؤهلات، فلماذا يتركها لغيره وهو اعرف منهم؟ .

ثم ان الخليفة ابا بكر لما حضرت الوفاة استخلف عمرًا، ولم يحصر الخلافة في جماعة على ان تكون الخلافة شورى بينهم كما فعل عمر بن الخطاب فحصر الخلافة في ستة على ان يكون شورى بينهم.

فلماذا لم يسكتا عن موضوع الخلافة ولم يهملها امرها ؟ لان الخلافة قيادة تتعلق بها مصالح الاسلام والمسلمين، ولا يصح السكوت عنها . وهنا يطرح سوال آخر، وهو لماذا حصرها اذن في شخص خاص أو جماعة خاصة ؟ فقد يقال انما فعلا ذلك لان عامة الناس لا يعرفون المؤهلات المعتبرة عندهم، وانما يعرفها من سبقت له نفس المسؤولية؟ فاذا كان الخليفان يهتمان بهذه الدرجة بمصلحة الاسلام والمسلمين ، هل يمكن ان

٤٢ شرح الأربعين النبوية

يهمل النبي ﷺ هذه المسؤولية، وهو الذي كان اذا خرج من المدينة، عاصمته، أمر عليها اميراً، واذا ارسل جيشاً جعل عليها قائداً؟!

والتاريخ ينص على اهتمام النبي ﷺ بمصلحة الاسلام والمسلمين حتى آخر لحظة من حياته المباركة، ففي صحيح البخاري في باب مرض النبي ووفاته مانصه: «قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: أتتوا لي اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً، فتنازعوا - ولا ينبغي عند النبي ﷺ تنازع - فقالوا: ما شأنه، أهجّر، استنفهوا؟ فذهبوا يرددون عليه، فقال: دعوني، فالذي انا فيه خير مما تدعونني اليه. واوصاهم بثلاث، قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم، وسكت عن الثالثة، أو قال الراوي: فنسيتها»^(١).

هل اوصى النبي ﷺ؟

ما كان النبي ﷺ ليرتك مصلحة الاسلام والمسلمين، وهو القائل: «من أصبح لايهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»^(٢)، فهل ترك امر الخلافة وما يترتب عليه من مصير الامة والدين من دون ابداء رأيه الواضح والصريح فيها؟ ثم هؤلاء المسلمون الذين كانوا يسألون النبي ﷺ عن كل شيء في حياتهم الخاصة والعامة، ألم يسألوه عمّن يخلفه من بعده وهم يتلون الكتاب الكريم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٣)؟

ومن وجهة نظر الشيعة يكون الجواب بالاثبات، وهو ان النبي اوصى الى علي بن ابي طالب عليه السلام؛ لخصال اجتمعت في شخصه: من كفاح في الاسلام، واخلاص في عبادة الله، فهو الذي لم يعبد صنماً، ونصر النبي صبيها وفتى وشيخا، وجهاده المتواصل في كل الغزوات ما عدا غزوة تبوك، وعلمه الغزير بالكتاب والسنة بحكم سبق صحبته، واستمرار ملازمته للنبي ﷺ، الذي كان يقول عليه السلام عن ذلك: «كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر

(١) صحيح البخاري ٦: ١١ ط: ١٣٧٨ هـ. باب مرض النبي ووفاته.

(٣) الزمر: ٣٠.

(٢) الكافي ٢: ١٦٣.

امه»^(١)، فهذه صفات اختص بها، وكان له منها الحظ الاوفى، وخاصة العلم. وآثاره الفكرية كثيرة في التراث الاسلامي وهي باقية حتى اليوم، وقد جاء في الاستيعاب باسناده: «قلت لعطاء: أكان في اصحاب محمد ﷺ أحد أعلم من علي؟ قال: لا والله، ما أعلمه»^(٢).

ومن هنا كانت فكرة (الوصية) وان الكفاءة للقيادة انما يعرفها من سبقت له المسؤولية، فيجب ان ينص النبي ﷺ على الخليفة من بعده والامام على الامام من بعده وهكذا.

قال الامام الباقر عليه السلام: «يعرف الامام بالنص عليه من الله تعالى ونصبه علما للناس حتى يكون عليهم حجة، وقد نصب رسول الله عليا عليه السلام وعرف الناس باسمه وعينه لهم، وكذلك الائمة ينصب الماضي من يكون بعده، ويعرف الامام بأن يسأل فيجيب، وان سكنت عنه ابتداء»^(٣).

والنصوص في الامام علي عليه السلام كثيرة وقد كثر النقاش حولها بين الفريقين، ونحن نكتفي بثلاثة منها:

النص الاول: حديث المنزلة، فقد روى الفريقان أن النبي ﷺ لما خرج الى غزوة تبوك في السنة التاسعة، من الهجرة خلف عليا عليه السلام، وقال ﷺ له: «اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لاني بعدي»^(٤)، ومصادر كثيرة بزيادة: «لاني بعدي»^(٥).

فقد جعل النبي ﷺ عليا من نفسه منزلة هارون من موسى، وبعد الفحص عن منزلة

(١) نهج البلاغة ٢: ١٧٥، الخطبة ١٩٢.

(٢) الاستيعاب ٣: ١١٠٤، تحقيق علي محمد البيجاوي.

(٣) الكافي ١: ٢٨٥.

(٤) كما في مسلم ٧: ١٢٠، طبعة محمد علي صبيح، وانظر: البخاري ٥: ٢٤، طبعة دار الشعب.

(٥) انظر: صحيح البخاري ٥: ٢٤، طبعة دار الشعب. سنن الترمذي ٢: ٣٠١.

هارون في القرآن الكريم نجدها كالآتي :

١- الخلافة ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(١).

٢- الوزارة ، ﴿ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴾ هَارُونَ أَخِي ○ أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ^(٢)

٣- الشركة في الامر ، ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ ○ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ^(٣).

وكذلك يكون النبي ﷺ قد نص على المنازل المذكورة لعلي عليه السلام حيث جعله بمنزلة

هارون، من موسى، وهو ﷺ ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ○ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ^(٤).

النص الثاني : حديث الثقلين، وقد رواه الفريقان : «قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً ثم قال : أما بعد، ايها الناس، فانما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب، وانا تارك فيكم الثقلين ، اولهما : كتاب الله فيه الهدى والنور ، ثم قال : واهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي ..»، كما في صحيح مسلم ^(٥). ويبقى سؤال : من هم اهل بيت النبي ؟ وللإجابة على ذلك نكتفي بما نقله مسلم في صحيحه باسناده عن سعد بن ابي وقاص قال : « دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال : اللهم هؤلاء اهلي » ^(٦).

وهذا التأكيد طبيعي؛ فإنّ اهل البيت ادرى بما في البيت - كما يقول المثل - وكذلك نجد في طول التاريخ الاسلامي قد ضحى اهل البيت النبوي بدمائهم في سبيل احياء الدين، وكانت مواقفهم من اروع المواقف الاسلامية الخالدة في نصرة الدين والحق .

النص الثالث : حديث الغدير ، وغدير خم موضع في طريق مكة المدينة، قرب رابغ - اليوم - حيث استوقف النبي بعد حجة الوداع عام وفاته، وهو في طريقه الى المدينة

(٢) طه : ٣٥ .

(١) الاعراف : ١٤٢ .

(٤) النجم : ٣ - ٤ .

(٣) طه : ٣٦ .

(٥) مسلم ٧ : ١٢٢ ، طبعة محمد علي صبيح، باب فضائل علي عليه السلام .

(٦) مسلم ٧ : ١٢١ .

جموع الحجاج ، والحديث كما في رواية احمد بن حنبل باسناده عن زيد بن ارقم : « نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له : وادي خم ، فأمر بالصلاة فصلّاها بهجير ، قال : فخطبنا ، وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس ، فقال ﷺ : أستم تعلمون - أو أستم تشهدون - أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى . قال ﷺ : فمن كنت مولاه فإنّ علياً مولاه ، اللهم عاد من عاداه ، ووال من والاه » .^(١)

ويقول ابن حجر الهيتمي (ت / ٩٧٤ هـ) في شأن الحديث في كتابه الصواعق المحرقة : « انه حديث صحيح ، لامرية فيه ، وقد اخرج جماعه كالترمذي والنسائي واحمد ، وطرقه كثيرة جدا ، ومن ثم رواه ستة عشر صحابي ، وفي رواية لاحمد : أنه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابيا ، وشهدوا به لعلي لما نوزع ايام خلافته ، وكثير من اسانيدھا صحاح وحسان ، ولا التفات لمن قدح في صحته ، ولا لمن رده بأن عليا كان باليمن ؛ لثبوت رجوعه منها ، وادراكه الحج مع النبي ﷺ ، وقول بعضهم : ان زيادة : « اللهم وال من والاه » موضوعة مردود ؛ فقد ورد ذلك من طرق جمع الذهبي كثيرا منها »^(٢) ، انتهى . ولا يختلف رأيه هذا ، وهو عالم سني ، عن رأي الشيعة في حديث الغدير .

والحديث ظاهر المعنى ، فإنّ معنى المولى هنا : الاولى بالتصرف ، ولهذا السبب هنا الحاضرون علياً عليه السلام بهذه الولاية

ولفظ (المولى) يأتي في اللغة ايضا بمعنى (العبد ، وابن العم ، والجار ، والناصر) ، ولكن لا مناسبة هنا سوى المعنى الاول ، فإنّ النسب والجوار والنصرة كلها امور ثابتة . وليست مختصة بعلي بن ابي طالب ، كما لا تفتقر الى هذا التأكيد والتمهيد بقوله ﷺ : « أستم أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ » .

ونكتفي بهذه النصوص الثلاثة ، وللمزيد يراجع كتب العقائد والمناقب .

(١) المسند ٤ : ٣٧٢ ، طبعة دار صادر ، سنة ١٣٨٩ هـ بيروت .

(٢) الصواعق المحرقة : ٤٠ ، ط / ١٣٧٥ ، القاهرة .

عدد الائمة عليهم السلام:

روى الشيخ الكليني (ت/ ٢٢٩ هـ) نصوص الامامة من كل امام على الامام الذي يليه في الكافي ^(١)، بالاضافة الى النصوص الاجمالية عن النبي ﷺ بحصر الخلافة في اثني عشر فقط، ففي صحيح البخاري / المطبوع في القاهرة، آخر باب الاحكام / باسناده عن جابر بن سمرة قال: «سمعنا النبي ﷺ يقول: «يكون اثني عشر أميراً.. كلهم من قريش» وأحاديث غيره ^(٢).

وفي صحيح مسلم، كتاب الامارة، باسناده عن جابر بن سمرة، قال: «دخلت مع أبي علي النبي ﷺ فسمعتة يقول: ان هذا الامر لا ينقضي حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش» ^(٣). وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي عن النبي ﷺ: «لا يزال هذا الامر عزيزاً ينصرون على من ناوهم عليه حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش». أخرجه الشيخان وغيرهما، وله طرق والفاظ... ثم ذكر الوجوه المروية تفصيلاً ^(٤). فمن هؤلاء الاثني عشر الذين تنحصر فيهم الخلافة؟ من بعد النبي مباشرة حتى الثاني عشر منهم؟

واضح ان الخلافة السياسية لا تنحصر بعدد خاص؛ اذ أنها ضرورة دائمة في الحياة، فما دام هناك حياة فلا بد من قيادة، اذ المقصود من الخلافة في الحديث القيادة الروحية، وقد تنظم اليها السياسية، وهذه القيادة يمكن حصرها في عدد خاص. دون غيرها. اذاً فمن هؤلاء؟ ونظرة فاحصة في التاريخ توقفنا على ان هؤلاء ليسوا اصحاب الخلافة بالشورى؛ فانهم أربعة اشخاص. ولا الخلافة الاموية أو العباسية أو الفاطمية أو

(١) الكافي ١: ٢٩٢.

(٢) البخاري ٩: ١٠١، ط / دار الشعب، القاهرة.

(٣) صحيح مسلم ٦: ٣، ط / محمد علي صبيح، القاهرة.

(٤) تاريخ الخلفاء: ١٠، ط / القاهرة، سنة ١٣٨٣ هـ

العثمانية؛ لانها اكثر عدداً من اثني عشر. ولا الخليلط من الجميع؛ لما قام بينهم من حروب ومطاحنات وسفك دماء .

قال الشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة: «لا يمكن ان يحمل هذا الحديث على الخلفاء الاربعة من الصحابة؛ لقلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن حمله على الملوك الاموية لزيادتهم عن اثني عشر»^(١).

ونقل السيوطي في تاريخ الخلفاء: «ان المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الاسلام الى يوم القيامة يعملون بالحق، وان لم تتوال ايامهم»^(٢)، ثم عد منهم الخلفاء الاربعة والحسن وبعض الامويين والعباسيين، ثم قال: «وبقي اثنان المنتظران، احدهما: المهدي؛ لانه من آل بيت محمد ﷺ»^(٣).

وقال القاضي روز بهان: «وأما حمله على الائمة الاثني عشر، فإن اريد بالخلافة وراثه العلم والمعرفة وايضاح الحجة والقيام باتمام منصب النبوة، فلامانع من الصحة، ويجوز هذا الحمل، بل يحسن»^(٤).

وهذا الكلام ينطبق على مايقوله الشيعة الامامية تماماً في الائمة الاثني عشر عليهم السلام والتاريخ الاسلامي لم يسجل ائمة روحيين افضل من اهل بيت النبوة وموضع الرسالة . ومهبط الوحي والتنزيل ، فلا بد ان تكون سيرتهم القدوة لمن يريد الصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة ، وهم كالاتي :

١- الامام علي بن ابي طالب ﷺ ، ولد ١٣ / رجب / ٢٣ ق. هـ توفي ٢١ / رمضان / ٤٠ هـ . ومرقده في النجف الاشرف .

٢- الامام الحسن المجتبي ﷺ ، ولد ٥ / رمضان / ٣ هـ . توفي ٧ / صفر / ٥٠ هـ .

(١) تاريخ الخلفاء: ١٠، ط / القاهرة، ١٣٨٣ هـ وينابيع المودة: ٣٧٣، ط / ١٣١١ هـ

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٠، ط / القاهرة، سنة ١٣٨٣ هـ .

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٠، ط، القاهرة، سنة ١٣٨٣ هـ .

(٤) من نصوص النبي ﷺ على الائمة الاثني عشر بعده: ١٥٨.

٤٨ شرح الأربعين النبوية

ومرقده في المدينة المنورة .

٣- الامام الحسين الشهيد عليه السلام ، ولد ٥ / شعبان / ٤ هـ . استشهد ١٠ / محرم / ٦١ هـ
ومرقده في كربلاء المقدسة .

٤- الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام ، ولد ٥ / شعبان / ٣٨ هـ . توفي ٢٥ / محرم / ٩٥ هـ . ومرقده في المدينة المنورة .

٥- الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام ، ولد ٢٠ / رجب / ٥٧ هـ . توفي ٨ / ذي الحجة / ١١٤ هـ . ومرقده في المدينة المنورة .

٦- الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، ولد ١٧ / ربيع الاول / ٨٠ هـ . توفي ٢٥ / شوال / ١٤٨ هـ . ومرقده في المدينة المنورة .

٧- الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، ولد ٧ / صفر / ١٢٨ هـ . توفي ٢٥ / رجب / ١٨٣ هـ . ومرقده في الكاظمية ، العراق .

٨- الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ولد ١٧ / ذي الحجة / ١٥٣ هـ . توفي ٣٠ / صفر / ٢٠٣ هـ . ومرقده في مشهد ، ايران .

٩- الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام ، ولد ١٠ / رجب / ١٩٥ هـ . توفي ٣٠ / ذي القعدة / ٢٢٠ هـ . ومرقده في الكاظمية العراق .

١٠- الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام ، ولد ١٥ / ذي الحجة / ٢١٤ هـ . توفي ٣ / رجب / ٢٥٤ هـ . ومرقده في سامراء - العراق .

١١- الامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام ، ولد ٤ / ربيع الثاني / ٢٣١ هـ . توفي ٨ / ربيع الاول / ٢٦٠ هـ . ومرقده في سامراء العراق .

١٢- الامام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام ، ولد ١٥ / شعبان / ٢٥٥ هـ . وهو والي الخضر والياس عليه السلام احياء بارادة الله وهو على كل شيء قدير ، وهو المهدي الموعود والحجة المنتظر .

المهدي المنتظر ﷺ:

ليست العقيدة بالمهدي المنتظر ﷺ عقيدة مختصة بالشيعة، بل عقيدة اسلامية يعتقد بها جمهور علماء المسلمين سنةً وشيعةً، وهم يتفقون على أنه من بيت النبي ﷺ وأنه يملأ الارض عدلاً كما ملئت ظلماً، قال ابن حجر في كتابه (الصواعق المحرقة) ص ١٦٠ في احاديث المهدي، مانصه: «ومن ذلك ما أخرجه مسلم وداود والنسائي وابن ماجة والبيهقي وآخرون: المهدي من عترتي، من ولد فاطمة، وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة: لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله فيه رجلاً من عترتي، وفي رواية: «رجلاً من اهل بيتي - يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً».

وفي رواية لمن عدا الأخير: «لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من اهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي»^(١).

وفي هامش الصفحة (١٦٣) مانصه: «احاديث المهدي كثيرة متواترة، ألف فيها كثير من الحفاظ، منهم: أبو نعيم»، وقد جمع السيوطي ما ذكره أبو نعيم وزاد عليه في (العرف الوردي في اخبار المهدي)، وللمؤلف ابن حجر فيه كتاب (المختصر في علامات المهدي المنتظر)، وهذا مما اتفقت عليه كلمة المسلمين.

والاختلاف في أنه هل ولد بالفعل؟ أم أنه لم يولد بعد؟ وجمهور السنة على الثاني والشيعة على الاول.

والشبهة الوحيدة التي تعتبر اساس الانكار هي مسألة طول العمر، وأن ذلك ممتنع عادةً، فكيف يعيش الانسان هذه المدة الطويلة؟ وغيرها من الشبهات راجعة اليها. ولقد بالغ بعض المؤلفين في هذه الشبهة حتى اعتبر (المهدوية) يوتيبية^(٢) في حين ان اشباه ذلك واقع في التاريخ بنص القرآن الكريم، المصرح بأن كل ذلك واقع تحت قدرة الله تعالى وهو على كل شيء قدير.

(١) الصواعق المحرقة: ١٠٦، ط / القاهرة، سنة ١٣٧٥ هـ

(٢) أي الغيبة البعيدة عن واقع الحياة.

وقد قال تعالى في نوح النبي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١).

وقال تعالى في اصحاب الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾^(٢)، وقال تعالى في عزيز النبي: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

تلك هي قدرة الله التي تفوق كل قدرة، وتلك هي القدرة التي جعلت النبي عيسى عليه السلام حياً حتى اليوم، قال تعالى فيه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(٤)، لهي قادرة ايضاً على تطويل العمر اكثر من المتعارف، وهو على كل شيء قدير، فالمهدي المنتظر عليه السلام حي بقدرة الله كحياة عيسى عليه السلام؛ اذ ثبت بالدليل والسنة الصحيحة - وعلى الاقل في نظر المعتقد - عن النبي ﷺ، فلا مجال لانكارها؛ اذ هو إما انكار لقدرة الله أو انكار للسنة النبوية.

هذا، وجمهور المسلمين يعتقدون بحياة النبي الخضر عليه السلام وهو اكثر عمراً من الحجة عليه السلام، فقد جاء في هامش الصواعق المحرقة مانصه: «ذكر النووي في تهذيب الاسماء بأن اكثر العلماء مقرّين على ان الخضر حيّ موجود بين اظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية واهل الصلاح، وحكاياتهم في رواياته والاجتماع به والاخذ عنه وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة والمواطن الخيرة، اكثر من ان يحصى، واشهر من ان يذكر»^(٥).

(١) العنكبوت: ١٤. (٢) الكهف: ٢٥.

(٣) البقرة: ٢٥٩. (٤) النساء: ١٥٧.

(٥) هامش الصواعق المحرقة: ٢٢٣، ط / القاهرة، سنة ١٣٧٥.

ولو غيرنا من كلام النووي قوله (الخضر) بكلمة (الحجة بن الحسن) لكان ما تقوله الشيعة تماماً بلا ادنى تفاوت ، فإنّ الكلام في (الخضر) و (الحجة) واحد ، اذ كلاهما ثبت بالسنة النبوية الصحيحة - وعلى الاقل من وجهة نظر معتقديها - والاعتقاد بحياتهما امتداد للاعتقاد بقدرة الله تعالى الذي على كل شيء قدير .

ويبقى سؤال جدير بالملاحظة ، وهو انّ غيبة الامام عليه السلام تنافي وجوب الامامة ، فإنّ الغرض من نصب الامام انما هو بيان احكام الاسلام وتنفيذها ، ومن هنا نشأ اتهام الشيعة باليوثبية ، ولكنه اتهام ظالم ؛ وذلك ان طائفة عاشت برهة طويلة من التاريخ واحتفظت بكيانها رغم المضايقات ، لا يمكنها ان تعيش بدون نظام أو بنظام غير صالح للتطبيق ، وقد طبق فعلاً في هذه الفترة من الزمن .

فمن الناحية النظرية ، هناك نظرية اللطف القائلة بأن «وجوده لطف ، وتصرفه لطف آخر ، وغيبته منا»^(١) ، كما تفصله كتب العقائد^(٢) .

ومن الناحية العلمية باشرت المرجعية الدينية (الخاصة والعامة) في القيادة الفكرية لأداء دورها العملي ، وهو مستمر حتى ظهور الحجة عليه السلام .

المرجعية الدينية:

بما ان القيادة الفكرية امر ضروري في حياة المسلمين ولها مواصفاتها وشروطها المشروحة في الفقه ، لذلك لم يخل تاريخ الشيعة في أي دور من الادوار من مرجع ديني يؤدي مهمته الرسالية الدينية حسب الملابسات والظروف ، ولهذه المرجعية دوران : الدور الاول: ويعبر عن هذا الدور بالغيبة الصغرى (من سنة ٢٦٠ هـ الى ٣١٩ هـ) ، وكانت المرجعية لأربعة اشخاص يعبر عنهم بالسفراء والنواب الاربعة ، وكانت لهم نيابة

(١) تجريد الاعتقاد؛ لنصير الدين الطوسي: ١٦٦.

(٢) راجع: الغيبة للنعماني ، والغيبة للطوسي ، وتجريد الاعتقاد لنصير الدين ، والبرهان على وجود صاحب الزمان ، للسيد الامين .

خاصة عن الامام عليه السلام وكان مركزهم في بغداد ، وهم :

- ١- ابو عمرو عثمان بن سعيد الاسدي العمري (المتوفى / ٢٨٠ هـ) .
 - ٢- ابو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد الاسدي (المتوفى / ٣٠٥ هـ) .
 - ٣- ابو القاسم الحسين بن روح النوبختي (المتوفى / ٣٢٦ هـ) .
 - ٤- ابو الحسن علي بن محمد السمري (المتوفى / ٣٢٩ هـ) .
- الدور الثاني: ويعبر عنه بالغيبة الثانية أو (الغيبة الكبرى)، وابتدأت بوفاة السفير الرابع السمري (ت / ٣٢٩ هـ) حيث انتقلت القيادة الدينية الى المرجعية في الافتاء والحكم منذ ذلك العهد حتى اليوم؛ استنادا الى الحديث عن الحجة عليه السلام: «واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة احاديثنا، فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»^(١). وايضا: «من كان الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه، فللعوام ان يقلّدوه»^(٢).

واهم الشروط المعتبرة في شخصية المرجع الديني هي: الحياة والعدالة والاجتهاد ، ويزيد الاكثر العلمية ، ولا يعتبر الانتساب الى النبي اطلاقا، فكل من وجدت فيه الشروط عدّ اهلا للمرجعية .

ويمكن معرفة المرجع بإحدى الطرق الثلاثة: العلم، أو شهادة عدلين، أو الشيع المفيد للعلم.

وكثيراً ما تختلف وجهات النظر، فيقلد كل فرد بحريته الكاملة من شاء في حدود شروط المرجعية .

ولكن سرعان ما تنصهر المرجعية في شخصية واحدة تعلو بمرور الزمن عن الشخصيات الاخرى بعوامل خاصة، يكون اهمها : المكانة العلمية والصفات الشخصية والخدمات الاجتماعية .

(١) كمال الدين ٢: ٦٨٤ ، رقم ٤ . (٢) الاحتجاج؛ للطبرسي ٢: ٢٦٣ .

وهكذا تعتبر الشيعة الامامية طائفة اسلامية لها استقلالها الفكري في حدود التشريع الاسلامي، تؤمن بالله ربا وبمحمد ﷺ نبيا، وبالاسلام ديننا، وبالقران كتاباً، وبالكعبة قبله، وبالأئمة الاثني عشر عليهم السلام ائمة وسادة وقادة، وهم مستودع السنة النبوية، تتسلسل رواياتهم في العقيدة والشريعة الى النبي الاعظم ﷺ وهم اهل بيت النبوة، و«اهل البيت ادرى بما في البيت»، وهذا مايؤكداه الامام الصادق عليه السلام بقوله: «حديثي حديث ابي، وحديث ابي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث امير المؤمنين، وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل»^(١)، وهو مايشير اليه الشاعر بقوله:

ووال اناسا قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري^(٢)

وهكذا نجد ائمة اهل البيت عليهم السلام يطبقون شريعة الله وسنة جدهم النبي ﷺ المروية بطرقهم، التي هي اقرب الطرق، ومن هنا نستنتج القول بأن السنة النبوية تلازم التشيع، فكل من استن بسنة رسول الله ﷺ الصحيحة فهو متشيع، وكل من شايع اهل بيت رسول الله ﷺ فهو مستن بسنته ﷺ، وما فرق المسلمين فرقا متناحرة سوى الاطماع والاهواء والبدع، أعاذ الله المسلمين شرها.

وان الاسلام يجمع شمل المسلمين بمختلف الوانهم وقومياتهم واحسابهم، فهم جميعا يعبدون ربا واحدا، ويعتقدون محمدا ﷺ نبيا، والاسلام ديننا، ويصلون الى الكعبة قبله، ويتلون قرآنا واحدا.

وحّد الله كلمة المسلمين لما فيه خير الدنيا والدين، آمين رب العالمين.

(٢) الصراط المستقيم ٣: ٢٠٧.

(١) الكافي ١: ٥٣، ح ١٤.

٥٤	شرح الأربعين النبوية
----	----------------------------

الفصل الثالث^(١)

العبادات

- الصلاة
- الزكاة
- الخمس
- الصوم
- الحج

(١) طبع الفصل الثاني في كتاب « مزارات اهل البيت » للمؤلف، وطالب التفصيل يراجع الكتاب المذكور.

٥٦	شرح الأربعين النبوية
----	----------------------------

العبادات

للتعليم عناية فائقة في مختلف دول العلم ، وتتقدم رتبة التربية على التعليم ، ذلك ان التربية امر ضروري في الحياة ، لا يمكن للمجتمع ان يعيش بدونها مجتمعا صالحاً ، وان العلم بدون التربية قد يجعل الانسان اشد فتكا وضرا من الحيوانات المفترسة ، كما حصل للانسان الذي فتك بأرواح الملايين من بني جنسه في (هيروشيما) و (نازاكي) بواسطة قنبلة نووية فتاكة صنعتها يد العلم المجردة عن التربية الروحية .

فكما يلزم تنمية الفكر بالعلم والمعارف كذلك يلزم تنمية الجسم بمختلف الرياضات البدنية ، فإنّ (العقل السليم في الجسم السليم) ولكنهما لا يكفيان في اعداد العضو النافع في المجتمع الانساني مالم ينضم اليهما عنصر ثالث هو التربية الروحية .

والعبادات تمثل الجانب التربوي الروحي في الاسلام وترفع الانسان من حضيض المادية والهمجية الى عالم الانسانية ، ومن الجمود الى الانطلاق ، ومن الخمود الى الخير ، سواء بالنسبة الى الفرد نفسه كالصلاة والصوم أو بالنسبة الى المجتمع كالزكاة والجهاد .

والعبادات التي هي طاعة الله تعالى والحق وحده ، فرضت في كل شريعة سماوية قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ ^(١).

ويشير تعالى الى ان العبادة للحق وحده امر مفروض على انسان بمقتضى الانسانية ،

وان نتيجة العبادة هي التقوى الذي به يتم سعادة الانسان ، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

فإن التأمل في الحياة وتوفر النعم لكافة الموجودات التي ايسرها (الهواء) و (الماء) الذي بهما قوام الحياة، يوجب هذا التأمل علينا العبادة لله وحده، والخضوع للقدرة العليا التي اوجدتها، ولا قدرة فوقها ، ذلك ان الله على كل شيء قدير ، فتجب العبادة عقلا لوجوب شكر المنعم، وشرعا، لانها طاعة وطاعة المولى واجبة على المكلف ، مضافا الى ما يترتب على ذلك من الثواب والجزاء .

وهذا ما يفيد قول الصادق عليه السلام: «العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عز وجل حبا له، فتلك عبادة الاحرار، وهي أفضل العبادة»^(٢). والى ذلك يشير الامام علي عليه السلام في دعائه بقوله: «الهي ما عبدتك لا خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك، ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك»^(٣).

والعبادة في عرف الاسلام، ليس مجرد تبتل مجرد عن وعي وادراك، لما يستلزمها من العمل بالواجبات وتجنب المحرمات وهكذا ما يؤكد القرآن الكريم ليقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(٤).

وقال علي عليه السلام: «افضل العبادة العفاف»^(٥).

وقال عليه السلام: «العبادة سبعون جزءاً، وافضلها جزءا طلب الحلال»^(٦).

(١) البقرة: ٢١ - ٢٢ . (٢) الكافي ٢: ٨٤ .

(٣) شرح اصول الكافي ١: ٢٥٧ . (٤) البينة: ٥ .

(٥) الوسائل ١٥: ٣٥ . (٦) الكافي ٥: ٧٨ .

وقال الباقر عليه السلام: «افضل العباداة عفة البطن والفرج» ^(١).

وعن علي عليه السلام: «افضل العباداة الصبر والصمت وانتظار الفرج» ^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «افضل العباداة العلم بالله والتواضع له» ^(٣).

وقال النبي ﷺ: «اعبد الناس من اقام على الفرائض» ^(٤).

وهكذا نجد روايات اهل البيت عليهم السلام تعتبر العمل بالواجبات من افضل العبادات، والى ذلك يشير ما روي عن السجاد عليه السلام: «نظر المؤمن في وجه اخيه المؤمن للمودة والمحبة عبادة» ^(٥).

وما روي من ان «النظر الى الكعبة عبادة، والنظر الى الوالدين عبادة، والنظر الى المصحف من غير قراءة عبادة، والنظر الى وجه العالم عبادة» ^(٦).

ذلك ان النظر وحده لاقيمة له، وانما باعتبار ما يمثله الذي ينظر اليه، فالكعبة رمز الاسلام، ويزيد ذلك وضوحاً ما روي عن الامام الصادق عليه السلام من قوله: «النظر الى جميع ذرية النبي عبادة ما لم يفارقوا منهاجه ولم يتلوثوا بالمعاصي» ^(٧).

وهذا ما يؤكد كلام الامام علي عليه السلام لما دخل على العلاء بن زياد الحارثي، وهو من اصحابه يعود، فقال له العلاء: يا امير المؤمنين، اشكو اليك اخي عاصم بن زياد. قال: وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلي عن الدنيا. قال: علي به، فلما جاءه قال عليه السلام له: يا عدي نفسه، لقد استهان بك الخبيث، أما رحمت اهلك وولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك. قال: يا امير المؤمنين، هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك؟ قال: عليه السلام: ويحك اني لست كأنت، ان الله فرض على

(١) مستدرك الوسائل ١١: ٢٧٦. (٢) مستدرك الوسائل ١١: ٢٧٦.

(٣) تحف العقول: ٣٦٤. (٤) روضة الواعظين: ٤٣٣.

(٥) تحف العقول: ٢٨٢.

(٦) انظر: مستدرك الوسائل ٤: ٢٦٩ و ٩: ١٥٣.

(٧) عيون اخبار الرضا: ٥٥.

٦٠..... شرح الأربعين النبوية

ائمة الحق ان يقدرُوا انفسهم بضعة الناس كي لا يتبَّع^(١) بالفقير فقره^(٢).

وروى المعلى بن خنيس قال: سأل ابو عبد الله الصادق عليه السلام عن رجل وانا عنده ؟. فقيل : اصابته الحاجة. قال : فما يصنع اليوم ؟ قيل : في البيت يعبد ربه . قال : فمن اين قوته ؟ قيل : من عند بعض اخوانه . فقال ابو عبد الله : والله للذي يقوته اشد عبادة^(٣).

وتقوم العبادات على المشهور بـ (قصد القرية الى الله تعالى) ، ولا تكون العبادة بدونها عبادة ، وتكون باطلة مهما كانت شاقة وعسرة ، سواء الصلاة والحج والصدقة ، لان الاخلاص روح العبادة ، وبدونها تكون العبادة فاقدة لمقوماتها . والخلوص في العبادة كما يفسره الامام الصادق عليه السلام بقوله : « صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم لان سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النية لله في الامور كلها ، قال الله عز وجل : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ﴾ »^(٤).

وينظر الى ما للاخلاص من اهمية في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ان هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك ، فإن المنبت^(٥) لاظهاراً أبقي ولا ارضاً قطع ، فاعمل عمل من يرجو ان يموت هرماً ، واحذر حذر من يتخوف ان يموت غداً »^(٦).

وعن الصادق عليه السلام : « لا تكرهوا الى انفسكم العبادة »^(٧).

وعن الرضا عليه السلام : « من شهر نفسه بالعبادة فاتهموه على دينه ، فإن الله يكره شهرة العبادة وشهرة اللباس »^(٨).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اعظم العبادة أجراً أخفاها »^(٩).

(١) أي يهيج . (٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٩ .

(٣) تهذيب الاحكام ٦ : ٣٣٤ .

(٤) مصباح الشريعة : ٥٣ ، والاية من سورة الشعراء : ٨٨ - ٨٩ .

(٥) أي المفرط . (٦) الكافي ٢ : ٨٧ .

(٧) الكافي ٤ : ٨٦ . (٨) وسائل الشيعة ١ : ٧٩ .

(٩) قرب الاسناد : ١٣٥ ، ح ٤٧٥ .

ولهذا السبب ورد أن «نية المؤمن خير من عمله»^(١)، إذ أن المؤمن - بمقتضى إيمانه - ينوي الخير والعمل الصالح فيما لم يتيسر له ذلك .

قال النراقي: «النية: روح الاعمال وحقيقتها، والجزاء يكون حقيقة عليها، فإن كانت خالصة لوجه الله تعالى كانت ممدوحة، وكان جزاؤها خيراً وثواباً، وإن كانت مشوبة بالاغراض الدنيوية كانت مذمومة وكان جزاؤها شراً وعقاباً»^(٢).

وفي اخبار كثيرة: «من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة»^(٣).
وروي: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار؛ لأن كل منهما اراد قتل صاحبه»^(٤).

ومن العبادات الواجبة التي اشار اليها النبي ﷺ في حديث الاربعين، هي الصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج، وقبل ان نشرحها يجب بيان امور:
الامر الاول: ان الاحكام الشرعية، عبادة أو غيرها، تجب على المكلفين خاصة، والتكليف يتحقق من ناحية العمر في الولد البالغ من العمر (١٦) ست عشرة سنة هلالية، أي اكمل الخامسة عشرة ودخل في السادسة عشرة، وفي البنت البالغة من العمر عشر سنين أي اكملت التاسعة ودخلت في العاشرة، فيجب عليهما اتيان الاحكام الدينية على الوجه الصحيح.

الامر الثاني: ان معرفة الاحكام الشرعية على الوجه الصحيح، انما يكون باجتهاد أو تقليد أو احتياط، ذلك لان الانسان في.

حياته لا بد له اما من اختصاص أو تلمذ أو حذر، فلا يجوز معالجة المريض إلا للطبيب الاختصاصي أو من يعمل بارشاد الطبيب، وفيما اذا فقد، فاللازم الوقاية والاحتياط حتى لا يزداد المريض سوءاً، كذلك بالنسبة الى الاحكام الشرعية: فلا بد من تحصيلها

(١) كنز العمال: ح ٢٣٨ و ٧٢٧٣ و ٧٢٧١.

(٢) جامع السعادات ١: ١٠٠. (٣) الكافي ٢: ٤٢٨، ح ١.

(٤) الوسائل ١٥: ١٤٨، ح ٢٠١٨٤.

باحدى الطرق الاتية، وبدونها يكون العمل باطلا، وهي :

١ - الاجتهاد : وهو معرفة الاحكام الشرعية عن ادلتها من القرآن والسنة والاجماع والعقل ، وهذا لا يتيسر إلا لمن اختص بالاستنباط .

٢ - الاحتياط : وهو العمل بما يتيقن معه سقوط التكليف الشرعي ، واليقين بالعمل بالواجب كتكرار الصلاة فيما اذا شك بين القصر والتمام ، وهذا ايضا لا يتيسر لكل احد، بل قد يستلزم العسر والحرَج.

٣ - التقليد : وهو تطبيق العمل على رأي المجتهد الواحد لشرائط المرجعية ، وهذا هو المتيسر لعامة الناس ، فيجب - على المشهور - تقليد المجتهد الاعلم الحي، ولا يجوز تقليد الميت ابتداءً، وقد اباحت روايات اهل البيت عليهم السلام التقليد في الافتاء والقضاء، فقد روى الشيخ الكليني في الكافي عن الامام الحجة عليه السلام قوله : « من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا لهواه مطيعا لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه » ^(١).

وعن الامام الصادق عليه السلام قوله فيمن يمكن الرجوع اليه عند الاختلاف : « ينظران الى من كان منكم ممن قد روى حديثا، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا، فليرضوا به حكما، فاني قد جعلته عليكم حاكما ، واذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فانما استخفَّ بحكم الله، وعلينا ردّ، والراد، علينا كالراد على الله ، وهو على حدّ الشرك بالله » ^(٢).

الامر الثالث : اعتمدنا في تحرير المسائل الفقهية على ما هو المشهور بين الاعلام، مع التوضيح قدر المستطاع ، وقد ذكرنا الاحتياط الواجب بعنوان اللزوم تسهيلا، وعلى الله التوكل وبه الاعتصام .

الصلاة

في طليعة العبادات التي اكد عليها الاسلام الصلاة اليومية ، ذلك لان جسم الانسان يفتقر الى امداد غذائي في اوقات معينة من الصباح والغداة والعشاء، يؤمن لكل فرد حاجة الجسم الضرورية هذه ، وهكذا الروح يفتقر الى تغذية معنوية وتربية على مفاهيم العفة والطهارة والنظام والمساواة، وذلك بالارتباط اليومي بالله العزيز الحميد ، والانقياد للحق الذي يعلو ولا يعلو عليه، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم بقوله: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (١).

والمسلم في صلاته ينزع عن نفسه كل صفة سوء، ويظهر ضميره من كل نية سوء ، ويتوجه الى الحق وحده وينقاد اليه لالشيء سواه وحين يضع اشرف عضو ظاهر من جسده وهو الجبهة على أوطأ جسم وهو الارض والتراب ، يبين عمليا تقديره للحق في ركوعه للرب العظيم، وسجوده للرب الاعلى ، وتأكيذا على هذه الحقيقة فرضت الشريعة الاسلامية في الصلاة حكمها بان الصلاة لاتصح في المكان المغصوب الذي لايرضى صاحبه بالصلاة فيه، وانه لا يصح الوضوء بالماء المغصوب ، وانه لاتصح الصلاة في الثوب المغصوب، بل لاتصح في الثوب اذا كان فيه خيط مغصوب ، كل ذلك تأكيداً على ان الصلاة ليست مجرد حركة شكلية لاروح لها، بل الصلاة - ككل عبادة - تستهدف تهذيب النفس وطهارة الضمير وتربية الارادة الانسانية ، ويشترك فيها جميع الطبقات: الفقير

والغني والعبد والسلطان، ومساوات الجميع امام الله؛ اذ كلهم عباد الله .
وهكذا يؤكد الاسلام على ان يستفتح الانسان حياته اليومية بالمعاهدة مع الله على حب الحق ، وعمل الخير بالنسبة الى نفسه واهله ووطنه، وذلك بأداء (صلاة الصبح) في وقت تفتح الطبيعة قلبها ويعم الكون الهدوء والنسيم العذب ، ثم يؤكد على تجديد هذا العهد في الظهرين والعشاءين، وهي اوقات يتوجه الانسان عادة الى تأمين حاجة الجسم من الغذاء، ففي هذا التأكيد على الوقت والعدد نظر الى تنمية روح العدالة والفضيلة، وبالنتيجة الوقاية من الفساد والانحراف، والى ذلك يشير القران الكريم بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ○ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ○ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ○ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ○ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ○ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ○ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾^(٢).

ويروى ان رسول الله ﷺ كان اذا اصابه همّ وهو في الطريق قصد المسجد للصلاة، وعن الصادق عليه السلام : « لو كان على باب احدكم نهر فاغتسل منه في كل يوم خمس مرات ، هل كان يبقى في جسده من الدرن شيء ؟ انما مثل الصلاة مثل النهر الذي ينقي، كلما صلى صلاة كانت كفارة لذنوبه الا ذنب اخرجه من الايمان، مقيم عليه ».^(٣)

اسرار الصلاة:

وليست الصلاة مجرد حركة شكلية، بل ان روح الصلاة تكمن في نقاط ثلاث هي :

١ - الاخلاص والقربة الى الله تعالى .

٢ - حضور القلب .

٣ - والوعي الكامل، ويلازمها التعظيم .

(١) البقرة: ١٥٣ . (٢) المعارج: ١٣ - ٢٥ .

(٣) بحار الانوار: ٨٢: ٢٣٦، ح ٦٦ و ٨٤: ٢٦١ .

ومن هنا قال علماء الاخلاق: «ان في افعال الصلاة وشروطها اسراراً وحكماً (فالأذان يذكر ببدء يوم القيامة (والوقت) استحضر ميقات الله (والقبلة) صرف لوجهك الى الله (والقيام) مثل بين يدي الله (والركوع) للحق وحده (والسجود) زيادة في الخضوع، ثم ختام الصلاة (بالتشهد) الذي هو بناء الاسلام (والتسليم) دعوة للسلام لجميع عباد الله الصالحين».

وهكذا نجد التأكيد على روح الصلاة التي يعتني بها الاسلام ، قال تعالى : ﴿ قَوْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾^(١).

وكان امير المؤمنين عليه السلام اذا اخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله^(٢)، وكان الامام السجاد عليه السلام اذا توضأ اصفر لونه ، فيقال له : ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول: «اني اريد الوقوف بين يدي ملك عظيم»^(٣).

ووصف الصلاة في روايات اهل البيت عليهم السلام بأنها عمود الدين^(٤)، حيث لا يستقيم التدين الا بالصلاة، وبانها معراج المؤمن^(٥)، وبها يرتقي الانسان درجة ويزداد خلوصاً ، وبانها قربان كل تقي^(٦) حيث يتقرب بها الى سبحانه، واكد الائمة على انها لا تترك بحال حتى في الظروف الحرجة بقدر ما تسمح به الظروف، كالاشارة للغريق، وقد قال رسول الله ﷺ: «لاتدع الصلاة متعمداً؛ فإن من تركها متعمداً فقد برأت منه ملة الاسلام»^(٧).

وقال الامام الباقر عليه السلام : « ان اول ما يحاسب به العبد الصلاة، فان قبلت قبل ماسواها»^(٨). وقال الامام الصادق عليه السلام : « الصلاة الخمس المفروضات، من اقام حدودهن وحافظ على مواقيتهن لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله به الجنة»^(٩).

(١) الماعون : ٤ - ٥.

(٢) البحار ٧٠ : ٤٠ ، ح ٧٢.

(٣) دعائم الاسلام : ١ : ١٥٨ .

(٤) المحاسن ١ : ١١٦ .

(٥) مستدرک سفينة البحار ٦ : ٣٤٣ .

(٦) الخصال ٢ : ٦٢٠ .

(٧) الكافي ٣ : ٤٨٨ ، ح ١١ .

(٨) الكافي ٣ : ٢٦٨ ، ح ٤ .

(٩) التهذيب ٢ : ٢٣٩ ، ح ٩٤٥ .

٦٦ شرح الأربعين النبوية

أسأل الله سبحانه ان يوفقنا جميعا لاداء هذه الفريضة الاسلامية بوعي وايمان ، ومن
الله التوفيق .

قبل الصلاة :

هناك امور يلزم معرفتها حتى اتمام الصلاة وتسمى بالمقارنات ، ونذكر منها امورا
خمسة :

الامر الاول : القبلة ، فعلى المصلي ان يعرف جهة الكعبة المشرفة ويصلي اليها في كل
فريضة ، ويمكن معرفة ذلك بواسطة المحراب في المساجد والبوصلة المتداولة في عصرنا
لتحديد نقطة الجنوب ، ودرجات الانحراف الى القبلة في مختلف الاقطار الاسلامية .
الامر الثاني : الطهارة من النجاسات ، بازالتها من البدن والثوب ، ثم تطهيرها بالماء .
والنجاسات عشرة كالآتي :

- ١ و ٢ - البول والغائط من كل حيوان لا يجوز اكل لحمه شرعا ، كالقطة .
- ٣ و ٤ و ٥ - الدم والمني والميتة من كل حيوان له دم سائل ، أي يخرج بشدة عند الذبح .
- ٦ و ٧ - الكلب والخنزير البرييين وكل جزءٍ منهما .
- ٨ - المسكر المائع بالاصالة كالخمر .
- ٩ و ١٠ - عرق الجنب من الحرام وعرق الكافر ، وفي نجاستهما خلاف بين الفقهاء .
- ولا يعفى عن شيء من النجاسات سوى الدم بمقدار عقدة الابهام اذا لم يكن من الدماء
الثلاثة : الحيض ، والنفاس ، والاستحاضة (راجع أحكام النساء) .
- الامر الثالث : يجب ستر العورتين للرجل ، و ستر جميع البدن للمرأة ما عدا الوجه
والكفين ، فيجب على المصلي الستر بالثوب الواجد للشروط الآتية :

- ١ - ان لا يكون مغصوبا .
- ٢ - ان يكون موضع السجود طاهرا .
- ٣ - ان يكون مستقرا وثابتا غير متحرك ، فلا يجوز الصلاة في السيارة والقطار حال

السير الآ في الضرور.

٤- الاستواء، أي ان لا يعلو ولا ينخفض محل السجود عن محل القيام بأكثر من اربعة اصابع مضمومات.

الامر الرابع : الطهارة، ونعني بها الوضوء أو الغسل أو التيمم، فلا تصح الصلاة بدونها، لقوله ﷺ: « لا صلاة الا بطهور »^(١)، ولكل منها اسباب نذكرها، وان الغسل والتيمم يجبان في حالات خاصة، واليك بيان الطهارات الثلاث واحكامها :

الوضوء

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا ﴾^(٢).

يجب الوعي الكامل حين الوضوء، وهذا ما يعبر عنه بالنية، بأن يعلم ماذا يفعل ولماذا يتوضأ؟ وبين يدي من يقف؟ فإن المتوضيء لا بد وان يكون في حالة نفسية زاكية، ويتوجه الى ربه بروح طاهرة من الدنس وقلب مفعم بالخير، قال الامام الرضا عليه السلام: «انما بدء الوضوء ليكون العبد طاهرا اذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته اياه، مطيعا له فيما امره، نقيا من الادناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل و طرد النعاس وتركية الفؤاد»^(٣).

فالوضوء سبب للنقاء من الدنس الظاهر، و حالة سموّ روحي للنفس، لذلك يبطل الوضوء باحدى الأسباب التالية :

١- النوم الغالب على السمع والبصر.

٢- زوال العقل بجنون أو سكر أو إغماء.

٣ و ٤- البول والغائط (الخروج).

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٥٨، ح ١٢٩. (٢) المائدة: ٦.

(٣) البحار ٨٠: ٢٣٧، ح ١١.

- ٥- الريح من موضع المعتاد (الشرح) .
- ٦- الاستحاضة القليلة (وهذه تختص بالنساء) .
- فاذا عرضت احدى المذكورات بطل الوضوء .
- كيفية الوضوء : قبل الوضوء يستحب ما يأتي :
- ١- ان تقول : بسم الله الرحمن الرحيم
- ٢- تغسل اليدين من النوم مرة ، ومن البول مرتين .
- ٣- المضمضة ثلاث مرات ، (إدخال الماء في الفم وإخراجه ثلاثاً) .
- ٤- الاستنشاق ثلاث مرات ، (إدخال الماء في الأنف وإخراجه ثلاثاً) .
- ثم تبدأ بالوضوء الواجب على الوجه التالي :
- اولاً ، تغسل الوجه ابتداءً من منبت الشعر الى الذقن طولاً ، وما اشتملت عليه الابهام والوسطى عرضاً مبتدئاً من الأعلى .
- ثانياً ، تغسل اليد اليمنى مبتدئاً بالمرفق وتنتهي الى أطراف الأصابع ، ثم تغسل اليد اليسرى كذلك .
- ثالثاً - تمسح بعض مقدم الرأس بمقدار يصدق معه المسح ، والافضل ان يكون بثلاثة اصابع وبنفس بلل الوضوء بباطن الكف الايمن .
- رابعاً ، تمسح ظاهر الرجل الأيمن بباطن الكف الأيمن من أطراف الأصابع الى الكعبين ، ثم تمسح ظاهر الرجل الأيسر بباطن الكف الأيسر .
- وبذلك تتم واجبات الوضوء .

مسائل :

- ١ - يشترط في الوضوء بالنسبة الى المتوضىء : المباشرة بنفسه ، والوعي الكامل بما يصدر عنه من الافعال ، وهو المسمى بالنية . وبالنسبة الى الماء : الطهارة بأن لا يكون نجساً ، والاطلاق بأن لا يكون ممتزجاً بشيء يسلبه اسم الماء ، والاباحة بأن لا يكون مغصوباً .

وبالنسبة الى محل الوضوء : طهارة الاعضاء كالوجه واليدين ، وجفاف الرأس والقدمين قبل المسح ، بالاضافة الى اشتراط الموالاة وعدم الفصل .

٢ - يجب ازالة الحاجب عن وصول الماء الى الجلد كالوسخ المانع ، وكذلك صبيغ الاظافر عند النساء ، ولا يصح معه الوضوء ولا الغسل .

٣ - اذا كان محل الوضوء مكسورا أو مجروحا تجب (الجبيرة) ، ومعناها ان تضع شيئا طاهرا على محل الكسر أو الجرح ثم تمسح على ذلك الشيء ببلل الوضوء .

٤ - اذا ضاق الوقت أو عرض مانع من الوضوء يجب التيمم ، وسيأتي بيانه .

٥ - اذا كان الانسان جبناً فانه لا يغني عنه الوضوء للصلاة ، بل يجب الغسل ، واليك

بيان احكام الغسل .

الغسل

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾^(٢).

قال الامام الصادق عليه السلام: «من ترك شعرة متعمدا لم يغسلها من الجنابة فهو في النار»^(٣).

يجب الغسل على المكلف عند حصول احدى اسبابه، وهي:

١ - الجنابة ، ويشترك فيها الرجال والنساء .

٢ و ٣ - الدماء الثلاثة ، وتختص بالنساء ، وهي الحيض والاستحاضة والنفاس،

وسيأتي بيانها .

٥ و ٦ - غسل الانسان الميت وغسل الذي يمسه الميت بعد البرد وقبل تغسيله.

وبما ان السبب الغالب هو الجنابة فنقتصر عليه ، وتحصل الجنابة بأمرين ، الاول :

العلاقة الجنسية (الوطء) ، والثاني : الاحتلام بخروج المني سواء في النوم أو اليقظة أو

(٢) البقرة: ٢٢٢ .

(١) المائدة: ٦ .

(٣) من لا يحضره الفقيه ١: ٨٢ .

٧٠..... شرح الأربعين النبوية

بالعادة السرية . والمني - في الأغلب - هو ماء دافق يخرج بشهوة وشدة مع فتور الجسد .

كيفية الغسل :

يجب الغسل على احد نحوين :

الاول : الارتماس ، وهو ان تطهر جسداك ، ثم تغطس بجسداك دفعة واحدة في الماء

الطاهر بحيث يستوعب الماء جميع اجزاء البدن ، كما في البركة والبحر .

الثاني : الترتيب ، وهو ان تبدأ - بعد تطهير البدن من النجاسة أولاً - بغسل الرأس مع

الرقبة . وثانياً : تغسل الجانب الايمن من الكتف الى رؤوس الاصابع . ثالثاً : تغسل الجانب

الايسر من البدن كذلك . والترتيب افضل من الارتماس .

ويجب غسل جميع ظواهر البدن ، ويشترط في الغسل كافة شرائط الوضوء من طهارة

الماء واباحته واباحة المكان والنية .

مسائل :

١ - يحرم على المجنب قبل الاغتسال امور ، منها : مسّ المصحف أو احد اسماء الله أو

الانبياء أو الائمة عليهم السلام ، كما يحرم المكث في المساجد لغير الاجتياز ماعدا المسجد

الحرام والمسجد النبوي فانه لا يجوز حتى الدخول فيهما ، ويحرم قراءة اربع سور تسمى

العزائم ، وهي : سورة السجدة (رقم ٣٢) وفصلت (رقم ٤١) والنجم (رقم ٥٣) والعلق

(رقم ٩٦) وما عدا هذه السور تكره قراءة القران اكثر من سبع آيات .

٢ - يكره للمجنب الاكل والشرب ، وترتفع الكراهة بغسل اليدين والمضمضة

والاستنشاق .

٣ - غسل الجنابة يغني عن الوضوء بلاخلاف .

٤ - من لم يتمكن من الغسل أو الوضوء يجب عليه التيمم ، واليك بيان احكام التيمم .

التيمم

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١).

تضمنت الآية بيان حكم من لا يتمكن من استعمال الماء، أما لفقدان الماء كما في السفر غالباً، أو لمانع مثل المرض في الحضر، ولا يختص الحكم بالسفر، وإنما السفر هو الفرد الغالب لفقدان الماء في الأزمنة السابقة، فإذا فقد الماء في غير السفر وجب التيمم.

وأسباب التيمم:

الاول: فقدان الماء الوافي للوضوء أو الغسل، ويجب الفحص عند فقدان الماء في الجهات الاربع، قال بعض الفقهاء: «يجب الفحص مائتي خطوة في الأرض الجبلية والغابات، وأربعمائة خطوة في غيرها، ولا يجب الفحص فيما اذا علم بفقدان الماء، كما لا يجب الطلب اذا استلزم العسر والحرَج.

الثاني: ضيق الوقت، فيجب التيمم اذا لم يسع الوقت للوضوء أو الغسل، واذا توجَّأ أو اغتسل متعمداً في ضيق الوقت بطل.

الثالث: وجود مانع من الاستعمال شرعاً أو عدم القدرة عقلاً، كما فيما يأتي:

١- اذا عارض استعمال الماء واجب اهم كما اذا كان في بدنه أو ثوبه نجاسة، فلا بد من رفع النجاسة او لا ثم التيمم.

٢- العجز من الوصول إلى لضعف أو كبر.

٣- العسر والحرَج في تحصيل الماء أو استعماله.

٤- الخوف من العطش أو المرض على نفسه أو غيره.

وكيفية التيمم يكون التيمم بدل الوضوء على النحو التالي:

- ١ - تضرب بباطن كفك معاً على الارض دفعة واحدة .
 - ٢ - تمسح الوجه كلاً - من الجبهة والجبين - من منبت الشعر الى الطرف الأعلى للأنف .
 - ٣ - تمسح تمام ظاهر الكف الأيمن بباطن الكف الأيسر الى رؤوس الاصابع .
 - ٤ - تمسح تمام ظاهر الكف الأيسر بباطن الكف الأيمن كذلك .
وبه يكون تمام التيمم .
- واذا اردت التيمم أو الغسل فاضرب الكفين على الارض وامسح بهما الجبهة، ثم اضرب الكفين مرة ثانية وامسح بهما اليدين فقط، ويشترط في التيمم ما يشترط في الوضوء من النية وطهارة الاعضاء وعدم المانع واباحة التراب والمباشرة .

مسائل :

- ١ - بعد التيمم يصبح المتيمم كالمتطهر بالماء، فيباح له كل ما كان يباح له بالوضوء أو الغسل، وينتقضه كل نواقض الوضوء من البول ونحوه .
- ٢ - يبطل التيمم لو وجد الماء قبل الدخول في الصلاة ، واذا وجد الماء بعد الصلاة صحت صلاته ولا يجب عليه الاعادة ، واذا وجد في اثناء الصلاة فأذا كان قبل الركوع بطلت الصلاة واذا كان بعده لم تبطل .
- ٣ - التيمم اذا كان بدلا عن الجنابة فانه يجزي عن الوضوء كغسل الجنابة ، واذا كان بدلا عن غيره فانه لا يجزي عن الوضوء على المشهور .
- ٤ - يجب رفع المانع حتى مثل الخاتم وصيغ الاظافر للنساء .
- ٥ - يجب شراء الماء للمتمكن ماديا ولو كان الثمن غاليا .
- ٦ - لا يجب الوضوء اذا استلزم تحصيل الماء المذلة والاهانة، فان الله تعالى يقول: ﴿لله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾^(١).

أحكام النساء

اتفقت المذاهب الاسلامية كلها على ان (العادة الشهرية) للمرأة تخضع في الشريعة الاسلامية المطهرة لأحكام خاصة، وحيث انها حالة تتسبب من فساد البويضة التي خلقها الله تعالى للإخصاب ، فهي حينئذ حالة غير طبيعية للمرأة ، وبهذا السبب وصفها الله سبحانه (بالأذى) وذلك في قوله تعالى :﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(١)، وأسقط عنها فريضة الصلاة التي هي عمود الدين رفقا بها.

وليست العادة الشهرية الحالة الوحيدة التي تعتري المرأة، بل هناك حالات اخرى مختلفة لكل منها حكمها الخاص .

امام دم الجرح والعذرة فلا حكم لها ، واليك ايتهما الاخت المسلمة، بيان الدماء الثلاثة، الحيض والنفاس والاستحاضة، واحكامها الشرعية:

الحيض

وهو دم يتصف في الغالب بأنه اسود أو احمر ، غليظ ، حار ، يخرج بقوة وحرقة ، وهو علامة البلوغ في المرأة ، وبه حفظ الانساب وبراءة الارحام .

وهناك حقائق ثابتة يجب معرفتها:

الاولى : يظهر دم الحيض من السنة العاشرة الى الخمسين اذا لم تكن المرأة قرشية، والى الستين ان كانت قرشية، والقرشي من انتسب الى النضر بن كنانة.

وفي عصرنا الحاضر لم يشتهر منهم سوى السادة الأشراف المنتسبين الى رسول الله ﷺ.

الثانية : مدة الحيض لا تكون اقل من ثلاثة ايام متوالية ، مع الليلتين المتوسطتين بينهما، ولا تكون اكثر من عشرة ايام . فلورأت الدم يوما أو يومين أو ثلاثة الساعة مثلا،

٧٤..... شرح الأربعين النبوية

لا يكون حيضاً ، وكذا لو رأتها أكثر من عشرة ايام فلا يكون الزائد حيضا وترجع الى عاداتها، كما سيأتي .

الثالثة : الفاصل بين حيضة واخرى لابد وان يكون عشرة ايام وأكثر ، فلو رأت الدم في اليوم التاسع أو العاشر من بعد الحيض السابق ، فلا يكون هذا الدم الجديد حيضاً ، بل هو استحاضة ، وسيأتي حكمها ، وكذا لو رأت ذات العادة الدم ثلاثة ثم انقطع يوماً أو ازيد ثم رأتها وانقطع في العاشرة فإنه يكون مجموع العشرة حيضا ، لما تقدم من ان الطهر الفاصل بين الحيضتين لا يكون اقل من عشرة ايام.

أقسام الحائض :

والمرأة بالنسبة الى الحيض اما ان تكون مبتدأة لم تر الدم قبل ذلك ، أو ذات عادة ، أو مضطربة في رؤية الدم ، أو ناسية لعاداتها ، فهذه اقسام ، واليك احكامها :

١ - المبتدأة :

وهي التي ترى الدم لأول مرة ، ويجب عليها ان تجعل الدم الذي بصفة الحيض حيضا ، وما ليس بصفة الحيض استحاضة ، فتترك الصلاة اعتمادا على الصفات ، واذا تجاوز الدم عشرة ايام فالمسألة خلافية فتراجع التفصيل في الرسائل العملية للفقهاء .

٢ - ذات العادة :

والحالة الغالبة على النساء هي ذات العادة ، وتحقق العادة برؤية الدم مرتين متعاقبتين متحدة في الحالات الآتية ، فإن العادة قد تكون مضبوطة من حيث الوقت والعدد معا ، وقد تكون مضبوطة بالوقت فقط ، أو بالعدد فقط ، فهذه اقسام ثلاثة ، واليك احكامها :

الاول : ذات العادة المضبوطة بالوقت والعدد معا ، وهي التي ترى الدم في كل شهر في وقت وعدد مضبوط ، مثلا ترى سبعة ايام من اول كل شهر الى اليوم السابع .

وهذه المرأة يجب عليها ان تترك الصلاة بمجرد رؤية الدم ، سواء كان الدم بصفات الحيض من اللون والحرقة أم لم تكن ، واذا تجاوز الدم عشرة ايام تجعل عاداتها حيضا

والباقي استحاضة .

الثاني : ذات العادة المضبوطة بالوقت فقط ، وهي التي ترى الدم في اوائل الشهر دائما ، ولكن العدد يختلف ، فمثلا : ترى في اول شهر سبعة ايام ، وفي اول شهر آخر ستة ايام ، ويعتبر تساوي الحيضتين من حيث الابتداء ، فيضّر لو تفاوت الوقت بمقدار ست ساعات واكثر ، واما التفاوت اليسير فلا يضر .

وهذه المرأة ايضا تترك الصلاة بمجرد رؤية الدم ، سواء كانت بصفات الحيض أم لم تكن ، واذا تجاوز الدم عشرة ايام تجعل ما بصفة الحيض حيضا والباقي استحاضة وان اختلفت الصفات فالمسألة خلافية فترجع للتفصيل الى الرسائل العملية .

الثالث : ذات العادة المضبوطة بالعدد فقط ، وهي التي ترى الدم في كل شهر في عدد معين ولكن الوقت يختلف ، مثلا : ترى خمسة ايام في كل شهر تارة في اول الشهر واخرى في آخر الشهر .

ويعتبر تساوي الحيضتين وعدم زيادة احدهما على الاخرى ، فلو رأت خمسة ايام في الشهر الاول وخمسة وثلث أو ربع يوم في الشهر الثاني ، فلا تتحقق العادة من حيث العدد ، نعم اذا كانت الزيادة يسيرة فانها لا تضرّ .

وهذه المرأة تترك الصلاة بشرط ان يكون الدم بصفات الحيض ، واما اذا لم تكن بصفات الحيض أو تجاوز الدم عشرة ايام وفقدت الصفات فانها تجعل من اول رؤية الدم الى تمام العدد الذي هو عاداتها حيضا ، والباقي استحاضة .

٣ - المضطربة :

وهي المرأة التي ترى الدم مكررا ولم تستقر لها عادة في شهرين متواصلين ، ويجب عليها ان تجعل ما بصفة الحيض حيضا ، وما ليس بصفة الحيض استحاضة ، وان تترك العبادة بمجرد رؤية الدم بصفات الحيض ، واذا تجاوز الدم العشرة ايام يكون حكمها حكم المبتدأة .

٤ - الناسية :

وهي المرأة التي نسيت عاداتها ، ويقال لها : (المتحيرة) ، والمشهور ان الواجب عليها

٧٦..... شرح الأربعين النبوية

ان تجعل ما بصفة الحيض حيضا، وماليس بصفة الحيض استحاضة، وتترك العبادة بمجرد رؤية الدم بالصفات المذكورة، واذا تجاوز الدم عشرة ايام ولم يمكنها التمييز فالمسألة تكون خلافية، يراجع بشأنها الرسائل العملية.

مسائل :

١ - يحرم على الحائض الصلاة و الصوم، ويجب قضاء صوم رمضان دون الصلاة، ولكن يستحب لها في اوقات الصلاة ان تتوضأ وتجلس في مصلاها باتجاه القبلة وتشتغل بالتسبيح والتهليل والصلاة على محمد واله، وكذا قراءة القرآن وان كانت مكروهة في هذا الوقت .

٢ - اذا حاضت المرأة بعد دخول وقت الصلاة وكان يسعها ان تؤدي الصلاة ولم تصل، فانه يجب عليها قضاء تلك الصلاة بعد ايام الحيض، وكذلك اذا طهرت قبل خروج الوقت، فان كان يسعها الصلاة فيه ولم تصل، فانه يجب عليها القضاء. ولا قضاء عليها اذا لم يكن الوقت متسعا.

يحرم على الحائض ما ياتي :

١ - لمس كتابة القرآن الكريم أو احد اسماء الله سبحانه وتعالى أو الانبياء أو الائمة (عليهم السلام).

٢ - المكث في المساجد الا للاجتياز والعبور، ماعدا المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ؛ فلا يجوز لها الدخول فيها مطلقا.

٣ - قراءة اربع سور من القرآن تسمى (بالعزائم) هي: (ألم التنزيل) السورة /٣٦ و (حم السجدة) السورة /٤١ و (النجم) السورة /٥٣ و (اقرأ) السورة /٩٦. وما عدا هذه السور يكره قراءة القرآن الكريم .

٤ - الوط و لمقاربة الجنسية حال الحيض .

٥ - الصلاة والصوم كما عرفت .

٦ - يجب الغسل والوضوء معا بعد انقطاع الدم للصلاة، ولا يكفي الغسل عن الوضوء .

٧- لا يصح طلاق الحائض اذا تحققت الشروط الثلاثة :

أ- ان تكون مدخولا بها .

ب- ويكون الزوج حاضرا .

ج- ان لا تكون حاملا .

فاذا اختلفت احدى الشروط يصح الطلاق .

٨- يحرم الوطء حال الحيض ولا بأس بالتقبيل ، ولو حصل الوطء عمدا فانه تلزم الكفارة على الرجل فقط على الترتيب الاتي : اذا كان في الثلث الاول من الحيض فالكفارة دينار شرعي ، واذا كانت في الثلث الثاني من الحيض فالكفارة نصف دينار شرعي ، واذا كان في الثلث الثالث فالكفارة ربع دينار شرعي . والدينار الشرعي يساوي المثلث الشرعي ، ويعادل (١٨) حمصة . ويجب اعطاؤه للفقير .

٩- اذا رأت الدم في ثوبها ولا تعلم انه من أي دم هو؟ فانه لا تجري عليها احكام الحيض .

١٠- العادة تتحقق برؤية الدم مرتين على نهج واحد في شهرين متعاقبين ، وكذلك تنقلب العادة برؤية الدم مرتين على نهج واحد على خلاف العادة الاولى .

١١- اذا رأت الدم - المرأة ذات العادة الوقتية فقط ، أو الوقتية والعديدية معا - قبل العادة بيوم أو يومين ، أو بعدها بيوم أو يومين ، ولم يتجاوز المجموع عشرة ايام كان المجموع حيضا .

١٢- اذا انقطع الدم قبل العشرة فان علمت بالنقاء وعدم وجود الدم في الباطن وجب عليها ان تغتسل وتصلي ، وان احتملت بقاءه في الباطن وجب عليها استعمال الحال بواسطة القطنه واخراجها بعد الصبر قليلا ، فإن خرجت نقية اغتسلت وصلت ، واذا كانت ملطخة ولو بصفرة صبرت حتى تنقى .

١٣- الحيض يجتمع مع الارضاع ، وفي اجتماعه مع الحمل قولان ، والاغلب على انه يجتمع مع الحمل ؛ لقول الامام الصادق عليه السلام : « ان الحبل ربما قذفت الدم »^(١) .

الاستحاضة

وهو - في الغالب - دم اصفر بارد رقيق ، يخرج بدون قوة وبدون حرقة ، بعكس الحيض غالبا ، وكل دم ليس من الجروح والحيض والنفاس فهو من الاستحاضة .
وكل دم تراه المرأة دون ثلاثة ايام يكون استحاضة ، لان الحيض لا يكون اقل من ثلاثة ايام .

وكل دم تراه بين حيضتين تكون استحاضة؛ لان الفصل بين الحيضتين لا يقل عن عشرة ايام كما عرفت في الحيض .

والاستحاضة على ثلاثة اقسام : لكل منها حكم شرعي مستقل ، واليك بيانها :

القسم الاول : القليلة ، وهي ان تتلوث القطنة بالدم من غير نفوذ فيها ، وهذه المرأة عليها تبديل القطنة وتطهير المحل والوضوء لكل صلاة .

القسم الثاني : المتوسطة ، وهي ان ينفذ الدم في القطنة ولو بعضها ولا يسيل الى خارجها ، وهذه المرأة يجب عليها التبديل وتطهير المحل والوضوء كما في القسم الاول تماما ، بالاضافة الى الغسل في كل يوم مرة واحدة قبل صلاة الصبح ، واذا لم تغتسل في الصبح يجب ان تغتسل لصلاة الظهر والعصر معا غسلا واحدا ، واذا لم تغسل لهما فلصلاة المغرب والعشاء .

القسم الثالث : الكثيرة ، وهي ان يسيل الدم من القطنة الى الخرقه ، وهذه المرأة يجب عليها تبديل القطنة وتطهير المحل والوضوء كما تقدم ، بالاضافة الى الغسل في كل يوم ثلاث مرات : مرة لصلاة الصبح ومرة ثانية لصلاة الظهر والعصر معا ومرة ثالثة لصلاة المغرب والعشاء تصليهما معا .

ويجب على المستحاضة اختبار حالها كي تعرف انها من أي قسم من الأقسام الثلاث بواسطة القطنة . والصبر قليلا ثم ملاحظة القطنة والعمل بما يجب عليها من الاحكام المذكورة ، واذا صلت من دون عمل بوظيفتها الشرعية بطلت صلاتها ووجب عليها القضاء .

مسائل :

- ١ - لا تسقط عن المستحاضة الصلاة ولا الصوم ، بل يجب عليها اتيانها مع العمل بما يجب عليها من الوضوء والغسل .
- ٢ - يحرم على المستحاضة لمس كتابة القران الكريم والحضور في المساجد والوطء ، وهي المقاربة الجنسية ، وقراءة سور العزائم ، فاذا عملت المستحاضة بوظيفتها من الوضوء والغسل جاز لها ما تقدم ، كما ويجوز بالغسل فقط : دخول المساجد وقراءة العزائم والوطء ، اما لمس كتابة القران فيجب له الوضوء والغسل معا .
- ٣ - يجب بعد الوضوء والغسل المبادرة الى الصلاة ، واذا لم تبادر وخرج الدم فانه يجب عليها تجديد الوضوء والغسل مرة اخرى ، ولا ضرر اتيان المستحبات كالاذان والاقامة ، ولا فرق بين تقديم الوضوء على الغسل وبالعكس ، وان كان تقديم الوضوء أولى .
- ٤ - يجب بعد الوضوء والغسل التحفظ من خروج الدم بالقطنة ونحوها ، فلو لم تفعل وخرج الدم اعادت الصلاة .
- ٥ - اذا حدثت الاستحاضة من القسم الثاني (المتوسطة) في اثناء النهار بعد صلاة الصبح ، فانه يجب الغسل مرة واحدة للصلاة التي تصليها بعد ذلك ، فتغتسل لصلاة الظهر والعصر مثلا ، واما المغرب والعشاء فلا يحتاج الى الغسل ، بل يكفي فيه الوضوء فقط .
- ٦ - يجب الوضوء أو الغسل اذا استمر الدم ، واما اذا انقطع ، فانه يجب حينئذ اتيان الوضوء أو الغسل مرة واحدة فقط للصلاة بعد الانقطاع فقط .
- ٧ - ترك الوضوء يضر بالصلاة فقط ولا يضر بالصوم .
- ٨ - يشترط في صحة صوم المستحاضة اتيانها للاغتسال الواجبة في النهار ، فلو تركتها بطل الصوم .
- ٩ - ويشترط في صحة الصوم ايضا اتيانها بالغسل الواجب لصلاة المغرب والعشاء من الليلة المتقدمة ، فلو تركت الغسل في الليلة المتقدمة بطل الصوم في اليوم التالي .
- ١٠ - اذا انتقلت الاستحاضة من القسم الاول الى الثاني أو الثالث ، أي صارت

٨٠..... شرح الأربعين النبوية

الاستحاضة القليلة متوسطة أو كثيرة ، أو انتقلت من المتوسطة الى الكثيرة، فهذه المرأة تعمل عمل القسم الذي انتقلت اليه من المتوسطة أو الكثير .

النفاس

وهو دم يخرج حين الولادة مع ظهور أوّل جزء من الطفل أو بعده قبل انقطاع عشرة ايام ، سواء كان الطفل حياً أو سقطاً وان لم تلج فيه الروح بشرط العلم بكونه مبدأخلق الانسان ، وليس لاقْل النفاس حدّ ، فيمكن ان تكون لحظة فقط ؛ واكثره عشرة ايام، ويحرم على النفساء ما يحرم على الحائض، مما يأتي :

١ - يسقط عنها الصلاة ولا قضاء عليها .

٢ - يحرم عليها الصوم ويجب القضاء بعد ايام النفاس .

٣ - لا يجوز الوطء . ٤ - لا يجوز طلاقها، كما تقدم في الحيض .

٥ - يحرم عليها لمس كتابة القرآن الكريم وقراءة سور العزائم ودخول المساجد ويجب عليها الغسل للصلاة بعد ايام النفاس ، كما ويستحب لها - كالحائض - في اوقات الصلاة الوضوء والجلوس باتجاه القبلة والاشتغال بذكره تعالى .

مسائل :

١ - الدم الذي تراه المرأة قبل الولادة ليس من النفاس ، وكذلك الذي تراه بعد عشرة ايام .

٢ - اذا انقطع الدم يوماً أو يومين مثلاً ثم خرج ولم تبلغ المدة من خروج الدم الاول وانتهاء الدم الثاني عشرة ايام ، كان مجموع الدم الاول والثاني وما بينهما نفاساً .

٣ - اذا استمر دم النفاس اكثر من عشرة ايام تجعل المرأة ذات العادة عادتها في الحيض نفاساً والزائد استحاضة ، والتي لاعادة لها تجعل عشرة ايام منها حيضاً والزائد استحاضة .

٤ - المشهور أنّ الدم الذي تراه المرأة قبل الولادة ليست من الحيض وان كانت في وقت العادة .

الصلوات الواجبة

تجب في كل يوم خمس صلوات كالآتي:

- ١ - صلاة الصبح : ركعتان ، وقتها من طلوع الفجر الصادق الى طلوع الشمس .
 - ٢ - صلاة الظهر : اربع ركعات ، ووقتها من زوال الشمس الى ان يبقى للغروب مقدار اربع ركعات للعصر، ويعرف الزوال بوسطة (الشاخص) وقد اخترع المهندس المؤمن (رزم آرا) شاخصا متنقلا لمعرفة الظهر الشرعي اراد الحاقها ببوصلته المعروفة .
 - ٣ - صلاة العصر : اربع ركعات ، ووقتها بعد اداء صلاة الظهر الى المغرب .
 - ٤ - صلاة المغرب : ثلاث ركعات ، ابتداءً من الغروب الشرعي ويعرف بذهاب الحمرة من جهة المشرق الى جهة المغرب من وسط السماء .
 - ٥ - صلاة العشاء : اربع ركعات كالظهر ، ووقتها من بعد صلاة المغرب الى منتصف الليل، وبعد منتصف الليل يكفي ان يقصد ما في الذمة .
- (كيفية الصلاة) بعد ان توضأت تقف باتجاه القبلة وتأتي بالاذان والاقامة فانهما مستحبان لكل صلاة يومية أداءً أو قضاء، جماعة أو فرادى، ويجزي الاذان هكذا :

(١) الله اكبر (اربعة مرات) .

(٢) اشهد ان لا اله الا الله (مرتان)

(٣) اشهد ان محمدا رسول الله (مرتان)

(٤) اشهد ان عليا امير المؤمنين (مرتان)

(٥) حيّ على الصلاة (مرتان)

(٦) حيّ على الفلاح (مرتان)

(٧) حيّ على خير العمل (مرتان)

(٨) الله اكبر (مرتان)

(٩) لا اله الا الله (مرتان)

ثم تبتدىء بالاقامة هكذا:

(١) الله اكبر (مرتان)

(٢) اشهد ان لا اله الا الله (مرتان)

(٣) اشهد ان محمدا رسول الله (مرتان)

(٤) اشهد ان عليا أمير المؤمنين (مرتان)

(٥) حيّ على الصلاة (مرتان)

(٦) حيّ على الفلاح (مرتان)

(٧) حيّ على خير العمل (مرتان)

(٨) قد قامت الصلاة (مرتان)

(٩) الله اكبر (مرتان)

(١٠) لا اله الا الله (مرة واحدة).

وبعد الإقامة مباشرة ، تقصد الصلاة التي تريد ان تصلّيها - من الصبح أو الظهر أو

غيرهما - بالوعي الكامل، ثم تأتي (بالركعة الاولى) على الترتيب التالي :

اولا: ترفع اليدين الى اذنك وتقول بصوت مسموع: (الله اكبر)، ويسمى هذا (تكبيرة

الاحرام).

ثانيا: تنزل اليدين، وتقرأ وانت واقف بالقراءة الصحيحة (سورة الحمد) وبعدها سورة

اخرى والافضل (سورة التوحيد) واليك السورتين :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ○ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ○ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ○ مَالِكِ يَوْمِ
الدِّينِ ○ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ○ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ○ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ○ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ○ اللَّهُ الصَّمَدُ ○ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ○ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ».

ثالثا : تنحني بمقدار ان تصل يداك الى الركبتين وتقول : « سبحان ربي العظيم وبحمده، اللهم صل على محمد وال محمد » ويسمى هذا (الركوع) . رابعا : تقف معتدلا وتقول وانت واقف : « سمع الله لمن حمده، الله اكبر » .

خامسا : تهوي الى الارض وتضع كلا من الجبهة والكفين والركبتين ورأس الإيهامين على الارض وتقول : « سبحان ربي الاعلى وبحمده، اللهم صل على محمد وال محمد » ويسمى هذا (السجود) .

سادسا : تجلس وتقول وانت جالس : « استغفر الله ربي واتوب اليه » . سابعا : تهوي مرة اخرى الى الارض وتسجد قائلا : « سبحان ربي الأعلى وبحمده، اللهم صل على محمد وال محمد »

ثامنا : ترفع الرأس من السجود وتجلس قليلا . ومجموع هذا الاعمال ابتداء من تكبيرة الاحرام الى السجدة الثانية تسمى (الركعة الاولى) .

(الركعة الثانية) : تقوم بعد تمام الركعة الاولى وانت تقول : « بحول الله وقوته اقوم واقعد » وتاتي بمثل ما فعلت في الركعة الاولى بزيادة امرين :

الاول : بعد قراءة الحمد والسورة يستحب ان ترفع باطن يديك الى السماء، ويسمى هذا « القنوت » وتدعو في القنوت بما شئت، ويكفي ان تقول : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار بجاه محمد وآله الاطهار، رب اغفر لي ولو الذي وارحمهما كما ربباني صغيراً، واجزهما بالاحسان احسانا وبالبسيات عفواً وغفرناً » .

الثاني : بعد تمام السجدة الثانية من الركعة الثانية تجلس وتقول وانت جالس : « اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، واشهد ان محمدا عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وال محمد » . ويسمى هذا ذكر التشهد .

فاذا اتيت بما ذكرنا كاملا فقد تم الركعة الثانية، واذا كنت تصلي الصبح فلا بد ان تأتي بما تقدّم بإضافة التسليم، اذ به تتم الصلاة وسيأتي بيان كيفيته.

(الركعة الثالثة) : بعد تمام الركعتين الاولى والثانية تقوم وتقف معتدلا وتقول ثلاث مرات : « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر » ويسمى هذا (التسيبحات الاربع) ثم تقول: « الله اكبر » وتسجد كما تقدم فاذا كنت تصلي صلاة المغرب فلا بد ان تأتي بالركعات الثلاث كاملة ثم تأتي بالتشهد ثم التسليم؛ اذ به تتم الصلاة .

(الركعة الرابعة) بعد تمام الركعات الثلاث تقوم وتأتي باركعة اخرى كالركعة الثالثة، تقرأ فيها التسيبحات الاربع وتركع وتسجد ، فاذا كنت تصلي صلاة الظهر أو العصر أو العشاء (في غير سفر) فيجب ان تأتي بالركعات الاربع تماما بالاضافة الى التشهد والتسليم؛ اذ به تتم الصلاة. ولا تكون الصلاة الواجبة اكثر من اربع ركعات .

التشهد والتسليم:

اذا اردت اتمام الصلاة بعد رفع الرأس من السجدة يجب جلسة « التشهد » وان تقول : « اشهد ان لا اله الا الله وحده شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وال محمد » .

ثم التسليم، بأن تقول بعد ذلك فورا: « السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » وبذلك تتم الصلاة .

(التعقيبات) : يستحب عقب الصلاة الدعاء والذكر، ويسمى ذلك : (التعقيب) وروى ان الدعاء بعد الفريضة افضل من صلاة النافلة ، وهي كثيرة ، منها :

١- ان تقول بعد الصلاة مباشرة ثلاث مرات : « الله اكبر » رافعا يديك في كل مرة الى اذنيك

٢- تقول : « الهي هذه صلاتي صليتها لالحاجة منك اليها، ولا رغبة منك فيها، الا

تعظيماً وطاعة واجابة لك الى ما امرتني به ، الهي ان كان فيها خلل أو نقص من ركوعها أو سجودها فلا، تؤاخذني وتفضل عليّ بالقبول والغفران».

٣ - تقول : « رضيت بالله رباً وبمحمد ﷺ نبياً ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن كتاباً ، وبالكعبة قبله ، وبعلي ولياً واماماً ، وبالحسن (المجتبى) والحسين (الشهيد بكر بلاء) وعلي بن الحسين (السجاد) ومحمد بن علي (الباقر) وجعفر بن محمد (الصادق) وموسى بن جعفر (الكاظم) وعلي بن موسى (الرضا) ومحمد بن علي (الجواد) وعلي بن محمد (الهادي) والحسن بن علي (العسكري) والحجة بن الحسن (المهدي) صلواتك عليهم أئمة ، اللهم اني رضيت بهم أئمة فأرضني لهم انك على كل شيء قدير ، برحمتك يا ارحم الراحمين »

٤ - تسبيح الزهراء : وهو ما علمه رسول الله ﷺ لبضعته فاطمة الزهراء عليها السلام قبل النوم ، وقال الامام الصادق عليه السلام : « تسبيح فاطمة عليها السلام كل يوم في دبر الصلاة احب الي من صلاة الف ركعة في كل يوم» .^(١)

قال السيد اليزدي رحمه الله في العروة : «هوان تقول : (الله اكبر) اربع وثلاثين مرة ، ثم (الحمد لله) ثلاثاً وثلاثين مره ، ثم (سبحان الله) ثلاث وثلاثين مرة ، ومجموعها مائة».

افعال الصلاة :

بعد ان عرفت كيفية الصلاة بالاجمال اليك بيان بأفعال الصلاة بما فيها الاركان والواجبات والمستحبات بالتفصيل :

ونقصد بالركن : ما يوجب فقهه أو زيادته بطلان الصلاة ، سهواً كان أو متعمداً .

والواجب : ما يوجب فقهه أو زيادته بطلان الصلاة اذا كان عمداً فقط .

والمستحب : ما يوجب فضيلة في الصلاة ، واليك بيانها :

(١) مستدرک الوسائل ٥ : ٣٥ ، ح ٥٣٠٠ .

الاول - النية: وهي ركن في الصلاة، وهي القصد للصلاة والوعي الكامل لها من الابتداء الى الانتهاء، ولا يحتاج الى لفظ، ويكفي ان تقصد مثلاً: «اصلي صلاة الصبح قربة الى الله تعالى».

ويشترط فيه الاخلاص لله تعالى، فتبطل الصلاة بالرياء؛ لانه شرك بالله العظيم وكما تبندىء الصلاة بالنية يجب استدامتها الى الصلاة ويجوز العدول في النية، مثلاً اذا صلى العصر سهوا ثم علم انه لم يصل الظهر، فينوي الصلاة التي يصلها ظهراً ويحتسبها صلاة الظهر ثم يأتي بصلاة العصر، وهكذا في المغرب والعشاء، ولا يجوز العدول من الظهر الى العصر، ولا من المغرب الى العشاء، ولا من الصلاة الواجبة الى المستحبة الا لادراك الجماعة اذا اقيمت.

الثاني: لتكبير للاحرام، وهي ركن في الصلاة، وتسمى (كبيرة الاحرام) ويجب فيها ما يأتي:

١- ان تكون بالعربية الصحيحة.

٢- ان تكون حال القيام باتجاه القبلة.

٣- ان يكون التلفظ بها مسموعاً له.

ويستحب فيها:

١- رفع اليدين الى الاذنين أو الى حيال الوجه.

٢- ان تقول قبلها: «يا محسن قد اتاك المسيء، وقد امرت المحسن بأن يتجاوز عن المسيء، وانت المحسن وانا المسيء فتجاوز عن قبيح ما تعلم، انك انت الاعز الاجل الاكرم».

٣- ان تكبر قبلها ست تكبيرات ثم تكبر تكبيرة الاحرام.

الثالث: القيام قبل الركوع، وهو ركن من الصلاة ايضاً، بأن تقوم واقفاً باتجاه القبلة بأستقرار، وفي صورة العجز عن القيام تنتقل الى ما دونه كالاغتماد على شيء آخر مثلاً. ويستحب فيها:

١- ارسال اليدين.

٢- وضع الكفين على الفخذين قبال الركبتين.

٣- الفرجة بين القدمين بثلاثة اصابع منفرجات.

الرابع: القراءة ، وهي واجبة في الصلاة، فانه يجب حال القيام والاستقرار في الركعتين الاولى والثانية من كل صلاة، وهو ان تقرأ سورة الفاتحة ثم بعدها سورة كاملة من القرآن الكريم ماعدا اربع سور تسمى بـ (العزائم) من القرآن الكريم، وقراءة السور واجبة وليست ركنا، فاذا نسيها المصلي وذكرها بعد الركوع صحت الصلاة، ولا تجب السورة في حالة المرض وضيق الوقت، كما لا تجب ايضا في النوافل.

ويجب الجهر في قراءة الحمد والسورة في صلاة الصبح والركعتين الاولى والثانية من المغرب والعشاء، ويجب الخفت بهما في صلاة الظهر والعصر ماعدا الظهر من يوم الجمعة. ويستحب الجهر بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) في كل صلاة بحيث يمكن ان يسمع القريب اذا استمع، ولا يجوز رفع الصوت اكثر من المتعارف، وليس على النساء جهر، كما لا يضر الجهر في الصلاة سهوا.

وتجب القراءة بأداء الحروف من مخارجها، وتتحقق القراءة الصحيحة بالامور التالية:
اولا: المد، وهو تطويل الصوت، وقد يصح تحديده الزماني بثلاث ثواني، ويجب المد في ثلاث مواضع :

١- الالف، اذا كان ما قبله مفتوحا وما بعده حرف ساكن أو همزة، نحو: (جاء)، (شاء) ، (الضالين).

٢- الواو، اذا كان ما قبله مضموما وما بعده حرف ساكن أو همزة، نحو: (سوء).

٣- الياء اذا كان ما قبله مكسوراً وما بعده حرف ساكن أو همزة، نحو: (جثني).

ثانيا: الادغام، وهو دمج حرفين وجعلهما حرفاً واحداً، وذلك بتسكين الحرف الاول ودمجه في الثاني، ويجب في ثلاث موارد .

١- في الحرفين من جنس واحد في كلمة واحدة نحو: (مدد).

٢- النون الساكنة أو حرف المنون اذا كان بعده حرف من حروف (يرملون) كقول: (اشهد ان لا اله الا الله). فتقرأ (الّا) ونحو (لم يكن له كفوا احد) فتقرأ (يكلّه) وقولك: (اللهم صلّ على محمد وال محمد) فتقرأ (محمدٍ وّال محمد).

٣- الالف واللام (ال) إذا كانت داخلية على الحروف الشمسية، وهي أربعة عشر حرفاً كالآتي: «ت، ث، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ل، ف» كما ويجب الاظهار في غيرها مثل (والشمس) فتقرأ: (وشّمس)

ثالثاً: لا يجوز في آخر الايات : الوصل بالسكون ولا الوقف على الحركة، بل لابد من الوقف على السكون والوصل بالحركة.

مسائل :

١ - يجب الاستقرار حالة القراءة ولا تضر حالة السكون الحركة اليسيرة ولا حركة الاعضاء.

٢ - تجب قراءة (البسملة) مع كل سورة لانها جزء من كل سورة ما عدا سورة براءه و هي السورة رقم (٩) من القرآن الكريم .

٣ - لا يجوز قول (آمين) بعد الفاتحة بقصد التشريع في الدين .

٤ - سورتا (الضحى)^(١) وسورة (الم نشرح)^(٢) تجب قراءتهما معا في الصلاة، وكذا سورة (الفيل)^(٣) وسورة (لا يلاف)^(٤) فلا يجوز الاقتصار على احدهما.

٥ - يجوز العدول من سورة الى أخرى اختياراً ما لم يبلغ النصف ، الا في سورتي الكافرون^(٥) والتوحيد^(٦) فلا يجوز العدول عنهما الى غيرهما في يوم الجمعة فانه يجوز العدول منهما الى سورة الجمعة^(٧) وسورة المنافقين^(٨) .

(١) رقم (٩٢) من القرآن الكريم.

(٢) رقم (٩٤).

(٣) رقم (١٠٥).

(٤) رقم (١٠٦).

(٥) رقم (١٠٩).

(٦) رقم (١١٢).

(٧) رقم (٦٢).

(٨) رقم (٦٣).

٦- يستحب قراءة سورة القدر^(١) في الركعة الاولى، والتوحيد^(٢) في الركعة الثانية في الصبح والظهر والمغرب، ويستحب قراءة سورة الفتح^(٣) في الركعة الاولى من صلاة العصر، وسورة الكافرون^(٤) في الركعة الأولى من العشاء .

٧- في الركعة الثالثة والرابعة من كل صلاة يتخير الانسان بين قراءة الحمد فقط أو التسبيحات الاربع ، والافضل التسبيحات الاربع ثلاث مرات، كما تقدم - والاولى ان تقول بعدها: (اللهم اغفر لي) أو (استغفر الله ربي واتوب اليه) .

الخامس الركوع : وهو ركن في الصلاة ، وهو الانحناء الى الامام بقدر ما تصل اليدين الى الركبتين، ويجب فيه ما يأتي .

- ١- قصد الركوع، فلو انحنى لآخذ شيء لضرورة او غيرها ، فانه لا يعد ركوعا .
- ٢- الاستقرار والطمأنينة حال الذكر ، ولا يضر عدم استقرار الاصابع مثلاً .
- ٣- التسبيح ، ويكفي فيه قول: « سبحان ربي العظيم وبحمده » مرة واحدة بالعربية الصحيحة .

٤- يجب رفع الرأس والوقوف بعد الركوع مستقرا ثم يسجد، وهذا القيام هو غير القيام الذي قبل الركوع، فإن ذلك واجب تبطل الصلاة بتركه سواء كان عمدا أو سهوا، ولونسي الركوع وهوى الى السجود وتذكر قبل ان يسجد وجب ان يقوم واقفا مستقرا. فاما القيام الذي بعد الركوع فهو واجب وليس بركن وتبطل الصلاة بتركه عمدا، لاسهوا. ويستحب في الركوع أمور:

- ١- التكبير قبل الركوع، بان تقول « الله اكبر » ثم ترقع .
- ٢- وضع اليدين على الركبتين منفرجات الاصابع .
- ٣- تسوية الظهر ومد العنق .
- ٤- التسبيح ثلاث مرات أو خمسا أو سبعا .

(١) رقم (٩٧) . (٢) رقم (١١٢) .

(٣) رقم (١١٠) . (٤) رقم (١٠٩) .

- ٥- الصلاة على محمد وآل محمد بعد التسبيح .
- ٦- ان تقول حين القيام من الركوع « سمع الله لمن حمده » .
- ٧- ان تنظر بين قدميك اثناء الركوع .
- ٨- ان تضع المرأة يديها على فخذيها فوق الركبتين في الركوع.
- السادس : السجود ، وهو ركن واجب ، وهو الهويّ الى الارض و جعل الجبهة وباطن الكفين والركبتين ورأس الابهامين على الارض . والجبهة خاصة لا بد ان تكون على التراب أو الحجر الثياب الذي لا يأكله ولا يلبسه الانسان عادة ، وتقول انت مستقر في السجود : (سبحان ربي الاعلى وبحمده) مرة واحدة ثم تجلس وتقول : « استغفر الله ربي واتوب اليه » ثم تسجد مرة اخرى وتقول ما قلته في السجود الاول .
- وهاتان السجدتان معا ركن تبطل الصلاة بنقصهما أو زيادتهما معا ، سواء كان عمدا أو سهوا ، ولا تبطل الصلاة بنقص السجدة الواحدة كما سيأتي .
- ١- السجود بالاعضاء السبعة ، وهي : الجبهة والكفان والركبتان ورأس الابهامين .
- ٢- وضع الجبهة على ما يصح السجود عليه ، وهو الارض الطاهرة والنباتات ما عدا الاشياء المأكولة للانسان عادة ، والافضل السجود على التربة من طين قبر الحسين عليه السلام .
- ٣- الاستقرار حال التسبيح .
- ٤- التسبيح ، ويكفي فيه قول : (سبحان ربي الأعلى وبحمده) مرة واحدة ، ويستحب بعده الصلاة على محمد وآل محمد .
- ٥- ان لا يرتفع موضع السجود اكثر من أربع أصابع مضمومات .
- ويستحب في السجود امور :
- ١- التكبير عند الهوي الى السجود بأن تقول (الله اكبر) ثم تسجد ، وكذلك يستحب التكبير بعد السجود .
- ٢- السبق باليدين الى الارض حين الهوي الى السجود .
- ٣- الارغام بالانف على الارض بما يصح السجود عليه .

٤ - التورك بعد السجود، وهو ان تجلس على الفخذ الأيسر جاعلاً ظهر القدم اليمنى في بطن اليسرى .

السابع : القنوت ، وهو مستحب في الصلاة في الركعة الثانية قبل الركوع ، وهو رفع باطن اليدين الى السماء والدعاء بما يشاء ، والافضل الدعاء بكلمات الفرج ، وهي : (لا اله الا الله الحليم الكريم ، لا اله الا الله العلي العظيم ، سبحان الله رب السماوات السبع ، ورب الارضين السبع ، وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين) . ويستحب التكبير قبل القنوت والجهر بالقنوت دائماً ، وايضا من نسي القنوت يستحب له ان يأتي به بعد الركوع ثم يهوي الى السجود ، ويستحب ايضاً تطويل القنوت ، فقد روي عن رسول الله ﷺ : « اطولكم قنوتا في دار الدنيا ، اطولكم راحة يوم القيامة في الموقف »^(١) .

الثامن : التشهد ، وهو واجب في الصلاة ، وهو الجلوس بعد السجدة الثانية من الركعة الثانية في كل صلاة ، ويجب ان تقول حال الجلوس مستقراً : « اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل على محمد وال محمد » . وفي صلاة المغرب والظهر والعشاء يجب ذكر التشهد مرة ثانية قبل التسليم ، واذا نسي ذلك فانه يجب قضاء التشهد بعد الصلاة والاتيان بسجدة السهو كما سيأتي : ويستحب في التشهد امور ، هي :

١ - التورك ، وهو الجلوس على الورك الايسر وجعل ظاهر القدم اليمنى في باطن اليسرى .

٢ - النظر الى محل السجود حين التشهد .

٣ - ان تجعل اليدين على الفخذين مضمومة الاصابع .

٤ - ان تقول بعد الصلاة على محمد وال محمد في التشهد الاول : « وتقبل شفاعته

(١) من لا يحضره الفقيه ١ : ٤٨٧ ، ح ١٤٠٣ .

وارفع درجته».

٥ - ان تقول قبل التشهد الثاني: «بسم الله وبالله، والحمد لله، وخير الاسماء لله».

٦ - ان تضم المرأة فخذيها حال الجلوس للتشهد .

التاسع : التسليم.

وهو واجب بعد التشهد في الركعة الاخيرة ، ويكفي ان تقول فيه: «السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ويستحب في التسليمة الاخيرة الايماء الى اليمين بمؤخر العين على وجه لا ينافي الاستقبال ، وليسلم اخرى ان كان على يساره احد .

والتسليم واجب وليس بركن ، وفي صحة الصلاة لو نسي التسليم خلاف بين الفقهاء بعد الاتفاق على انه ليس ركنا .

وبالتسليم تتم الصلاة .

مسائل :

١ - يجب ان يكون لباس المصلي طاهرا مباحا غير مغصوب ، والمكان مستقرا ومباحا ، ومحل السجود (أي التربة) طاهراً ومباحاً ...

٢ - يجب الصلاة بالترتيب الذي ذكرناه في كيفية الصلاة ، وكذلك يجب الموالاة، أي عدم الفصل بين الاجزاء المذكورة ، ولا بأس بتطويل الركوع والسجود أو قراءة الدعاء والقران في اثناء الصلاة .

٣ - يحرم على الرجال لبس الذهب ولو مثل سير الساعة اليدوية والخاتم في اليد، وكذلك لبس ثوب الحرير الخالص اثناء الصلاة، وتبطل الصلاة فيما لو كان لا بسا لها، ولا بأس بحمل الذهب في الجيب مثلاً اثناء الصلاة.

٤ - يجب رد السلام اثناء الصلاة اذا لم يجب على السلام شخص آخر، ويلزم ان يكون

الجواب بمثل الالفاظ التي سلم بها.

٥ - يجوز قطع الصلاة للضرورة كاتخاذ نفس محترمة او مال محترم.

٦ - اذا صلى وثوبه نجس ، فإن كان لا يعلم بالنجاسة قبل الصلاة صحت الصلاة ، وان كان يعلم ولكنه نسي ذلك عند الصلاة كانت صلاته باطلة .

٧ - تبطل الصلاة بما يأتي :

أ - حدوث ما يبطل الوضوء أو الغسل كالبول والريح ونحوهما .

ب - الزيادة أو النقص بالاجزاء الواجبة عمدا ، وكذا الشروط مثل الاستقبال للقبلة .

ج - الزيادة أو النقص بالأركان سواء كان عمدا أو سهوا ، وهي خمسة : النية ، وتكبيرة الاحرام ، والقيام قبل الركوع ، والركوع ، والسجدتان معا .

د - البدعة ، وهي الزيادة في الصلاة بما لم يرد عن النبي ﷺ بالسند الصحيح بقصد التشريع .

هـ - ما ينافي الصلاة كالاتفات الى اليمين أو اليسار ، والتكلم بغير الدعاء ، والقهقهة ، والشك في عدد الركعات بحيث لا يعلم انه كم ركعة صلى ؟

و - اذا لم يسع الوقت الا لركعة واحدة فانه يجب اتيان الصلاة بنية الاداء وان وقع بعضها خارج الوقت .

ز - في ضيق الوقت يجب الاقتصار على الواجبات والاركان فقط دون المستحبات .

شكوك الصلاة:

اذا عرض في الصلاة شك في عدد الركعات التي يصليها فانه لايجوز قطع الصلاة لذلك ، بل يتأمل قليلا فاذا علم اوطن جانبها خاصا اخذ به ، واذا بقي شاكا بالعدد فانه يجب عليه مراعاة ما يأتي :

اولا : الشك والتحير في عدد الركعات من صلاة الصبح والمغرب وصلاة المسافر

يوجب البطلان والاعادة .

ثانا : اذا شك في صحة ما تقدم من افعال الصلاة فانه لا يعتني بذلك ، بل يبني على الصحة، وذلك في موارد :

١ - بعد تجاوز المحل ، كما اذا شك في صحة الفاتحة وهو في الركوع، فيبني على الصحة .

٢ - بعد الفراغ من الصلاة، كما لو شك في ان الصلاة التي اتمها هي كانت صحيحة أم لا؟ فيبني على الصحة .

٣ - بعد الوقت ، كما اذا شك في صلاة الصبح بعد طلوع الشمس، فيبني على الصحة . وكذلك يبني على الصحة في صور اخرى كالشك في صلاة الجماعة مع حفظ الامام أو المأموم، والذي يشك كثيرا في الصلاة، والشك في الصلاة المستحبة ، فلا يعتني بالشك فيها جميعا، فيبني على الصحة .

ثالثا : الشكوك التي لها أحكام خاصة تنقسم باعتبار مكان وقوع الشك الى اقسام ثلاث:

القسم الاول : في أي مكان من الصلاة وقع الشك، وهو ما اذا شك ان الركعة التي يصلها انها (الثالثة) أو (الرابعة)، واتمام الصلاة ثم يصلي بعدها ركعة واحدة من قيام صلاة الاحتياط، وسيأتي بيان ذلك .

القسم الثاني : الشك بعد تمام الركعة الثانية بعد إكمال السجدين معا ، وفيه اربع صور :
١ - الشك بين (الثانية) و (الثالثة) فيبني على (الثالثة) ثم يأتي بركعة واحدة من قيام احتياطيا .

٢ - الشك بين (الثانية) و (الرابعة) ، يبني على (الرابعة) ثم يأتي بركعتين من قيام احتياطيا .

٣ - الشك بين (الثانية) و (الثالثة) و (الرابعة) ، يبني على (الرابعة) ثم تأتي بركعتين من قيام وركعتين من جلوس احتياطيا .

٤ - الشك بين (الرابعة) و (الخامسة) ، يبنى على (الرابعة) ثم يأتي بسجدة السهو فقط، وسيأتي.

القسم الثالث : الشك في القيام ، وفيها اربع صور يجب الجلوس فيها واتمام الصلاة ثم يعمل حسب ما يأتي :

- ١ - بين (الرابعة) و (الخامسة) ، يجلس ويسلم ثم يأتي بركتين من قيام .
- ٢ - بين (الثالثة) و (الخامسة) ، يجلس ويسلم ثم يأتي بركتين من قيام .
- ٣ - بين (الثالثة) و (الرابعة) و (الخامسة) ، يجلس ويسلم ثم يأتي بركتين من قيام و ركعتين من جلوس .

٤ - بين (الخامسة) و (السادسة) يجلس ويسلم ثم يأتي بسجدة السهو فقط .
تنبيهات :

التنبيه الاول : صلاة الاحتياط هي ما تجب بسبب الخلل في الصلاة في بعض الحالات ، ويعتبر فيها جميع ما يعتبر في الصلاة سوى أنه ليس فيها قراءة سورة بعد الحمد ولا القنوت . ويجب فيها الخفت واتيائها فورا ، وذلك لأنها ماردة بين ان تكون جزءا للصلاة الواجبة أو نافلة لجبران الخلل الواقع فيها ، فيلزم مراعاة الجانبين ، فلو علم الانسان بصحة صلاته فلا حاجة الى صلاة الاحتياط ، ولو شك في صحة صلاة الاحتياط بعد السلام فانه لا يعتني بالشك ، ويجب تقديم صلاة الاحتياط على سجدة السهو .

التنبيه الثاني : سجود السهو، سجدتان متواليتان ، يكفي فيها الصورة الآتية، وهي ان تقول: (الله اكبر) وانت جالس باتجاه القبلة وتسجد ، وتقول : « بسم الله وبالله، السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته » ثم تجلس . ثم تسجد ثانية وتقول ما قلت في السجدة الاولى ، ثم تجلس وتتشهد وتسلم .

ويجب سجود السهو لخمس موارد :

١ - التكلم في الصلاة سهوا .

٢ - التسليم سهوا .

٣- نسيان التشهد حيث لا يمكن التدارك .

٤- نسيان السجدة الواحدة حيث لا يمكن التدارك .

٥- الشك بين الاربع والخمس بعد الركعة الثانية.

التنبيه الثالث : وقع الاختلاف بين الفقهاء في مسائل الآتية، منها : وجوب سجود السهو للقيام الزائد ، بعد الاتفاق على أنه احوط .

ومنها: كفاية صلاة الاحتياط جلوساً عن ركعة من قيام ، بعد الاتفاق على كفاية ركعة من قيام عن ركعتين من جلوس .

ومنها: حصول الشك بعد ذكر السجود من السجدة الثانية قبل رفع الرأس منها ، للاختلاف في تمام الركعة الثانية بالذكر أو برفع الرأس بعد الاتفاق على الاعادة احوط .

صلاة الجماعة:

وهي من المستحبات المؤكدة في الاسلام لما فيها من وحدة الصف وتعاهد المؤمنين . وقد روي عنه ﷺ : « لا صلاة لمن لا يصلي في المسجد الا من علة ، ولا غيبة لمن صلى في بيته ورغب عن جماعتنا »^(١) .

وعن الامام الصادق ﷺ : « الصلاة خلف العالم بألف ركعة وخلف القرشي بمائة »^(٢) . قال السيد في العروة : « ولا يخفى أنه اذا تعددت جهات الفضل تضاعف الاجر »^(٣) . وقال : « ومقتضى الايمان عدم ترك صلاة الجماعة من غير عذر ؛ لان فضلها من ضروريات الدين »^(٤) .

يتأكد استحباب الجماعة في الصلوات الخمس اليومية سواء كان الامام والمأموم يصلحها اداءً أو قضاءً وان اختلفا في الجهر والخفت والقصر والتمام ، فيجوز اقتداء المسافر بالحاضر، والمؤي بالقاضي ، وكذلك العكس ، ولا تشرع الجماعة في شيء من النوافل في

(١) الوسائل ٣٩٢: ٢٧، ح ٣٤٠٣٣ . (٢) الالفية والنفلية: ١٣٩ .

(٣) العروة الوثقى ١: ٧٦٣ . (٤) العروة الوثقى ١: ٧٦٣ .

صلاة الاستسقاء والعیدین مع عدم شرائط الوجوب ، و اقل عدد تنعقد به الجماعة اثنان ، واما الجمعة والعیدین فلا ینعقد باقل من خمسة احدثهم الامام . ویشترط فی الجماعة امور :

- ١ - ان لا یكون موقف الامام اعلى من موقف المأموم ، ولا بأس بما هو اقل من شبر .
- ٢ - لا یتقدم المأموم على الامام فی الموقف .
- ٣ - لا یتباع المأموم عن الامام كثيرا ، والافضل ان لا یكون بین الموقفین ازید من مقدار جسد الانسان إذا سجد .
- ٤ - لا یكون بین الامام والمأموم حائل اذا كانا رجلین ، اما المرأة فلا بأس بالحائل بینها و بین الامام ، الا أن یكون كل من الامام والمأموم امرأة فیشرط عدم الحائل ایضا . ویشترط فی امام الجماعة البلوغ والعقل والایمان والعدالة ، وان لا یكون ولد زنا ، والعدالة وهي الاجتناب عن المحرمات الكبيرة التي اوعده الله علیها العذاب ، وكذا الاصرار على الصغیرة .

وتثبت العدالة بالوثوق والاطمئنان ، ولا تجوز الصلاة خلف العاصي الا ان یتوب . ویشتحب فی الجماعة امور ، منها :

- ١ - اقامة الصفوف واعتدالها .
 - ٢ - ان یقف المأموم عن یمین الامام ان كان رجلا واحدا ، وخلفه ان كانوا کثیرین .
 - ٣ - ان یقرأ الامام الاذکار بحیث یسمع من خلفه .
 - ٤ - القيام عند قول المؤذن : « قد قامت الصلاة » .
 - ٥ - ان یقول المأموم : « الحمد لله رب العالمین » عند فراغ الامام من قراءة الفاتحة ، ولا تسقط عن المأموم فی الجماعة شیء سوى (الحمد والسورة) فی الركعتین الاولى والثانية ، ویجوز ان ینوي ویکبر ویلتحق بالجماعة فی الركوع ویتم الصلاة .
- مسائل :

- ١ - یترك المأموم قراءة الحمد والسورة فی الركعتین الأولى والثانية ، ولا تسقط عن

المأموم قراءة باقي الاذكار .

٢ - لا يجوز التقدم على الإمام في الأفعال ولا في تكبيرة الإحرام، وأما الأقوال والاذكار فلا يجب فيها التأخر وإن كان التأخر افضل، فلو سلم قبل الإمام صحت صلاته .

٣ - لا يجوز الاقتداء بالإمام في الركوع، و تحتسب للمأموم ركعة واحدة بشرط ان يصل المأموم الى حد الركوع قبل رفع الإمام رأسه من الركوع .

٤ - إذا اقتدى بالإمام في الركعة الثالثة أو الرابعة فلا بد ان يقرأ المأموم الحمد والسورة، ويكفي الحمد فقط اذا لم يمهل الإمام

٥ - لا بأس بإمامة المتميم للمتوضيء، وكذا إمامة المرأة المستحاضة العاملة بوضيقتها للمرأة الطاهرة .

٦ - يجوز نية الأفراد من الجماعة في جميع حالات الصلاة سواء كان لعذر أم لا .

النوافل :

يستحب في كل يوم وليلة صلوات خاصة يعبر عنها (النوافل اليومية) ومجموعها (٣٤) ركعة، قال الامام الحسن العسكري عليه السلام : « علامات المؤمن خمس : صلاة احدى وخمسين ^(١)، وزيارة الاربعين ^(٢) والتختم باليمين، وتعفير الجبين ^(٣)، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم » ^(٤)، واليك بيانها :

اولا : نوافل الصلوات الخمس :

١ - ركعتان لصلاة الصبح، قبلها .

٢ - ثمان ركعات لصلاة الظهر، قبلها .

٣ - ثمان ركعات لصلاة العصر، قبلها .

٤ - اربع ركعات لصلاة المغرب، قبلها .

(١) (اليومية ١٧ + ٣٤ النوافل يساوي = ٥١) .

(٢) (في يوم العشرين من صفر) . (٣) (بالسجود) .

(٤) التهذيب ٦ : ٥٢، ح ١٢٢ .

- ٥ - ركعتان من جلوس لصلاة العشاء ، بعدها .
- وفي السفر تسقط نافلة الظهر والعصر ، واما نافلة العشاء فيؤتى بها رجاءً .
- ثانيا : صلاة الليل ، قال الإمام علي عليه السلام : «قيام الليل مصحّة للبدن، ورضا الرب، وتمسك باخلاق النبي ﷺ، وتعرض لرحمة الله»^(١) .
- وقال الصادق عليه السلام : « عليكم بصلاة الليل فانها سنة نبيكم، ودأب الصالحين قبلكم، ومطرده الداء عن أجسادكم »^(٢) .
- وقال عليه السلام أيضا: «كذب من زعم انه يصلي بالليل ويجوع بالنهار، ان الله عز وجل ضمن بصلاة الليل قوت النهار»^(٣) .
- ووقتها بعد منتصف الليل، وكلما كان اقرب الى الصبح كان افضل ، وهي كالآتي:
- ١ - ثمان ركعات صلاة الليل، تصلى ركعتين ركعتين قياما .
 - ٢ - ركعتان، وتسمى الشفع، وتصلى قياما ايضا .
 - ٣ - ركعة واحدة قياما، وتسمى الوتر .
- ويستحب في قنوت صلاة الوتر ما يأتي .
- ١ - الدعاء لاربعين مؤمناً .
 - ٢ - سبعون مرة: «استغفر الله ربي واتوب اليه» .
 - ٣ - سبع مرات: «هذا مقام العائد بك من النار» .
 - ٤ - ثلاثمائة مرة: «العفو» .
- واذا طلع الفجر في اثناء الصلاة وكان قد صلى منها اربع ركعات، فانه يجوز له الاختصار فيما بقي على سورة الحمد فقط من دون التوحيد .

(١) الدعوات : للراوندي : ٧٦، ح ١٨٢ . (٢) علل الشرائع : ٣٦٢ .

(٣) الوسائل ٨ : ١٥٠، ح ١٠٧٤ .

صلاة الغفيلة:

قال النبي ﷺ: «تفعلوا في ساعة الغفلة بركعتين خفيفتين ، فانهما تورثان دار الكرامة. قيل : يا رسول الله وما ساعة الغفلة ؟ قال ﷺ : ما بين المغرب والعشاء».

وسميت الغفيلة ، لغفلة عامة الناس عن فضلها ، وهي مستحبة لاجل قضاء الحاجة ، وهي ركعتان تقرأ في الركعة الاولى بعد الحمد : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ (١).

وفي الركعة الثانية بعد الحمد ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢).

وفي القنوت : « اللهم اني اسالك بمفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا انت ان تصلي على محمد وال محمد وان تفعل بي ما انت اهل له ولا تفعل بي ما انا اهل له . اللهم انت ولي نعمتي والقادر على طلبتي، تعلم حاجتي، فأسألك بحق محمد واله عليه وعليهم السلام لما قضيتها لي».

صلاة المسافر:

صلاة الصبح ركعتان دائما في السفر والحضر، وصلاة المغرب ثلاث ركعات دائما كذلك ، واما صلاة الظهر والعصر والعشاء ففي الحضر اربع ركعات، وفي السفر ركعتان، ويسمى (القصر)،

وقصر الصلاة في السفر واجب كما يحرم الصوم في السفر ايضا ويتحقق السفر شرعا بقصد المسافة أي ثمانية فراسخ (وهي تساوي ٤٤ كم تقريبا) فاذا قصد الانسان اول

ما يبتديء بالسفر أربع و أربعين كيلومترا أو أكثر يسمى شرعا (مسافر) وكذلك اذا قصد أربع فراسخ و قصد الرجوع في نفس اليوم .
شروط القصر في الصلاة كالآتي:

- ١ - قصد المسافة أي ثمانية فراسخ، و هو ما يعادل ٤٤ كيلومترا تقريبا.
- ٢ - ان يكون قد قصد السفر من اول السفر لافي الاثناء .
- ٣ - ان يستمر القصد الى الوصول ولا يعدل في الاثناء عن السفر .
- ٤ - ان لا ينوي اقامة عشرة ايام قبل الوصول .
- ٥ - ان لا يكون مَمَّن بيته معه كأهل البوادي الذين لا مسكن معين لهم .
- ٦ - ان لا يكون مَمَّن اتخذ السفر عملا و شغلا كالسواق والملاحين .
- ٧ - ان لا يكون السفر حراما .
- ٨ - الوصول الى (حد الترخص) وهو المكان الذي يتوارى فيه عن الانسان المسافر اذان البلد أو جدران البيوت.

مسائل :

- ١ - لو شك في ان مقصده هل هو مسافة شرعية توجب القصر أو لا؟ فانه يصلي تماما حتى يتبين له الحال .
- ٢ - في السفر الحرام يجب الإتمام ولا يجوز القصر، والسفر الحرام هو السفر الذي نهى عنه الاسلام، وهو في موارد، كما اذا نهى الوالد عن السفر مع كونه عقوقا، وكما اذا قصد شيئا محرما كأعانة الظالم في ظلمه، وكما اذا سافرت الزوجة نشوزا بدون اذن الزوج، و كما اذا سافر للصيد عبثا من دون حاجة أو سافر للهو .
- ٣ - اذا لم يكن شغله وعمله السفر لكن عرض له عارض فسافر اسفارا عديدة و جب القصر، وكذا اذا اراد ان ينتقل من مكان الى مكان فاحتاج الى اسفار عديدة في حمل اثائه .

١٠٢ شرح الأربعين النبوية

٤- اذا قصد المسافر (الاقامة) أي البقاء عشرة ايام أو اكثر في مكان خاص فانه يجب عليه التمام .

٥- اذا قصد البقاء في مكان عشرة ايام ثم عدل عن قصده ، فإن كان قد صلى قبل العدول صلاة رباعية كالظهر والعصر أو العشاء فانه يصلي تماماً مادام في ذلك المكان .

٦- اذا قصد عشرة ايام في مكان وانتهت العشرة، فانه يصلي مابعدهما تماماً، ولا يحتاج الى قصد عشرة اخرى ، بل كل ما يبقى زائداً على العشرة يصلي فيها تماماً .

٧- اذا بقي المسافر في مكان خاص ثلاثين يوم متردداً، لا يدري انه يبقى عشرة ايام أم لا؟ فانه يجب عليه بعد الثلاثين التمام حتى يغادر ذلك المكان .

٨- اذا دخل وقت الصلاة وهو في وطنه ثم سافر، فانه يجب ان يصلي قصراً مادام في السفر، واذا دخل الوقت عليه وهو في السفر ثم وصل الى وطنه قبل ان يصلي وجب عليه التمام ، واذا كان قد صلى في السفر قصراً ثم وصل الى الوطن كفاه ذلك ولم يجب عليه اعادة الصلاة تماماً .

٩- اذا صلى المسافر في السفر تماماً، فإن كان عالماً بحكم الصلاة في السفر بطلت الصلاة ، وان كان جاهلاً بأصل الحكم ولم يعلم ان المسافر يجب عليه القصر صحت صلاته ولا اعادة ولا قضاء عليه.

١٠- يتخير الانسان في الصلاة بين القصر والتمام وان كان التمام افضل، على المشهور، في اربع مواضع، هي : ١- المسجد الحرام في مكة المكرمة .

٢- مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة .

٣- الحائر الحسيني في كربلاء المقدسة .

٤- مسجد الكوفة .

ولا يجوز للمسافر الصوم في هذه الاماكن الاربعة الا إذا أقام فيها عشرة ايام فصاعداً.

صلاة القضاء :

يجب اداء الصلاة في وقتها ، فاذا تأخر الانسان بسبب بعض الظروف القاهرة فانه يجب عليه ان ياتي بالصلاة في وقت آخر وينوي بذلك القضاء، ويجب قضاء الصلاة بمثل ما فاتت في الحضر أو السفر، فيقضيهما كما فاتت ، ولا يجب قضاء ما فات من صلاة الصبي في صباه وليس على المرأة قضاء الصلاة التي فاتتها في حال الحيض والنفاس .
واذا بلغ الصبي أو طهرت المرأة الحائض أو النفاس قبل خروج الوقت وجب عليهما القضاء .

واذا علم ان عليه صلاة قد فاتت ، ولم يعلم انها ظهر أو عصر أو عشاء ، فانه يكفي ان يصلي اربع ركعات بقصد ما في الذمة ، ويتخير بين الجهر والخفت .
ولا يجب القضاء فوراً، بل يجوز التأخير اذا لم ينجر الى التسامح في اداء التكليف .
ويستحب تمرين المميز من الاطفال على قضاء ما فات منه من صلاة ، كما يستحب تمرينه على ادائها، بل على كل عبادة. القضاء عن الابوين :
يجب على الولد الاكبر قضاء ما فات اياه من صلاة و صوم اذا لم يأتي بهما بسبب عذر من دون عصيان، مع القدرة على اتيانها. واما ما فات الام أو ما تركه الاب عصياناً، ففيه خلاف بين الفقهاء ، ولا يجب القضاء في صورة الشك بان عليهما قضاء ، كما يجوز الاستتابة عنهما في القضاء.

بقية الصلوات الواجبة، الصلوات الواجبة بالذات ستة :

- ١ - الصلاة اليومية، وقد تقدمت .
- ٢ - صلاة العيد، ويأتي في مبحث الصوم .
- ٣ - صلاة الطواف : ويأتي في مبحث الحج .
- ٤ - صلاة الجمعة : ويختص بنهار الجمعة .
- ٥ - صلاة الايات للخسوف والكسوف او الزلزلة .
- ٦ - صلاة الميت، وما عدا هذه الصلوات فمستحبة .

صلاة الجمعة:

وهي واجبة بشروطها، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

واختلف الفقهاء في شروط وجوبها، فالحنفية اشترطوا اذن السلطان أو نائبه الذي ولاه (٢).

وقال ابن رشد: «وذهب قوم الى انها من فروض الكفايات وعن مالك رواية شاذة: انها سنة، والسبب في هذا الاختلاف تشبيهها بصلاة العيد لقوله ﷺ: «ان هذا اليوم جعله الله عيداً» (٣) وقال ايضاً: «واشترط ابو حنيفة: المصر والسلطان» (٤).

وكذلك يقول جمهور الشيعة ويزيدون: وجوب عدالة الامام لأن الفاسق لا يصلح ان يكون اماماً. وقالت المذاهب الاسلامية الاخرى بعدم اعتبار اذن السلطان وعدم اعتبار العدالة في الامام، وفي عصرنا هذا حيث لا يوجد اليوم سلطان واحد وامام ظاهر ورئيس مطاع يحكم في المسلمين جميعاً، فلا تجب الجمعة عنده الحنفية واكثر الشيعة، ومن فقهاء الشيعة من قال بالوجوب، وهذا ناشىء من انفتاح باب الاجتهاد عند الشيعة الامامية.

وكيفية صلاة الجمعة: ركعتان كصلاة الصبح ويجهر فيها، ويستحب ان يقرأ في الركعة الاولى سورة الجمعة وفي الثانية سورة المنافقين، ويشترط على الامام خاصة خطبتان قبل الصلاة، ويجب في كل خطبة: حمد الله والصلاة على النبي واله ﷺ، والوعظ والوصية بتقوى الله والحث على الطاعة، ويشترط في صلاة الجمعة امور:

١- بالاضافة الى وجود السلطان العادل أو من ينوب عنه عند المشهور.

٢- الجماعة فلا تنعقد بدونها.

(١) الجمعة: ٩. (٢) الفقه عن المذاهب الأربعة ١: ٣٧٦.

(٣) بدايه المجتهد ١: ١٥٩.

(٤) انظر: بداية المجتهد ١: ١٥٩، ١٦٢ ط / ١٣٨٩ - القاهرة.

٣- ان لا يقل العدد من خمسة رجال احدهم الامام .

٤- ان يكون اقل ما يفصل بين جمعة واخرى فرسخان، والفرسخ يساوي خمسة كيلو مترات ونصف تقريبا .

٥- وقتها من اول زوال الشمس الى ان يصير ظل كل شيء مثله .

فلو تخلفت احدى هذه الشروط فلا تصح الجمعة، بل يصلى الظهر .

صلاة الايات :

تجب هذه الصلاة عند حصول الاسباب التالية :

١- كسوف الشمس .

٢- خسوف الشمس .

٣- الزلزلة .

٤- الرعد والبرق أو الرياح السوداء وما شابه، اذا وجد خوف معظم الناس منها ، ويجب القضاء اذا كان الكسوف تاماً أو الخسوف كذلك تاما، ولا قضاء في صورة واحدة فقط وهي اذا لم يعلم بهما في وقته ولم يكن الخسوف والكسوف تامين .

كيفية صلاة الآيات :

ركعتان ، في كل ركعة خمسة ركوعات ، ويكفي ان يصلى بالترتيب الاتي :

ان تقول : «الله اكبر» وانت مستقبل القبلة وتقرأ الحمد وسورة تامة (التوحيد) مثلا ،

ثم (تركع وتقرأ الحمد وسورة تامة ، وهكذا الى خمسة ركوعات ، وبعد الركوع الخامس تكبر وتهوي الى السجود ، وتسجد سجدين .

ثم تقوم وتفعل كما فعلت في الاولى فتقرأ الحمد والسورة وتركع وهكذا الى خمسة ركوعات ، وبعد الركوع الخامس تقف وتقنت وتهوي الى الارض وتسجد سجدين وتشهد وتسلم .

ويجوز ان تقرأها بالصورة التالية:

١٠٦ شرح الأربعين النبوية

ان تقرأ في الركعة الاولى سورة الفاتحة مرة واحدة ثم اية واحدة من سورة التوحيد ، وتركع ثم تقوم ولا تقرأ الفاتحة، بل تكتفي بقراءة اية اخرى من سورة التوحيد وتركع ، وهكذا الى تمام خمسة ركوعات، وهكذا في الركعة الثانية ، وتعتبر البسملة اية واحدة

صلاة الميت:

تجب الصلاة على الميت المسلم، بعد غسله وكفنه، اذا كملت له ست سنين ، وتستحب على من لم يبلغها اذا ولد حيا ، واما السقط فلا يصلى عليه وان ولجته الروح ، وهذه الصلاة نوع دعاء للميت لاتجب فيها الطهارة وانما الواجب فيها النية واستقبال المصلي للقبلة وجعل رأس الميت على يمين المصلي وان لا يبعد المصلي كثيرا عن الجنابة.

كيفيتها: الواجب فيها خمس تكبيرات ، يجزي فيها ما يأتي:

بعد التكبيرة الاولى: تتشهد بالشهادتين و بعد التكبيرة التالي: تصلي على الانبياء وعلى محمد وال محمد ﷺ ، وبعد التكبيرة الثالثة : تدعو للمؤمنين والمؤمنات ، وبعد التكبيرة الرابعة : تدعوا للميت ، وبعد التكبيرة الخامسة تتمم الصلاة وتنصرف .
والا فضل ان تدعو بعد التكبيرات بالمأثور وتقول بعد التكبيرة الاولى : « اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له . واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة ».

وبعد التكبيرة الثانية : « اللهم صل على محمد وال محمد ، وارحم محمدا وال محمد كأفضل ماصليت و باركت وترحمت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد، وصل على جميع الانبياء والمرسلين والشهداء والصديقين وجميع عباد الله الصالحين » .
وبعد التكبيرة الثالثة : « اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والأموات ، تابع اللهم بيننا وبينهم بالخيرات ، انك مجيب الدعوات ، انك على كل شيء قدير ».

وبعد التكبيرة الرابعة: «اللهم ان هذا المسجى قدأمننا عبدك وابن عبدك ، وابن امتك ، نزل بك ، وانت خير منزل به ، اللهم انا لانعلم منه الا خيرا، وانت اعلم به منا ، اللهم ان كان محسنا فزد في احسانه، وان كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته. واغفر له ، اللهم اجعله عندك في اعلى عليين و اخلف على اهله في الغابرين، وارحمهم و ايانا برحمتك يا ارحم الراحمين».

ثم تاتي بالتكبيرة الخامسة وبها تتم الصلاة ، واذا كان الميت ميت انثى لابد من تأنيث الضمائر الواردة في الدعاء.

مسائل فقهية

١- الجمع بين الصلاتين :

اداء الصلوات الخمس في اوائل وقتها افضل ويجوز الجمع بين الظهر والعصر ، وكذلك بين المغرب والعشاء، ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، عن ابن عباس: «ان النبي ﷺ صلى بالمدينة سبعة وثمانية: الظهر والعصر والمغرب والعشاء»^(١).

وفي صحيح مسلم باب الجمع بين الصلاتين في الحضر ما نصه: «عن ابن عباس قال صلى رسول الله ﷺ : الظهر و العصر جميعاً بالمدينة من غير خوف ولا سفر. قال ابو الزبير فاسالت سعيد بن جبير : لما فعل ذلك ؟ . فقال ابن عباس: اراد ان لا يخرج احدا من أُمته»^(٢).

يقول النووي عن هذين الكتابين هما اصح الكتب بعد القران، والبخاري أصحهما^(٣).

(١) راجع: البخاري ١ : ١٣٦ ، ط / دار الشعب، القاهرة .

(٢) راجع: مسلم : ٥١ ، ط / صحيح، القاهرة .

(٣) تدريب الراوي ١ : ٩١ .

١٠٨ شرح الأربعين النبوية

ان أي كتاب مهما ادعى مؤلفه الصحة والكمال فانه لا يستلزم ان يكون كذلك ، اذ قد يخطأ المؤلف في نظريته، أو على الاقل، قد يخطأ الراوي الذي ينقل الحديث في النقل أو الفهم ، فلا بد من تمحيص الاحاديث ومعرفة الصحيح من غيرها ، وانما نلتزم بما رواه اهل البيت النبوي ﷺ لانهم ادرى بما في البيت، ومن العجيب ان يقال عن الكتابين انهما اصح كتاب بعد كتاب الله ثم تهمل الأحاديث الواردة فيها التي توافق مذهب اهل البيت ﷺ .

٢- السجود على التربة:

يجب السجود على الأرض الطاهرة أو ما ينبت منها من غير المأكول ولا الملبوس ؛ لقول النبي ﷺ: « جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا »^(١) أي للسجود والتميم ، رواه البخاري^(٢).

وفي عصرنا هذا حيث لا يتيسر التراب في الدور والمساجد لانها مفروشة بالسجاد، يلزم ان يأخذ المصلي قطعة من الحجر الطاهر لغرض السجود عليها، والأفضل ان تكون من مكان مقدس فيه ذكرى وعبرة للمؤمنين كالتربة الحسينية لما فيها من ذكرى مكافحة الظلم والطغيان، ولهذا السبب تقدر كما تقدر ماء زمزم لما ترمز اليه من ذكريات ابي الانبياء ابراهيم ﷺ وزوجته هاجر وابنه اسماعيل (ع)

٣- الوضوء :

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾^(٣).

(١) الوسائل ٣: ٣٥٠، ح ٣٨٣٩.

(٢) البخاري، المجلد الاول، صفحة ١٩، ط / دار الشعب في القاهرة .

(٣) المائدة: ٦.

وتفسير الآية على مذهب أهل البيت عليهم السلام : أن المراد منها تحديد محل الغسل والمسح، فإذا قلت اغسل يدك قبل الأكل إلى أسفل الكف، ليس المراد: أن تبدأ برؤوس الأصابع، بل المراد نظافة مجموع الكف كيفما اتفقت، وكلمة (اليد) تطلق في اللغة على مجموع الكف شائعاً كما في قوله تعالى: ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

فإذا أريد غير الكف فلا بد من قرينة تعيّن المراد، وتعتبر كلمة (الى) للدلالة على الحد الذي يجب أن يغسل كما تقول: «اغسل الدار إلى الباب»، فإن المراد تحديد محل الغسل وأنه لا فرق بين أن تبتدىء بالباب وتنتهي بالجدار أو بالعكس وكذلك الآية الكريمة، لكن فسرتها روايات أهل البيت عليهم السلام بالابتداء بالمرافق والانتهاء بالأصابع^(٢). وإيضاً: فإن قواعد اللغة العربية تنص على رعاية الأقرب في العطف، ولا شك أن (رؤوسكم) أقرب معطوف عليه لكلمة (أرجلكم) لأنها تقع بعدها مباشرة، قال الفخر الرازي: «قرأ ابن كثير وحزمة وأبو عمر وعاصم في رواية أبي بكر عنه بالجذر، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب، فنقول: أما القراءة بالجذر فهي تقتضي كون (الأرجل) معطوفة على (الرؤوس) فكما وجب المسح في الرؤوس وكذلك (الأرجل)»^(٣).

وقال الشيخ الطوسي: «ومن نصبهما ذهب إلى أنه معطوف على موضع الرؤوس لأن موضعها نصب؛ لوقوع المسح عليها، وإنما جر الرؤوس لدخول الباء الموجبة للتبعيض على ما بيناه، فالقرأتان جميعاً تفيدان المسح»^(٤).

وقال الرازي: «اختلف الناس في مسح الرجلين وغسلهما، فنقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر: أن

(١) المائدة: ٣٨.

(٢) راجع: وسائل الشيعة ١: ١٢٧١، ط / بيروت، سنة ١٣٩١.

(٣) التفسير الكبير ١١: ١١١. (٤) راجع: التبيان في تفسير القرآن ٣: ٤٥٢.

الواجب فيهما المسح، وهو مذهب الامامية من الشيعة»^(١).

٤ - التيمم :

امر القرآن الكريم في التيمم بمسح كل من الوجه واليدين على الصعيد الطيب بقوله تعالى: ﴿وَأَن كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(٢) وتفسير الآية على مذهب اهل البيت عليهم السلام ان المراد من الوجه بعضه لاكله، لان الباء في قوله تعالى (بوجوهكم) ليست زائدة، فإن قوله تعالى: (فامسحوا) يتعدى بنفسه والاصل عدم الزيادة، فلا بد من ذكرها من معنى، ومن معاني الباء التبويض كما تنص عليه اللغة العربية، فيكون المعنى يجب المسح ببعض الوجه، وقد حددته روايات اهل البيت من منبت الشعر الى الطرف الاعلى للأنف. والمراد من اليد خصوص الكف، كما هو المتفاهم من ظاهر الاستعمال، كقولك: «اخذت بيدي واعطيت بيدي، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٣) فإن المراد خصوص الكف، لا مجموع ما بين الأصابع والكف، ولا بد من حمل القرآن على الظاهر المتفاهم في اللغة العربية، حيث لا يدل دليل على الخلاف، فيكون المعنى: امسحوا الكفين فقط، والمراد من الصعيد: وجه الأرض، كما في قوله ٦: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»^(٤) لذلك لا يجوز التيمم بالمعادن والنبات، اذ لا يصدق عليها انها ارض، بل هي تكون في الارض أو عليها كالذهب والمرمر، والمراد بلمس النساء كناية عن العلاقة الجنسية (الوطء)، فلا يجب التيمم بمجرد اللمس، والمراد من الطيب: الطاهر غير النجس، كل ذلك منصوص عليه في مذهب اهل البيت .:

(١) التفسير الكبير ١١: ١١١. (٢) النساء: ٤٣.

(٣) المائدة: ٣٨.

(٤) راجع: وسائل الشيعة ٣: ٣٥٠، البخاري ١: ١١٢، ط / دار الشعب - القاهرة.

٥ - الأذان والأقامة:

الأذان في الشريعة الإسلامية هو الاعلام بوقت الصلاة بألفاظ خاصة تتضمن أصول العقيدة الإسلامية، وأكدت الروايات على هذه السنة الإسلامية، قال الرسول الأعظم ﷺ: «للمؤذن فيما بين الأذان والأقامة مثل اجر الشهيد المتشحط بدمه في سبيل الله»^(١).

وقال ﷺ: «يغفر للمؤذن مد صوته وبصره، ويصدق كل رطب ويابس، وله من كل من يصلي بأذانه حسنة»^(٢). وليس هذا التأكيد في كلام الرسول الأعظم ﷺ إلا باعتبار ان مدلول الأذان هو الهدف الذي يسعى اليه المجاهد في سبيل الله، وروي في تاريخ تشريع الأذان روايتان:

الرواية الأولى: ان تشريعها كان في السنة الأولى للهجرة في المدينة المنورة، حيث ان عبدالله بن عبد ربه رأى في المنام رجلاً بيده الناقوس، فاراد ان يشتريه منه للاعلام بالصلاة، فقال له الرجل في المنام: افلا ادلك على ما هو خير من ذلك، فعلمه الأذان، فلما افاق اتى الرسول ﷺ فاقر بالرؤيا، وشرع ما أمر به ذلك الرجل المجهول في المنام^(٣). وهذه الرواية تقتضي ان الرسول ﷺ صلى قبل ذلك بدون اذان أو إقامة.

الرواية الثانية: ان الاذان والاقامة امران شرعيان لا يكونان بالرؤيا والمنام، وان رسول الله ﷺ تلقى الوحي بهما في المعراج في مكة المكرمة، وبذلك تنص روايات اهل البيت عليهم السلام^(٤).

وقال الشيخ الطوسي: «الاذان مأخوذ من الوحي النازل على النبي ﷺ دون الرؤيا في المنام»^(٥). وقد روى تشريع الاذان بتفصيل في تفسير العياشي^(٦).

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٨٣، ح ٨٦٩ (٢) الوسائل ٥: ٣٨٠، ح ٦٨٤٨.

(٣) راجع: المغني لشمس الدين بن قدامة، ط / المنار ١٣٤٧ - المجلد الاول.

(٤) راجع: وسائل الشيعة ٤: ٦٧٩. (٥) المسبوط ١: ٥٩.

(٦) تفسير العياشي ١: ١٥٧.

٦- التثويب:

اتفقت المذاهب الاربعه على استحباب التثويب، وهو ان يزداد في الاذان جملة: (الصلاة خير من النوم) بعد (حي على الفلاح). قال شمس الدين ابن قدامة الحنبلي، المتوفى سنة ٦٨٢ هـ. ما نصه: «مسألة: ويقول في اذان الصبح: الصلاة خير من النوم مرتين، وهذا مستحب في صلاة الصبح خاصة بعد قوله: حي على الفلاح، ويسمى هذا التثويب، وبه قال ابن عمر ومالك والثوري واسحاق والشافعي في الصحيح عنه. قال اسحاق: هذا أحدثه الناس. وقال الترمذي وهو التثويب الذي كرهه اهل العلم»^(١). وقال الامام الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٥ ما نصه: «وذهدت العترة والشافعي في احد قوليه الى ان التثويب بدعة، وعن علي عليه السلام حين سمعه: لا تزيدوا في الاذان ما ليس منه»^(٢).

٧- الاذان: ب- «حي على خير العمل»:

قال الامام الشوكاني ما نصه: «قال في الاحكام: وصح لنا ان (حي على خير العمل) كانت على عهد رسول الله ﷺ يؤذن بها ولم تطرح الا في زمان عمر، وهكذا قال حسن بن يحيى وعنه جامع ال محمد، وبما اخرج البيهقي في سننه الكبرى باسناد صحيح عن عبد الله بن عمر انه كان يؤذن بـ(حي على خير العمل) احيانا، وروى فيها عن علي بن الحسين عليه السلام انه قال: هو الاذان الاول»^(٣).

وروى ابن ماجه القزويني في كتابه السنن ما نصه: «قال رسول الله ﷺ: استقيموا، ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن»^(٤).

(١) راجع: شرح المغنى لابن قدامة، طبعة المنار سنة ١٣٤٧ هـ.

(٢) راجع: نيل الاوطار ٢: ١٨، طبعة بيروت ١٩٧٣ م.

(٣) راجع: نيل الاوطار ٢: ١٩، طبعة بيروت ١٩٧٣ م.

(٤) راجع: سنن ابن ماجه ١: ١٠١، طبعة عيسى بابي الحلبي - القاهرة ١٣٧٢ هـ.

وروى زيد بن علي عن ابيه علي بن الحسين انه كان يقول في اذانه : «حي على خير العمل»^(١).

الشهادة الثالثة : وهي قول: (أشهد ان عليا امير المؤمنين).

و حكمها حكم ما يتلى قبل الاذان أو بعده، كقولك: «اللهم صل على محمد وال محمد» بعد اسم النبي ﷺ، وتلتزم به الشيعة في الأذان وغيره، لما روي عن الامام الصادق عليه السلام: «اذا قال احدكم لا اله الا الله محمد رسول الله فليقل: علي أمير المؤمنين»^(٢).

وهذا الحديث يشمل جميع الموارد ومنها الاذان والاقامة، وقد اتفقت كلمة فقهاء الشيعة على ان هذه الزيادة ليست جزءا من الأذان وإنما هي ذكر مستحب، قال السيد في العروة: «واما الشهادة لعلي بالولاية وإمرة المؤمنين فليست جزءا منها»^(٣).

وقال السيد الحكيم في المستمسك: «بل ذلك في هذه الأعصار معدودة من شعائر الايمان ورمز الى التشيع، فيكون من هذه الجهة راجحا شرعا، بل قد يكون واجبا لكن لا بعنوان الجزئية من الاذان»^(٤).

ونظرة الشيعة الى هذه الشهادة كنظرة اهل السنة الى التثويب (الصلاة خير من النوم) فاتفق السنة والشيعة على ان الجملتين ليستا من الاذان، بل يؤتى بهما استحبابا، باكلاً على مذهبه، ويجوز وصف الامام بالاوصاف التي وردت في السنة المطهرة كالولاية وأمرة المؤمنين والحجة، فقد قال رسول الله ﷺ: «هو ولي كل مؤمن من بعدي»^(٥).

ووصفه ﷺ بقوله: «امير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين و حجة

(١) راجع: مسند الامام زيد : ٩٣ طبعة بيروت .

(٢) الاحتجاج ١ : ٢٣١ . (٣) العروة الوثقى ١ : ٦٠٣ .

(٤) راجع: مستمسك العروة الوثقى ٥ : ٥٤٥ .

(٥) كما في صحيح الترمذي وغيره ٢ : ٢٩٧ طبعة بولاق سنة هـ ١٢٩٠ . ومسند احمد بن حنبل

٤ : ٣٧ طبعة اليمينية سنة ١٣١٣ هـ ، ومسند الطيالسي ٣ : ١١١ طبعة حيدر اباد ١٣٢١ هـ

١١٤ شرح الأربعين النبوية

على امتي يوم القيامة» كما في تاريخ الخطيب ٨٨:٢ طبعة / القاهرة، سنة ١٣٤٩ هـ.
والخلاصة ان روايات الفريقين السنة والشيعة تشهد بان علي امير المؤمنين وانه حجة
الله وانه ولي الله، والشهادة الثالثة زيادة مستحبة عند الشيعة كما ان جملة (الصلاة خير
من النوم) زيادة مستحبة عند السنة.

٩- الصلوات البتراء:

تجب الصلوات على محمد وال محمد في الصلاة وفي التشهد، والى ذلك اشار
الشافعي (لمتوفى سنة ١٠٤ هـ) بقوله:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القران انزله
كفاكم من عظيم الفخر انكم من لم يصل عليكم لاصلاة له^(١)

وذكر ابن حجر في الصواعق قوله ﷺ: «لا تصلوا علي الصلاة البتراء . فقالوا : وما
الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون : اللهم صل على محمد ، وتمسكون ، بل قولوا : اللهم صل على
محمد وال محمد »^(٢).

وفي الختام نسأل سبحانه ان يوفقنا جميعا لاداء هذه الفريضة الاسلامية التي هي
عمود الدين ورمز وحدة المسلمين.

(١) راجع: ديوان الشافعي : ٧٢ طبعة بيروت .

(٢) راجع: الصواعق المحرقة : ١٤٦ ، طبعة مصر سنة ١٣٧٥ هـ .

الزكاة

الزكاة في اللغة العربية بمعنى النمو والزيادة . قال ابن منظور في لسان العرب : اصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح، وكله قد استعمل في القرآن والحديث^(١)، والمراد بها في الاصطلاح الفقهي : الحصة من المال الذي فرضها الله تعالى في اموال الاغنياء . وقد يعبر عن الزكاة بالصدقة، لقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾^(٢) .
وكقوله تعالى : ﴿ قد افلح من تزكى ﴾^(٣) .

وقد قرنت الزكاة والصلاة في القرآن الكريم في آيات كثيرة ، وذكر في ثمانية وعشرين موردا الكلمتين معاً ، وهكذا النبي العظيم ﷺ في حديث الاربعين اتبع حكم الصلاة وهي العبادة الروحية بالزكاة ؛ لما لهما من تأثير مباشر في استقامة الدين ، ولا يتحقق التدين الواقعي بدونهما ، قال الامام الباقر عليه السلام : « ان الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة ، قال تعالى : ﴿ فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة ﴾ فمن اقام الصلاة ولم يوت الزكاة لم يقم الصلاة »^(٤) .
وهكذا جرت سيرة الفقهاء على اعتبارها العبادة الثانية في الاسلام بعد الصلاة ؛ لما لها من تأثير مباشر في حياة الفرد والمجتمع ، وقد فرضت في السنة الثانية للهجرة بعد تشريع الصيام كما يقتضيه الاعتبار . وقال ابن الاثير : ان فرض الزكاة كان في السنة الثانية من الهجرة^(٥) .

(٢) التوبة: ١٠٣ .

(١) لسان العرب ١٤ : ٣٥٨ .

(٤) الكافي ٣ : ٥٠٦ ، ح ٢٣ .

(٣) الاعلى : ١٤ .

(٥) البدايه و النهايه ٣ : ٤١٩ .

حكمة الزكاة:

هناك مشاكل اجتماعية خطيرة تهدد الكيان الاجتماعي لكل أمة: من الجهل والمرض والتخلف والشقاء، والمصدر لذلك كله هو الفقر والحرمان المرجب للحق على الأغنياء، وقد وقف الإسلام تجاه هذه المشكلة موقف المصلح العادل، فسعى سعياً جاداً في إيجاد التوازن في المجتمع وجعل في الفائض من مال الأغنياء حقاً في إسعاد الفقراء، ولم يقصد فقر الأغنياء لئلا يتساوى الجميع في الفقر، بل قصد اغناء الفقراء كي يتوازن المجتمع في السعادة، وشرع الزكاة والصدقات والكفارات سعياً في تخفيف كاهل الفقير واعداده عضواً عاملاً نشطاً في إسعاد الآخرين، واعتبر الزكاة من أركان الدين التي بني عليها الإسلام، وحكم بكفر منكرها لذلك، وأولى عناية فائقة في حل هذه المشكلة مندداً بالجاهلية ومن يسير بسيرتهم تعالى: ﴿وَلَا تَحَاضُوا عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾^(١)، وذلك بالترغيب إلى رعاية الفقراء. وعن النبي ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(٢). وقال الصادق عليه السلام: «من منع قيراطاً من الزكاة مات أن شاء يهودياً أو نصرانياً»^(٣).

وذلك أن من يمنع الزكاة فإنما يمسك حق الفقراء ويتجاوز على حقوقهم، والمتجاوز على حقوقهم متجاوز على الإسلام.

وقال الصادق عليه السلام: «انما وضعه الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء، ولو ان الناس ادوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم محتاجاً»^(٤).

وهذا ما يؤكد القرآن الكريم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلْمَسْكِينِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٥).

والمحروم هو الذي ليس له مال ولا كسب، وإذا أُبتدأ بالسؤال سمي سائلاً، وفي هذا التأكيد تنبيه على أن الغني يملك كل ما يحصل عليه فإن فيه حق غيره من المؤمنين أيضاً

(١) الفجر: ١٧. (٢) التحفة السنية: ٥٨.

(٣) روضة الواعظين: ٣٥٦. (٤) من لا يحضره الفقيه ٢: ٧، ح ١٥٧٩.

(٥) المعارج: ٢٥.

يجب ان يؤخذ من ماله، و حينما يعطى هذا الغني الزكاة يجب ان يعلم ان هذا ليس له وانما يعطي الفقراء حقوقهم بلا من ولا فضل .

والاعتقاد بان الزكاة خسارة مادية اعتقاد خاطيء وذلك ان بذل المال اذا ترتب عليه النفع لا يعد خسارة ، وما اكثر ما يبذله الاغنياء لحفظ رؤوس اموالهم من نفقات الحراس والتأمين والرسوم والمكوس ، والاسلام يؤكد بان^(١).

دفع الزكاة يعتبر حراسة لرأس المال بالاضافة الى انه عبادة، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢).

فالزكاة انما هي عملية تطهير النفس بالاضافة الى ان هذه لنسبة القليلة انما تؤمن ثروة الفقراء وتزيل حقدهم، فهي بالنتيجة ضمان لاموالهم ، فالزكاة تحقق هدفين، اولاً: تهذيب النفس اذ هو احسان وامتحان ، وثانياً: دفع الخطر وقلع الطمع من الفقراء ، وبالنتيجة الحياة السعيدة الاجتماعية لكل من الفقراء والاغنياء معا . وهذا ما يشير اليه الامام الكاظم عليه السلام بقوله : « حصنوا اموالكم بالزكاة »^(٣) وكذا الامام الرضا عليه السلام بقوله : « وعلة الزكاة من اجل قوت الفقراء وتحصين اموال الاغنياء ، لان الله تبارك وتعالى فرض على اهل الصحة القيام بشأن اهل الزمانة والبلوى كما قال عز وجل : ﴿ لنبلونكم في اموالكم وانفسكم ﴾^(٤) مع ما فيه من الرافة والرحمة لاهل الضعف والعطف على اهل المسكنة والحث لهم على المواساة، وتقوية؟ والمعونة على امر الدين »^(٥).

ولعل الى ذلك يشير قوله تعالى تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٦).

(٢) التوبة: ١٠٣ .

(١) التحفة السنية : ٥٨ .

(٤) آل عمران: ١٨٦ .

(٣) الكافي ٤ : ٦١ ، ح ٥ .

(٦) الاعراف : ١٥٦ .

(٥) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١ : ٩٦ .

مصارف الزكاة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١).

تحدد الشريعة الاسلامية مصارف الزكاة في الاصناف الثمانية وهم:

١ و٢- الفقراء والمساكين ، وهما يشتركان في الحاجة المادية لتأمين الحياة ، والفرق بينهما ان الفقير هو من لا يملك قوت سنة ، واما المسكين فهو من لا يملك قوت يومه .

٣- العاملون على الزكاة، وهم الجباة ، فإن لعملهم حرمة تقدر بالثمن ، وينفق لهم من مال الزكاة ما يعادل عملهم .

٤- المؤلفة قلوبهم ، وهم الذين أثرت بهم المضيقه الاقتصادية وخيف منهم على الاسلام ، سواء في ذلك الكفار الذين تضعض كيانهم الاقتصادي أو المسلمين المستضعفين .

٥- وفي الرقاب ، وهم العبيد الذين لا يملكون من المال ما يحررون به انفسهم. وبهذه الطريقة المثلى في الاصلاح حارب الاسلام نظام الرق وسعى الى تقليل الموارد، في حين كان نظام الرق هو النظام السائد في جميع الطبقات انذاك ولم يكن لاية قوة المقاومة السلبية لذلك النظام السائد .

٦- الغارمون ، وهم المدينون الذين لا يتمكنون من اداء ديونهم ، وبذلك ينفك عن المديون مما عليه من الدين .

٧- في سبيل الله ، وهي كافة المشاريع الخيرية من بناء المساجد والمستشفيات والمكتبات والمدارس التي تخطو بالامه نحو التقدم .

٨- ابن السبيل ، وهو كل غريب انتقطع عن بلده فيبذل له ما يرجعه الى بلده بما يليق بمكانته الاجتماعية .

ما تجب فيه الزكاة:

أوجب الإسلام الزكاة في منابع الثروة التي تولد تضخم في أموال الأغنياء ، وهي :
الزرع والحيون والنقد والتجارة ، وفي عصرنا هذا تكاد تغلب التجارة على منابع الثروة
الأخرى ، واليك بيان بذلك :

أولاً: الثروة الزراعية:

وهي الغلات الأربع : الحنطة والشعير والتمر والزبيب.

وتجب الزكاة فيها على مالكة خاصة مهما بقيت مع ملاحظة ما يأتي :

١- بعد اخراج المؤن من البذر وغيره .

٢- ان ينمو في ملكه ، فلو انتقل اليه بالبيع ونحوه لا تجب عليه الزكاة .

٣- ان تبلغ بعد يبسها ٨٤٧/٢٠٧ كغم ، والواجب خمسة في المائة (٥ ٪ = نصف

العشر) اذا كان السقي بالآلات كالمكائن والدواليب ، وعشرة في المائة (١٠ ٪ = العشر)

اذا كان السقي بغيرها كالمطر ، ولو اختلف السقي وكان تارة بالآلات واخرى بدونها كان

الاعتبار بالأغلب ، ولو تساوى فبالنسبة ، فيخرج مثلاً نصف العشر عن نصفه ، والعشر عن

نصفه الآخر ، والمجموع ثلاث ارباع العشر (٧/٥ ٪) سبعة ونصف بالمائة .

تنبيه : جاء تحديد النصاب في الفقه بخمسة أوسق ، وبما ان المد يعتبر اساس المكيال

، وكل اربعة امداد يساوي صاعاً واحداً ، وكل ستون صاعاً يساوي وسقاً واحداً ، فخمسة

أوسق تساوي ثلاثمائة صاعاً ، وقدر المد الواحد هو ملء كفين ممدودين للإنسان

المعتدل الكف ، وطبيعي ان المد بما انه مكيال يختلف وزنه باختلاف المكيال ثقلاً

وخفة لذلك جرت العادة على التحديد بالوزن لانه ادق واضبط ، واتفقت كلمة الفقهاء بان

ثلاثة ارباع الكيلو غرام تفي بالمد ، فيكون رعايتها اولى بمصلحة الفقراء والمستحقين ،

وعليه يكون اعلا فروض النصاب ٩٠٠ هم ، وعلى اقل الفروض ٨٤٧/٢٠٧ كغم .

١٢٠ شرح الأربعين النبوية

ثانيا : الثروة الحيوانية :

تجب الزكاة في الانعام الثلاثة، وهي: الابل والغنم والبقر.

وتجب الزكاة فيها بالشروط الآتية :

١ - السوم، بأن تكون هذه الحيوانات ترعى بنفسها من ارض الله ، فاذا اعلفها مالکها فلا تجب الزكاة فيها .

٢ - الحول، بان تكون في ملك المالك سنة كاملة ، ويتحقق ذلك بدخول الشهر الثاني عشر من ابتداء تملكها .

٣ - ان لا تكون عوامل ، وهي التي خصصت للعمل ، ولا (فحل الضراب) المخصص لتكثير النسل ولا (الاؤكولة) المخصصة للاكل .

٤ - النصاب ، بان تبلغ عدد خاصا عينه الشرع ، فاذا لم تبلغ ذلك العدد فلا تجب الزكاة فيها ، وكذا لا تجب زكاة ما بين النصابين ، واليك بيان نصاب كل منها :

١ - البقر، ومقدار الزكاة فيها ثلاثون، وفيها تبيع أو تبيعة ، وهي التي دخلت في السنة

الثانية.

ثم أربعون، وفيها مستنة، وهي التي دخلت في السنة الثالثة.

٢ - الغنم، ومقدار الزكاة الواجبة فيها:

من ٤٠ الى ١٢٠، وفيها شاة واحدة.

ثم من ١٢١ الى ٢٠٠، وفيها شاتان.

ثم من ٢٠١ الى ٣٠٠، وفيها ثلاث شياه.

ثم من ٣٠١ الى ٤٠٠، وفيها اربع شياه.

٣ - الابل، ومقدار الزكاة الواجبة فيها:

من ٥ الى ٩، وفيها شاة واحدة.

ثم من ١٠ الى ١٤، وفيها شاتان.

ثم من ١٥ الى ١٩، وفيها ثلاث شياه.

ثم من ٢٠ الى ٢٤، وفيها أربع شياه.
 ثم ٢٥، وفيها خمس شياه.
 ثم من ٢٦ الى ٣٥، وفيها بنت مخاض، وهي التي دخلت في السنة الثانية.
 ثم من ٣٦ الى ٤٥، وفيها بنت لبون، وهي التي دخلت في الثالثة.
 ثم من ٤٦ الى ٦٠، وفيها حقة، وهي التي دخلت في الرابعة.
 ثم من ٦١ الى ٧٥، وفيها جذعة، وهي التي دخلت في الخامسة.
 ثم من ٧٦ الى ٩٠، وفيها بنتا لبون.
 ثم من ٩١ الى ١٢٠، وفيها حقتان.
 ثم من ١٢١ وما زاد ففي كل خمسين حقة واحدة، وفي كل اربعين بنت لبون،
 وهكذا...

ثالثا - الثروة النقدية:

ويراد بها الذهب والفضة وتجب الزكاة فيهما بنسبة ٢، ٥٪ مادامت مملوكة في كل عام مرة واحدة، وشروط الوجوب ثلاثة :

- ١ - اذا بقيت في ملك المالك سنة كاملة، وتجب بدخول الشهر الثاني عشر.
- ٢ - اذا كانت مسكوكتين بسكة المعاملة، وهي اليوم الليرة الايرانية والعثمانية والفرنسية (نابليون) والبيزوس المكسيكي والليرة الانكليزية (ملك) وعايراتها (٢٢) حبة $\frac{1000}{900}$
- ولا تجب الزكاة في نقود الورق المعمولة في عصرنا، لانها ليست مالا، بل هي سندات تضمن الدولة بموجبها ما يعادلها من النقد واذا لغتها الحكومة لا يكون لها أي قيمة، وليس في السندات والكمبيالات زكاة بالاتفاق، وهذا منها.
- ٣ - النصاب، جاء في تحديد النصاب بأن لكل عشرين دينار ذهب (نصف دينار)، وكلما زاد اربع دنائير ففيها (قيراطان).

وفي الفضة: ان كل مائتي درهم فيها خمسة دراهم ، وكلما ازداد اربعين درهما ففيها درهم ، ويعني ذلك ان الزكاة الواجبة في الذهب والفضة على حد سواء بنسبة اثنين ونصف بالمائة (٢,٥ ٪) وفي تحديد ذلك بما يعادله بالغرام اختلاف شديد ، ناشىء من اختلاف النظريات ، ولعل تحديد اهل الخبرة لاوزان الدنانير الموجودة اليوم يكون افضل الطرق ، ويستفاد مما جاء في دائرة المعارف الاسلامية^(١) وغيرها في الدرهم والدينار ما ياتي: «ان: $\frac{10}{7}$ من المثلث الشرعي يساوي الدينار ، وان الدينار يساوي $\frac{4}{25}$ غراما ، وعليه فيكون وزن الدرهم $\frac{7}{4} \times \frac{4}{25} = \frac{7}{25}$ غراماً ، ووزن الدينار $\frac{4}{25}$ غراما ، ويكون نصاب الفضة بالغرام $\frac{10}{975} \times 200 = 200$ غراما ، ونصاب الذهب بالغرام 20×4254 = ٨٥ غرام ، وتكون الزكاة الواجبة في كل من الذهب والفضة بنسبة $\frac{2}{5}$ بالمائة ، والمشهور ان الدينار على وجه التقريب يكون ثلاثة ونصف ($\frac{3}{5}$) ، غراما ، وعيار الفضة غرمان ونصف (٢,٥) .

الخمسة

قال تعالى: ﴿واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾^(١).

السنة والشيعة يتفقون على وجوب الخمسة وان اختلفوا في مواعده، ومنها: التجارة منبع الثروة الغالبة في عصرنا، فتقول السنة بوجوب الزكاة في جميع ما يملكه الانسان بالتجارة في كل من رأس المال والفائدة معا في كل عام طول العمر؛ قياسا على ما فيه الزكاة، والشيعة تقول بوجوب الخمس في خصوص الفائدة دون رأس المال بعد اخراج المؤن مرة واحدة، فالخمس فريضة في صافي الدخل بنسبة (٢٠٪) عشرين بالمائة؛ استنادا الى قوله تعالى: ﴿واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾^(٢) فإن الغنم والغنيمة يطلق لغة وعرفا على كل فائدة يحصل عليها الانسان بالتجارة والكسب وغيرها، حتى قيل: اغتنموا الفرص فانها تمرّ مر السحاب^(٣)، وكل فائدة يحصلها الانسان تعتبر غنيمة، وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس قال، قال ﷺ لوفد عبد القيس: «امركم باربع وانها كم عن اربع: ١- الايمان بالله وعقد بيده شهادة ان لا اله الا الله .

٢- واقام الصلاة .

٣- وايتاء الزكاة .

(٢) الانفال: ٤١.

(١) الانفال: ٤١.

(٣) انظر: خصائص الائمة : ١٠٩.

٤- وان تؤدوا لله خمس ما غنمتم...»^(١).

وهذا الحديث ايضا يشمل كل ما يسمى غنيمة ، وجاءت روايات اهل البيت عليهم السلام صريحة في ذلك، فعن سماعة: «سألت ابا الحسن عليه السلام عن الخمس؟ فقال: «في كل ما افاد الناس من قليل أو كثير»^(٢)، وفي الحقيقة ان الخمس يعتبر واجباً في اموال التجارة وغيرها مما يعتبر غنيمة ومنفعة ولها مصارف خاصة ، وقال بعض اهل السنة: «ان المراد من الغنيمة خصوص غنائم الحرب، لا كل ما يطلق عليه غنيمة». قال السيد صديق حسن خان: «لو بقي على عمومته لاستلزام وجوب الخمس في الموارد ونحوها وهو خلاف الاجماع، وما استلزم الباطل باطل»^(٣).

والجواب: ان من الواضح في علم الاصول قاعدة (مامن عام الا وقد خص) فإن خروج الموارد من العموم بدليل خاص كالاجماع لا يضر بحجية العام في غيره، كما هو مقرر في الاصول ، مع ان القول بوجوب الزكاة في مال التجارة لم يكن اجماعيا بين المذاهب الاسلامية ، فقالت الظاهرية بعدم وجوب الزكاة فيه كما فصله ابن حزم في المحلى وينسب الى الشافعي في احد قوليه^(٤).

مصرف الخمس :

ينقسم الخمس (٢٠٪) الى نصفين، هما:

اولا: سهم السادة، وهو (١٠٪) يعطى للهاشمي الفقير، وهو الذي لا يملك قوت سنة، من الايتام والمساكين وابن السبيل ممن انتسب الى عبد المطلب من ناحية الاب، ويثبت ذلك بشهادة عدلين، ولا يجوز اعطاؤه للسيد الغني، فقد قال الامام الصادق عليه السلام: «ان الله

(١) صحيح البخاري ٤: ٩٩، ط، دار الشعب بالقاهرة.

(٢) الكافي ١: ٥٤٥، ح ١١.

(٣) الروضة الندية، شرح الدرر البهية ١: ٢١٩، ط/ ادارة الطباعة الهندية.

(٤) المحلى ٦: ٣٣٣.

لما حرم علينا الصدقة انزل لنا الخمس، فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة». الثاني: سهم الامام، وهو (١٠ %) أيضاً، وهي للامام عليه السلام ويعطى الى مرجع التقليد، المجتهد الاعلى الحي، أو يستأذن منه في صرفه في موارده المقررة شرعاً مما يكون فيه ترويج الدين وتعظيم شعائر الله.

ونشر دعوة القران وحفظ كلمة الاسلام، وفقنا الله جميعاً لما فيه خير الاسلام والمسلمين

وللتوضيح نذكر مثلاً: اذا كان راس المال الحلال (١٠٠٠ ديناراً او غير ذلك من اية عملة اخرى)

واشترى به شيئاً للكسب والتجارة فبعد مرور سنة واحدة من ذلك اصبح المال مقداره ١٥٠٠

فانه يحسب الخمس الواجب على النحو التالي

١٠٠٠ دينار راس المال الحلال

١٥٠٠ دينار مجموع رأس المال والربح بعد مرور السنة

٤٠٠ دينار يخرج منه المصارف اليومية خلال السنة

١٠٠ دينار يبقى الربح صافي الدخل (المصلحة)

٢٠ دينار الخمس الواجب منه = (٢٠ %)

يقسم هذا الخمس نصفين فعشرة بالمائة منه يصرف في الخدمات الاسلامية العامة التي فيها رضى الامام عليه السلام، وعشرة بالمائة الاخرى يصرف الى السادة الفقهاء من اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين لا يملكون مصارفهم لسنة واحدة.

وينبغي للتاجر المؤمن ان يعيّن دفترًا خاصاً لهذا الغرض يعيّن فيه ما يدفعه للمستحقين طيلة السنة كي يخرجها عند الاستحقاق .

وهناك موارد اخرى للربح غير التجارة ايضاً يتعلق بها الخمس، وهي :

الغنائم، والمعادن، والكنز، والغوص، والمال المختلط بالحرام، والارض التي يملكها

الكافر من المسلم.

وهناك حقوق شرعية لا يعم الابتلاء بها، مثل (الكفارات) و (الندور) و (مظالم العباد) والبحث عنها في المفصلات.

مسائل :

١ - من ليس له رأس المال الحلال ، ولم يعلم مقدار الحرام في ماله ولا يعرف مالكة، يجب عليه ان يخمس ماله ، وبعد اخراج الخمس يكون ماله حلالا ، واذا كان المقدار الحرام معلوماً ولكن لا يعلم مالكة فيجب ان يتصدق به عن مالكة ، واذا كان المالك معلوماً والمقدار مجهولاً يجب ان يتصالح معه .

٢ - ابتداء السنة، انما هو ابتداء ظهور الربح، فاذا صرف الربح في المصارف المتعارفة قبل مضي سنة كاملة فلا شيء عليه، ولكن اذا بقى الى آخر السنة فانه يجب فيه الخمس .
٣ - يجوز اثناء السنة، صرف الربح في المصارف اليومية المتعارفة لنفسه أو من يجب الصرف عليه كالهدية والحج والزواج والندور وما شابه، فيصح ان يخرج ذلك من الربح لامن رأس المال .

٤ - اذا ادى الخمس عن عين، فانه لا يتعلق بها الخمس مرة اخرى ما بقيت ، فإن المخمس لا يخمس.

٥ - اذا مارس طرق التجارة والكسب المختلفة كالبيع والشراء والتجارة والصناعة وغير ذلك، فانه يحسب اخراج الخمس من ارباح الجميع ، فاذا زاد على مؤنة السنة فانه يجب اخراج الخمس في الزائد خاصة دون رأس المال .

٦ - لا يجوز اعطاء الخمس للسيد اذا علم انه يصرفه في المعاصي ، اما السيد العاصي، اذا لم يكن اعطاء الخمس له معونة على العصيان، بل قد يكون سبباً في هدايته، فيجوز الصرف اليه ، والا فضل ان لا يعطى للمتجاهر بالمعصية ايضاً.

الوصية :

الوصية هي ان يوصي الانسان لآخر بشيء أو بعمل بعد وفاته، كالمحافظة على المصلحة في اولاده أو امواله مثلاً ، والوصي هو الذي يتقبل ذلك، وقد حثت الشريعة الاسلامية على كتابة الوصية، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

قال رسول الله ﷺ: « لا ينبغي للمسلم ان يبيت ليلة الآ ووصيته مكتوبة عند رأسه» (٢)، وقال ﷺ: « من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية» (٣)، وقال امير المؤمنين عليه السلام: « الوصية تمام ما نقص من الزكاة» (٤)، وبما ان كل نفس ذائقة الموت، لامحالة، ويستحب للانسان المسلم ان يكتب وصية يذكر ما عليه من حقوق الناس من الديون والطلبات وحقوق الله من الصلاة والصوم والحج والصدقات كالزكاة والخمس والمظالم، ليكون ورثته على بصيرة من الامر ولا تضيع الحقوق ، ويجوز للانسان ان يستثنى ثلث ماله لنفسه بان تصرف بعد موته كما يشاء من اعطائه لشخص خاص أو صرفه في مورد خاص كالامور الخيرية مثلاً ، ولا تنفذ الوصية في اكثر من الثلث كما أن الحقوق الشرعية كالزكاة والخمس يخرج من اصل التركة مثل سائر الديون قبل الوصية والارث.

وينبغي ان تؤرخ الوصية ويشهد عليها شهود معروفون للتأكيد على صحتها والامن التغيير والتحريف ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّمَا إِنَّمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥).

(١) البقرة: ١٨٠ .
(٢) دعائم الاسلام ٢ : ٣٤٥ .
(٣) روضة الواعظين : ٤٨٢ .
(٤) من لا يحضره الفقيه ٤ : ١٨٢ .
(٥) البقرة: ١٨١ .

جدول المقارنة بين الفطرة والخمس والزكاة

المقارنة بينها من حيث الوجوب :

أما الفطرة، فتجب في كل سنة مرة وذلك في أول شوال (عيد الفطر) على كل مسلم بالغ عنه وعن كل من يعوله ولو كان مسافرا
وأما الخمس، فيجب في الربح (صافي الدخل) مرة واحدة في العمر، فإذا احتفظ بالمال بعد تخميسه لا يجب فيه الخمس مهما بقي، وإذا اتجر به ثانية جاء الخمس في ربحه أيضا
وأما الزكاة، فتجب في مجموع رأس المال والربح معافي كل عام مرة واحدة، في ثلاثة أشياء :

١ - الذهب والفضة (النقدان)

٢ - الأبل والبقر والغنم (الانعام)

٣ - الحنطة والشعير والتمر والزبيب (الغلات)

والمقارنة بينها من حيث المقدار :

فمقدار الفطرة، تكفي ثلاثة كيلو غرامات من الطعام من الحنطة والشعير أو معادل ثمنها وأما مقدار الخمس، فهو عشرون بالمائة (٢٠٪) من صافي الدخل (أي الربح) بعد اخراج المصارف المتعارفة.

وأما مقدار الزكاة، فيختلف باختلاف الكمية وأقل ما يجب في الزكاة :

١ - في الذهب والفضة: ربع العشر أي اثنين ونصف في المائة (٥،٢٪)

٢ - في الحيوان: في كل أربعين شاة (شاة واحدة) وفي كل ثلاثين بقرة (تبعة وهي التي دخلت في السنة الثانية) وفي كل خمسة من الأبل (شاة واحدة)

٣ - في الغلات: إذا بلغت ٢٠٧ / ٨٤٧ كغم إذا كان سقيها بالآلات والمكائن (١٠٪)

والمقارنة بينها من حيث المصرف :

فالفطرة تعطي للفقراء والمساكين.

وأما الخمس، فيقسم نصفين (سهم الإمام عليه السلام يصرف في الشعائر الدينية والخدمات الإسلامية، و (سهم السادة) يصرف للفقراء من آل بيت النبوي عليهم السلام فقط.

وأما الزكاة، فيعطي للفقير والمساكين وابن السبيل والغارمين والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والجباة وفي سبيل الله من المشاريع الخيرية.

الصوم

خطبة رسول الله ﷺ:

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس قد أقبل اليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة ○ شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات ○ هو شهر دعيتم فيه الى ضيافة الله، وجعلتم فيه من اهل كرامة الله ○ انفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب ○ فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة ان يوفقكم لصيامه وتلاوته كتابه ○ فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم ○ واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه ○ وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ○ ووقروا كباركم ○ وارحموا صغاركم ○ وصلوا ارحامكم ○ واحفظوا سنتكم ○ وغضوا عما لا يحل النظر اليه ابصاركم وعما لا يحل الاستماع اليه اسماعكم ○ وتحنوا على أيتام الناس نتحن على ايتامكم ○ وتوبوا الى الله من ذنوبكم وارفعوا ايديكم بالدعاء في اوقات صلاتكم؛ فانها أفضل الساعات، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة الى عباده ○ وجيهم اذا ناجوه ويلبيهم اذا نادوه، ويعطيهم اذا سألوه، ويستجيب لهم اذا دعوه .

أيها الناس ان انفسكم مرهونة باعمالكم ففكوها باستغفاركم ○ وظهوركم ثقيلة من اوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم ○ واعلموا ان الله تعالى ذكره أقسم بعزته ان لا يعذب المصلين والساجدين، وان لا يروعهم يوم يقوم الناس لرب العالمين ○ أيها الناس من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه، فقل: يا رسول الله، وليس كلنا يقدر على ذلك فقال ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمره، اتقوا النار ولو بشربة من ماء.

أيها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان جوازه على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ○ ومن خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه ○ ومن كف

فيه شره كف الله عنه غضبه يوم يلقاه ○ ومن اكرم فيه يتيماً اكرمه الله يوم يلقاه ○ ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه ○ ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه ○ ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار ○ ومن ادى فيه فرضاً كان له ثواب من ادى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ○ ومن اكثر فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تخفّ الموازين ○ ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل اجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

ايها الناس ان ابواب الجنان فيه مفتحة فاسالوا ربكم ان لا يغلقها عليكم ○ وابواب النيران فيه مغلقة فاسألوا ربكم ان لا يفتحها عليكم ○ والشاطين مغلولة فاسالوا ربكم ان لا يسلطها عليكم ○ قال امير المؤمنين عليه السلام: فقامت وقلت: يا رسول الله ما افضل الاعمال في هذا الشهر؟ فقال ﷺ: يا ابا الحسن افضل الاعمال في هذا الشهر، الورع عن محارم الله عز وجل.

شهر رمضان:

رمضان هو الشهر التاسع في التاريخ الاسلامي، وله مرتبة خاصة لما فيه من ذكريات وعبر واحداث جلييلة، ولهذا السبب ذكر في القرآن الكريم دون غيره من الشهور. وكان العرب القدامى قد سمو الاشهر بأسماء خاصة مقتبسة من الظروف والاحوال، ف (المحرم) لما حرموا على أنفسهم الحرب، و (صفر) لصفر بيوتهم وخلوها منهم، و (الجمادى) لجمود الآبار والعيون، وهكذا (رمضان) فاختلف في وجه التسمية، وهل انه معنى الحبس من (رمضت في المكان) أي احتسبت فيه. والصائم يحبس نفسه عن الشهوات، أو انه من (رمض الذنوب) أي حرقها، أو من (الرمضاء) بمعنى المطر الغزير، لانه يطهر النفوس. والظاهر ان هذه توجيهات متأخرة عن التسمية، ولعل الاوفق ما قاله ابن الاثير: «لما نقل اسماء الشهور من اللغة العربية القديمة، الجاهلية الاولى، سموها بالازمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر رمضان أيام شدة الحر ورمضه».

فسمى به، ثم كثر استعماله في الأهلة وان لم يوافق ذلك»^(١).

وبما ان الاحاديث الدينية تؤكد على الثواب والغفران في هذا الشهر العظيم جاءت التعليقات بان فيه يطهر النفس ويحرق الذنوب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١). تتضمن هذه آية أمور ثلاث :

١ - أن تشريع الصيام امر ثابت في كافة الأديان .

٢ - تشريع الصيام في الإسلام .

٣ - وأن الغاية السامية من الإسلام هي التقوى.

واليك لمحة من النقاط الثلاث .

تشريع الصيام: شرع الصيام في السنة الثانية للهجرة بعد أن كانت الشرائع السابقة قد فرضته أيضاً كما صرح بذلك القرآن الكريم وأن اختلفت عنها في الشروط والطقوس ، روى المسعودي : « أن الصيام كان قبل الإسلام أيضاً ، والنبي موسى ﷺ صام أربعين يوماً متتابعاً لما أراد مكالمته ربه ، ولا يزال الصوم معروف في الديانة اليهودية في اليوم العاشر من الشهر العاشر واليوم التاسع من الشهر الثامن كما في التوراة ، وكان النبي عيسى ﷺ قد صام أربعين يوماً قبل رسالته ، وهكذا كانت فريضة الصيام ثابتة في جميع الأديان ، لأن بها قوام الدين ولا يستقيم الدين بدون الصيام .

الصيام في الإسلام : الصوم لغة هو (الإمساك عن الشيء والترك له) .

وشرعاً : هو الامتناع عن المفطرات كالأكل والشرب والعلاقة الجنسية وغيرها مما يأتي ذكره ، من الفجر إلى غروب الشمس ، قربة إلى الله تعالى .

والامساك ليس هدفاً ، ذلك أن الله سبحانه حرم صوم الوصال أي وصل الليل بالنهار . وإباح الفطر للمريض والمسافر في حال المرض والسفر فقال سبحانه : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾^(٢) ، ونظر المأ في الصيام من تأثير في سلوك الفرد والمجتمع وتهذيب النفوس والقلوب جاء التأكيد عليه كثيراً ، فقد روي فيه من الفضل ما لم يرد في عبادة أخرى ، ففي الحديث القدسي قال تعالى : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي به »^(٣) ، والسبب في هذا التأكيد أن الصوم امر خفي لا يمكن الاطلاع عليه للناس بخلاف الصلاة والحج والجهاد وغيرها من الأعمال .

قال النبي ﷺ : « الصائم في عبادة الله وإن كان نائم في فراشه ما لم يغتصب »^(٤) .

(١) البقرة : ١٨٣ .

(٢) البقرة : ١٨٤ .

(٣) تهذيب الأحكام ٤ : ١٥٢ ، ح ٤٢٠ . (٤) ثواب الأعمال : ٥١ .

وقال رسول الله ﷺ: «نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح»^(١).
وقال الباقر عليه السلام: «بني الاسلام على خمس على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية»^(٢).
وقال امير المؤمنين عليه السلام: «الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل من الطعام و الشراب»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «ان الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، ثم قال: قالت مريم: «اني نذرت للرحمن صوما» فاذا صمتم فاحفظوا سنتكم، وغضوا ابصاركم، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تكذبوا، ولا تباشروا، ولا تخالفوا، ولا تغضبوا، ولا تسابوا، ولا تشاتموا، ولا تنازبوا، ولا تباروا، ولا تظلموا، ولا تسافهوا، ولا تزاجروا، ولا تغفلوا عن ذكر الله»^(٤).
وقال عليه السلام: «شهر رمضان فرض الله عليكم صيامه، فمن صامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه»^(٥).

وقال علي عليه السلام: «كم من صائم ليس له من صيامه الا الظم، وكم من قائم ليس له من قيامه الا العناء»^(٦) وقال النبي ﷺ: «هذا شهر رمضان من صام نهاره وقام ليله، وعف بطنه وفرجه، وكف لسانه، خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر، فقال جابر: يا رسول الله ما احسن الحديث؟ فقال عليه السلام: يا جابر وما اشد هذه الشروط»^(٧).

ونكتفي بهذه الروايات في فضيلة الصيام ونختتمها بدعاء الامام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند دخول شهر رمضان: «اللهم صل على محمد واله والهنا معرفة فضله واجلال حرمة والتحفظ مما حظرت فيه، واعنا على صيامه بكف الجوارح عن معاصيك، واستعمالها فيه، بما يرضيك حتى لانصغي بأسماعنا الى لغو، ولا نسرع بأسماعنا الى لهو، وحتى لانبسط ايدينا الى محظور، ولا نخطو الى محظور، ولا نخطو باقدامنا الى محجور، وحتى لاتعي بطوننا الا ما احللت، ولا تنطق السنتنا الا بما نطقت،

(١) فقه الرضا ٧: ٢٠٤. (٢) الكافي ٢: ١٨، ح ١.

(٣) بحار الانوار ٩٦: ٢٩٤، ح ٢١.

(٤) الوسائل ١٠: ١٦٦، ح ١٣١٣٢، والاية من سورة مريم: ٢٦.

(٥) الوسائل ١٠: ٢٤٦، ح ١٣٣٢٧. (٦) الوسائل ١: ٧٢، ح ١٦١.

(٧) الكافي ٤: ٨٧.

ولا نكلف إلا بما بدأ من ثوابك، ولا نتعاطى إلا الذي بقي من عقابك، ثم خلص كل ذلك من رياء المرائين، وسمعة المسمعين، لا نشرك فيه احدا من دونك، ولا نبتغي فيه مرادا سواك»^(١).

حكمة الصيام: الغاية الاسمى التي شرع من اجلها هي التقوى كما نص القرآن الكريم بقوله: (لعلكم تتقون).

حكمة الصيام:

وهناك حكم اخرى نصت عليه السنة المطهرة، ويمكن تلخيصها بما يأتي:

١- الصحة.

٢- المساواة.

٣- التحرر من الشهوات.

٤- التقوى.

اولا - الصحة:

قال ﷺ: «صوموا تصحوا»^(٢)، وقال الصادق عليه السلام: «لكل شيء زكاة وزكاة الاجساد الصوم»^(٣).

ويعتبر الطب الامساك - بصفة عامة - مفيدا للصحة لتطهير الجسم من الفضلات والحجيرات العاجزة عن اداء وظيفتها والتي يكون بقاؤها مضرًا بالصحة؛ فإن كثرة الطعام والشراب تثقل الجسد، وتقوي الشهوات وتطغى على الروحانية، وبالعكس تماما الصيام، فانه يخفف الجسم ويصحبه الى جانب تقوية الروح، وكثير من غير المسلمين يتداوون بالامساك، فقد سبق الاسلام الطب الحديث بتشريع الصيام.

ثانيا - المساواة:

قال الامام العسكري عليه السلام لمن سألته عن فرض الصيام: «ليستوي به الغني والفقير؛ وذلك ان الغني لم يكن ليجد من الجوع فيرحم الفقير، لان الغني كلما اراد شيئاً قدر عليه، فاراد الله عز وجل ان يسوي بين خلقه، وان يذيق الغني من الجوع والالام ليرق على الضعيف ويرحم الجائع»^(٤).

(٢) مستدرک الوسائل ٧: ٥٠٢، ح ٤.

(١) اقبال الاعمال ١: ١١٢.

(٤) علل الشرائع ٢: ٣٧٨، باب ١٠٨.

(٣) الكافي ٤: ٦٢، ح ٤.

وقد وردت الادعية الماثورة في هذا الشهر العظيم تأكيداً على تنمية روح المساواة التي تدعوا اليها فريضة الصوم، فمن المستحب ان يقرأ بعد كل صلاة مفروضة هذا الدعاء: «اللهم ادخل على اهل القبور السرور، اللهم اغن كل فقير، اللهم اشبع كل جائع، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين، اللهم فرج عن كل مكروب، اللهم رد كل غريب، اللهم فك كل اسير، اللهم اصلح كل فاسد من امور المسلمين، اللهم اشف كل مريض، اللهم سد فقرنا بغناك، اللهم غيّر سوء حالنا بحسن حالك، اللهم اقض عنا الدين واغننا من الفقر، انك على كل شيء قدير».

ثالثاً - التحرر من الشهوات ومن النفس الامارة بالسوء:

قال الامام علي عليه السلام: «والصيام ابتلاء^(١) لاخلاص الخلق»^(٢)، فالصوم اذاً سبب عظيم لتقوية الروح في الانسان، فهو رياضة الروح وطريق الاخلاص وسبيل الصفاء وتربية الارادة الانسانية، والصوم في حقيقة ليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب بقدر ما هو اختبار روحي وتدريب نفسي للتغلب على رغبات النفس، فالصوم مدرسة لتعليم الارادة والعزيمة والتحكم في النفس وشهواتها، وتدريب عملي لتقويم النفس وسوقها الى طريق التقوى والصلاح للفرد والمجتمع على حد سواء، وتبدو هذه الرعاية ضرورية بعد ملاحظة ان الانسان اعطى احد عشر شهراً لنفسه الحرية الكاملة في الاكل والشرب وما سواهما من دون مراعاة نظام معين، فكان من الضروري خلق روح تنظيمية ادارية بما يوجدده الصوم بالامساك، وبالنتيجة تربية الصائم على النظام، فياكل بنظام وينام بنظام ويستيقظ بنظام ويؤدي واجباته بنظام، حتى لا يستعصي عليه النظام في حياته. قال الامام الصادق عليه السلام: «وعلة الصوم لعرفان مس الجوع والعطش، ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً، ويكون ذلك دليلاً له على شدائد الآخرة، مع ما فيه من الانكسار له عن الشهوات، واعظا له في العاجل، دليلاً على الآجل، ليعلم شدة مبلغ ذلك من اهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة»^(٣).

وكذلك تغرس فريضة الصوم في الانسان الثقة بالنفس بالتعود على الصبر والثبات في الحوادث، والاستقامة في المزلق وقوة العزيمة، وهذه صفات يفتقر اليها الفرد في حياته والامة في تقدمها، وبنفس الدرجة التي يفتقر فيها الى الثبات يفتقر الى تنمية هذه الروح،

(١) أي امتحان.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٥٥، الحكمة ٢٥٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ٧٣، ح ١٧٦٧.

ولا يكون ذلك إلا بالصوم كما ان التدريب الرياضي بمختلف التمارين ليس إلا وسيلة لتقوية الجسم، وكذلك الصوم وسيلة فعالة لتصفية النفس وتهذيب الروح وتركيز القلوب من الاحقاد والضغائن، كي يزداد في المجتمع عضو صالح يتمتع بالسعادة والصلاح .
رابعا - التقوى:

والصوم لم يشرع الا للهدف الأسمى وهو التقوى، كما نص عليه القرآن الكريم بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ والتقوى هو الهدف في كل عبادة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ﴾^(١). فليس الامتناع عن الأكل والشرب إلا وسيلة لتحقيق هذا الهدف ، وذلك بالامتناع عن كل ما ينافي الأيمان ، الذي افتتح الله به فرض الصيام، والتقوى الذي اختتم به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢). فان الآية تدل بوضوح على ان العبادات الروحية التي تسمو بأنسانية الانسان انما هي طريق الى التقوى.

ويجدر بنا ان نقف لحظة لتتعرف على كلمة التقوى ودلالاتها ، فالتقوى هي بمعنى الوقاية من المكروه والشر ايا كان نوعه، ومن أي مصدر كان، والتقوى عماد كل فضيلة وخير ، وطريق كل نصر وبر ، ووسيلة للنهوض الى الحياة الفاضلة ، ومن ثمرات التقوى: الامن والامان والهدوء . قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٣). والتقوى تدل الصعاب وتيسر العسير، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٤).

وهنا مجال سؤال : هل في استطاعة الانسان ان يكون تقياً بدون اداء فريضة الصوم ؟ والجواب : ان التقوى هو تطبيق لمفهوم التقى في مجال العمل بالتربية الروحية والجسدية، فالتقوى لا تحصل إلا بأداء الواجبات ومنها الصوم، ولان الصوم الذي يثمر التقوى انما هو الذي يؤدي على الوجه الذي امر به الشارع الكريم، ويحدد القرآن اوصاف المتقين بقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ○ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ○ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

(٢) البقرة: ١٨٣ .

(١) المائدة: ٢٧ .

(٤) الطلاق : ٤ .

(٣) يونس : ٦٤ .

لِدُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾
وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ، وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢﴾

وبما تقدم من المواصفات نجد ان التقوى هو مقياس التفاضل لبني الانسان قال تعالى
:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ . ولعظم تأثير الصوم في تحقيق هذا الهدف أي (
التقوى) ورد التأكيد على استحبابه في مختلف المناسبات الدينية :

منها : مولد النبي ﷺ في ١٧ ربيع الاول، ومبعث النبي ﷺ في ٢٧ رجب،
والمباهلة في ٢٤ ذي الحجة، والغدير في ١٨ ذي الحجة، وعرفه في ٩ ذي الحجة، ويوم
دحو الارض في ٢٥ ذي القعدة، وكذا شهر رجب كله، وشعبان كله، وكل خميس وجمعة.

منهاج رمضان:

ان للصوم واجب واحد فقط هو الامساك وترك المفطرات من الفجر الصادق الى
غروب الشمس، وله شروط كثيرة منها : العقل والبلوغ والنية ، فلا تجب على المجنون
والصبي غير البالغ . اما السكران فيجب عليه القضاء وكذلك يصح الصوم على المرأة
الحائض والنفساء حتى تطهر، ويجب القضاء.

ولا بد من نية الصوم ، بمعنى الوعي الكامل وتوجه القلب الى الله، ومن هنا يعتبر
الرياء مبطلا للصوم، والمفطرات عشرة كالآتي:

١، ٢- الاكل والشرب .

٣- الكذب على الله ورسوله أو احد الائمة عليهم السلام .

٤- الارتماس بالماء .

٥- الغبار الغليظ الذي يصل الى الحلق .

(١) ال عمران: ١٣٣ - ١٣٥ . (٢) البقرة : ١٧٧ .

(٣) الحجرات: ١٣ .

٦- الجماع (العلاقة الجنسية) .

٧- الاستمناء (العادة السرية) .

٨- البقاء على الجنابة حتى الفجر .

٩- الاحتقان بالمائع .

١٠- القى المتعمد .

ويبطل الصوم باتيان احدى المنفطرات المذكورة عمدا ويلزم القضاء بصيام يوم آخر بعد رمضان، مكان اليوم فاته بالاضافة الى الكفارة في بعضها، وتجزي في الكفارة اطعام ستين مسكينا.

واما اتيان المنفطرات المذكورة نسيانا أو جهلا فلا تضر بصحة الصوم ما عدى البقاء على الجنابة، وفيه تفصيل مذكور في الرسالة العملية.

واذا افطر الصائم في نهار رمضان بشيء محرم كما لو شرب الخمر فيجب عليه الجمع بين الكفارات الثلاث، وهي اطعام ستين مسكينا وصيام شهرين متتابعين وعتق الرقبة ان امكن العتق.

ويحرم على المسافر والمريض الصوم بامر القران الكريم بان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر، ويلحق بالمريض والمسافر الحامل والمرضع اذا خافتا الضرر .

ويجب على الحائض والنفساء الافطار، وعليهما القضاء، واما الشيخ الكبير والعجوز والمريض الذي لا يرجى شفاؤه فعليهما الكفارة عن كل بمد من الطعام ويساوي ثلاث اربع كيلو غرام تقريبا.

هذه هي اهم مسائل الصوم، واليك منهاج رمضان بما فيه المستحبات .

اولا - السحور:

وهو تناول الطعام والشراب قبل الفجر ليستعين به الصائم وتحصل له القوة على الصوم، وهو سنة رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «استعينوا باكل السحور على صيام النهار، وبالنوم عند القيلولة على قيام الليل»^(١).

وكلما كان السحور اقرب الى الفجر كان افضل، وللمسلمين في كل زمان ومكان من البلاد الاسلامية طريقة خاصة بالتسحر لا يقاظ النائمون للسحور، وفي عهد

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٣٦، ح ١٩٦٠.

الرسول ﷺ كان بلال يقوم بمهمة التسخير، وتطورت عملية التسخير في العصر العباسي فكان المسحر ينشد اشعاراً لهذا الغرض، وفي عصرنا هذا يستعمل قرع الطبول، وتستعمل بعض الدول الاسلامية المدفع للتسخير والافطار معا، ويلزم التأكد من وقت الفجر والامساك قبله بدقائق احتياطاً، والدعاء بالمأثور. فقد روي عن الرسول ﷺ: «خير وقت دعوتكم الله عز وجل فيه: الاسحار»^(١).

وادعية السحر كثيرة كدعاء السحر المعروف بدعاء البهاء، ودعاء ابي حمزة الثمالي، ويمكن قراءة فصول منها واقصر دعاء للسحر ما يأتي: «يا مفزعي عند كربتي ويا غوثي عند شدتي، اليك فزعت، وبك استغثت، وبك لذت، لألوذ بسواك، ولا اطلب الفرج إلا منك، فاغثنني وفرج عني، يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير، اقبل مني اليسير واعف عني الكثير، انك انت الغفور الرحيم.

اللهم اني اسألك ايمانا تباشر به قلبي، و يقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني إلا ما كتبت لي، ورضني من العيش بما قسمت لي يا ارحم الراحمين، يا عدتي في كربتي، ويا صاحبي في شدتي، ويا وليي في نعمتي، ويا غايتي في رغبتي، انت الساتر عورتي، والآمن روعتي، والمقبل عثرتي فاغفر لي خطيئتي يا ارحم الراحمين».

ثانيا - نهار رمضان :

الواجب فيه هو الامساك عن المفطرات العشر المذكورة، ولا يجب شيء سواه، وينبغي للصائم ان يخصص شيئاً من اوقاته للعبادة والتقرب الى الله تعالى، ومن العادات الحسنة التي تلتزم بها الدول الاسلامية تقصير أوقات العمل في رمضان، ففتح للصائمين فرض العبادة من الصلوات المستحبة وقراءة الادعية الماثورة، وما انسب للصائم تلاوة القرآن الكريم في شهر الله العظيم. فإن رمضان ربيع القرآن، وكانت عادة الصالحين تلاوة جزء منه في كل يوم حتى يختم القرآن في الشهر كله، ولعل تجزئة القرآن بثلاثين جزءاً كان لهذا الغرض بالذات، فما احسن ان يوافق القلب واللسان في التلاوة، وان يكون التالي عاملاً بما يتلو.

ومما ينبغي الاكثار منه: الصدقة وزيارة الانفاق على المحتاجين. فقد كان الامام السجاد عليه السلام ينفق في كل يوم من رمضان. وكذا التوسعة على العيال والاقارب والاحسان

الى الاصدقاء والجيران ، ويستحب ان يقرأ في شهر رمضان بعد كل صلاة : « اللهم ادخل على اهل القبور السرور، اللهم اغن كل فقير، اللهم اشبع كل جائع، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين، اللهم فرّج عن كل مكروب، اللهم ردّ كل غريب، اللهم فكّ كل اسير، اللهم اصلح كل فاسد من امور المسلمين ، اللهم اشف كل مريض، اللهم سدّ فقرنا بغناك ، اللهم غير سوء حالنا بحسن حالك ، اللهم اقض عنا الدين واغننا من الفقر، انك على كل شيء قدير».

ثالثا - الافطار :

ورد التأكيد على الافطار كثيرا . قال رسول الله ﷺ : « من فطّر منكم صائما مؤمنا في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه، فليل : يا رسول الله ، وليس كلنا يقدر على ذلك ؟ فقال ﷺ : اتقوا النار ولو بشق تمرة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء »^(١).

ويستحب للصائم عند الافطار ان يقول : « اللهم لك صمت، وعلى رزقك افطرت، وعليك توكلت » وقد جرى الاعتماد في تحديد الغروب على المفكرات والتقاويم المعمولة في مختلف البلاد الاسلامية، وينبغي التأكد من اصح المفكرات لتحديد المغرب الشرعي فيلزم الاحتياط بعد الموعد المحدد بعشر دقائق عند الفطور، وقبل ذلك عند السحور، ويعرف المغرب الشرعي بذهاب الحمرة الحاصلة في جهة المشرق من فوق الرأس الى جهة المغرب .

رابعا - ليالي رمضان :

ينبغي ان يخص الصائم من الليل وقتاً لحضور المجالس الدينية وسماع الاحاديث الاسلامية، والاشتراك في ندوات فيها احياء امر الدين من تجويد القرآن وبيان المسائل الشرعية وما شابه. ويستحب قراءة ادعية خاصة في كل ليلة، منها: « اللهم اني اسألك ان تجعل فيما تقضي وتقدر من الامر المحتوم في الامر الحكيم من القضاء الذي لا يرد ولا يبذل ان تكتبني من حجاج بيتك الحرام، المبرور حجهم ، المغفور ذنوبهم، المكفر عن سيئاتهم، وان تجعل فيما تقضي وتقدر ان تطيل عمري في خير وعافية، وتوسّع في

(١) أمالي الصدوق : ١٥٤.

رزقي، وتجعلني ممن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل بي غيري».

ويستحب ايضاً قراءة دعاء الافتتاح، واليك نص الدعاء:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم اني افتتح الشاء بحمدك، وانت مسدد للصواب بمنك، وايقنت انك انت ارحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، واشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة، واعظم المتجبرين في موضع الكبرياء والعظمة .

اللهم اذنت لي في دعائك ومسألتك، فاسمع يا سميع مدحتي، وأجب يا رحيم دعوتي، وأقل يا غفور عثرتي، فكم يا ألهي من كربة قد فرجتها وهموم قد كشفتها وعثرة قد اقلتها ورحمة قد نشرتها وحلقة بلاء قد فككتها .

الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيراً.

الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها، الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه، ولا منازع له في امره، الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه، ولا شبيه له في عظمته، الحمد لله الفاشي في خلق امره وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط بالجلود يده، الذي لا تنقص خزائنه، ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، انه هو العزيز الوهاب .

اللهم اني اسألك قليلاً من كثير مع حاجة بي اليه عظيمة وغناك عنه قديم، وهو عندي كثير، وهو عليك سهل يسير .

اللهم ان عفوك عن ذنبي، وتجاوزك عن خطيئتي، وصفحك عن ظلمي، وسترك على قبيح عملي، وحلمك عن كثير جرمي عند ما كان من خطئي وعمدي، اطمعني في ان اسالك ما لا استوجهه منك ○ الذي رزقتني من رحمتك، وأريتني من قدرتك، وعرفتني من اجابتك، فصرت ادعوك امناً واسالك مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدلاً عليك فيما قصدت فيه اليك ○ فإن ابطأ عني عتبت بجهلي عليك، ولعل الذي ابطأ عني هو خير لي ؛ لعلمك بعاقبة الامور، فلم ار مولى كريماً أصبر على عبد لئيم منك علي يارب، انك تدعوني فاولي عنك، وتتحبب الي فاتبغض اليك، وتتودد إلي فلا اقبل منك كأن لي التطول عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة بي، والاحسان الي والفضل علي بجودك وكرمك، فارحم عبدك الجاهل وجد عليه بفضل احسانك انك جواد كريم .

الحمد لله مالك الملك، مجري الفلك، مسخر الرياح فالق الاصباح، ديان الدين، رب العالمين.

الحمد لله على حملة بعد علمه، والحمد لله على عفوه بعد قدرته، والحمد لله على طول اناته في غضبه، وهو قادر على ما يريد.

الحمد لله خالق الخالق، باسط الرزق، فالق الاصباح، ذو الجلال والاكرام، والفضل والانعام، الذي بعد فلا يرى وقرب فشهد النجوى، تبارك وتعالى.

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الاعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء.

الحمد لله الذي يجيئني حين اناديه، ويستر علي كل عورة وانا اعصيه، ويعظم النعمة علي فلا اجازيه، فكم من موهبة هنيئة قد اعطاني، وعظيمة مخوفة قد كفاني، وبهجة منوقة قد اراني، فأثني عليه حامدا، واذكره مستبحا.

الحمد لله الذي لا يهتك حجابيه، ولا يغلق بابه، ولا يرد سائله، ولا يخيب آمله.

الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، ويهلك ملوكا ويستخلف اخرين.

والحمد لله قاصم الجبارين، مبير الظالمين، مدرك الهاربين، نكال الظالمين، صريح المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، معتمد المؤمنين.

الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها، وترجف الارض وعمارها، وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله.

الحمد لله الذي يخلق ولم يخلق، ويرزق ولا يرزق، ويطعم ولا يطعم، ويميت الاحياء ويحيي الموتى، وهو حي يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك، وامينك وصفيك، وخيرتك من خلقك، وحافظ شرك ومبلغ رسالاتك، افضل واحسن واجمل واكمل وازكى وانمى واطيب واطهر واسنى وأكثر ما صليت وباركت وترحمت وتحننت، وسلمت على احد من عبادك وانبيائك ورسلك وصفوتك واهل الكرامة عليك من خلقك.

اللهم وصلّ على علي امير المؤمنين، ووصي رسول رب العالمين عبدك ووليک واخي رسولك، وحجتك على خلقك، وآيتك الكبرى والنبأ العظيم.

وصل على الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

وصلّ على سبطي الرحمة وامامي الهدى الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة

وصلّ على ائمة المسلمين علي بن الحسين و محمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى

بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد، والحسن بن علي والخلف الهادي المهدي، حججك على عبادك وأمنائك في بلادك صلاة كثيرة دائمة .
اللهم وصل على وليّ امرك القائم المؤمل، والعدل المنتظر، وحفه بملائكتك المقربين و
أيّده بروح القدس يا رب العالمين .

اللهم اجعله الداعي الى كتابك والقائم بدينك، استخلفه في الارض كما استخلفت
الذين من قبله، مكن له دينه الذي ارتضىته له، ابدله من بعد خوفه أمناً، يعبدك لا يشرك بك
شيئاً، اللهم أعزّه وأعزز به، وانصره وانتصر به، وانصره نصراً عزيزاً وافتح له فتحاً يسيراً،
واجعل له من لدنك سلطاناً نصيراً، اللهم أظهر به دينك، وسنة نبيك حتى لا يستخفي بشيء
من الحق مخافة أحد من الخلق .

○ اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الاسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله،
وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك، والقادة الى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا
والآخرة.

○ اللهم ما عرفتنا من الحق فحملنا، وما قصرنا عنه، فبلغناه، اللهم المم به شعنتنا،
واشعب به صدعنا، وارثق به فتقنا، وكثر به قلتنا، وأعزز به ذلتنا، وأغن به عائلنا، واقض به
عن مغرمنا، واجبر به فقرنا، وسدّ به خللتنا، ويسّر به عسرنا، وبيّض به وجوهنا، وفكّ به
أسرنا، وأنجح به طلبتنا، وأنجز به مواعيدنا، واستجب به دعوتنا، وأعطنا به فوق رغبتنا، يا
خير المسؤولين، وأوسع المعطين، اشف به صدورنا، وأذهب به غيض قلوبنا، واهدنا به
لما اختلف فيه من الحقّ باذنك، انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم، وانصرنا به على
عدوّك وعدوّنا إله الحق، آمين .

○ اللهم انا نشكو اليك فقد نبينا صلواتك عليه وآله، وغيبية وليّنا، وكثرة عدوّنا وقلة
عددنا، وشدة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا، فصلّ على محمد وآله وأعنا على ذلك بفتح
منك تعجّله وبضرّ تكشفه، ونصر تعزّه، وسلطان حق تظهره، ورحمة منك تجلّلناها
وعافية منك تلبسناها، برحمتك يا أرحم الراحمين».

مسائل في الصوم :

١ - يثبت الهلال بإحدى الطرق الثلاث :

أ - العلم الحاصل برؤية الهلال بنفسك، أو بالتواتر أو الشيع المفيد للعلم.

ب - مضيّ ثلاثين يوماً من هلال الشهر السابق.

- ج - البينة الشرعية، أي شهادة عدلين على رؤيتهما الهلال مع توافق الأوصاف.
- ٢ - يوم الشك بانه من شعبان أو رمضان، لا يجوز فيه الصوم على انه من رمضان، ولو صام يوم الشك بنية انه من رمضان لم يحتسب منه، نعم يجوز الصوم بنية انه من آخر شعبان أو قضاءً، وإذا ثبت انه من رمضان فانه يحتسب منه.
- ٣ - تعتبر النية في كل عبادة، ومنها الصوم وهي القصد مع التقرب الى الله تعالى، ولا يجب فيها اللفظ، بل يكفي ان تنوي في ضميرك: «اصوم غداً قربة الى الله تعالى»، والرياء يبطل الصوم؛ لانه شرك بالله العظيم.
- ومن يتردد في النية كما لو تردد في ان يستمر في الصوم أم لا، أو نوى القطع بان نوى ان لا يصوم، أو نوى القاطع بان نوى الاكل والشرب مثلاً، في كل هذه الصور يبطل الصوم، ويجب عليه الامساك ببقية ذلك اليوم والقضاء بعد شهر رمضان.
- ٤ - يحرم الاكل والشرب، ولا يجوز ادخال أي جسم غريب الى الجوف من طريق الفم، جامداً كان أم سائلاً، قليلاً كان أم كثيراً، فلا يجوز بلع ما يتبقى من الطعام بين الأسنان، ولا يضر الدواء النافذ الى داخل الجسم من غير طريق الفم كالقطرة في العين والاذن وتزريق الابر في العضلات للتداوي، ولا يضر بالصوم الاكل والشرب نسياناً، ولو تذكر في الاثناء فيجب عليه الامتناع فوراً.
- ٥ - المسافر والمريض يجب عليهما الافطار لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١).
- ويشترط في المسافر، امران، الاول: ان يكون السفر يوجب القصر في الصلاة، والثاني: ان يكون السفر قبل الظهر، فاذا سافر بعد الظهر فيجب عليه اتمام صيام اليوم الذي سافر فيه، واذا صام في السفر جاهلاً صح منه الصوم، ويجب على المسافر والمريض قضاء الصوم بعد ذلك.
- ٦ - الارتماس في الماء بحيث يكون تمام البدن تحت الماء دفعة واحدة، والارتماس يبطل الصوم اذا كان عمداً.
- واما اذا ارتمس متعمداً بقصد الاغتسال في الصوم الواجب بطل صومه وغسله، وان كان ناسياً صح الصوم والغسل.
- ٧ - الاحتلام في نهار رمضان بدون اختيار لا يبطل الصوم، واما الاستمناء، وهو انزال

المنى متعمداً فإنه يبطل الصوم.

٨- الجماع عمداً يبطل الصوم ، وتكرار الجماع يوجب الكفارة، دون سائر المفطرات، وإذا اجبر الرجل زوجته الصائمة على الجماع، فإنه يجب عليه القضاء والكفارة والتعزير، وهو ان يضرب خمسين سوطاً، وإذا حصل الرضا للجماع منهما تجب على كل من الزوج والزوجة القضاء والكفارة وتعزير خمسة وعشرين سوطاً من قبل الحاكم الشرعي.

٩- اتيان المفطرات عمداً يوجب القضاء والكفارة معاً، والكفارة هي احدى امور ثلاثة: صيام شهرين متتابعين، او اطعام ستين مسكيناً، أو عتق رقبة حيث يتيسر.

١٠- الحائض والنفساء يحرم عليهما الصيام، ولو صاماً لم يصح صومهما ويجب عليهما القضاء.

١١- يسقط الصوم عن جماعة، وتجب عليهم الكفارة بدل كل يوم بمد، ويساوي ثلاثة ارباع الكيلو من الطعام تقريباً، والافضل الحنطة، قال تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ وهم كالأتي:

الف - الشيخ الكبير والمرأة العجوزة ممن طعن في العمر، سواء لم يتمكن من الصوم اصلاً أو تمكنا بحرج أو مشقة.

ب - المريض الذي لا يرجى شفاؤه.

ج - من به داء العطش، بحيث يكون في الصوم عليه مشقة كبيرة.

د - الحامل المقرب التي يضرها الصوم أو يضر بحملها.

هـ - المرضعة القليلة اللبن التي يضر بها الصوم أو برضيعها.

واتفقت كلمة الفقهاء على سقوط الصوم عن هؤلاء جميعاً، واختلفوا في الصور الثلاث الاخيرة في وجوب القضاء عند التمكن، وان ذلك أحوط، كما ان الاحوط الاقتصار على مقدار الضرورة.

ليالي القدر

ليلة القدر هي ليلة مباركة امرنا باحيائها بالعبادة والتقرب الى الله تعالى بالعبادة؛ لعظم قدرها لاجل نزول القرآن فيها، وتفريق كل امر حكيم فيها. قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا

أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ○ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿١﴾
 وافرد لها في القرآن الكريم سورة خاصة هي سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ○
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ○ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ○ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا
 بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ○ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ .
 والمراد من نزول القرآن إمّا كله، حيث كان يعرض جبرئيل ما نزل من القرآن في كل
 عام على رسول الله ﷺ، أو البعض منه، فإن الآية والسورة أيضا تسمى قرآناً، فيكون
 المعنى: ان اول ما نزل منه نزل في شهر رمضان، ثم امر ﷺ بالجهر بدعوته في يوم
 المبعث (٢٧/ رجب).

والمهم ان في هذه الليلة المباركة تفيض رحمة الله تعالى على العباد، فالسعيد من
 استنار قلبه بالايامن والعمل الصالح والتوبة والمغفرة، قال رسول الله ﷺ: «ان الله
 اختار من الايام الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر» (٢).
 وقال الامام الباقر عليه السلام: «يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة الى مثلها
 من قابل من خير أو شر أو طاعة أو معصية أو مولود أو اجل أو رزق، فما قدر في تلك
 الليلة وقضي فهو من المحتوم ولله فيه المشيئة» (٣).
 وليلة القدر هي احدى ليالي العشر الاخيرة من رمضان، وهي اما ليلة التاسع عشر أو
 ليلة احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، وقد سترها الله تعالى علينا لحكمة، قال الامام
 علي عليه السلام: «ولست اشك ان الله انما يسترها عنكم نظراً لكم؛ لانكم لو اعلمكموها عملتم
 فيها وتركتم غيرها، وارجو ان لا تخطئكم» (٤).
 وامتازت ليلة ثلاث وعشرين من بينها باهتمام النبي ﷺ، فقد سأل رجل من
 الصحابة - يسمى الجهني - رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، وقال: اني شاسع الدار، فمرني
 بليلة انزل لها. فقال له النبي ﷺ: «انزل ليلة ثلاث وعشرين» (٥).
 وفي روايات اهل البيت عليه السلام: «ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة الجهني» (٦).
 ويستحب في كل ليلة من الليالي الثلاث ستة امور، هي:

١- الغسل.

(٢) كمال الدين: ٢٨١، ح ٣٢.

(١) الدخان: ٣-٤.

(٤) البحار ٣٤: ٣٤٦.

(٣) الكافي: ١٥٧، ح ٩.

(٦) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٦١، ح ٢٠٣١.

(٥) راجع: البحار ٩٤: ٣ (الهامش).

٢ - تأخذ المصحف وتضعه بين يديك وتنشره وتقول: «اللهم اني اسألك بكتابك المنزل، وما فيه وفيه اسمك الاكبر، واسماؤك الحسنی، وما يخاف ويرجى، ان تجعلني من عتقائك من النار» وتطلب حوائجك .

ثم تضع القرآن الكريم على راسك وتقول: «اللهم بحق هذا القرآن، وبحق من ارسلته به، وبحق كل مؤمن مدحته فيه وبحقك عليهم، فلا احد اعرف بحقك منك، ثم تقول: بك يا الله (عشر مرات) بمحمد (عشر مرات) بعلي (عشر مرات) بفاطمة (عشر مرات) بالحسن (عشر مرات) بالحسين (عشر مرات) بعلي بن الحسين (عشر مرات) بمحمد بن علي (عشر مرات) بجعفر بن محمد (عشر مرات) بموسى بن جعفر (عشر مرات) بعلي بن موسى (عشر مرات) بمحمد بن علي (عشر مرات) بعلي بن محمد (عشر مرات) بالحسن بن علي (عشر مرات) بالحجة (عشر مرات) .

٣ - تقرأ هذا الدعاء: «اللهم اني امسيت لك عبداً داخراً، لا املك لنفسي نفعا ولا ضراً، ولا اصرف عنها سوءاً، اشهد بذلك على نفسي، واعترف لك بضعف قوتي وقلة حيلتي، فصل على محمد وال محمد وانجز لي ما وعدتني وجميع المؤمنين والمؤمنات من المغفرة في هذه الليلة، واتمم علي ما اتيتني؛ فاني عبدك المسكين الضعيف الفقير المهين، اللهم لا تجعلني ناسياً لذكرك في ما اوليتني، ولا لاحسانك فيما أعطيتني، ولا آيساً من اجابتك وإن ابطأت عني، في سراء أو ضراء، أو شدة أو رخاء، أو عافية أو بلاء، أو بؤس أو نعماء» .

٤ - تصلي لطلب المغفرة والتوبة ركعتين، تقرأ في كل ركعة بعد الحمد سبع مرات (التوحيد) وبعد اتمام الصلاة تقول سبعين مرة: «استغفر الله واتوب اليه» .

٥ - تزور الامام الحسين عليه السلام بزيارة المخصوصة في ليلة القدر والعید، ويستحب ان تصلي بعدها ركعتين قربة الى الله تعالى، واليك الزيارة المخصوصة في ليلة القدر وتقول: «السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن امير المؤمنين، السلام عليك يا بن الصديقة الطاهرة فاطمة سيدة نساء العالمين، السلام عليك يا مولاي يا ابا عبد الله ورحمة الله وبركاته، اشهد انك قد اقامت الصلاة، وآتيت الزكاة، وامرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وتلوت الكتاب حق تلاوته، وجاهدت في الله حق جهاده، وصبرت على الأذى في جنبه محتسباً حتى اتاك اليقين، اشهد ان الذين خالفوك وحاربوك والذين خذلوك والذين قتلوك ملعونون على لسان النبي الامي، وقد خاب من افترى، لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين، وضاعف عليهم العذاب الاليم، اتيتك يا مولاي يا بن

رسول الله زائرا عارفا بحقك، مواليا لأوليائك، معاديا لأعداك، مستبصرا بالهدى الذي انت عليه، عارفا بضلالة من خالفك، فاشفع لي عند ربك، السلام عليك يا حجة الله في ارضه وسمائه صلى الله على روحك الطيب وجسدك الطاهر وعليك السلام ورحمة الله وبركاته».

ثم تقصد زيارة علي بن الحسين وتقول: «السلام عليك يا مولاي وابن مولاي ورحمة الله وبركاته، لعن الله من ظلمك ولعن الله من قتلك وضاعف عليهم العذاب الاليم».

وتقصد زيارة الشهداء وتقول: «السلام عليكم ايها الصديقون، السلام عليكم ايها الشهداء الصابرون، اشهد انكم جاهدتم في سبيل الله، وصبرتم على الاذى في جنب الله، ونصحتم لله ورسوله حتى اتاكم اليقين، اشهد انكم احياء عند ربكم ترزقون، فجزاكم الله عن الاسلام واهله افضل جزاء المحسنين، وجمع بينا وبينكم في محل النعيم».

وتقصد زيارة أبي الفضل العباس وتقول: «السلام عليك يا بن امير المؤمنين، السلام عليك ايها العبد الصالح، المطيع لله ولرسوله، اشهد انك قد جاهدت ونصحت وصبرت حتى اتاك اليقين، لعن الله الظالمين لكم من الاولين والآخرين، والحقهم بدرك الجحيم». ثم تدعو وتطلب حوائجك.

أعمال ليالي القدر الخاصة:

يستحب لكل ليلة بالخصوص من الليالي الثلاث ادعية خاصة، كالآتي:

ليلة التاسع عشر:

ويستحب فيها ما يأتي:

١- مائة مرة: «استغفر الله ربي واتوب اليه».

٢- مائة مرة: «اللهم العن قتلة امير المؤمنين».

٣- «اللهم اجعل فيما تقضي وتقدر من الامر المحتوم، وفيما تفرق من الامر الحكيم في ليلة القدر، وفي القضاء الذي لا يرد ولا يبدل، ان تكتبني من حجاج بيتك الحرام، المبرور حجهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنوبهم، المكفر عن سيئاتهم، واجعل فيما تقضي وتقدر ان تطيل عمري، وتوسع علي في رزقي، وتفعل بي ما انت اهلك ولا تفعل بي ما انا اهلك». ثم تذكر حوائجك.

ليلة الحادي والعشرين:

ويختص بهذه الليلة:

١- «اعوذ بجلال وجهك الكريم ان ينقضي عني شهر رمضان أو يطلع الفجر من ليلتي هذه ولك قبلي ذنب أو تبعة تعذبني عليه».

٢- تقرأ في هذه الليلة وكل ليلة من العشر الاخيرة: «يا مولج الليل في النهار، ومولج النهار في الليل، ومخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، يا رازق من يشاء بغير حساب، يا الله يا رحمن، يا الله يا رحيم، يا الله يا الله يا الله، لك الاسماء الحسنى والامثال العليا، والكبرياء والآلاء، اسألك ان تصلي على محمد وال محمد وان تجعل اسمي في هذه الليلة في السعداء، وروحي مع الشهداء، واحساني في عليين، واساءتي مغفورة، وان تهب لي يقينا تباشر به قلبي، وايماناً يذهب الشك عني، وترضييني بما قسمت لي، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار الحريق، وارزقني فيها ذكرك وشكرك، والرغبة اليك والانابة والتوفيق لما وقفت له محمد وال محمد عليه وعليهم السلام».

٣- دعاء الجوشن الكبير، وهو مذكور في كتب الادعية.

ليلة الثالث والعشرين:

ويختص بهذه الليلة:

١- «اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى ابائه، في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه ارضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً».

٢- «يا مدبر الامور، يا باعث من في القبور، يامجري البحور، يا ملين الحديد لداود عليه السلام، صل على محمد وال محمد وافعل بي ما انت امله ولا تفعل بي ما انا امله».

وتطلب حوائجك.

٣- قراءة دعاء: «يارب ليلة القدر وجاعلها خيراً من ألف شهر، ورب الليل والنهار والجبال والبحار، والظلم والانوار، والارض والسماء، يا بارئ يا مصور، يا حنان يا منان، يا الله يا رحمان، يا الله يا قيوم، يا بديع يا الله، يا الله يا الله، لك الاسماء الحسنى، والامثال العليا، والكبرياء والآلاء، اسألك ان تصلي على محمد وال محمد وان تجعل اسمي في هذه الليلة في السعداء، وروحي مع الشهداء، واحساني في عليين، واساءتي مغفورة، وان تهب لي يقينا تباشر به قلبي، وايماناً يذهب الشك عني، وترضييني بما قسمت لي،

وآتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار الحريق، وارزقني فيها ذكرك وشكرك، والرغبة اليك والآنابة والتوفيق لما وقفت له محمد وال محمد عليه وعليهم السلام».

٤ - قراءة دعاء: «اللهم امدد لي في عمري، وأوسع لي في رزقي، وأصح جسمي و بلاغني أُملي، وان كنت من الاشقياء فامحني من الاشقياء واكتبني من السعداء، فإنكم قلت في كتاب المنزل على نبيك المرسل صلواتك عليه وآله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

٥ - قراءة دعاء: «اللهم اجعل فيما تقضي وتقدر من الامر المحتوم وفيما تفرق من الامر الحكيم في ليلة القدر أن تجعلني من حجاج بيتك الحرام، المبرور حجهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنوبهم، واسألك ان تطيل عمري في طاعتك، وتوسع لي في رزقي يا أرحم الراحمين».

٦ - وتتلو السور التالية من القرآن الكريم: سورة العنكبوت رقم (٢٩) والروم رقم (٣٠) وحم الدخان رقم (٤٤).

٧ - تأتي بما تقدم من أعمال ليالي القدر المشتركة.

يوم العيد

يحتفل المسلمون في اقطار العالم بعد شهر رمضان بعيد الفطر المبارك، فهو عيد اسلامي عظيم، وتعم الفرحة بهذه المناسبة كافة المسلمين من الصغير والكبير، ويجتمع الاطفال في احضان العوائل بمختلف القوميات والجنسيات، وتكاد تتشابه العادات المتبعة في احياء هذا العيد المجيد قديماً وحديثاً، قال جرجي زيدان: «ولا يزال الاحتفال بالاعياد الاسلامية شائعاً الى الآن، مع تغيير اقتضاه الفرق بين التمدنين، واكثر الدول الاسلامية عناية بهذه الاعياد الفاطميون، منها: المولد النبوي، ومولد علي وفاطمة والحسن والحسين، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة اول رجب، وعيد الفطر، وفتح الخليج، ويوم النيروز، وغيرها مما فصله المقريري في خططه»^(٢).

وللمسلمين في كل من هذه الاعياد رسوم وقواعد يبذلون فيها الأموال ويفرقون

(٢) انظر: خطط المقريري ١: ٤٩٠.

(١) الرعد: ٣٩.

الصدقات»^(١).

ولا تزال الامة الاسلامية تمارس آدابها الخاصة، واول ما يكون منها : التزاور والمعاعدة لساناً وكتباً، و اذا كانت الأمم تحتفل باعياد انتصاراتها، ولا تزال الدول تحتفل بيوم الطفل والمرأة ومحو الأمية، وتستغل الفرصة لشرح مبادئها وتربية ابنائها، فينبغي اذاً للانسان المسلم ان يستغل هذه الفرصة السعيدة لتهديب خلقه وتربية نفسه والتخطيط لمستقبله و الالتزام بواجباته الدينية والاجتماعية، قال الامام علي عليه السلام: «انما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو يوم عيد»^(٢).
ودخل على امير المؤمنين عليه السلام رجل فقال له: «انما هذا عيد لمن غفر له»^(٣).
فينبغي الاقلاع عن العادات القبيحة، والامتناع من الاسراف وتبذير الاموال، وصرفها في الموارد المستحقة كما ينبغي، والتفكير للحياة السعيدة؛ حيث انك على عتبة عام جديد، ولا بد ان تستفتحته بتخطيط شامل لمستقبل افضل لنفسك ومجتمعك في امور الدين والدنيا.

زكاة الفطرة :

اذا ثبتت رؤية هلال شوال فانه يحرم على المسلمين الصوم ويجب الافطار؛ لقوله النبي ﷺ: «صم لرؤيته وافطر لرؤيته»^(٤).
ويجب على جميع المسلمين الصائم وغير الصائم اعطاء زكاة الفطرة هي ثلاثة كيلو غرامات من الطعام - الى الفقراء.
وتمتاز هذه الزكاة بانها تجب على عموم المسلمين ولو كانوا مفطرين، فيجب اداؤها عن الصغير والكبير والرجل والمرأة حيث انها زكاة اشخاص وليست زكاة اموال، فبايها الغني لقد صمت وصام الفقير مثلك مع فارق واحد هو انك كنت تفطر على الطعام الفاخر وهو يقنع بالطعام الحاضر، وكنت تتنعم بما حرم منه الفقير طول شهر رمضان، فلا يجوز ان يكون يوم سعادتك وفرحتك يوم شقائه وعنائه، ألا يستحق هذا الانسان ان تراعيه في يوم راحتك وسرورك؟ وان تنقذه من الشقاء بما يتييسر لك؟ نعم، لقد اوجب الاسلام

(١) راجع: تاريخ التمدن الاسلامي ٥: ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة ٤: ١٠٠، الحكمة ٤٢٨. (٣) مستدرک الوسائل ١٦: ٢٩٩، ح ١٩٩٤٦.

(٤) الاستبصار ٢: ٦٤، ح ٢٠٨.

على كل بالغ عاقل غني زكاة الفطرة، ليدفعها عن نفسه وعن جميع افراد عائلته الذين يتكفل معاشهم من الصغير والكبير حتى الضيف النازل على الانسان عند غروب ليلة العيد، الى فقراء البلد، و مقدار الزكاة صاع واحد، ويعادل تقريبا ثلاثة كيلوغرامات من الطعام الغالب على قوت اهل البلد من الحنطة والشعير والتمر، ويكفي بذل ثمنها للفقير المستحق .

مسائل :

- ١ - لاتجب الفطرة على افراد العائلة ولو كانوا اغنياء ، بل يجب على رب العائلة فطرتهم .
- ٢ - لاتحل فطرة غير السيد الهاشمي للسيد ، وتحل فطرة الهاشمي للهاشمي ولغير الهاشمي .
- ٣ - يجوز اعطاء الفقير الواحد اكثر من فطرة مهما بلغت ، ويستحب تقديم الارحام من الفقراء والمستحقين على غيرهم ، ويجوز صرفها في مصارف زكاة المال، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١) ، وهي كالآتي :

- ١ - للفقراء الفاقدين لقوت سنة واحدة .
 - ٢ - المساكين الفاقدين لقوت اليوم .
 - ٣ - للعاملين، وهم الجباة للزكاة بما يعادل اجرة عملهم في جباية الزكوات .
 - ٤ - للمؤلفة قلوبهم لمصلحة الاسلام والمسلمين .
 - ٥ - في الرقاب العبيد لاجل عتقهم .
 - ٦ - للغارمين وهم المدينون العاجزين عن اداء ديونهم .
 - ٧ - ابن السبيل الذي صار فقيرا في السفر .
 - ٨ - في سبيل الله، وهي جميع الاعمال الخيرية العامة، مثل بناء مدارس العلم ودور الايتام والمستشفيات .
- وهكذا يجب على المسلم إلى ان يساهم في اسعاد الاخرين في يوم سعادته، فالبرغم

من الشعارات الفارغة التي ترفع باسم يوم الطفل والمرأة لاتجد لها الاثر الذي تؤديه هذه الزكاة، فكم من افراد الانسان الذين لا يحضون بنعمة العام وتطغى عليهم الأمية؟ وكم من الاطفال شردتهم المدينة المزيفة لفسادها الخلقي؟. وكم من عفاف للمرأة قداهين باسم الحرية، ولو طبق العالم قانون الزكاة الاسلامي لكان الدور في مكافحة الامية وسعادة الطفل والمرأة دورا بارزا ونتيجته ظاهرة.

وهكذا يعتبر العيد الاسلامي موعدا لمساهمة الانسان عمليا في رفع مستوى الشعب والامة، وذلك بمساعدة الفقراء والمعوزين بهذه الزكاة، وايواء الاطفال المشردين بها ونشر العلم والمعرفة، وبالاجمال المساهمة الصادقة في اسعاد الطفل والمرأة ومكافحة الامية.

صلاة العيد :

يستحب في كل من عيد الاضحى (العاشر من ذي الحجة)، وعيد الفطر (الاول من شوال) ما ياتي :

اولاً - الغسل، وقد اوجبه بعض العلماء.

ثانياً - لبس الثياب الجديدة واستعمال الطيب.

ثالثاً - الافطار قبل صلاة العيد بالتمر أو الحلوى، وذبح الاضحية في عيد الاضحى، فقد قال الرسول ﷺ: «انما جعل الله هذا الاضحى لتشبع مساكينكم من اللحم فاطعموهم»،^(١) وقال الامام علي عليه السلام: «لو علم الناس ما في الاضحية لاستدانوا وضحووا، انه ليغفر لصاحب الاضحية عند اول قطرة تقطر من دمها»^(٢).

رابعاً - قراءة هذا الدعاء: «اللهم من تهياً في هذا اليوم أو تعباً أو أعد أو استعداداً لوفادة الى مخلوق رجاء رفته ونوافله وفواضله وعطاياه، فإن اليك ياسيدي تهيتي وتعبيتي واعدادي واستعدادي رجاء رفدك وجوائزك ونوافلك وفواضلك وفضائلك وعطاياك، وقد غدوت الى عيد من اعياد امة نبيك محمد صلوات الله عليه واله وسلم، ولم افد اليك اليوم بعمل صالح اثق به قدمته، ولا توجهت لمخلوق أثلته، ولكن اتيتك خاضعاً مقراً بذنوبي واساءتي الى نفسي، فيا عظيم يا عظيم يا عظيم اغفر لي العظيم من ذنوبي، فانه لا يغفر الذنوب العظيم إلا انت يا لا اله إلا انت يا ارحم الراحمين».

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢، ح ٢١٣٩. (٢) علل الشرائع ٢: ٤٤٠، باب ١٨٣.

خامساً- صلاة العيد، وهي ركعتان، ووقتها من حين طلوع الشمس حتى الظهر، والافضل ان يكون بعد ارتفاع الشمس .

وكيفيتها: تقرأ في الركعة الاولى الحمد والسورة، ثم تقول: «الله اكبر» وتقف، ثم تكبر وهكذا الى ان تتم خمس قنوتات، وبعد القنوت الخامس تكبر وتركع وتأتي بسجدين، ثم تقوم الى الركعة الثانية وتأتي كذلك بأربع قنوتات بعد كل تكبيرة قنوتا، وبعد القنوت الرابع تكبر وتركع وتسجد سجدتين وتتشهد وتسلم .

ويستحب ان تصلي صلاة العيد جماعة في الصحراء، وان يقرأ في الركعة الاولى بعد الحمد (سبح اسم ربك الاعلى) رقم (٨٧) وفي الثانية سورة الشمس (رقم ١٩) كما يستحب، الجهر بالقراءة فيها، وليس فيها اذان ولا اقامة، بل يقول الامام: «الصلاة» ثلاث مرات، ولا يسقط عن المأموم سوى الحمد والسورة، ويقرأ في القنوت هذا الدعاء: «اللهم اهل الكبرياء والعظمة، واهل الجود والجبروت، واهل العفو والرحمة، واهل التقوى والمغفرة، أسألك بحق هذا اليوم الذي جعلته للمسلمين عيداً، ولمحمد ﷺ ذخراً وشرفاً وكرامة ومزيدياً، ان تصلي علي محمد وال محمد، وان تدخلني في كل خير ادخلت فيه محمداً وال محمد، وان تخرجني من كل سوء اخرجت منه محمد وال محمد، صلواتك عليهم اجمعين، اللهم اني اسالك خير ما سالك به عبادك الصالحون، واعوذ بك مما استعاذ منه عبادك المخلصون».

ويستحب للامام الخطبة بعد صلاة يتعرض في عيد الفطر لما يتعلق بزكاة الفطرة، وفي الاضحى بما يتعلق بالاضحية مع الوعظ والارشاد .

هذا ويستحب قراءة ادعية اخرى مثل دعاء الندبة ومن ادعية الصحيفة السجادية الدعاء رقم (٤٦) واوله: «يا من يرحم من لا يرحمه العباد» والدعاء رقم (٤٨) واوله: «اللهم هذا اليوم مبارك» وزيارة الامام الحسين عليه السلام المخصوصة بيوم العيدين وليالي القدر، وقد ذكرناها في اعمال ليلة القدر .

١٥٤	شرح الأربعين النبوية
-----	----------------------------

الحج

فلسفة الحج :

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

الحج عبادة شرعت على عهد ابي الانبياء ابراهيم عليه السلام وقد حرفت الجاهلية هذه العبادة ، فكانوا يطوفون بالبيت عراة مصفّقين، فطهرها الاسلام من المنكرات ، وحج جموع المسلمين في السنة التاسعة للهجرة ، وارسل رسول الله ﷺ فيهم ابن عمه علي ابن ابي طالب عليه السلام يبلغ الناس ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان (٣). واهتم الاسلام بهذه الفريضة اهتماما بالغاً، قال الامام الصادق عليه السلام: «من مات ولم يحج حجة الاسلام ولم تمنعه من ذلك حاجة تجهف به أو فرض لليطيق فيه الحج اوسلطان يمنعه فليمت يهوديانصرانيا» (٤)، وقال عليه السلام: «بني الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية» (٥).

وان اهتمام الاسلام هذا نابع من امتحان المسلم على دعواه الاسلام ، فإن الحج فريضة شاقة مستلزمة لتذليل النفس وتعب الجسد وبذل المال والتورع عما حرم الله من محرمات الاحرام ، وهي تكاليف لم تجب كلها في سائر العبادات، فهي مرتبة امتحان واختبار لكمال العقيدة كما يشير اليه قوله تعالى: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ (٦).

وقال الامام علي عليه السلام: « وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للانام . جعله

(٢) البقرة : ١٩٧.

(١) آل عمران : ٩٧.

(٣) علل الشرائع ١ : ١٩٠ ، باب ١٥٠ . (٤) الكافي ٤ : ٢٦٨ ، ح ١ .

(٦) ال عمران : ٩٦ .

(٥) الكافي ٢ : ١٨ ، ح ٣ .

سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعا اجابوا الله دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف انبيائه»^(١).

ويشير الى ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

فالحج تربية للمسلم على التضحية في سبيل الحق والهجرة الى الحق وتلبية لدعوة الله، وتكشف عن ملاذ الحياة، وممارسة لمفاهيم العدالة والسلام على كافة المخلوقات من انسان وحيوان وحتى النبات، فلا صيد لحيوان ولا قطع لشجر او نبت ولا مخاصمة مع انسان. قال الامام الرضا عليه السلام: «وعلة الحجة الوفادة الى الله عز وجل والخروج من كل ما افترض... وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرغبة الى الله عز وجل، ومنه ترك قساوة القلب وجسارة الانفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والعمل، وتجديد الحقوق، وحظر النفس عن الفساد، ومنفعة من في شدة الارض وغربها ومن في البر والبحر ممن يحج ومن لا يحج من تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب»^(٣).

مدرسه الحج :

هذه الفريضة - كما افاده كلام الامام الرضا عليه السلام هي مدرسة تؤثر في المجتمع الاسلامي تأثيراً مباشراً في التوعية والتألف والتنمية الاقتصادية، بالاضافة الى ما لها من تقوية المشاعر الروحية، ويمكن الاشارة الى ثلاث نقاط بارزة منها :

اولاً: تنمية الروح الاسلامية في الانسان، فالحاج حينما يتوجه الى ربه قاصدا تهذيب نفسه عن التفكير السببي وكف يده عن الظلم وتطهير امواله من الحرام وحقوق الناس، فكانه يولد مسلماً من جديد .

وروى عن النبي ﷺ : «من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه»^(٤).

ثانياً: ايجاد المساواة بين افراد الامة الاسلامية ، فالجميع سواء امام هذه الفريضة:

(١) نهج البلاغة ١ : ٢٧ ، الخطبة الاولى . (٢) الحج : ٣٦ - ٣٧ .

(٣) عيون اخبار الرضا ١ : ٩٧ . (٤) عوالي اللالي ٢ : ٩٢ ، ح ٢٤٥ .

الملك والخادم والرئيس والمروءوس والفقير والغني، وهم يسرون جنباً الى جنب من دون تفاوت طبقي، فلا طغيان للمال ولا ثورة للفقير، بل المساواة الكاملة في زي واحد ولسان واحد مجرد عن كل منصب أو وسام سوى النية الصالحة .

ثالثاً: تعارف المسلمين على الصعيد العالمي، حيث يتواجد المسلمون من مختلف الاقطار شعوباً مختلفة وقبائل متعددة، فيرجع الحاج الى وطنه حاملاً فكرة عن مفاهيم الاسلام وعظمة النبوة ومهبط الرسالة، فينشرها تلقائياً بين زواره واصدقائه ومعارفه، كم تبذل الدول طاقاتها لعقد المؤتمرات والندوات التي تعود بالنفع على مجتمعاتها وتعريفها للعالم. وما اعظم الحج من فرصة طيبة لتعارف المسلمين وتدارس مشاكلهم والدعوة الى الاسلام بصدق ومحاربة الباطل بحكمة .

قال الامام الصادق عليه السلام: «فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب»^(١)، وقال عليه السلام: «لتعرف اثار رسول الله ﷺ وتعرف اخباره وتذكر ولا تنسى»^(٢).

وما احرى بنا ان نتذكر خطب الرسول الاعظم ﷺ في تلك المشاهد والمناسبات ، كخطبة الرسول الاعظم ﷺ في منى والغدير، وسيريته الحسنة في الدعوة الى العمل والعلم والوحدة، قال عليه السلام في منى: «نظر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها، فكم من حامل فقه غير فقيه، وكم من حامل فقه الى من هو افقه منه، ثلاثة لا يغفل عليها قلب عبد مسلم :

١- اخلاص العمل لله.

٢- والنصيحة لائمة المسلمين.

٣- وال لزوم لجماعتهم ؛ فإن دعوتهم محيطة من وراءهم.

٤ - المسلمون اخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم ادناهم»^(٣).

وفي حجة الوداع عام وفاته ﷺ امر جموع الحجاج بالصلاة، فخطب النبي ﷺ فيهم، ومما قال عليه السلام: «اما بعد ايها الناس فانما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب، وانا تارك فيكم الثقلين، اولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا كتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: واهل بيتي، اذكركم الله في اهل

(٢) علل الشرائع ٢: ٤٠٥.

(١) علل الشرائع ٢: ٤٠٥.

(٣) الكافي ١: ٤٠٣، ح ١.

بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي»^(١)، وقال: «ألستم تعلمون اولستم تشهدون اني اولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. قال ﷺ: فمن كنت مولاه فإن عليا مولاه، اللهم عاد من عاداه، ووال من والاه»^(٢).

ابراهيم القدوة:

تدور مناسك الحج، في الغالب، حول ذكريات ابي الانبياء ابراهيم، ودعوته الى التوحيد، ومكافحته الظلم، ومقاومته للشيطان الرجيم، وفرضت في الاسلام هذه الشعائر، ليكون به القدوة والاسوة، واليك لمحة عن حياته ﷺ: ولد ابراهيم الخليل في (كوثر) العراق وكان على التوحيد، ولما بلغ السادسة عشرة من عمره فدعا الناس الى التوحيد وعمل علي مكافحه الظلم ومقاومة الشيطان الرجيم فامر النمرود الطاغية ان يعذب باللات التعذيب في عصره، فالفقه في النار بواسطة المنجنيق ولكن ارادة الله كانت فوق ذلك فأتاه جبرئيل قائلاً: هل لك الي من حاجة؟ فاجاب ابراهيم وهو في تلك الحالة: اما اليك فلا، فامر تعالى النار بان يكون برداً وسلاماً على ابراهيم وهذا ما نطق به التنزيل العزيز في سورة الانبياء: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣).

وكان قد بدا الدعوة بأهله وعمه (ازر) الذي رباه صغيراً واصبح يدعوهم بالاب، وانما كان ابوه (تارخ) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرُ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ○ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ○ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ○ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ ○ أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ ○ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ○ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ○ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ أَتَأْتِدُمُونِ ○ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ○ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ○ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ○ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ○ وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ○ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ○ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ○ وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٥).

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢٢، طبعة محمد على صبيح، باب الفضائل.

(٢) راجع: مسند ابن حنبل ٤: ٣٧٢، ط/ دار صادر، بيروت، ١٣٨٩ هـ.

(٣) الانعام: ٧٤.

(٤) الانبياء: ٦٩.

(٥) الشعراء: ٦٩ - ٨٣.

وهاجر ابراهيم الخليل من العراق الى الشام في نشر دعوته الى التوحيد، وكان له زوجتان (سارة) و (هاجر) وتلقى ابراهيم الوحي بالهجرة الى مكة مع هاجر، أم اسماعيل، وان يجعلها هناك وفي حرم الله؟ فقالت له هاجر: يا ابراهيم ما ارى ان نبيا مثلك يفعل ما فعلت. قال: وما فعلت؟. فقالت: انك تترك امرأة ضعيفة وغلاما ضعيفا لاحيلة لهما بلا انيس من بشر ولا ماء ولا زرع قد بلغ ولا ضرع يحلب، فرق ابراهيم ﷺ ودمعت عيناه عندما سمع منها ذلك، ولكن ارادة الله كانت فوق ذلك فقال داعيا: ﴿ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيم الصلاة فأجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ورزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾^(١).

واخذت هاجر تفتش عن الماء وسعت بين جبل (الصفاء) وجبل (المروة) سبع مرات، فاذا بها على المروة تنظر الى ابنها اسماعيل وبجنبه ماء زمزم. فاستقرت الاسرة في مكة وتولد تاريخ جديد للعرب فكانت العرب المستعربة تنتسب الى اسماعيل، فاسماعيل ﷺ ابو العرب، وقد تعاون كل من الاب والابن في بناء الكعبة المعظمة، وعندما ارتفع البناء وقف ابراهيم على مكان ليشرّف على البناء يسمى بـ (مقام ابراهيم) ثم اذن في الناس - بامر الله تعالى يقال تعالى: واذن في الناس بالحج وكانت حج بيت الله الحرام، ونزل جبرئيل في ثمان ذي الحجة يعلمه مناسك الحج الي مدعا الناس فقال: يا ابراهيم قم فارتوي من الماء، لانه لم يكن بمنى وعرفات يومئذ ماء، فسمى (يوم التروية) ولما زالت الشمس في التاسع ذي الحجة قال له جبرئيل: يا ابراهيم اعرف مناسكك فسمى (يوم عرفة) وانتهى جبرئيل بابراهيم الى (الموقف) فاقامه فيه حتى غربت الشمس ثم افاض به فقال: يا ابراهيم اذلف الى المشعر الحرام فسميت (المزدلفة). وفي اليوم العاشر قال له جبرئيل: تمنّ ما شئت من ربك فتمنى ابراهيم ﷺ في نفسه ان يجعل الله مكان ابنه اسماعيل كبشا فداء، فاعطى مناه، فسمى (منى)، فترائى ابليس اللعين لابراهيم في موضع (الجمار) فأمره جبرئيل ان يرميه فرماه بسبع حصيات فاخفى، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات اخرى فاخفى، ثم برز له ثالثة عند الجمرة العقبية فرماه بسبع حصيات فاخفى نهائيا.

ملة ابراهيم عليه السلام:

اخذ الاسلام سننه من ملة ابراهيم الحنيفية في مختلف التشريعات . قال تعالى: ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ^(٢). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ○ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ^(٣).
 روى ابو ذر الغفاري عن النبي ﷺ: «ان الله انزل على ابراهيم عشرين صحيفة» ^(٤).

امتحانات ابراهيم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥)، والابتلاء هو الامتحان.
 وهذه الامتحانات التي عمت حياة ابراهيم من مولده ودعوته الى التوحيد ومكافحة الظلم العظيم ونار نمرود وحتى مهجره مكة المكرمة واعلانه للحج وفدائه بالذبح ، واقامة شعائر الدين وبنائه الكعبة المعظمة رمز المسلمين وحتى مدفنه في مدينة الخليل بالقدس، وما فرضت في الحج من الشعارات الاسلاميه بما تحويها من رموز ومجد وذكريات، إلا لنعبر بها انا وانت ايها الحاج الكريم، ونقتدي بابراهيم عليه السلام في الثبات على قول الحق ومكافحة الطغيان ، ومقاومة الشيطان ، والاهتمام بالاعمال الصالحة ، والاستناد الى العقل والمنطق في سلوكنا في الحياة ، والشجاعة ، في قول الحق والدعوة الى الحق ، ومكافحة الباطل كما كانت عليه سيرة ابراهيم عليه السلام .

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ ^(٦) لَإِبْرَاهِيمَ ○ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ○ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ○ ءِإِفْكَآ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ○ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ○ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ○ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ○ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ○ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ○ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِفُونَ ○ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ○ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ○ قَالَ أَعْتَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ○ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ○ قَالُوا أَبْنَاؤُا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ

(٢) النساء: ١٢٥.

(١) ال عمران: ٩٥.

(٤) الخصال: ٥٢٤.

(٣) الاعلى: ١٨ - ١٩ .

(٦) أي من شيعة نوح.

(٥) البقرة: ١٢٤.

○ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ○ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ○ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ○ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ○ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ○ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ○ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ○ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ○ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ○ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ○ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ○ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ ○ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ○ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ○ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ○ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ○ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾

وهكذا فرض الله سبحانه وتعالى ان يكون ابراهيم قدوة للمسلمين في مشاعر الحج فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (٣).

والمسلمون يستلهمون من هذه المشاعر روح الأيمان والحرية الفكرية والنصيحة في سبيل الحق والعدالة والحقيقة.

والحنيفية العشرة التي جاء بها ابراهيم خمسة في الرأس وخمس في البدن (٤)، كالاتي.

١ - قطع الشعر (أي جز الشعر).

٢ - اخذ الشارب.

٣ - اعفاء اللحى.

٤ - السواك.

٥ - الخلال.

٦ - الغسل من الجنابة.

٧ - الطهور بالماء.

٨ - تقليم الاظافر.

(٢) الانبياء: ٥١ - ٦٧.

(١) الصافات: ٧٩ - ٩٨.

(٤) انظر: البحار ٧٦: ٦٨، ح ٣.

(٣) الممتحنة: ٣.

٩- حلق الشعر من البدن.

١٠- الختان، وهذا لم ينسخ الى يوم القيامة، وهناك سنن اخرى هي من السنة

الابراهيمية أيضا، وهي:

١١- لبس المحتشم.

١٢- المصافحة.

١٣- الضيافة والهدية.

١٣- اتخاذ النعل.

١٥- الحلم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾^(١).

وقال الامام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٢): «انما اتخذ الله ابراهيم خليلا لانه لم يرد احدا، ولم يسأل احدا قط غير الله عز وجل»^(٣)، وقال النبي ﷺ: «وما اتخذ الله ابراهيم خليلا إلا لاطعام الطعام وصلاته بالليل والناس نيام»^(٤)، وقال تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾^(٥).

الاماكن المقدسة :

توجد اماكن مقدسة وتاريخية كثيرة في مكة، كمسجد الارقم (دار الخيل) الذي كان المسلمون يجتمعون فيه للصلاة في بدء الدعوة الاسلامية، ودار النبي ﷺ، وجبل ابي قبيس، ومقبرة المعلاة وفيها قبور عبد المطلب وابي طالب وخديجة الكبرى وقد عفى الوهابيون على بعضها ولا تزال بعضها باقية حتى اليوم.

والمهم معرفة الاماكن التي ينبغي للحاج الكريم معرفتها، وهي كالاتي :

اولا، حدود الحرم المكي : ويراد به المساحة المحيطة بمكة المكرمة من الجهات الأربع، وتسمى (الحرم) فهي اربعة فراسخ في اربعة فراسخ (٢٤ × ٢٤ كم) وكان النبي ابراهيم عليه السلام اول من وضع علامات الحرم ثم جددت في عهد الرسول الاعظم ﷺ ولا تزال العلامات معروفة اليوم ، وهي احجار مربعة على ارتفاع متر واحد.

(١) هود: ٧٥.

(٢) النساء: ١٢٥.

(٣) علل الشرائع ١: ٣٥.

(٤) علل الشرائع ١: ٣٥.

(٥) الحج: ٧٨.

والحدود، شرقا: الجعرانة على طريق نجد، وغربا: الحديبية (العلمين) على طريق جدة، وشمالا: التنعيم على طريق المدينة، وجنوبا: نمرة على طريق عرفة، ويختص الحرم بأحكام منها حرمة قلع الشجر منه وحرمة دخول الكافر فيه، عدم جواز اخذ اللقطة منه، عدم جواز دخول الحرم بدون احرام.

ثانيا: اسماء مكة: ان مكة المكرمة بلد مقدس في التاريخ، وانما سميت مكة لقلة مائها، قال الزبيدي في الزبيدي التاج: «المك: المص والجذب، ولذلك سمي مكة وذلك انهم كانوا يمتكون الماء، أي يستخرجونه، وقيل: لجذب الناس اليها»^(١). وأسماء هذه البلدة الشريفة كثيرة، وقد ورد منها في القرآن ثمانية: مكة^(٢)، وبكة^(٣)، وأم القرى^(٤)، والقرية^(٥)، والبلد^(٦)، والبلدة^(٧)، ومعاد^(٨)، والوادي^(٩)، وقد نظم القاضي أبو البقاء ابن الضياء أسماءها في سبعة أبيات:

لمكة أسماء ثلاثون عددت	ومن بعد ذاك اثنان منها اسم بكة
صلاح وكوثر والحرام وقادس	وحاطمة البلد العريش بقرية
ومعطشة أم القرى رحم ناسة	ونساسة رأس بفتح لهمزة
مقدسة والقادسية وباسة	ورأس رتاح ام كوثر كبرة
سبوحة عرش ام رحم عريشنا	كذا حرم البلد الامين كبلدة
كذا اسمها البلد الحرام لأمنها	وبالمسجد الاسنى الحرام تسمت
وما كثرة الاسماء الا لفضلها	حباها بها الرحمان من اجل كعبة ^(١٠) .

وجاء في المفصل في تاريخ العرب ما نصه: «ولا نملك اليوم اثرا جاهليا استنبط منه علماء الآثار شيء عن تاريخ مكة قبل الاسلام، ولذلك فكل ما ذكره عنها هو من اخبار اهل الاخبار، واخبارهم عنها متناقضة متضاربة لعبت العواطف دورا بارزا في

(١) تاج العروس ٧: ١٧٩.

(٢) الفتح: ٢٤.

(٣) آل عمران: ٩٦.

(٤) الانعام: ٩٢.

(٥) محمد ﷺ: ١٣.

(٦) البلد: ١ و ٢.

(٧) النمل: ٩١.

(٨) القصص: ٨٥.

(٩) ابراهيم: ٣٧.

(١٠) منائح الكرم بأخبار مكة وولاية الحرم ١: ٢١٤ - ٢١٥.

ظهورها»^(١).

واصبح مكة منطلقا للدعوة الاسلامية بعد ان كانت مركزا تجاريا في شبه الجزيرة العربية ، وكان قدم الارقم بن ابي الارقم المخزومي داره الى النبي ﷺ ليكون منطلقا للدعوة الى الله سبحانه وتعالى، وكان ﷺ يعيش فيها وينشر تعاليم الاسلام ، ثم اشترت هذه الدار السيدة زبيدة اكراما لانتسابها الى النبي ﷺ كما واجرت عيونا لاتزال تعرف باسمها، وكانت الدار بجوار باب الصفا وقد هدمها الوهابيون.

فكانت مكة ارض الاسلام الاولى ومنها انتشرت الدعوة الى الشرق والغرب وعلى الرغم من انتساع الدولة الاسلامية وانتقال عاصمتها اكثر من مرة من المدينة الى الكوفة ودمشق وخرسان وبغداد والقاهرة، فقد ظلت مكة المكرمة عاصمة المسلمين الروحية يلتقون فيها في موسم الحج في كل عام ويتجهون اليها في صلاتهم في كل يوم .

ثالثا - المسجد الحرام: قال تعالى: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾^(٢).

كانت مساحة المسجد في العهد النبوي ضيقا جدا فتولى الامراء والخلفاء توسيع مساحة المسجد كلما كثرت الحاجة الى ذلك، الى ان بلغت (٢٩١٢٧) م ٢، وفي عصرنا الحاضر بدأت الحكومة بتوسعة المسجد في ٢٣ شعبان ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م واوجدت فيها سبع منائر، ارتفاع كل منها تسعون مترا، وصارت بعد التوسعة (١٦٠١٦٨) مترا مربعا، واصبح المسجد يتسع لأكثر من ثلاثمائة الف مصل .

رابعا - الكعبة المعظمة: الكعبة المعظمة هي رمز الاسلام وقبلة المسلمين، وهي بناء مكعب في وسط المسجد الحرام ، ارتفاعها عن الارض خمسة عشر مترا ومساحتها ١٢٠ متراً، مربعا وقد بناها ابو الانبياء ابراهيم عليه السلام بمعاونة ابنه اسماعيل، ولما ارتفع البناء الى قامة الانسان وضع الحجر الاسود مكانه اليوم في الركن، وكانت مساحة البيت عشرين ذراع في ثلاثين، وكان له بابان من دون سقف، في علو تسعة اذرع، وبقي على ذلك البناء حتى جدده قصي بن كلاب جد الرسول الكريم . قال تعالى: ﴿ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا﴾^(٣) . وروي ان اول ما بناها: الملائكة ثم ادم عليه السلام وكانت تعرف بالبيت العتيق، وكانت مقدسة

(١) المفصل في تاريخ العرب ٤ : ١٧ ، ط / بيروت، سنة ١٩٧ هـ

(٢) البقرة : ١٥٠ . (٣) ال عمران : ٩٦ .

عند العرب، وجاء الاسلام فقدسها وطهرها من الاوثان، وهي الارض المقدسة الاولى عند المسلمين كافة، وكان في اركانها صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة وكان فيها صورة ابراهيم خليل الرحمن على صورة شيخ يستقيم بالازلام وصورة عيسى بن مريم وامه، وصورة الملائكة، فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله ﷺ البيت وأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثم امر بثوب فبلّ بالماء وامر بطمس تلك الصور. ونظر الى صورة ابراهيم ﷺ فقال: «قاتلهم الله ما كان ابراهيم يستقسم بالازلام»^(١).

وتهدمت الكعبة اثر نصب الحصين بن النمير - الامير من قبل يزيد بن معاوية - المنجنيق على جبال مكة ورمى الكعبة بعشرة آلاف حجر حين نازعه ابن الزبير، واعاده ابن الزبير بنائها ثم هدم الحجاج شيء من الكعبة بعد مقتل ابن الزبير، ثم بنى الحجاج نفسه ما انهدم وبقي بناؤه حتى سنة ١٠٤٠ هـ. وفيها تضعض جدران الكعبة على اثر سيل جرى في مكة، فبني باهتمام السلطان مراد خان العثماني، وحافظ على مساحتها. واحداثوا من القاعدة حتى ارتفاع نصف متر منعطف تسمى (ب) شاذروان الكعبة) وتختلف مساحة الكعبة المعظمة اليوم من حيث القاعدة والقمة. خامسا: الحجر الاسود.

وهو حجر صغير اسود قطره ٣٠ سم يحيط به اطار فضي يرتفع عن الارض بمقدار متر ونصف، وهو ثابت في الركن الجنوبي الشرقي من خارج الكعبة المعظمة، ومنه يكون ابتداء الطواف، وكان له اهمية خاصة فقد روي عن الامام الباقر عليه السلام: «نزلت ثلاث احجار من الجنة: مقام ابراهيم، وحجر بني اسرائيل، والحجر الاسود استودعه الله ابراهيم حجراً أبيضاً، وكان اشد بياضاً من القراطيس فأسود من خطايا بني ادم»^(٢).

وجاء في تفسير القمي: «كان الحجر الذي انزله الله على ادم اشد بياضاً من الثلج، فلما مسّته ايادي الكفار اسودّ، فبنى ابراهيم البيت ونقل اسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة اذرع، ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم ووضع في موضعه الذي فيه هو الان»^(٣).

ولما بلغ النبي ﷺ الخامسة والثلاثين من عمره الشريف تهدمت جدران البيت على

(١) المصنف ٨: ٥٣٤. (٢) بحار الانوار ١٢: ٨٤.

(٣) تفسير القمي ١: ٦٢.

اثر السيل واختلف رؤساء القبائل في من بضع الحجر الاسود مكانه اختلافا عظيما، فحكموا الرسول ﷺ في ذلك فبسط رداءه وجعل الحجر فيه، ثم امر كل واحد منهم بحمل طرف من اطراف الرداء ثم وضعه ﷺ بنفسه في مكانه، وهذا ما اشار اليه الامام السجاد بقوله: «انا ابن من حمل الركن بطراف الردى»^(١) عندما تجاهل الطغيان دور آل الرسالة في خدمة الاسلام والمسلمين .

الملتزم : وهو المكان الواقع بين باب الكعبة والحجر الاسود ، وكانت العرب في الجاهلية تتحالف عنده ، وتدعو على الظالم ، وتعقد الحلف.^(٢)

المستجار : وكان للكعبة بابان متوازيان ، والباب الثاني الذي كان موازيا للباب الموجود اليوم يسمى (المستجار) ، جاء في تفسير القمي: «وجعل ابراهيم عليه السلام له بابين ، باب الى المشرق، وباب الى المغرب، والباب الذي للمغرب يسمى المستجار».^(٣) ويوجد اليوم اثره في بناء البيت.

مقام ابراهيم

قال تعالى: ﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾^(٤) ، وهو حجر كان النبي ابراهيم عليه السلام يقف عليه حين بناء البيت . قال الامام الصادق عليه السلام: «مقام ابراهيم حين قام على الحجر اثر قدماء فيه»^(٥) ، والحجر اليوم موجود في اطار خاص، وكان المقام لاصقا بالكعبة ، وفي السنة التاسعة للهجرة امر ﷺ بوضعه في المكان الموجود اليوم.

حجر اسماعيل = الحطيم :

ان الحطيم كان بيت اسماعيل عليه السلام ، وفي الحديث: «انكم تسمونه الحطيم»^(٦) ، وقال ابن منظور في لسان العرب: «وكانت العرب في الجاهلية تطرح بموضع الحطيم ما طافت به من الثياب، فتبقى حتى يتحطم بطول الزمان، فسمي الموضع حطيمًا»^(٧) ، وقال الامام الصادق عليه السلام: «الحجر بيت اسماعيل، وفيه قبر هاجر وقبر اسماعيل»^(٨) ، وفي رواية اخرى

(١) بحار الانوار ٤٥ : ١٣٨ . (٢) راجع: معجم البلدان ٥ : ١٩٠ .

(٣) تفسير القمي ١ : ٦٢ . (٤) البقرة : ١٢٠ .

(٥) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٢٣٤ ، ح ٢٢٨٢ .

(٦) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٢٣٤ ، ح ٢٢٨٢ .

(٧) لسان العرب ١٢ : ١٢٩ . (٨) الكافي ٤ : ٢١٠ ، ح ١٤ .

ان اسماعيل دفن امه فكره ان توطأ فحجر عليه، وفيه قبور الانبياء^(١).

زمزم :

زمزم هو عين ماء نبع على عهد اسماعيل، ويقع في المسجد الحرام في الجنوب الشرقي من الكعبة الشريفة مقابل الحجر الاسود، ويسمى بئر اسماعيل، وجاء في فضل الشرب منه روايات، منها قول الصادق^(٢): «ماء زمزم شفاء من كل داء»^(٣).

الصفا والمروة :

قال تعالى: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾^(٤)، والصفا والمروة جبلان، والمسافة بينهما (٤٢٠) مترا، ولا يزال اثرهما موجودا اليوم، وقد سعت بينهما هاجر زوجة ابراهيم^(٥) وهي تفحص على الماء، وفي المرة السابعة وهي على المروة اسماعيل^(٦) وقد ظهر الماء عنده، فوصلت اليه وجمعت حوله رملا فرمّت الماء بما جعلته حوله. وقد اوجدت الحكومة طريقا للسعي بين الصفا والمروة سنة (١٩٥٦) احدهما للذهاب والآخر للرجوع.

وجوب الحج :

يشترط في وجوب الحج الاستطاعة اضافة الى الشروط المعتبرة في كل عبادة واجبة من البلوغ والعقل ، والاستطاعة عبارة عن القدرة وأمن الطريق وسعة الوقت ، وتحقق الاستطاعة المادية بملاحظة امور ثلاثة :

- ١- وجود المال الوافي بحسب شأن الحاج .
- ٢- ان يكون قادرا على المعيشة بعد الحج من دون عسر أو حرج .
- ٣- وجود المال الوافي حسب المتعارف و نفقه من يجب عليه النفقة ان وجد، واما المديون فلا يجب عليه الحج، بل يجب عليه اداء الدين اولا ، ولا فرق بين دين الناس ودين الله أي الحقوق الشرعية كالزكاة والخمس ومظالم العباد ، فيجب ادائها قبل الحج . ويعتبر من امن الطريق في عصرنا مقدمات السفر المتعارف اليوم من الجوازات

(١) الكافي ٤ : ٢١٠ ، ح ١٥ . (٢) الكافي ٦ : ٣٨٧ ، ح ٤ .

(٣) البقرة : ١٥٨ .

والضمانات ونحوها مما لا يمكن السفر بدونها عادة.

أقسام الحج :

والحج على أقسام ، ونقتصر على قسم واحد فقط، المسمى بـ (حجة الإسلام) ونذكره تفصيلا ، اذ انه الواجب في العمر مرة واحدة على الذين يبعدون عن مكة (٨٨) كم فصاعدا .

قبل الحج: ينبغي للذي يقصد فريضة الحج ما يأتي :

- ١- ان يبادر الى التوبة واداء الحقوق الشرعية وحقوق الناس .
- ٢- ان يأخذ معه من المال الحلال الطيب اكثر مما يكفيه بحيث يكون في سعة من الانفاق في الخيرات، ويدع المال الوافي لعياله اكثر مما يكفيهم حتى الرجوع .
- ٣- التصديق قبل السفر على الفقراء وصلة الرحم والتصالح مع من اوقع الشيطان العداوة بينه و هو بينهم.
- ٤- كتابة الوصية ، ويذكر فيها ماله من الديون وما عليه، وبيان الودائع والامانات ، لثلا تضييع حقوق الناس .
- ٥- ان يصاحب في السفر من له اطلاع باعمال الحج من عباد الله الصالحين ، وطبيعي ان يتعلم الحج واعماله كاملة قبل السفر حتى يقوم بادائها اثناء الحج بسهولة .

كيفية الحج اجمالا:

الذي يريد الحج من مختلف الدول الاسلامية تجب عليه اعمال الحج في مرحلتين :
 (المرحلة الاولى): تسمى عمرة التمتع ، ولا تختص بايام معينة ، بل يكفي ان يأتي بها في اشهر الحج الثلاث : شوال ، أو ذي القعدة ، أو ذي الحجة في أي يوم شاء ، فيتوجه الى الميقات ، والافضل ان يغتسل قبل الاحرام ثم يجب ان يلبس ثوبي الاحرام ويغطي باحدهما القسم الاعلى من الجسم والثاني القسم الاسفل .
 ويجب ان يقول : « ١ - لبيك اللهم لبيك . ٢ - لبيك لاشريك لك لبيك . ٣ - ان الحمد والنعمة لك . ٤ - والملك لاشريك لك لبيك » .
 ويجب اداء ذلك بالقراءة الصحيحة، ويسمى هذا (التلبية) والافضل ان تكون التلبية بعد صلاة ركعتين بمسجد الميقات.

ثم يتوجه الى مكة المكرمة فيطوف بالكعبة سبعة اشواط . ثم يصلي ركعتين للطواف خلف مقام ابراهيم عليه السلام . ثم يتوجه للسعي فيسعى من الصفا الى المروة أي يمشي الى المروة، وبعد ذلك يرجع الى الصفا مرة ثانية حتى يتم السبع ، ويسمى هذا (السعي) . ثم يأخذ من الاظافر او شعر الرأس شيئاً يسيراً ، ويسمى هذا (التقصير) . ثم يخلع ملابس الاحرام ويلبس الملابس العادية، وبذلك يحل للانسان كل حرم بالاحرام، سوى بعض المحرمات التي سيأتي ذكرها .

المرحلة الثانية : وتسمى حج التمتع وتختص بخمس ايام من ذي الحجة ، ابتداء من اليوم الثامن حتى الثاني عشر وليقوم فيها بما يأتي: في اليوم الثامن ان تغتسل استحباباً وتذهب الى المسجد الحرام وتصلي ركعتين ثم يجب ان تلبس لباس الاحرام من جديد في مكة كما سبق ، والافضل ان تذهب الى منى في هذا اليوم ان امكن لكنه غير واجب . في اليوم التاسع، يجب ان تكون في عرفات من اول الظهر الى غروب الشمس ، ويسمى هذا (الموقف الاختياري) واذا لم تتمكن لعذر فيجب ان تبقى هناك من المغرب الى الصباح ويسمى هذا (الموقف الاضطراري) .

في اليوم العاشر، تتوجه في ليلة العاشر الى المشعر الحرام (المزدلفة) وتجمع فيها الحصى للرمي ، والافضل ان تجمع سبعين حصاة، ويجب عليك في الصباح ما يأتي :
اولاً: ترمي جمرة العقبة بسبع حصيات .

ثانياً: تذبح الذبيحة (الهدي) .

ثالثاً: على الرجل ان يحلق رأسه، واما المرأة فتتقصر من شعرها أو أظافرها .

رابعاً: تذهب الى مكة المكرمة وتطوف بالبيت سبع مرات وتأتي بصلاة الطواف والسعي والتقصير .

اليوم الحادي عشر : تبيت ليلة الحادي عشر في منى ، وفي الصباح ترمي الجمرات الثلاث:

اولاً: الجمرة الصغرى ، بسبع حصيات .

ثانياً: الجمرة الوسطى ، بسبع حصيات ايضاً .

ثالثاً: الجمرة الكبرى العقبة بسبع حصيات ايضاً .

اليوم الثاني عشر، تبيت ليلة الثاني عشر في منى ايضاً، وفي الصباح ترمي الجمرات الثلاث كما فعلت في اليوم السابق ، ثم تخرج من منى الى مكة بعد الظهر، فاذا بقيت بعد المغرب فانه يجب عليك المبيت هناك والرمي مرة اخرى في الصباح على الترتيب

١٧٠ شرح الأربعين النبوية

السابق ، ثم يتوجه الى مكة لتطوف بالبيت الحرام سبعة أشواط ثم صلاة ركعتي الطواف والسعي بين الصفا والمروة، وعليك بعد ذلك بطواف آخر هو طواف النساء وبعدها ركعتي الطواف، وبذلك تتم المرحلة الثانية، وبه تمام اعمال الحج الاسلامي .

واليك تفصيل ذلك :

المرحلة الاولى: ويجب فيها اعمال خاصة، يجوز ان تأتي بها في احدى اشهر الحج ، وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وتسمى عمرة التمتع وواجباتها خمسة :

الاول : الاحرام، ومنه التلبية .

الثاني : الطواف .

الثالث : صلاة الطواف .

الرابع : السعي بين الصفا والمروة .

الخامس : التقصير .

وقبل الإحرام : يستحب مراعاة ما يأتي قبل الاحرام ولو بيوم واحد .

١ - تنظيف الجسد وتقليم الاظافر واخذ الشارب وازلة الشعر من الابط .

٢ - اطالة شعر الراس واللحية قبل شهر واحد من الحج أو العمرة .

٣ - الغسل ، ويجزىء الغسل ليلا الى آخر النهار .

الواجب الأول - الاحرام

والإحرام هو الحالة التي تحصل باداء واجبات خاصة هي:

النية، ولبس ثوبي الإحرام، والتلبية.

ويكون كل ذلك في الميقات، علي ان يكون في الميقات او يكون الميقات عن يمينك

اويسارك وأنت متجه الى القبلة ، وهذه المواضع هي :

١ - مسجد الشجرة ، ويعرف اليوم (ببايار علي) في طريق مكة المدينة ، ويبعد عن

المدينة ١٢ كيلو مترا.

٢ - قرن المنازل في طريق الطائف، ويبعد عن مكة ٩٤ كيلومتراً.

٣ - يلملم، وتعرف اليوم بالسعدية في طريق اليمن، وتبعد عن مكة ٩٤ كيلومتراً.

٤ - الجحفة في طريق الشام، ويبعد عن مكة ٩٨ كيلومتراً.

٥ - وادي العقيق ، وأوله: المسلخ ، ووسطه : غمرة ، وآخره : ذات عرق ، في طريق قناة

السويس ، ويبعد عن مكة ٢٢٠ كيلومتراً.

وواجبات الاحرام هي:

أولاً: يجب ان تنوي في الميقات اعمال الحج، ولا حاجة الى اللفظ، ويكفي ان تقصد بالوعي الكامل ما يلي: «احرم لعمره التمتع لحج الاسلام لوجوبه اداء قرابة الى الله تعالى». والافضل ان تقول: «اللهم اني اريد ما امرت به من التمتع بالعمره الى الحج على كتابك وسنة نبيك صلواتك عليه وآله، فيسر ذلك لي، وتقبله مني، واعني عليه ، فإن عرض لي عارض يحبسني فحلني حيث حبستني؛ لقد تركت التي قدرت علي، اللهم ان لم يكن حجة فعمرة احرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي».

ثانياً: ان يلبس الرجل ثوبي الاحرام، وهما قطعتان يستر باحدهما الكتفين وبالثاني الوسط واما المرأة فثيابها احرامها ويشترط في الثوب :

١- ان يكون حلالاً غير مغصوب ولا يتعلق به حق من حقوق الله أو حقوق الناس .

٢- ان يكون طاهراً غير نجس .

٣- ان لا يكون حريراً ولا من وبر الحيوان الذي لا يجوز اكل لحمه .

٤- ان لا يكون مخيطاً كما لا يجوز عقد الثوبين، والافضل ان يكون من القطن الابيض ،

، ويستحب ان يقرأ عند اللبس هذا الدعاء: «الحمد لله الذي رزقني ما اوارى به عورتى، وأودى فيه فرضي، واعبد فيه ربي، وانتهى فيه الى ما امرني ، الحمد لله الذي قصده فبلغني ، وارده فاعانني ، وقبلني ولم يقطع بي ، ووجهه اردت فسلمني ، فهو حصني وكفهي وحرزي وظهري وملاذي ورجائي ومنجائي وذخري وعدتي في شدتي ورخائي».

ثالثاً: ثم تجب التلبية، بان تقول بالقراءة العربية الصحيحة :

١- لبيك اللهم لبيك . ٢- لبيك لاشريك لك لبيك .

٣- ان الحمد والنعمة لك . ٤- والملك لاشريك لك لبيك .

ويسمى هذا «التلبية»، والافضل ان تقول: «لبيك ذا المعراج لبيك ، لبيك داعياً الى دار السلام لبيك ، لبيك غفار الذنوب لبيك ، لبيك اهل التلبية لبيك، لبيك ذا الجلال والاکرام لبيك ، لبيك والمعاد اليك لبيك، لبيك يستغني ويفتقر اليك لبيك ، لبيك مرغوباً ومرهوباً اليك لبيك ، لبيك إله الحق لبيك ، لبيك ذا النعماء والفضل الحسن الجميل لبيك ، لبيك كشاف الكرب العظام لبيك ، لبيك عبدك وابن عبدك ، لبيك يا كريم لبيك » .

ويستحب تكرار التلبية ما استطعت ، فقد روي: «من لبي في إحرامه سبعين مرة ايماناً

واحتمسابا اشهد الله له الف ملك براءة من النار وبراءة من النفاق»^(١).

محرمات الإحرام:

وإذا راعيت هذه الأمور الأربعة المذكورة: النية والتلبية ولبس ثوبي الإحرام، كل ذلك في الميقات فقد أصبحت محرماً ويحرم عليك خمسة وعشرون شيئاً مما يكون فيه ضرراً على النفس كإخراج الدم من البدن، أو أذى بالمجتمع كحمل السلاح والكذب وحتى قتل القمل، أو يكون انغماساً في اللذات الجنسية والنفسية، وغيرهما مما ينافي حالة التقشف التي يركز عليها الإسلام في الحج لتزكية النفس الانسانية بالطاعات، وتربيتها في التغلب على الشهوات، وهذه المحرمات على ثلاثة أقسام منها: ما يختص بالنساء، ومنها ما يختص بالرجال، ومنها ما يشتركان في حرمة، وقبل أن نذكرها في الجدول الآتي ينبغي معرفة مسائل الحج:

١- تجب الكفارة إذا حصل شيء من محرمات الإحرام المذكورة عن علم وعمد، ولا شيء على الجاهل والناسي إلا في موردين هما: ١- الصيد باتفاق الفقهاء، ٢- التدهين على قول، فتجب الكفارة فيهما سواء كان عن عمد أو جهل أو نسيان.

٢- لا تتعدد الكفارة إذا تعدد موجبها إلا في الجماع؛ فإنه تتعدد الكفارة بتعدد.

٣- إذا حصل ما يوجب الكفارة في إحرام العمرة الذي يتوجه به الحاج إلى مكة فإنه يجب أداء الكفارة في مكة، وإذا حصل الموجب في إحرام الحج الذي يتوجه به الحاج إلى عرفات فإنه يجب أداء الكفارة في منى، وإذا لم يذبح فيهما لعدم وجود الفقير مثلاً فإنه يصح الذبح حين الرجوع إلى بلده، ويجب أن تعطى الكفارة للفقراء، وأن لا يأكل من لحم الحيوان الذي يذبحه. ومحرمات الإحرام على المشهور كالاتي:

ما يحرم على خصوص الرجال أو النساء:

١- يحرم ستر الوجه على النساء خاصة، والكفارة فيها شاة.

٢- الاستظلal على الرجال خاصة حال الحركة ولو في السيارة والمشى، والكفارة فيها شاة.

٣- ستر الرأس على الرجال خاصة ولو بارتماس تمام الرأس في الماء، ولا بأس بالاستحمام من دون ارتماس، والكفارة فيها شاة.

٤- لبس المخيط على الرجال خاصة، ولا بأس بالهيمان، والكفارة فيها شاة.

وأما ما يحرم على النساء والرجال معاً :

الف : ما يستوجب الضرر على النفس أو المجتمع أو الحيوانات أو النبات، وهي :

٥ - اخراج الدم من البدن من نفسه ولو بفرشة الاسنان ، والكفارة شاة على قول .

٦ - قلع الضرس من نفسه ولو من دون ادماء ، والكفارة شاة على قول .

٧ - الصيد للحيوانات البرية ، ولا بأس بقتل ما يخاف منها الضرر كالحية والعقرب ، وتختلف كفاراتها، وهي خارجة عن محل الابتلاء غالباً في عصرنا هذا .

٨ - قتل القمل وهوام الجسد من الحيوانات ، والكفارة كف من طعام .

٩ - حمل السلاح؛ لتضرر المجتمع به ، والكفارة شاة على قول .

١٠ - قطع الشجر ، والكفارة ما يعادل قيمة الشجر .

ب : ما ينافي حالة التقشّف مما يتعلق بالجسم، وهي :

١١ - ازالة الشعر من البدن، وكفارتها شاة .

١٢ - تقليص الأظافر من البدن جميعاً في مجلس واحد ، والكفارة شاة ، وفي كل ظفر مد من الطعام .

١٣ - تدهين البدن من غير ضرورة ، والكفارة شاة .

١٤ - الاكتحال بالسواد ، والكفارة الاستغفار .

١٥ - تزيين البدن بمثل الحناء والكفارة شاة على قول .

ج : وأما ما يتعلق بخارج الجسم، وهي :

١٦ - استعمال الطيب كالعطر، ولو في الاكل كالزعفران ، ولا بأس بأكل التفاح وما

أشبهه؛ لانه ليس محضاً للطيب ، وكذلك يحرم اجتناب الرائحة الكريهة ، والكفارة شاة على المشهور .

١٧ - الحلف بالله تعالى ، والكفارة على الصادق في المرة الاولى الاستغفار ، وفي

المرة الثانية شاة ، وعلى الكذب في المرة الاولى شاة ، وفي الثانية شاتان ، وفي الثالثة بقرة .

١٨ - عقد النكاح سواء الدائم أو المنقطع لنفسه أو لغيره، والكفارة فساد العقد بجميع

صوره ، وفيه مسائل يرجع فيها الى كتب المناسك .

١٩ - النظر في المرأة، والكفارة الاستغفار .

٢٠ - لبس الخف ، والكفارة شاة على قول .

د: وما يتعلق بالأموال الجنسية، وهي :

١٧٤ شرح الأربعين النبوية

٢١ - النظر الى النساء بشهوة ، والكفارة في الاجنبية مع خروج المني ناقة للغني ، وبقرة للمتوسط ، وشاة للفقير. وفي الزوجة مع خروج المني ناقة .

٢٢ - تقبيل النساء بشهوة ، والكفارة بالنسبة الى الزوجة مع خروج المني ناقة ، وبدون الشهوة شاة .

٢٣ - لمس النساء بشهوة ، والكفارة شاة ، ولا شيء بدون شهوة .

٢٤ - الاستمنا والكفارة ناقة .

٢٥ - الجماع ، والكفارة - اذا كان في العمرة بعد السعي وقبل طواف النساء - ناقة على الأحوط ، ومع العجز بقرة ، ومع العجز فشاة . وقبل السعي ، قيل بفساد الحج ، والاحوط الاعادة في القادم ، واما لو كان ذلك بعد طواف النساء فلا شيء عليه .

الواجب الثاني - الطواف

يراعى في الطواف ما يراعى في الصلاة من الشروط ، وهي امور :

١ - طهارة البدن والثوب من النجاسات .

٢ - الوضوء أو الغسل وهو ركن في الحج وتركه عمدا يبطل الحج .

٣ - ستر العورة .

٤ - الختان ، فلا يصح الطواف من غير المختون .

٥ - النية ، ويكفي ان تقصد بالوعي الكامل : « اطوف بالكعبة المعظمة سبع مرات لعمرة التمتع لوجوبه قربة الى الله تعالى » . ويستحب الغسل للطواف ، كما ينبغي للحاج قبل الطواف ان يعرف مكان الحجر الاسود ، ومقام ابراهيم ، وشاذروان الكعبة ، ويستحب ان يتوجه الى الكعبة ويرفع يديه الى السماء ويقول : « اللهم اني أسألك في مقامي هذا في اول مناسكي ان تقبل توبتي ، وان تتجاوز عن خطيئتي ، وان تضع عني وزري ، الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام ، اللهم اني اشهد ان هذا بيتك الحرام الذي جعلته مثابة للناس وامنا مباركا وهدى للعالمين ، اللهم العبد عبدك والبلد بلدك ، والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك واؤم طاعتك ، مطيعا لامرك ، راضيا بقدرتك ، أسألك مسألة الفقير اليك ، الخائف لعقوبتك ، اللهم افتح لي ابواب رحمتك واستعملني بطاعتك ومرضاتك » .

واجبات الطواف :

وبعد ان تقصد ما تريد الاتيان به قربة الى الله تعالى ، يجب ما يأتي :

اولاً : الحركة على اليسار بأن تكون الكعبة على يسارك .

ثانياً : الابتداء بالحجر الاسود ، وتكفي النية قبل ذلك بقليل حتى يحصل العلم بمقارنتها مع الابتداء الحقيقي .

ثالثاً : الانتهاء بالحجر الاسود ايضا في كل مرة .

رابعاً : الطواف حول البيت وحجر اسماعيل معا ، بأن يقع الطواف خارج حجر اسماعيل .

خامساً : ان تطوف سبع مرات (أشواط متواليات) .

سادساً : لا يجوز ان تباعد عن الكعبة اكثر من ستة و عشرين ذراعاً ونصف ذراع ، ويعادل ذلك ١٢ متراً تقريباً من الجوانب الاربعة ، وهو المسافة بين الكعبة ومقام ابراهيم ، وهو حدود المطاف . وعليه يتضيق المطاف عند حجر اسماعيل بما يقرب من ستة اذرع ونصف ، اي ما يعادل ثلاثة امتار .

سابعاً : لا تقترب حين الطواف الى الكعبة اكثر من نصف متر ؛ لان في قاعدة البيت انعطاف يسمى (شاذروان الكعبة) والقاعدة هي مساحة البيت ، فلا بد من الطواف حولها لقوله تعالى : ﴿ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ ^(١) ، أي حول البيت لافيه .

والمستحبات كثيرة منها :

١ - الطواف حافياً .

٢ - الطواف على سكينه ووقار .

٣ - تقرأ بتكرار حال الطواف هذا الدعاء : « اللهم اني اليك فقير ، واني خائف مستجير ،

فلا تغير جسمي ولا تبدل اسمي »

وهناك ادعية مختلفة يستحب قراءتها في بعض المواضع حال الطواف ، وحيث لا يتيسر غالباً مراعاتها جميعاً حين الطواف ، لذلك آثرنا ان نذكر في كل شوط دعاء منها ، كي يسهل للحاج الكريم قراءتها ، ولا بأس بتكرارها حتى تمام الشوط ، ليحفظ بذلك عدد الشروط .

في الشوط الاول : عند باب الكعبة صل على محمد وآل محمد ، وقل : « سائلك فقيرك مسكينك ببابك ، فتصدق عليه بالجنة ، اللهم البيت بيتك ، والحرم حرمك ، والعبد عبدك ، وهذا مقام العائذ بك ، المستجير بك من النار ، فاعتقني والدي واهلي وولدي واخواني المؤمنين من النار ، يا جواد ويا كريم » .

في الشوط الثاني عند حجر اسماعيل كان الامام السجاد عليه السلام يدعو بما يلي: «اللهم ادخلني الجنة، واجرني من النار برحمتك، وعافني من السقم، واوسع علي من الرزق الحلال، وأدرأ عني شر فسقة الجن والانس وشر فسقة العرب والعجم».

في الشوط الثالث: عند الركن اليماني المحاذي للحجر الاسود تقول: «يا الله يا ولي العافية، وخالق العافية، ورازق العافية، والمنعم بالعافية، والمتفضل بالعافية علي وعلى جميع خلقه، يارحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما، صل على محمد وال محمد وارزقنا العافية وتمام العافية وشكر العافية في الدنيا والاخرة يا ارحم الراحمين».

في الشوط الرابع: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

في الشوط الخامس، تقول حال الطواف: «اللهم اني اسألك باسمك الذي يمشي به على جدد الارض، واسألك باسمك الذي تهتز له ملائكتك، واسألك باسمك الذي دعاك به موسى من جانب الطور، فاستجبت له، والقيت عليه محبة منك، واسألك باسمك الذي غفرت به لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر، واتممت عليه نعمتك، ان تفعل بي ما انت امله ولا تفعل بي ما انا امله» وتطلب حوائجك.

في الشوط السادس: تقول في حال الطواف: «اللهم أني اليك فقير واني خائف مستجير فلا تغير جسمي ولا تبد اسمي».

في الشوط السابع: عند المستجار وهو الشوط الاخير تقول: «اللهم البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مقام العاذ بك من النار، اللهم من قبلك الروح والفرج والعافية، اللهم ان عملي ضعيف فضاعفه لي، واغفر لي ما اطلعت عليه مني وخفي على خلقك، استجير بالله». وتطلب حوائجك.

مسائل ثلاث:

١- الزيادة عمدا في الطواف مبطل، وكذا القران، أي عدم الفصل بين الطوافين، واما الزيادة سهوا فلا توجب البطلان.

٢- لو حصل مانع في الطواف كالانحراف عن الكعبة أو الخروج من المطاف على اثر الازدحام فليرجع الى المكان الذي حصل فيه الانحراف على اثر الازدحام ويستمر منه في الطواف.

٣- لو انتقض الوضوء في الطواف، و تنجس البدن، فاذا كان قد تجاوز الشوط الرابع فليذهب ويتطهر ثم يرجع ويتم الطواف من حيث قطع ولا بأس بذلك مع مراعاة الموالاة، اما اذا تأخر كثيرا فيبطل الطواف.

الواجب الثالث: صلاة الطواف

وتجب صلاة ركعتين بعد الطواف، ويجب أن تكون خلف مقام إبراهيم عليه السلام، وإذا لم يتمكن من اثر الزحام فيراعى اقرب الامكنة خلف المقام وتجب القراءة الصحيحة في الصلاة، ومن لم يتمكن من ذلك فعليه ان يتعلم أو يحتاط بالصلاة جماعة أو بالاستنابة. ويستحب ان يقرأ في الركعة الاولى بعد الحمد سورة التوحيد، وفي الركعة الثانية بعد الحمد سورة (قل يا ايها الكافرون)، وان يقول بعد الصلاة: «اللهم تقبل مني، ولا تجعله آخر العهد مني، الحمد لله بمحامده كلها على نعمائه كلها حتى ينتهي الحمد الى ما يحب ويرضى، اللهم صل على محمد وآل محمد وتقبل مني، وطهر قلبي وزك عملي».

الواجب الرابع: السعي

وبعد الصلاة تتجه الى السعي بين الصفا والمروة، وهو ركن يبطل الحج بتركه عمداً، سواء كان عالماً أو جاهلاً، وحكمه حكم تارك الطواف، وواجبات السعي خمسة:

- ١- النية .
 - ٢- الابتداء من الصفا.
 - ٣- الانتهاء بالمروة .
 - ٤- العدد ، بان تكون سبع مرات، ويعتبر الذهاب الى الصفا الى المروة مرة واحدة ، والرجوع من المروة الى الصفا يعتبر مرة ثانية . وهكذا الى ان يتم السبع ، فيكون الانتهاء بالمروة كما ذكرنا .
 - ٥- الاتجاه الى الامام بمقادير البدن حالة السعي .
 - ٦- ان يكون الملبوس حلالاً غير مغصوب، حتى النعل .
- ولا يعتبر في السعي الطهارة من النجاسة ولا الوضوء ، ويستحب للرجال خاصة (الهرولة) بين العمودين الاخضرين ، وهما اليوم ، احدهما: ازاء موضع باب علي عليه السلام، والثاني: عند باب العباس.
- والهرولة: ان يتحرك الكتفان حال المشي، وذلك غير واجب.
- كما يستحب حال السعي قراءة هذا الدعاء: «اللهم اني اسألك حسن الظن بك على كل حال، وصدق النية في التوكل عليك». «يا ذا المن والفضل والكرم والنعماء والجود، اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب إلا أنت».
- واذا وصلت الى المروة تقول: «لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد،

يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وهو على كل شيء قدير». «اللهم يامن امر بالعفو، يا رب العفو، العفو العفو» ولا بأس بأن تقرأ في كل سعي دعاءً خاصاً لئلا يلتبس عليك عدد السعي.

أدعية السعي :

روي ان الأمام موسى بن جعفر عليه السلام لم يقل حال السعي سوى هذا الدعاء: «اللهم أني اسالك حسن الظن بك في كل حال، وصدق النية في التوكل عليك». ورويت أيضاً أدعية في حالات خاصة نذكر ما ييسر العمل به؛ حيث لا يمكن عادةً الاتيان بجميعها؛ لكثرة الزحام أو عدم وجود موضع لتلك الحالات، وبما ان المهم ان يحفظ الحاج عدد السعي لذلك تقتبس من نصوص الادعية ما ينبغي ان يقرأ في كل سعي لئلا يحصل الشك في عدد الاشواط:

فعلى الصفا: مما يستحب ان يقرأ على (الصفا) حينما تريد الابتداء بالسعي، وكذلك حينما تصل (المروة) ما يأتي: الله اكبر (٧ مرات) الحمد لله (٧ مرات) لا اله الا الله (٧ مرات) ثم تقول: «اللهم صل على محمد وال محمد، لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حي لا يموت، وهو على كل شيء قدير، اللهم صل على محمد وال محمد، الله اكبر على ما هدانا، الحمد لله على ما اولانا، والحمد لله الحي القيوم، والحمد لله الحي الدائم.

اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله، لانعبد الاياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون.

اللهم اني اسالك العفو والعافية واليقين في الدنيا والاخرة.

اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار».

الشوط الأول :

«لا اله الا الله وحده وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، فله الملك وله الحمد وحده، اللهم بارك لي في الموت وفي ما بعد الموت، اللهم أني أعوذ بك من ظلمة القبر ووحشته، اللهم اظلمي في ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك، اللهم اغفر لي ولوالدي وارضهما كما ربياني صغيرا واجزهما بالاحسان احسانا وبالسئيات عفوا وغفرانا، اللهم اني اسالك حسن الظن بك وعلى كل حال وصدق النية في التوكل عليك».

الشوط الثاني :

«استودع الله الرحمن الرحيم الذي لاتضيع ودائعه ديني و نفسي واهلي ومالي

وولدي ، اللهم استعملني على كتابك وسنة نبيك ، وتوفني على ملته ، يا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الأعز الأجل الأكرم ، اللهم اني اسالك حسن الظن بك على كل حال وصدق النية في التوكل عليك».

الشوط الثالث :

«اللهم اغفر لي كل ذنب اذنبته قط ، فإن عدت فعد علي بالمغفرة فانك انت الغفور الرحيم ، اللهم افعل بي ما انت اهله ، فانك ان تفعل بي ما انت اهله ترحمني ، وان تعذبني فانت غني عن عذابي وانا محتاج الى رحمتك ، فيامن انا محتاج الى رحمة ارحمني ، ولا تفعل بي ما انا اهله ، فانك ان تفعل بي ما انا اهله تعذبني ولم تظلمني ، اصبحت اتقي عدلك ولا اخاف جورك ، فيامن هو عدل لا يجور ارحمني ، يا من لا يخيب سائله ولا ينفذ نائله ، صل على محمد وال محمد واعذني من النار برحمتك ، اللهم اني اسالك حسن الظن بك على كل حال ، وصدق النية في التوكل عليك».

الشوط الرابع :

«اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر وفتنته وغرخته ووحشته وظلمته وضيقه وضنكه ، اللهم اظلني في ظل عرشك يوم ظل ظلك . يا رب العفو العفو العفو ، يا جواد يا كريم يا قريب يا بعيد اردد علي نعمتك ، واستعملني بطاعتك ومرضاتك ، يا من لا يخيب سائله ، ولا ينفذ نائله ، صل على محمد وال محمد وأعذني من النار برحمتك ، اللهم اني اسالك حسن الظن بك على كل حال وصدق النية بالتوكل عليك».

الشوط الخامس :

«بسم الله وبالله والله اكبر ، وصلى الله على محمد وال بيته ، اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، انك انت الاعز الاكرم ، واهدني للتي هي اقوم ، اللهم ان عملي ضعيف فضاعفه لي ، وتقبل مني ، اللهم بك سعيي ، وبك حولي وقوتي ، تقبل مني عملي يا من يقبل عمل المتقين ، اللهم اني اسالك حسن الظن بك على كل حال وصدق النية في التوكل عليك».

الشوط السادس :

«يا رب العفو ، يا من امر بالعفو ، يا من هو اولى بالعفو ، يا من يثيب على العفو ، العفو العفو العفو ، يا جواد يا كريم ، يا قريب يا بعيد ، اردد علي نعمتك ، واستعملني بطاعتك ومرضاتك ، يا ذا المن والفضل والكرم والنعماء والجود ، اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت ، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، انك انت الأعز الأكرم ، اللهم اني اسالك

حسن الظن بك على كل حال وصدق النية بالتوكل عليك».

الشوط السابع:

«ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، انك انت الاعز الاكرم ، رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واجزهما بالاحسان احسانا وبالسيئات عفوا وغفرانا ، اللهم اني اسألك حسن الظن بك على كل حال وصدق النية في التوكل عليك».

الواجب الخامس : التقصير

بعد السعي يجب التقصير ، وهو ان يقص شيئا من شعر الرأس والاذن ، ويجب فيه النية بان تقصد: «اقصّر للاحلال من الاحرام عمرة الحج الاسلام قربة الى الله تعالى».

ويحل بالتقصير جميع ما ذكرناه من (محرمات الاحرام) ولكن يحرم حلق الراس ، بل يجب ان يؤخر الحلق الى ما بعد الحج، وبذلك تتم عمرة التمتع، وبها تمام المرحلة الاولى في مناسك الحج .

وهنا ينبغي ان يتذكر الحاج الكريم ان التقصير رمز لانتصار الحق على الباطل، ويستلهم من هذه المشاعر روح التضحية في سبيل الحق وخدمة الاسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾^(١).

المرحلة الثانية :

ويجب على الحاج الكريم اعمال اخرى تسمى بـ (حج التمتع) وتتحدد بأوقات خاصة ، وهي خمسة ايام فقط ، ابتداء من اليوم الثامن من ذي الحجة وحتى اليوم الثاني عشر، وقبل هذه الاعمال من الضروري جدا معرفة ثبوت هلال ذي الحجة كي تقع الاعمال في اوقاتها حسب الايام، ويثبت الهلال بالرؤية وبالشيع المفيد للعلم وشهادة عدلين، فاذا علم الحاج الكريم علماً قطعياً بالهلال كأن شاهده بنفسه، فيجب عليه تطبيق

ما رأى ، واما اذا لم يعلم، كما هو شأن اغلب الحجاج الكرام، فيكفيهم ثبوت الهلال عند العامة، كما كانت عليه سيرة الائمة الطاهرين عليهم السلام .

اليوم الثامن: وهو يوم التروية ، يستحب للحاج في طريقه الى عرفات ان ياتي باحرامه الواجب لحج التمتع في اليوم الثامن خاصة، ثم يتوجه الى منى، ويجوز تقديم الاحرام على هذا اليوم بثلاثة ايام ، وخاصة للمريض والشيخ الكبير .

والواجب هو الاحرام في مكة ، وان لا يتأخر عن نهار اليوم التاسع . وشروط الاحرام نفس الشروط التي تقدم ذكرناها ، ويحرم جميع محرمات الاحرام المتقدم ذكرها ، ومن ترك الاحرام عمدا بطل حجه، والناسي والجاهل يرجع الى مكة ويحرم منها. ويستحب ان يكون الاحرام من المسجد الحرام وان يكون بعد صلاة الظهر والعصر، وان يكون ليلة التاسع في منى .

اليوم التاسع: وهو يوم عرفة، ويجب في هذا اليوم الحضور في عرفات - وهو واد قريب من مكة، عليه علامات منصوبة، وحدودها معلومة - من اول الظهر الشرعي الى المغرب الشرعي ، ويسمى هذا (الوقوف الاختياري).

واذا لم يتمكن من الحضور في هذا الوقت لعذر، فانه يجب عليه الحضور من المغرب الشرعي الى الصباح (الفجر الشرعي) . ويسمى هذا (الوقوف الاضطراري)، فاذا تأخر من اول الظهر اثم وصح حجه ، واذا خرج قبل المغرب الشرعي عالماً عامداً فعليه كفارة ، وهي ناقة ينحرها في منى، واذا لم يتمكن صام ثمانية عشر يوماً متوالياً .

ويستحب في هذا اليوم (أي يوم الوقفة) الاكثار من الادعية المأثورة ، ومنها :

١ - « اللهم اني عبدك فلا تجعلني من أخيب وفدك ، وارحم مسيري اليك من الفج العميق ».

٢ - « اللهم اجعلني ممن رضيت عمله واطلعت عمره واحييته بعد الموت حياة طيبة ».

٣ - عند غروب الشمس تقول : « اللهم اني اعوذ بك من تشئت الامر، ومن شر ما يحدث لي بالليل والنهار ، امسى حلمي مستجيراً بعفوك ، وامسى خوفاً مستجيراً بأمانك ، وامسى ذلياً مستجيراً بعزك ، وامسى وجهي الفاني مستجيراً بوجهك الباقي ، يا خير من سأل واجود من اعطى ، يا ارحم من استرحم، جللني برحمتك والبسني عافيتك واصرف عني شر جميع خلقك » . ثم اطلب حوائجك

٤ - بعد مغيب الشمس تقول : « اللهم لاتجعل له آخر العهد من هذا الموقف وارزقني العود ابدًا ما ابقيتني ، واقلبني اليوم مفلحاً منجحاً ومستجاباً مرحوماً مغفوراً لي بافضل ما

ينقلب به اليوم احد من وفدك وحجاج بيتك الحرام، واجعلني اليوم من اكرم وفدك عليك، واعطني افضل ما اعطيت احدا منهم من الخير والبركة والرحمة والرضوان والمغفرة، وبارك لي في ما ارجع اليه من اهل أو مال أو قليل أو كثير وبارك لي فيه .»

واقرا خاصة دعاء الامام الحسين عليه السلام ودعاء الامام السجاد عليه السلام وزيارة الامام الحسين عليه السلام وهي مذكورة في المفصلات^(١) واكثر من قول: «اللهم اعتقني من النار» والدعاء وطلب الحوائج في هذا اليوم الشريف .

في ليلة العاشر: بعد المغرب الشرعي في عرفة تتوجه الى المشعر الحرام وتسمى (المزدلفة)؛ لان الناس يزدلفون - أي يتقربون الى الله - فيها، ويسمى (جَمَعَ) ايضا، وله علامات منصوبة محدودة .

وعليك في المشعر ما يأتي :

اولا: ان تبقى فيه حتى الصباح .

ثانيا: ان تلتقط منها الحصى للرمي في المستقبل ، والأفضل ان تلتقط سبعين حصاة، خشية ان تخطيء في الرمي ، ويجوز اخذ الحصاة من أي مكان من حدود الحرم، والأفضل ان تؤخذ من المعشر، ثم من منى، ويستحب ان تكون الحصاة بمقدار الأنملة. نهار اليوم العاشر : وهو يوم العيد ، وعليك فيه واجبات كثيرة يلزم ان تنتبه اليها، وتأتي بها في كل من المعشر ومنى ومكة كالاتي :

في المشعر : يجب الحضور في المشعر من الفجر (اذان الصبح) الى طلوع الشمس ، واذا لم تتمكن لعذر فيجب الحضور من اول طلوع الشمس الى الظهر الشرعي، ويسمى هذا: الموقف الاضطراري ، واذا وصل الحاج متأخراً عن الفجر اثم وصح الحج، واذا خرج قبل طلوع الشمس تجب كفارة شاة .

ويستحب ان تكثر من الدعوات المأثورة، منها: «اللهم رب المشعر الحرام، فك رقبتني من النار، واوسع علي من رزقك الحلال الطيب، وادراً عني شر فسقة الجن والانس، اللهم انت خير مطلوب اليك وخير مدعو وخير مسؤول ، ولكل وافد جائزة ، فاجعل جائزتي في موضعي هذا ان تقبلني عثرتي وتقبل معذرتي وان تتجاوز عن خطيئتي، ثم اجعل التقوى في الدنيا زادي وتقبلني مفلحاً مستجاباً لي بافضل ما يرجع به احد من وفدك وزوار بيتك الحرام»

(١) راجع: كتب المناسك والادعية.

واكثر من الاستغفار في منى ، وكذلك يجب الرجوع من المشعر الى منى لواجبات يأتي بها على الترتيب الآتي:

اولا: رمي جمرة العقبة (الكبيرة)، مع مراعاة ما يأتي :
١ - تنوي العمل قرابة الى الله تعالى .

٢ - ترمي سبع حصيات ، ولا يجزي الاقل

٣ - يكون الرمي للحصى واحدة بعد اخرى مباشرة .

٤ - التأكد من وصول الحصى الى الجمرة بالرمي .

٥ - ان وقت الرمي من طلوع الشمس الى غروبه ، والعاجز يستنيب للرمي بالوكالة عنه، وما يفعله بعض الحجاج من الضرب بالحذاء اظهاراً للكراهية للشيطان لم ترد به السنة المطهرة.

ويستحب ان تقول حال الرمي : «الله اكبر، اللهم ادحر عني الشيطان ، اللهم تصديقا بكتابك وعلى سنة نبيك محمد ﷺ، اللهم اجعله لي حجا مبرورا وعملا مقبولا وسعيًا مشكور وذنبا مغفورا».

ثانياً: بعد الرمي يجب الهدى (الاضحية)، ويجب في الهدى امران :

الاول : كمال السن، فيعتبر في الغنم كمال السنة بان تدخل في الثانية، وهناك قول بكفاية دخولها في الشهر الثامن ، وفي البقر والمعز، ان تدخل في الثالثة ، وفي الابل ان تدخل في الثالثة .

الثاني: تمام الاعضاء ، فلا يجزي الاعور والاعرج والمقطوع الاذن ومكسور القرن والخصي والهزيل جداً والمريض ، ولا بأس بمشقوق الاذن من غير قطع ، وكذلك لا بأس بفاقد القرن من اصل الخلقة ، ولا يجب الذكر من الغنم وانما هو مستحب ، ويستحب ان يقرأ عند الذبح: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما انا من المشركين، ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين ، اللهم منك ولك ، بسم الله وبالله والله اكبر ، اللهم تقبل مني كما تقبلت من ابراهيم خليلك وموسى كليتك ومحمد حبيبك » .

ويلزم ان يقسم الهدى على ثلاثة اقسام كالآتي:

١ - قسم يعطى للفقير صدقة .

٢ - وقسم يعطى للمؤمنين هدية .

٣ - وقسم يأكل منه الحاج نفسه. فقد قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ

كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^(١).

قال الامام الصادق عليه السلام: «القانع هو الذي يرضى بما أعطيته ولا يسخط، ولا يكلح و لا يلوي شذقه غضباً و المعتر المارّ بك لتطمعه»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «انما جعل هذا الاضحى لتشبع مساكينكم من اللحم فاطعموهم»^(٣).

وفي عصرنا هذا حيث لا يمكن العمل بهذا التقسيم، فمن الناحية الفقهية تلزم الوكالة من الفقراء والمؤمنين بالتصرف فيما يخصهم كيف ما يشاء الحاج نفسه ولو باهماله. وغير خفي ان ايجاب الهدى والذبح سبب مباشر في تكثير الثروة الحيوانية وتيسيرها لعامة الناس، ولو قيل بوجوب الثمن بدل الذبح لما كان هذا الأثر، واما ما يحصل اليوم من اهمال الهدى بعد الذبح وفساد اللحم فيرجع ذلك الى اهمال اهل المقدرة - كالحكومات - بواجباتهم؛ من حفظها بالوسائل العصرية . ولا يسقط الوجوب عن الافراد بسبب اهمال الحكومة بواجباتها.

ثالثاً: يجب الحلق على الرجال خاصة ممن يحج لأول مرة والتقصير للنساء، وكذا للرجل الذي كان قد حج قبل ذلك. ويستحب هذا الدعاء عند التقصير والحلق: «اللهم اعطني بكل شعرة نوراً يوم القيامة»

وبذلك يحل للحاج جميع ما حرم عليه ماعدا ثلاثة اشياء، هي: النساء والصيد والطيب.

وفي مكة:

وبعد الانتهاء من اعمال منى يجب ان تتوجه الى مكة في نهار اليوم العاشر ان امكن، والا ففي اليوم الحادي عشر، وتأتي بخمسة اشياء ذكرناها سابقاً، وهي:

١ - طواف الحج، وتسميه العامة (طواف الافاضة والزيارة) فتبدأ بالحجر الاسود وتجعل البيت على يسارك وتطوف سبع مرات على التفصيل الذي ذكرناه سابقاً.

٢ - صلاة الطواف، بان تصلي ركعتين خلف مقام ابراهيم بنية صلاة طواف الحج.

٣ - السعي، وهو ان تمشي بين الصفا والمروة سبع مرات، تبدأ بالصفا وتنتهي بالمروة،

(١) الحج: ٣٦. (٢) الكافي ٤: ٤٩٩، ح ٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠٠، ح ٢١٣٦.

كما تقدم تفضيله، وبعد السعي يحل للحاج الطيب.

- ٤ - طواف النساء ، ثم يجب على الرجال والنساء جميعاً طواف النساء حول البيت سبع مرات ، وبدونه يحرم النكاح على كل من الرجل والمرأة من الحجاج .
- ٥ - صلاة طواف النساء، وهو ان تصلي ركعتين خلف مقام ابراهيم لطواف النساء، وبذلك يحل الزواج للنساء والرجال من الحجاج .

مسائل :

- ١ - لا يجوز تقديم الطواف على الحلق والتقصير ، فلو قدمه عمدا وجبت الاعادة مع كفارة شاة .
- ٢ - لا يجوز تقديم الطواف على اليوم التاسع أو العاشر الا بعذر من شيخوخة أو خوف حدوث الحيض للمرأة .
- ٣ - من لم يتمكن من الطواف او الصلاة لعذر كحدوث الحيض اذا لم يتمكن من البقاء في مكة حتى يطهر يلزمه الاستنابة .
- ٤ - اذا ترك طواف النساء عمدا مع العلم أو الجهل ، فانه لا يبطل به الحج، بل يجب عليه التدارك بنفسه .
- ٥ - اذا نسي صلاة طواف النساء ولم يمكن التدارك اتى بها في أي موضع ذكره .

ايام التشريق :

في اليوم الحادي عشر، يجب على الحاج الرجوع من مكة الى منى للمبيت ليلة الحادي عشر في منى ويستثنى من هذا الواجب جماعة خاصة كالمرضى والطبيب ، واما غير ذوي الاعذار فعليه كفارة شاة عن كل ليلة اذا لم يبيت في منى ، وتسمى الايام (١١ - ١٢ - ١٣) ايام التشريق ، لان لحوم الاضاحي كانت تشرق وتعرض للشمس، وفي كتب الادعية أعمال خاصة لهذه الايام وفي نهار الحادي عشر يجب رمي الجمرات الثلاث ، وكلها واقعة في شارع عام يبعد كل واحدة عن الاخرى حدود ١٥٥ متراً، ويجوز للعاجز والمضطر ان يستنيب في الرمي، وواجبات الرمي هي :

- ١ - تنوي القرية الى الله تعالى .
- ٢ - ترمي سبع حصيات ، ولا يجزي اقل من ذلك .
- ٣ - يكون الرمي للحصيات واحدة بعد اخرى .

- ٤ - يشترط وصول كل حصاة الى الجمرة بالرمي .
- ٥ - وقت الرمي من طلوع الشمس الى غروبها .
- ٦ - يجب ان يكون الرمي على الترتيب الاتي :
اولا: الجمرة الاولى (الصغرى) وهي قريبة من مسجد الخيف ، فترمى بسبع حصيات .
ثانيا: الجمرة الثانية (الوسطى) وتبعد عن الاولى حدود ١٥٥ متراً، فترمى بسبع حصيات أيضاً.
ثالثا: الجمرة الثالثة، تسمى (الكبرى أو جمرة العقبة) وتبعد عن الوسطى حدود ١٥٥ متراً ايضاً، ترميها بسبع حصيات ايضاً .
ويجب ان يكون الرمي بالترتيب المذكور ، فلو خالف وجب عليه الرجوع حتى يحصل الترتيب ، ومن نسي الرمي وجب عليه الرمي قضاء أو الاستنابة اذ ذكر ذلك خارج مكة .
- اليوم الثاني عشر:
يجب ايضاً المبيت في منى ليلة الثاني عشر ، ثم في نهار اليوم الثاني عشر يجب ايضاً رمي الجمرات الثلاث ، كل جمرة بسبع حصيات مثل ما تقدم .
- اليوم الثالث عشر:
ولا يجب المبيت في ليلة الثالث عشر على كل احد، وانما يجب على ثلاثة فقط، وهم:
١ - من بقي نهار الثاني عشر في منى حتى المغرب الشرعي .
٢ - من لم يجتنب الصيد في الاحرام .
٣ - من لم يجتنب النساء في قول، وكل من وجب عليه ان يبيت ليلة الثالث عشر يجب عليه ايضاً في النهار رمي الجمرات الثلاث كما تقدم .
وبذلك يكون تمام اعمال الحج الاسلامي تقبل الله من المسلمين جميعاً .

أحكام النساء

تشترك المرأة مع الرجل في جميع اعمال الحج بلا استثناء، وتختلف معه في بعض الاحكام ، ويختص بالرجال حرمة لبس المخيط والاستئطال وجواز الحلق، ويختص بالمرأة وجوب كشف الوجه واليدين حال الاحرام، والاحكام المترتبة على الدورة الشهرية، ولا يمنع الحيض من اعمال الحج الواجبة سوى الطواف وصلاة الطواف، اذ يلزم ان يكون الطواف والصلاة عن طهارة في المسجد الحرام، وما عداهما فتأتي به الحائض،

واهم مسائل النساء ثلاث:

المسألة الأولى: لا يجري حكم الحيض على المستحاضة باقسامها الثلاثة (من القليلة والمتوسطة والكثيرة) فإن الواجب على المستحاضة ان تأتي بوظيفتها من التنظيف والوضوء أو الغسل وتطوف وتصلي بلا اشكال، ويراجع تفصيل ذلك في كتاب (احكام النساء).

المسألة الثانية: اذا تيقنت المرأة من انها لا تتمكن من الطواف بعد عرفة، فيجوز لها ان تقدم طواف الحج قبل وقته، والاحوط ان تستنيب ايضا.

المسألة الثالثة: المرأة الحائض يختلف احكامها حسب ثلاث صور:

اولا: التي عرض عليها الحيض ابتداء من الميقات الذي احرمت فيه لحج التمتع، فاذا لم تظهر قبل ظهر اليوم التاسع، فتبدل نيتها الى (حج الأفراد) بمعنى ان تأتي بجميع ما ياتي به الحجاج ما عدا الهدي (أي الذبيحة)، فلا يجب عليها، بل يستحب لها، ثم بعد اكمال الحج يجب عليها العمرة المفردة.

ثانيا: التي عرض عليها الحيض بعد احرامها وهي في مكة مثلاً، قبل اليوم التاسع، وهذه ايضا تعدل بنيتها الى (حج الافراد) وتعمل كالصورة الثانية، ثم تأتي بالعمرة المفردة بعده.

ويجوز لها ان لا تطوف ولا تصلي صلاة الطواف، بل تسعى وتقصر، ثم تأتي بباقي اعمال حج التمتع، وفي اليوم العاشر تقضي طواف العمرة وصلاته قبل طواف الحج وصلاته.

ثالثا: التي عرض عليها الحيض بعد الحج ولم تتمكن من الطواف في اليوم العاشر، فيجب عليها ان تستنيب للطواف والصلاة، ثم بعد اتيان النائب، تأتي هي بباقي اعمال حج التمتع.

العمرة المفردة:

العمرة - لغة - الزيارة التي تعمر بها القلوب، وتسمى بـ (المفردة) لاتيانها مفردة عن اعمال الحج، وتجب العمرة على كل من يريد دخول مكة المكرمة سوى من يتكرر دخولهم وخروجهم، وتستحب طوال السنة، وتناكد استحباب العمرة في شهر رجب وشعبان.

كيفية العمرة المفردة:

للعمره المفردة ثمانية اركان، كالآتي :

الاول: نية القرية الى الله تعالى .

الثاني: الاحرام من الميقات ، من مسجد الشجرة على طريق المدينة ، أو قرن المنازل على طريق الطائف ، أو غيرهما ، وإذا لم يمر بالميقات فيحرم من حدود الحرم، وهي اربعة فراسخ في اربعة فراسخ حول الكعبة، وهي اليوم: التنعيم على طريق المدينة ، والجعرانة على طريق الطائف ، والحديبية (ذات العلمين) على طريق جدة .

الثالث: الطواف حول البيت وحجر اسماعيل معاً ، سبع مرات مبتدئاً بالحجر الاسود ومنتھياً اليه، مع جعل البيت على اليسار .

الرابع: صلاة ركعتي الطواف خلف مقام ابراهيم عليه السلام .

الخامس: السعي بين الصفا والمروة ، سبع مرات مبتدئاً بالصفا ومنتھياً بالمروة .

السادس: الحلق أو التقصير، بأخذ شيء من الأظافر أو الشعر .

السابع: طواف النساء سبع مرات حول البيت وحجر اسماعيل معاً .

الثامن: صلاة ركعتي طواف النساء خلف مقام ابراهيم عليه السلام .

وقد تقدم تفصيل الواجبات والمستحبات كلها، فراجع المسائل المذكورة فيها، والاحكام هي نفسها، والمسألة الجديرة بالذكر هنا ان طواف النساء هنا لازم يجب الاتيان به، ولو نسيه المعتمر في العمرة المفردة، فانه لا يحل له الزواج والنكاح رجلاً كان أو امرأة إلا بعد ان يأتي بالطواف بنفسه مباشرة .

مستحبات مكة المكرمة:

ويستحب للحاج الكريم في مكة المكرمة امور، هي :

١- الاكثار من الدعاء والاستغفار .

٢- الشرب من ماء زمزم .

٣- ختم القران، او قراءة تيسر منه .

٤- الطواف ما امكن، فإن الطواف كالصلاة في الفضيلة ، والا فضل ان يطوف بعد ايام السنة أي (٣٦٠ طوافا) .

٥- الطواف نيابة عن الوالدين والأموات من القرابة .

٦- الزيارات ، ففي مكة المكرمة توجد اماكن تاريخية لاتزال اماكنها معروفة بالرغم

من هدم الوهابيين للكثير منها، وهي:

- ١- مولد النبي ﷺ، وهو المكان الذي ولد فيه ﷺ، ويقع في شارع قرب المسي في محلة (القشاشية)، ومحله اليوم (١٣٨٣هـ) مكتبة عامة باسم مكتبة مكة المكرمة.
- ٢- مولد فاطمة ؓ، وهو دار خديجة بنت خويلد، وكان النبي ﷺ يسكن فيها، وهي واقعة في سوق طويل قرب المسي أيضاً يعرف اليوم بـ(سوق الصاغة) وهو واقع امام مولد النبي ﷺ، وقد حولها الوهابيون الى مدرسة دينية، وهي اليوم مهجورة.
- ٣- مقبرة المعلاة (في السليمانية) وهي مقبرة قديمة فيها قبور اجداد النبي ﷺ، ومنها:

- ١- قبر عبد مناف، جد النبي ﷺ.
 - ٢- قبر عبد المطلب، جد النبي ﷺ.
 - ٣- قبر ابي طالب، عم النبي ﷺ الذي حامى عن الرسول ﷺ في اصعب ظروف حياته ﷺ.
 - ٤- قبر خديجة الكبرى زوجة النبي ﷺ.
- فإن تاريخ هؤلاء طافح بالتضحية والانسانية والمروءة والشرف، وما اجدر بالمسلم الاقتداء بهم وخاصة بابي طالب الذي دافع عن النبي بكل صلابة، ولولاه لما لما تمكّن النبي ﷺ من الجهر بالدعوة الاسلامية، وهو اول من آمن به.
- وكذلك أم المؤمنين خديجة الكبرى التي ساندت الدعوة حتى قيل فيها: «ماقام الاسلام إلا بسيف علي بن ابي طالب ؓ واموال خديجة».

المدينة المنورة:

كانت المدينة المنورة تسمى (يثرب) قبل الإسلام، وكان الغالب على أهلها طائفتان، هما: (الايوس) و(الخرزج) وكانا على اشد ما يكون من روح النزاع والتخاصم، ولما رأى رسول الإسلام أن المدينة مركز صالح لبث الدعوة الاسلامية على العكس من (مكة) و(الطائف) هاجر ﷺ اليها، ونصره طائفتا الاوس والخرزج، ومن هنا عرفوا بـ(الانصار) كما عرف المسلمون الذين هاجروا الى المدينة بـ(المهاجرين).

وكره ﷺ ان يسميها يثرب، فدعاها (طيبة)، وكانت هجرته ﷺ في الاول من شهر ربيع الاول ٦٢٢ م، ويعتبر هذا التاريخ بداية تحوّل عظيم وتقدّم متواصل للإسلام والمسلمين حيث جرت سلسلة من الاحداث التي غيرت مسيرة التاريخ.

١٩٠ شرح الأربعين النبوية

وقد استقبل اهالي المدينة (الانصار) رسول الانسانية والاسلام برحابة صدر، كل يدعوه الى النزول عنده ، ولكنه ﷺ قال: «دعوا ناقتي فانها مأمورة» حتى بركت الناقة في ارض بني النجار حيث العتبة المقدسة النبوية اليوم، التي تعتبر من ابرز الآثار الاسلامية .

وشارك الرسول ﷺ بنفسه في بناء المسجد في السنة الاولى الهجرية، وكانت مساحة المسجد آنذاك: $70 \times 60 = 4200$ متراً في ارتفاع خمسة اذرع بذراع اليد، ثم توسع ﷺ في بنائها في السنة السابعة للهجرة بعد فتح خيبر جعلها في $100 \times 100 = 10000$ ذراعاً في ارتفاع سبعة اذرع ، والمواد الانشائية المتعارفة في ذلك العصر للبناء هي اللبن واعمدة النخل والجريد والسعف .

ثم تلت التوسعات والتعميرات من قبل الخلفاء حتى عهد الخلافة العثمانية فاصبح مساحة المسجد (١٠٣٠٢) متراً مربعاً وبأروع ما تكون من الاعمدة والرخام، ولا تزال العمارة قائمة الى اليوم ، وتوسعت الحكومة الحاضرة في الجانب الغربي حتى اصبح مجموع مساحة المسجد بما فيه المرقد الشريف (١٦٣٢٦) متراً مربعاً.

من تاريخ الحضرة النبوية :

في ربيع الاول السنة الاولى للهجرة بني المسجد الى جنب دار النبي ﷺ .

السنة السابعة : توسع النبي ﷺ في مساحة المسجد الملتصق بالدار .

وفي حدود سنة ٢٤٧ امر المتوكل ان ترخم جدارن المسجد .

وفي سنة ٥٤٨ هـ . عمل جمال الدين الاصفهاني مشبكاً للحجرة الشريفة من خشب الصندل والابنوس .

وفي سنة ٦٥٤ هـ . احترق المنبر وسقوف المسجد، وكان ابتداء الحريق من الزاوية الغربية الشمالية من المسجد، وكان احد القومة قد دخل الى خزانته ومعه نار فاحترقت فيه بعض الآلات ثم لحقت النار بالسقف .

وفي سنة ٦٦٨ هـ . ارسل السلطان الملك الظاهر بيبرس الصالحي مقصورة للحجرة الشريفة وعمل لها ابواباً، وكانت نحو قامتين فزاد عليها الملك زين الدين كتحدها .

وفي سنة ٦٩٤ هـ . عمل شبكاً دائراً على الحجرة النبوية حتى وصلها بسقف المسجد، وصارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة .

وفي سنة ٦٧٨ هـ . بنيت القبة الزرقاء على المرقد الشريف، وهي اول قبة مربعة من

اسفلها ومثمرة فوقها، وعليها الواح رصاص وفي اعلاها اخشاب ، وبنيت في عهد الملك المنصور قلاوون الصالحي .

وفي سنة ٨٨١ هـ اعيد بناء الحجرة من الاساس على اثر حريق آخر في زمن الملك الاشرف قايتباي.

وفي سنة ٨٨٧ هـ اعيد بناء الحجرة والمسجد من الأساس على اثر حريق ثالث، وبنيت اولى قبة بيضاء على الحجرة باهتمام السلطان مظفر الملك الاشرف قايتباي، وقد جهز معه اكثر من مائتي جمل وثلاثمائة صائغ.

وفي سنة ٩٨٠ هـ تولّى تجديد العمارة الخليفة العثماني السلطان سليم الثاني.

وفي سنة ١٢٣٣ هـ اعاد السلطان محمد بناء القبة باللون الأخضر.

وفي سنة ١٢٦٥ هـ جدد السلطان عبد المجيد عمارة المسجد والقبة النبوية، واستمر العمل اثني عشر عاماً حتى سنة ١٢٧٧ هـ كما امر ببناء قبور ائمة البقيع من اهل البيت عليهم السلام.

وفي سنة ١٣٤٦ هـ في الثامن من شوال هدم الوهابيون جميع القباب الموجودة في الحجاز بما فيها قبور اهل بيت النبي ﷺ ما عدا القبة الخضراء التي تضم قبر النبي ﷺ وابي بكر وعمر؛ باعتقاد ان جعل القبة على القبر حرام في الاسلام.

أعمال المدينة:

ان اهم الاعمال التي ينبغي للزائر ان يأتي بها في المدينة المنورة ، ما يلي :

١- زيارة قبر النبي ﷺ .

٢- زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة النبي ﷺ .

٣- الدعاء عند اسطوانة ابي لبابة .

٤- الدعاء في الروضة النبوية .

٥- الدعاء في مقام جبرئيل .

٦- زيارة ائمة البقيع عليهم السلام .

٧- اعمال ضواحي المدينة .

وقبل ان نذكر نصوص الزيارات والأدعية ينبغي ان نشير الى نبذة الى مما ورد في

شأنها :

اولا - زيارة المرقد النبوي :

يقع بيت النبي ﷺ الى جنب بيت بضعتة فاطمة الزهراء ع، ابنته الوحيدة، وقد اصبح مثواه ﷺ في بيته، ودفنت فاطمة الزهراء ع في بيتها، على الاصح، ولما مات كل من ابي بكر وعمر لم يدفنا في دارهما، بل دفنا في بيت النبي ﷺ .
ويحيط بجميع هذه القبور شباك تسمى بـ (المقصورة الشريفة) وتعلوها القبة الخضراء .

واكدت الروايات على زيارة مزارات المدينة المنورة ومشاهدها ومساجدها وخاصة زيارة الرسول الاكرم ﷺ، وان بها يكون الحج تاماً، فقد قال ﷺ : « من زارني حياً أو ميتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة »^(١).

وقال ﷺ : « من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر الي في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا الى السلام فانه يبلغني »^(٢).
وقال النبي ﷺ : « من زارني أو زار احداً من ذريتي زرتة يوم القيامة فانقذته من احوالها »^(٣).

وقال امير المؤمنين ع : « اتموا برسول الله حجكم اذا خرجتم من بيت الله، فإن تركه جفاء، وبذلك امرتم، واتموا بالقبور التي الزمكم الله حقها وزيارتها »^(٤).

وقال الامام الصادق ع : « زيارة قبر رسول الله تعدل حجة مع رسول الله »^(٥).

وقال ايضا : « اذا حج احدكم فليختم حجه بزيارتنا؛ لان ذلك من تمام الحج »^(٦).

وقال الامام الرضا ع : « ان الله تعالى فضل نبيه ﷺ على جميع خلقه من النبيين والملائكة وجعل طاعته ومبايعته مبايعته وزيارته فقال الله عز وجل : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾^(٧) وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(٨) »^(٩). وقال الشهيد ع : « اذا ترك الناس زيارة النبي ﷺ اجبروا عليها؛ لما

(١) قرب الاستاد : ٦٥، ح ٢٠٥ . (٢) كامل الزيارات : ٤٧، ح ٢٢ .

(٣) كامل الزيارات : ٤١، ح ٥ . (٤) الكافي ٤ : ٥٤٨، ح ٢ .

(٥) علل الشرائع ٢ : ٤٥٩ . (٦) علل الشرائع ٢ : ٤٥٩ .

(٧) النساء : ٨٠ . (٨) الفتح : ١٠ .

(٩) تفسير نور الثقلين ١ : ٥٢١ .

يتضمن من الجفاء المحرم»^(١).

ثانياً - زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام:

قال الشيخ الطوسي: «اختلفت اصحابنا في موضع قبرها ، فقال بعضهم: انها دفنت بالبقيع ، وقال بعضهم: انها دفنت بالروضة ، وقال بعضهم: انها دفنت في بيتها ، فلما زاد بنو امية في المسجد صارت من جملة المسجد ، وهاتان الروايتان كالمتقاربين ، والافضل عندي ان يزور الانسان في الموضعين جميعا فانه لا يضره ذلك ، ويحوز به اجرا عظيما ، واما من قال : انها دفنت في البقيع فبعيد من الصواب»^(٢)، انتهى .

وقال في ائمة البقيع ايضا: «في بعض الاخبار: انهم - أي الائمة عليهم السلام - انزلوا على جدتهم فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف»^(٣).

واقرب الروايات انها دفنت في بيتها كما يساعد على ذلك ملاحظة الاضطرابات التي احاطت باهل البيت النبوي بعد وفاة النبي ﷺ فدفنت في بيتها واصبح قبرها مجهولاً لعامة الناس ؛ حتى لا ينسى التاريخ الاسباب الداعية الى جهالة قبر بضعة الرسول ﷺ .

قال السهمودي في وفاء الوفاء: «كان حجر في بيت فاطمة كان رسول ﷺ يصلي اليه اذا دخل على فاطمة ، وكانت فاطمة عليها السلام تصلي اليه ، وولدت الحسنين عليهم السلام عليه ، ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمر الصانع المسجد ، ففقدناه عندما اُزّر القبر بالرخام في عهد المتوكل العباسي»^(٤).

ويوجد اليوم داخل الشباك النبوي مكان يعرف باسم (مقصورة السيدة فاطمة) قرب باب جبرئيل ، ينبغي زيارتها هناك ، فقد روي عن الرسول ﷺ: «من زار فاطمة فكأنما زارني»^(٥)، وان «من سلم عليها ثلاثة ايام اوجب الله له الجنة»^(٦).

قال ابن طاووس في الاقبال بعد ذكر زيارتها عليها السلام: «وروي من زارها بهذه الزيارة يوم وفاتها واستغفر الله غفر الله له وادخله الجنة»^(٧).

ثالثاً - اسطوانة ابي لبابة:

(١) المسالك ٢ : ٣٧٣ (الطبعة الحجرية) . (٢) تهذيب الاحكام ٦ : ٩ ، ح ١٧ .

(٣) تهذيب الاحكام ٦ : ٧٨ ، ح ١٥٢ . (٤) وفاء الوفاء : ٤٠٥ .

(٥) بحار الانوار ٤٣ : ٥٨ . (٦) بحار الانوار ٤٣ : ٥٨ .

(٧) انظر: منتهى المطلب ٢ : ٨٨٩ (الطبعة الحجرية) .

وهي المسماة باسطوانة التوبة ، وهي الاسطوانة الثانية التي تلي رأس النبي ﷺ ، وبعد الاسطوانة التي تلي مقام النبي ﷺ .

وابو لبابة هو : بشير بن عبد المنذر كان من الصحابة وتخلف عن غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة التي امر فيها الرسول ﷺ علياً عليه السلام على المدينة، ثم ندم ابو لبابة على تخلفه فجاء الى المسجد وربط نفسه برباط على الاسطوانة، وحلف ان يذوق طعاماً ولا شرباً حتى يتوب الله عليه أو يموت ، وبعد سبعة ايام تاب الله عليه، وفك رسول الله ﷺ الرباط بيده الشريفة فسميت الاسطوانة باسمه ، ويستحب صلاة ركعتين عند هذه الاسطوانة وقراءة الدعاء المعروف عنده .

رابعاً - الروضة الشريفة:

ان المسافة بين القبر الشريف والمنبر تسمى (الروضة)، فقد ورد في الروايات ان هذه المساحة روضة من رياض الجنة .

قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على ترعة من ترع الجنة ، وقوائم منبري رتب في الجنة »^(١).

خامساً - مقام جبرئيل:

سئل الامام الصادق عليه السلام عن مقام جبرئيل عليه السلام فقال : « حيال الميزاب الذي اذا خرجت من الباب الذي يقال له: باب فاطمة بحذاء القبر اذا رفعت رأسك بحذاء الميزاب، والميزاب فوق رأسك، والباب من وراء ظهرك »^(٢). فإن قدرت ان تصلي فيه ركعتين مندوباً فأفعل ، فإنه لا يدعوا احد هناك الا استجيب له» وقد ورد فيه الدعاء المعروف :

« اللهم ان هذه الروضة من رياض جنتك ○ وشعبة من شعب رحمتك التي ذكرها رسولك ○ وابان عن فضلها وشرف التعبد لك فيها ○ فقد بلغتنيها في سلامة نفسي فلك الحمد يا سيدي على عظيم نعمتك علي في ذلك ○ وعلى ما رزقتني من طاعتك وطلب مرضاتك ○ وتعظيم حرمة نبيك بزيارة قبره والتسليم عليه والتردد في مشاهدته ومواقفه ○ فلك الحمد يا مولاي حمداً ينتظم به محامد حملة عرشك وسكان سمواتك ○ ويقصر عنه حمد من مضى ويفضل حمد من بقي من خلقك ولك الحمد يا مولاي حمد من عرف

(٢) الكافي ٤: ٤٥٢، ح ٢.

(١) وفاء الوفاء: ٤٠٥.

الحمد لك والتوفيق للحمد منك ○ حمداً يملأ ما خلقت ، ويبلغ حيث ما اردت ، ولا يحجب عنك ، ولا ينقضي دونك ، ويبلغ أقصى رضاك ، ولا يبلغ اخره اوائل محامد خلفك لك ○ ولك الحمد ما عرف الحمد ، واعتقد الحمد ، وجعل ابتداء الكلام الحمد ○ يا باقي العز والعظمة ○ ودائم السلطان والقدرة ○ وشديد البطش والقوة ، ونافذ الامر والارادة ، وواسع الرحمة والمغفرة ، ورب الدنيا والاخرة ○ كم من نعمة لك علي يقصر عن ايسرها حمدي ، ولا يبلغ ادناها شكري ○ وكم من صانع منك الي لا يحيط بكثرتها وهمي ، ولا يقيد فكرتي ○ اللهم صل على نبيك المصطفى بين البرية طفلاً ○ وخيرها شاباً وكهلاً ○ اظهر المطهرين شيمة ○ واجود المستمطرين ديمة ○ واعظم الخلق جرثومة ○ الذي اوضحت به الدلالات ○ واقمت به الرسالات ○ وختمت به النبوات ○ وفتحت به الخيرات ○ واظهرته مظهراً ○ وابتعثته نبياً وهادياً ، اميناً مهدياً وداعياً اليك ودالاً عليك وحجة بين يديك ○ اللهم صل على المعصومين من عترته ○ والطيبين من اسرته ○ وشرف لديك منازلهم ○ وعظم عندك مراتبهم ○ واجعل في الرفيق الاعلى مجالسهم ○ وارفع الى قرب رسولك درجاتهم ○ وتّمم بقلائه سرورهم ○ ووفر بمكانه انسهم»

سادساً - زيارة أئمة البقيع عليهم السلام:

البقيع هو مقبرة المدينة المنورة في العهد النبوي الشريف، وفيه دفن جمع كثير من الصحابة منهم ابراهيم ابن النبي ، وام النبي ، والعباس عم النبي، وكذلك الأئمة الاربعة من اهل البيت عليهم السلام، وهم :

- ١- الامام الحسن المجتبي عليه السلام ، المتوفى ٧ صفر ٥٠ هـ
 - ٢- الامام الرابع زين العابدين عليه السلام ، المتوفى ٢٥ محرم ٩٥ هـ.
 - ٣- الامام الخامس محمد الباقر عليه السلام ، المتوفى ٨ ذو الحجة ١١٤ هـ.
 - ٤- الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، المتوفى ٢٥ شوال ١٤٨ هـ
- ومعهم فاطمة بنت اسد والدة الامام امير المؤمنين عليه السلام أو فاطمة الزهراء عليها السلام على قول. وكانت تعلقو على قبور أئمة اهل البيت النبوي قبة رائعة كالقبة الموجودة على قبر النبي ﷺ.

وقد هدم الوهابيون في ٨ شوال ١٣٤٣ هـ جميع القببات ما عدا قبة النبي وضريحه، وذلك باعتقاد أن بناء القبة على القبر محرم شرعاً، وهذا تصرف غريب، فاذا كان بناء القبة محرماً فلما جاز البناء على قبر النبي ﷺ، ولماذا جاز نصب الضريح والمقصورة على

قبره فقط، فإن الحرام حرام على كل قبر، ولا فرق بين قبر النبي واهل بيته عليهم السلام.

من تاريخ البقيع :

في وفاء الوفاء: «كان البقيع غرقدا فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع وقطع الغرقد عندئذ، والغرقد اسم شجر؛ لذلك كان يعرف بقبيع الغرقد»^(١).

قال السمعوني: «دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت اسد بن هاشم في اول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل»^(٢).

والنصوص تشهد بان البقيع في بداية الامر كان ارضا مواتا فيها شجر الغرقد، ولما دفن رسول الله ﷺ ابنه ابراهيم فيه رغب المسلمون في دفن موتاهم فيه»^(٣).

قال السمعوني: «رغب الناس في البقيع وقطعوا الشجر فاختارت كل قبيلة ناحية»^(٤). وعن حال البقيع في عام ٥٩ هـ قال السيد الامين في كشف الارتياح: «ذكر المؤرخون وعلماء الاثر وكل من كتب في التراجم ان الائمة: زين العابدين والباقر والصادق دفنوا في قبة الحسن عليه السلام والعباس بالبقيع، وكان وفاة زين العابدين سنة ٥٩»^(٥). فيظهر من ذلك وجود القبة على قبر الحسن قبل هذا التاريخ.

وعن البقيع في القرن الرابع قالت الدكتورة سعاد ماهر عميدة كلية الاثار في جامعة القاهرة تحت عنوان: (دفاع عن بيت النبوة): «كان يوجد حتى القرن الرابع الهجري رخامة مكتوب عليها العبارة الاتية: الحمد لله مبيد الامم ومحبي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين والحسن بن علي بن ابي طالب وعلي بن الحسين بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم اجمعين»^(٥).

وفي الخلافة العثمانية في سنة ١٢٧٠ هـ امر السلطان عبد المجيد بتحديد عمارة المسجد والقبة النبوية الشريفة بالبناء الموجود - اليوم - واستمر في ذلك نحو اربع سنين. وكذلك امر ببناء قبة ائمة البقيع بعين البناء الذي بني به قبة جدتهم رسول الله ﷺ.

قال السيد الامين في كشف الارتياح: «لما عمل في زماننا شبكا لضريحهم الشريف باصفهان من الفولاذ الدقيق الصنع، وبأعاليه الاسماء الحسنی بالخط الجميل المذهب، واستأذنت الدولة الايرانية من الدولة العثمانية في وضعه على ضريحهم المقدس فأذنت

(٢) وفاء الوفاء ٢: ٨٤.

(١) وفاء الوفاء ٢: ٨٤.

(٤) كشف الارتياح: ٤٨٧.

(٣) وفاء الوفاء ٢: ٨٤.

(٥) دفاع عن بيت النبوة: ٢٠.

لها، ولما جاء به السيد علي القطب عليه السلام الى جدة عارض اهل المدينة في وضعه على الضرائح المقدسة ، فبقي في جدة ثلاثة اعوام حتى بذل الايرانيون مبلغا عظيما من المال لاهل المدينة ورضوا بنقله ووضعه ، ولما حمل الى المدينة المنورة ارادوا إزالة الصندوق الخشب الموضوع على القبور الشريفة ووضعه مكانه ممنع اهل المدينة من ذلك بحجة ان الصندوق الخشب وقف لا يجوز تغييره ، فاضطروا الى وضعه خارج الصندوق فنقصت الواحه الفولاذية بسبب ذلك فاضطروا الى اكماله بقطعة من الخشب بعد دهنها بما يقرب من لونه، والكتابة عليها ، وقد رأيت القطعة الخشبية ظاهرة فيه مقصرة عنه في الرونق، عند تشرفي بزيارة المدينة المنورة بعد الحج عام ١٣٢١، وبعد ذلك عند تشرفي بزيارتها من دمشق عام ١٣٣٠، وبقي هذا الشباك حتى ازاله الوهابية عام ١٣٤٣ حين استيلائهم على المدينة المنورة وهدمهم لقبة أئمة البقيع عليهم السلام وقبورهم المقدسة»^(١).

فائدة :

من المستحبات في المدينة التي ينبغي للزائر الكريم اتيانها :

١ - الصدقة ، فقد روي ان: «الصلاة الواحدة في المدينة تعدل عشرة الف صلاة و الدرهم هناك بعشرة الف درهم»^(٢).

٢ - قراءة الدعاء الآتي لقضاء الحاجات :« اللهم ما كانت لي اليك من حاجة اسرعت في طلبها والتماسها أو لم اسرع ، سألتكها لم أسالكها ، فاني اتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة في قضاء حوائجي صغيرها وكبيرها ».

٣ - الصلاة ليلة الاربعاء عند اسطوانة ابي لبابة، ثم ليلة الخميس عند مقام النبي، ثم ليلة الجمعة عند الاسطوانة التي فيها مقام النبي صلى الله عليه وسلم.

٤ - الصوم ثلاثة ايام لقضاء الحاجة ولو كان الصائم مسافرا، وينبغي ان يكون الابتداء من يوم الاربعاء فالخميس والجمعة ، كما يستحب الاعتكاف في المسجد النبوي، وللاعتكاف احكام خاصة .

وتوجد في المدينة وضواحيها اثار اسلامية تاريخية ينبغي للحاج الكريم قصدها والاعتبار بها . فمن مزارات المدينة : مرقد عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم، وام النبي ، واسماعيل بن جعفر الصادق ، والمشاهد في ضواحي المدينة كثيرة ، اهمها ما جاء في

(١) كشف الارتباب : ٤٠٧. (٢) المزار لابن المشهدي : ٦١، ح ٢.

رواية عن الامام الصادق عليه السلام قال: «لا تدع اتيان المشاهد كلها:

- ١ - مسجد قبا، فانه المسجد الذي «أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ» (١).
 - ٢ - ومشربة أم ابراهيم .
 - ٣ - ومسجد الفضيل .
 - ٤ - وقبور الشهداء في احد .
 - ٥ - ومسجد الاحزاب وهو مسجد الفتح» (٢).
- واليك لمحة عنها :

مسجد قبا:

يبعد هذا المسجد عن المدينة ثلاثة كيلومترات ونصف، وهو أول مسجد بني في الاسلام، فان النبي ﷺ قبل وروده الى المدينة نزل في قباء حين هاجر من مكة الى المدينة، وبقي في قباء عشرين ليلة ينتظر قدوم ابن عمه امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، ومدة بقائه عليه السلام في قبا كان يصلي قصرا، ويستحب الصلاة في مسجد قبا والدعاء فيه، قال تعالى فيه: «لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» (٣)، وقال رسول الله ﷺ: «من اتى قبا وصلى ركعتين رجع بعمره» (٤).

ونقل فيه دعاء طويل، يراجع بشأنه المطولات .

مشربة ام ابراهيم :

يقع في شرقي قباء على بعد ثلاثة كيلومترات عن المدينة: مشربة أم ابراهيم، والمنطقة اليوم تسمى (شريبات). وهي مسكن النبي ﷺ، وعرفت نسبة الى مارية القبطية ابراهيم بن النبي الاكرم ﷺ؛ لان النبي ﷺ اسكنها بعيدة عن ضراتها .

ويستحب الصلاة والدعاء كما يستحب زيارة ابراهيم نفسه في البقيع بالنص الوارد، ولا تزال المشربة موجودة وهي بئر وبجنبها مسجد كان النبي ﷺ يصلي فيه هناك. وقد زرتها عام ١٣٨٣ وبهذه المناسبة يدفن اهالي المحل المحيطة بها موتاهم بها، ومن

(٢) الكافي ٤: ٥٦٠، ح ١.

(١) التوبة: ١٠٨.

(٤) كامل الزيارات: ٦٦، ح ٥١.

(٣) التوبة: ١٠٨.

المؤسف جدا ان الحكومة السعودية قد احاطت المشربة والمقابر سورا يمنع من زيارة المحل والتبرك به لانتسابه الى رسول الله ﷺ ، وانحصرت فائدة المحل بدفن الموتى وانا لله وانا اليه راجعون ، ولعل بعض اهل الهمم من الساهرين على تاريخ الاسلام والمسلمين يقومون باحياء هذا الاثر النبوي.

مسجد الفضيل :

يقع هذا المسجد شرقي قباء ايضا في موضع نخيل . ويستحب فيه الصلاة ركعتان والدعاء ، ويعرف ايضا بمسجد (رد الشمس) حيث ان النبي ﷺ كان نائما في حجر علي عليه السلام ، ولما ضاق وقت صلاة دعا لرد الشمس فردت حتى صلى العصر^(١) .

مسجد الاحزاب :

وهو مسجد الفتح ، ويقع في شمال المدينة قرب جبل السلق ، فإن النبي ﷺ دعا في وقعة الاحزاب في السنة الخامسة للهجرة عند محاربته احزاب الكفر والشرك المتحالفة ، ففتح الله له ، ويستحب فيه الصلاة وقراءة الدعاء التالي :

« يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين ، اكشف عني غمي وهمي وكربي كما كشفت عن نبيك ﷺ همه وغمه وكربه وكفите هول عدوه في هذا المكان. »

فقد كان رسول الله ﷺ دعا فيه في يوم الاحزاب بقوله: « يا صريخ المكروبين ويا مجيب دعوة المضطرين ويا غياث الملهوفين ، اكشف همي وكربي وغمي ، فقد ترى حالي وحال اصحابي »^(٢) .

مساجد اخرى :

وهناك مساجد ومشاهد اخرى كمسجد امير المؤمنين عليه السلام بحذاء قبر حمزة ، ومسجد سلمان ، ومسجد المباهلة ، ودار جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وهو اليوم بجانب مكتبة عارف حكمت العامة^(٣) ، لا بأس باتيانها والصلاة فيها قربة الى الله تعالى ، ونخص بالذكر مسجدين ، وهما :

(١) الكافي ٤: ٥٦١ - ٥٦٢ ، ح ٧ . (٢) كامل الزيارات: ٦٤ ، ح ٤٨ .

(٣) أزال الوهابيون اثار هذه المكتبة من الموقع المذكور.

مسجد القبلتين :

ويقع على يمين الذهاب الى احد، فقد صلى النبي ﷺ الى بيت المقدس مدة ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم امره تعالى بالتوجه الى الكعبة المعظمة فيه ، وذلك قبل معركة بدر بشهرين في السنة الثانية للهجرة ، وهو في صلاة الظهر على المشهور .

مسجد الغدير :

الغدير يبعد قريب فرسخ ونصف من مسجد الجحفة، القريب من رابع، في طريق مكة مدينة. وهي اليوم تسمى بوادي الفرع .
قال الشهيد في الذكرى : «ومن المساجد الشريفة: مسجد الغدير، وهو بالقرب من الجحفة، جدرانه باقية الى يوم وهو مشهور بين ، وقد كان طريق الحج عليه غالبا»^(١).
والغدير هو المكان الذي وقف فيه رسول الله ﷺ في حجة الوداع في السنة الاخيرة من حياته الشريفة في ١٨ / ذي الحجة / ١٠ هـ. فيما بين طريق مكة - المدينة، قرب مدينة رابع اليوم، فخطب المسلمين وقال ﷺ: «الستم تعلمون - أوأستم تشهدون - أني اولى بكل امرئ من نفسه ؟ قالوا: بلى . قال ﷺ: فمن كنت مولاه فإنّ عليا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

احد :

يستحب الصلاة ركعتين في مسجد أحد، في شمال المدينة، وزيارة قبر حمزة عم النبي والشهداء معه، وهم سبعون مسلما ، وينبغي ان نلمح الى هذه المعركة الاسلامية الخالدة وأثرها العظيم في مصلحة الاسلام والمسلمين، فقد قال النبي ﷺ في ذلك : « من زارني ولم يزُر عمي حمزة فقد جفاني»^(٣).
كان حمزة عم الرسول واخوه من الرضاة، كان اكبر من النبي ﷺ بربع سنين، وقد دافع حمزة عن النبي ﷺ في يوم الانصار حيث وقف هو وامير المؤمنين علي العتبة

(١) ذكرى الشيعة : ١٥٥ (الطبعة الحجرية).

(٢) راجع: مسند بن حنبل ٤ : ٣٧٣، ط / دار صادر - بيروت .

(٣) مستدرك الوسائل ١٠ : ١٩٨.

ومعه السيف، وقال: «والله لا يجوز احد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي»، وكان رسول الله ومن بايعه من الانصار في دار عبد المطلب في مكة»^(١).

وفي السنة الثالثة للهجرة جرت وقعة وقعة احد، واستشهد فيها حمزة واستشهد معه سبعون مسلماً، قتله وحشي الحبشي من المشركين، ولما استشهد حمزة جاءته هند معاوية بن ابي سفيان فاستخرجت كبده ولاكته، فلم تستطيع أكله فلفظته وقطعت اذنه وجعلتها قلادة في عنقها وقطعت يديه ورجليه؛ ولذلك سميت هند: بـ (آكلة الاكباد)^(٢). وكانت هند قد اعطت وحشياً عهداً لان قتل محمداً أو علياً أو حمزة لتعطيها رضاء، وما وسع أم معاوية بن ابي سفيان التشفي من النبي والحق على الاسلام المسلمين إلا بهذا القتل الشنيع، والى ذلك اشارت زينب الكبرى في خطبتها في وجه يزيد بن معاوية: «وأتى يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الشهداء ونبت لحمه بدماء السعداء»^(٣).

ولما اسلم وحشي قال له النبي ﷺ: انت قتلت حمزة؟ قال: قد كان من الامر ما قد بلغك، فقال ﷺ: فهل تستطيع ان تغيب وجهك عني؟

هذا، وقد دفن الرسول ﷺ حمزة بشيابه التي استشهد فيها، وزاده برداً فقصر عن رجليه، فدعا بأذخر من حشيش من الأرض وطرحه عليه، وصلى عليه سبعين صلاة، وكبر عليه سبعين تكبيرة، وما كان يوم اشد على رسول الله من يوم احد، ولما سمع ﷺ النوح على شهداء في احد، قال: «ولكن حمزة لا بواكي له»^(٤) فبكته نسوة الانصار وكانت فاطمة الزهراء تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك.

صفة مرقد حمزة:

قال في مراقد المعارف: «كان على قبره قبة مبنية بالجص والحجر الثقيل، وله مشهد يزار قديماً وحديثاً، حتى جاء الوهابيون فهدموا القبة في اليوم الثامن من شهر شوال ١٣٤٢هـ»^(٥).

وقال في وفاء الوفاء: «مشهد سيد الشهيد حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ عليه قبه عالية حسنة متقنة وبابه مصفح كله بالحديد، بنته أم الخليفة الناصر لدين الله ابي

(١) انظر: حلية الابرار ١: ٩٤. (٢) راجع: الكامل في التاريخ ٢: ١١١.

(٣) الاحتجاج ٢: ٢٦. (٤) الذكرى ٧٠: (الطبعة الحجرية).

(٥) راجع: مراقد المعارف.

العباس احمد بن المستضىء وذلك في سنة ٥٩٠ هـ، وجعلت على القبر سياجا وحوله حصباء، وباب المشهد كانت من حديد يفتح كل يوم خمس، وقريب منه مسجد يذكر انه موضع مقتله، وقبره اليوم مبنى مجصص بالفضة لاختش عليه، وفي اعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة: «انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر، هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ؑ ومصلى النبي ﷺ، عمره العبد الفقير الى رحمة الله حسين بن ابي الهجاء سنة ٥٨٠ هـ»^(١).

فضل زيارته:

يظهر بوضوح من سيرة النبي ﷺ اهمية زيارة حمزة والشهداء ؑ لما فيه من العبرة للمسلمين من تاريخهم العريق في التضحية والنضال، لذلك اكدت روايات اهل البيت ؑ على ذلك ايضا، قال الامام الصادق ما مضمونه فيمن ترك بعض هذه المزارات: «من تركه رغبة فله الحسرة يوم الحسرة»^(٢).
واليك نصوص الزيارات التي يزارون بها، وهي:

زيارة عبد المطلب جد النبي ﷺ

السلام عليك يا سيد البطحاء ○ السلام عليك يا من ناداه هاتف الغيب بأكرم نداء ○
السلام عليك يا ابن ابراهيم الخليل ○ السلام عليك يا وارث الذبيح اسماعيل ○ السلام عليك يا من اهلك الله به اصحاب الفيل وجعل كيدهم قي تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ○ السلام عليك يا من تضرع في حاجاته الى الله وترسل في دعائه بنور رسول الله ﷺ ○ السلام عليك يا من استجاب الله دعائه ونودي في الكعبة وبشر بالاجابة في دعائه ○ السلام يا ابن الذبيح واما الذبيح ○ السلام عليك يا ساقى الحجيج وحافر زمزم ○ السلام عليك يا من جعل الله من نسله سيد المرسلين وخير اهل السموات والارضين ○ السلام عليك يا من طاف حول الكعبة وجعله سبعة اشواط ○ السلام عليك يا شبيه الحمد ○ السلام عليك وعلى ابائك واجدادك وابنائك جميعا ورحمة الله وبركاته ..

(٢) انظر: كامل الزيارات: ٢٣٩.

(١) راجع: مراقد المعارف.

زيارة ابي طالب عم النبي ﷺ:

السلام عليك يا سيد البطحاء وابن رئيسها ○ السلام عليك يا وارث الكعبة بعد
تأسيسها ○ السلام عليك يا كافل الرسول وناصره ○ السلام عليك يا من امن به وازره ○
السلام عليك يا عم المصطفى وابا المرتضى ○ السلام يا بيضة البلد ○ السلام عليك ايها
الذاب عن الدين والباذل نفسه في نصره سيد المرسلين ○ عليك وعلى ولدك امير
المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

زيارة خديجة بنت خويلد

السلام عليك يا أم المؤمنين ○ السلام عليك يا زوجة سيد المرسلين ○ السلام عليك
يا فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ○ السلام عليك يا اول المؤمنات ○ السلام عليك يا
من انفقت مالها في نصره سيد الأنبياء ونصرته ما استطاعت ○ ودافعت عنه الاعداء ○
فهنيئا لك بما اولاك الله من فضل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

الفصل الخامس^(١)

المواعظ الدينيّة

(١) طبع الفصل الرابع في كتاب « مزارات اهل البيت » للمؤلف، وطالب التفصيل يراجع الكتاب المذكور.

شرح الأربعين النبوية	٢٢٦
----------------------------	-----

حقوق الوالدين

الإنسان بفطرته يحب الحياة والتعايش بسلام فهو بالطبع مدني، وللمدنية حدان: أعلى وأدنى، وبينهما مراتب لا بد للإنسان أن يعيش بإحدى مراتبها لئلا يخرج عن حد الإنسانية، ومن واجبات الحياة الإنسانية: (التربية والتعليم) ويقع النصيب الأوفر من المسؤولية فيهما على العائلة الذي يعيش الإنسان فيها، فإن (البيت) نواة (المجتمع) والأمة تتكوّن من الأفراد وترتهن صلاحها بصلاحهم، وبما أنّ المسؤولية الإدارية لهذه المدرسة النواة يقع على عاتق الوالدين بما اوتيا من وعي وفكر وثقافة وأدب لذلك يعتبر حقّهما حقّاً مهماً هو (حق امداد الحياة) التي لا يصل إليها أي حق بعد حق واهب الحياة سبحانه وتعالى؛ ولذلك قرنهما الله تعالى بعبادته في قوله: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾^(١).

فأول ما يطالعنا النص القرآني المذكور مقارنة الإحسان بالوالدين مع عبادة الله تعالى، ثم بيان وجوه المعاملة الحسنة، وهي:

الأول: عدم التأفف من أي شيء يراه ممّا يكره، قال الإمام الصادق عليه السلام: «أدنى العقوق أف ولو علم الله شيئاً أهون منه لنهى عنه»^(٢).

الثاني: عدم النهر: بأن لا تتكلّم معهما بكلام يجرهما بخشونة.

الثالث: التكلّم معهما بالقول الكريم الحسن مراعيّاً للأدب والاحترام.

(٢) الكافي ٢: ٣٤٨، ح ١٤.

(١) الإسراء: ٢٤.

الرابع: التواضع معهما، وقد عبّر سبحانه عن هذا التواضع أروع تعبير بأن يكون مثل حالة الطير الذي يضمّ فراخه فيمدّ جناحيه بكلّ عطف وحنان وذلّ ورحمة.

الخامس: الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، وأن يكون الدعاء متضمناً لموجبات الإحسان ومبرراته ويكون بهذا اللفظ: «ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً» تأكيداً على ما في التربية صغيراً من مسؤوليات عظيمة؛ لذلك يستحبّ الدعاء لهما في القنوت بهذا النص: «رب اغفر لي ولوالديّ وارحمهما كما ربياني صغيراً واجزهما بالإحسان إحساناً وبالسيئات عفواً وغفراناً».

وهكذا نجد في المقارنة بين حقّ الله بالعبادة وبين حقّ الوالدين بالإحسان دليلاً على عظم الحق؛ فإنّ الله هو الخالق والوالدين واسطة في الخلق، ويؤكد القرآن بأنّ برّ الوالدين واجب إنساني بقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾^(١).

ولم يوجّه الخطاب إلى المسلم خاصّة أو إلى المؤمن خاصّة، بل إنّ برّهما برّ الإنسانيّة وعقوقهما عقوق للإنسانيّة، فإنّهما سهرا على راحتك في أثناء الليل وتعبا عليك كثيراً حتّى ربّيك صغيراً، وسعياً في سبيل إسعادك بما لم يسعياً لأنفسهما، وتجاوبا وتعاوناً مع المجتمع لتهيئة الظروف المناسب لحياتك وسعادتك في البيت والمدرسة والمجتمع، واستعانا بما يفيدك حسب فكرتهم بالمؤثّرات والعوامل التي يناسبك من الكلمة المقروءة والمسموعة لتقوية العقيدة والإرادة وحسن التربية من مختلف وجوها جسميّاً، بالنظافة والتغذية، وثقافيّاً بالعلم والدراسة، ودينيّاً بالعبادات والطاعة، وذلك حسب مقدرتهم الفكرية، وهيّا التوازن بين العقل والجسم وبين الروح والمادّة مع تقديم كافّة خبراتهما السابقة وصلاتهم المحدودة وغير المحدودة، كلّ ذلك في سبيل سعادة ابنهما، فمن أولى بالمحبّة من والديك؟ إنّهما سبب وجودك، ربّيك صغيراً، وعطفا عليك كبيراً، يفرحهما فرحك، ويحزنهما حزنك، لذلك جاء في الحديث: «رضا الله مع رضا الوالدين وسخط الله

مع سخط الوالدين»^(١).

وإنَّ برَّ الوالدين يكون بالإحسان إليهما والاحترام اللائق بهما وطاعة قولهما في المعروف، وقد حدّتها جملة من الأخبار بما يلي:

- ١ - حسن الصحبة، بأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه.
- ٢ - عدم النظر إليهما إلاّ برحمة.
- ٣ - عدم رفع الصّوت على صوتهما.
- ٤ - لا تتقدّم عليهما في المشي ولا الجلوس.
- ٥ - لا تسمّهما باسمهما، بل بلفظ الأب والأمّ.
- ٦ - لا تقل لهما: «أفّ» إن أضجراك، ولا تنهرهما إن أحزناك.
- ٧ - لا تحوّل وجهك عنهما.
- ٨ - ان تضع اللقمة في فيهما عند الحاجة.
- ٩ - لا تبخل عليهما ممّا قد وسّع الله عليك.
- ١٠ - بعد الموت تقضي دينهما، وتستغفر لهما، وتنبّ عنهما في العبادات من الصلاة والصّوم والحجّ والزّيارات والصدّقات.

في رحاب السنة:

- ١ - قال رسول الله ﷺ: «من أحزن والديه فقد عقّهما»^(٢).
- ٢ - قال رسول الله ﷺ: «من حق الولد على والده: أن لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسب له»^(٣).
- ٣ - السجّاد عليه السلام: قيل له: أنت أبرّ الناس، ولا نراك تؤاكل أمك؟ قال عليه السلام: «أخاف أن أمدّ يدي إلى شيء قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها»^(٤).

(٢) كنز العمال، ح ٣٧، ٤٥٥.

(١) روضة الواعظين: ٣٦٨.

(٤) الوسائل ٢٤: ٢٦٤، ح ٣٠٥٠٣.

(٣) الكافي ٢: ٣٤٨، ح ٤.

٢٣٠..... شرح الأربعين النبوية

٤ - الباقر عليه السلام: لَمَّا سئل هل يجزي الولد والده؟ فقال عليه السلام: «لا، إلا في خصلتين: يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه، أو يكون عليه دين فيقضيه عنه»^(١).

٥ - الباقر عليه السلام: «ثلاث لم يجعل الله لأحدٍ فيهنّ رخصة:
أ - أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر.

ب - الوفاء بالعهد للبرّ والفاجر.

ج - وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين»^(٢).

٦ - الصادق عليه السلام: «برّ الوالدين واجب، فإن كانا مشركين فلا تطعهما ولا غيرهما في المعصية، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٣).

٧ - الصادق عليه السلام: «من العقوق قول الرّجل لابنه أو ابنته في حياة والديه: بأبي أنت وأمّي»^(٤).

٨ - الصادق عليه السلام: «وقرّ أباك يطل عمرك، ووقرّ أمّك ترى لبنيك بنين، ولا تحدّ النظر إلى والديك فتعقهما»^(٥).

٩ - الصادق عليه السلام: «إن أحببت أن يزيد الله في عمرك فسرّ أبويك»^(٦).

١٠ - الصادق عليه السلام: «من نظر إلى أبويه نظر ماقّتٍ وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة»^(٧).

١١ - الصادق عليه السلام: «الذنوب التي ترّدّ الدعاء وتظلم الهواء عقوق الوالدين»^(٨).

١٢ - الصادق عليه السلام: «لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلاّ برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يديك فوق أيديهما، ولا تقدّم قدّامهما»^(٩).

١٣ - الرضا عليه السلام: «عليك بطاعة الأب وبرّه والتواضع والخضوع والإكرام له، وخفض

(١) الكافي ٢: ١٦٣، ح ١٩. (٢) بحار الانوار ٧٤: ٥٩، ح ١٥.

(٣) بحار الانوار ٧٤: ٧٢، ح ٥٥. (٤) لم نقف عليه.

(٥) معدن الجواهر: ٣٧. (٦) كتاب الزهد: ٣٣.

(٧) بحار الانوار ٧٤: ٦١، ح ٢٦. (٨) بحار الانوار ٧٤: ٧٤، ح ٦١.

(٩) الكافي ٢: ١٥٨، ح ١.

الصّوت بحضرته، فإنّ الأب أصل الابن والابن فرع، لولاه لم يكن يقدره الله، ابذلوا لهم الأموال والجاه والنفس»^(١).

١٤ - الرضا عليه السلام: «ادع لهما إذا كانا لا يعرفان الحق، وتصدّق عنهما، وإن كانا حيّين لا يعرفان الحق فدارهما»^(٢).

وحقّ الأم:

ويولي الإسلام الأمّ عناية خاصّة، فقد اختصّت بتحمّل الآلام والمتاعب والهموم في سبيل سعادة ابنها، وكم سهرت الليالي في الحمل والوضع والرضاع، وقضت حياتها حناناً على طفلها في آناء الليل وأطراف النّهار، وكم تحمّلت من العناء ما هو أشدّ وأقسى، حملتك جنيناً، ورضعتك طفلاً، وسهرت عليك ليلاً، وتعبت من أجلك نهاراً، ووهبت لك راحتها كلّها، قال تعالى: ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمُّهُ وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ○ وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ○ واتّبع سبيل من أناب إليّ ○ ثمّ إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾^(٣).

قال عليه السلام: «حقّ الوالد أن تطيعه ما عاش، وأمّا حقّ الوالدة فهيها هيهات، لو أنّه عدد رمل عالج^(٤) وقطر المطر أيّام الدنيا قام بين يديها، ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها»^(٥). وشكا رجل إلى الرّسول ﷺ سوء خلق أمّه، فقال ﷺ: «إنها لم تكن سيّئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر، وحين أرضعتك حولين، وحين سهرت لك ليلها، وأضمّأت نهارها، فقال الرجل: إنّي جازيتها وحججت بها على عاتقي، فقال ﷺ: ما جازيتها ولا طلقة»^(٦).

(١) مستدرك الوسائل ١٥، ٢٠١، ح ١٨٠٠٨.

(٣) لقمان: ١٥.

(٢) الكافي ٢: ١٥٩، ح ٨.

(٤) اي بحر متلاطم.

(٥) مستدرك الوسائل ١٥: ١٨٢، ح ١٧٩٣٧.

(٦) المبسوط: للسرخسي ١٠: ١٥١.

٢٣٢ شرح الأربعين النبوية

وسأله ﷺ رجل: «من أبرر؟ فقال ﷺ: أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب».(١)

ولما قيل للنبي ﷺ: أيّ الوالدين أعظم؟ قال ﷺ: «التي حملته بين الجنين، وأرضعته بين الثديين، وحضنته على الفخذين».(٢)

وقال له ﷺ رجل: إنّ والدتي بلغها الكبر وهي عندي الآن، أحملها على ظهري، وأطعمها من كسبي، وأميط عنها الأذى بيدي، وأصرف عنها مع ذلك وجهي استحياء منها واعظاً ما لها، فهل كافأتها؟ قال ﷺ: «لا، لأن بطنها كان لك وعاء، وثديها كان لك سقاء، وقدمها لك حذاء، ويدها لك وقاء، وكانت تصنع ذلك لك وهي تتمنى حياتك، وأنت تصنع هذا بها وتحبّ مماتها».(٣)

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «وأما حقّ أمك أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها بما لا يعط أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظللّك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد لتكون لها، ولا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه».(٤)

وبعد الموت:

وعناية الإسلام بالوالدين لا تقتصر على حياتهما، فمهما بالغ الإنسان في برّ والديه والإحسان إليهما فلن يستطيع أن يؤدّي واجب الشكر لهما، لذلك قرن الله تعالى شكرهما بشكره فقال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ دَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.(٥)

ومن برّهما بعد الموت: قضاء دينهما، والاستغفار لهما، والنيابة في العبادات عنهما من

(١) مستدرک الوسائل ١٥: ١٨١، ح ١٧٩٣٩.

(٢) مستدرک الوسائل ١٥: ١٨٠، ح ١٧٩٣٢.

(٣) مستدرک الوسائل ١٥: ١٨٠، ح ١٧٩٣٢.

(٤) بحار الانوار ٧٤: ٦، ح ١. (٥) لقمان: ١٥.

الصلاة والصوم والحج والزيارات والصدقات.

قال النبي ﷺ: «من البرّ بالوالدين بعد موتهما الصلاة عليهما والاستغفار لهما، والوفاء بعدتهما وإكرام صديقيهما، وصلة رحمهما»^(١).

وقال ﷺ: «والديك فأطعهما وبرّهما حيّين كانا أو ميّتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، فإنّ ذلك من الإيمان»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «سيّد الأبرار يوم القيامة رجل برّ والديه بعد موتهما»^(٣).

قال الباقر عليه السلام: «إنّ العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً، وإنّه يكون عاقاً لهما في حياتهما غير بارّ بهما فإذا ماتا قضى عنهما دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله بارّاً»^(٤).

الصادق عليه السلام: «ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيّين أو ميّتين؟ يصلّي عنهما، ويتصدّق عنهما، ويحجّ عنهما، ويصوم عنهما فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك فيزيده الله عزّ وجلّ ببرّه صلّاته خيراً كثيراً»^(٥).

وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهي: التأكيد على حقوق الآباء في الروايات كثيرة جدّاً، وذلك لأنّ رعاية الآباء للأبناء أمرٌ فطري حيث يرى الأب في أولاده امتداداً لحياته حتّى قيل: «أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض» لذلك يولي الآباء الاهتمام العطف والعناية لأبنائهم بحكم طبيعتهم، وأمّا الأبناء فهم بعد أن ينهمكوا في حياتهم الخاصة يشتغلون بما يلهيهم عن حقوق الآباء والأمّهات فكان التأكيد أمراً ضرورياً.

أيّها الأب: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله من أعان ولده على برّه، فليل: كيف يعينه على برّه؟ فقال ﷺ: يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه ولا يخرق به، فليس بينه وبين أن يصير في حدّ من حدود الكفر إلّا أن يدخل في عقوق أو قطيعة رحم»^(٦).

(١) الترغيب والترهيب ٣: ٣٢٣، ح ٣٢. (٢) شجرة طوبى: ٣٧٢.

(٣) بحار الانوار ٧٤: ٦٨، ح ١٠٠. (٤) الكافي ٢: ١٦٣، ح ٢١.

(٥) الكافي ٢: ١٥٩، ح ٧. (٦) الكافي ٦: ٥، ح ٦.

إنّ كثيراً من الآباء يتوقَّعون من أبنائهم حسن السُّلوك والاعتزان والالتزام بالمبادئ الأخلاقية، إنَّهم يؤكِّدون على حقوق الأبوة أو الأمومة بلسانهم وهم ينقضونها بأفعالهم، إنَّ هؤلاء - كما في الحديث النبوي - لا يعينون أولادهم على برِّهم، بل بالعكس يعلمونهم العقوق والنكران بأفعالهم.

قال الامام الصادق (عليه السلام): «برُّوا آباءكم يبرِّكم أبناءكم، وعفّوا عن نساء الناس تعف نساءكم».(١)

وقال علي (عليه السلام): «لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنَّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».(٢)

فقد نرى الآباء لا يصغون إلى ما يقوله الأطفال ولا يجيبون على الأسئلة التي يوجَّهها الطفل إجابة صحيحة، ويعاقبون الأطفال دائماً على كلّ عمل يعدّونه مزعجاً لهم، في حين أنَّهم كثيراً ما يزعجون الأطفال ولا يرون أنفسهم يستحقون أيَّ عقاب أو ملام. فأيتها الوالد الكريم:

تدبّر عظم نعمة الله عليك واعلم أنَّ من أجلَّ ما تنعمُّ به في حياتك المال والبنون، ولا خير منهما إلّا في الباقيات الصالحات، فولدك صورة منك تعبّر عنك وتحمل اسمك، فاحرص أن يكون أهلاً للخير والسعادة، كن صالحاً عاماً حتّى يكبر ولدك كذلك، وحافظ على فضائل الأعمال في نفسك وولدك ووطنك، وكن رحيماً ودوداً لأهل الخير والعمل الصالح حتّى يكون ولدك كذلك عضواً نافعاً في المجتمع يعمل لصالح نفسه ومجتمعه ووطنه.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٦٧، ح ١٠٢.

(١) بحار الانوار ٧٤: ٦٥، ح ٣١.

صلة الأرحام

يخصّ الإسلام بصلة الأرحام بعض الفئات لما بينها من علاقات وصلات وروابط وأواصر قريى أو رابطة صداقة وجوار. وقد أشار إلى هذه الأنواع في قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالولدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ (١).

وهذه الصلات على الترتيب:

- ١- الله سبحانه: بالعبادة الخالصة؛ لرابطة الربوبية.
- ٢- الوالدان وهم الأب والأم؛ لرابطة الولادة والتربية.
- ٣- ذوو القربى وهم الأرحام؛ لرابطة النسب.
- ٤- اليتيم: الذي مات والده وهو لم يبلغ.
- ٥- المسكين: الفقير الذي لا يملك قوت يومه.
- ٦- الجار ذي القربى: صاحب القرابة والجوار معاً.
- ٧- الجار الجنب: الجوار بجنب البيت ممّن لا قرابة له.
- ٨- الصاحب بالجنب: الصديق والصاحب في سفر أو مهنة.
- ٩- ابن السبيل: الذي انتقطع في الغربة من أهله.
- ١٠- ما ملكت أيمانكم: من الإماء والعبيد.

وقد تكفّلت الشريعة الإسلامية تفصيل هذه العلاقات التي تجمع علاقة الإنسان برّبه

ونفسه والمجتمع وتفصيلها في كتب الفقه.

والصلة - مادياً ومعنوياً - لمن له القدرة عليها أمرٌ يحبّذه العقل والمنطق السليم، وحيث لا يتيسّر ذلك للجميع فإذاً فلنبداً بمن يتيسّر وهم الأقارب الذين تجمعهم وإياك لحمّة النسب، وهم (الأرحام).

قال تعالى: ﴿اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾. (١)

وقال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾. (٢)

فهؤلاء لهم حقوق يجب مراعاتها، وصلات يجب أدائها، فعلى المسلم أن يكرم خاله وخالته برّاً بأئمه، ويعطف على عمّه وعمّته إكراماً لأبيه، وهكذا أولادهم بتوقير الكبير، والعطف على الصغير، وعيادة المريض، ومواساة الضعيف.

الرّحم: يراد بالرحم الأقارب عرفاً ممّن يجمعهم رحم واحد بنسب معروف قريب أو بعيد، ذكراناً أو إناثاً، وقيل غير ذلك، وطبيعيّ أن تكون هناك مراتب متفاوتة منها: واجبي النفقة كالأب والابن والزوجة.

ومنها المحرّمات بالنسب كالأخوة والأخوات والعّمّات والخالات.

ومنها قرابة الرجل من جهة الأب والأم.

وان تكثرّت الوسطة، فتتأكد الصلة باختلاف مراتب القرب والبعد.

وتتحقّق الصلة بالعطف والإحسان والرعاية وهي واجبة في الجملة، قال الشهيد الأوّل: «الواجب هو ما يخرج به عن القطيعة فإنّ قطيعة الرحم معصية، بل قيل: «هي من الكبائر»». (٣)

وتختلف الصلة باختلاف الزمان والمكان والأفراد والحالات والعادات، فصلة الفقير بتحسين حاله الاقتصادية مادياً بالمعونة ومعنوياً بالتزاور.

(٢) الأنفال : ٧٥.

(١) النساء : ١.

(٣) القواعد والفوائد ٢: ٥٢.

وصلة الأقران والأماثل بالهدية والزيارة، فإن الزيارة أيسر مراتب الصلة، وكذا السلام بالمباشرة أو المراسلة، فقد قال رسول الله ﷺ: «صلوا أرحامكم ولو بالسلام»^(١).
ثم إن الصلة تبتدىء بجلب النفع في حالة السراء وتنتهي بوجوب الانفاق في حالة الضراء، وبينهما مراتب متفاوتة.

وصلة الرحم - بالإضافة إلى أنها عمل صالح - توجب المودة والتعاطف والتماسك في الأسرة، وبالنتيجة في المجتمع، لذلك ورد في الحديث: «أنها تمد في العمر وتدفع ميتة السوء وتدفع البلاء»^(٢) وقال تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ○ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾^(٣).
فجعل تعالى قطيعة الرحم فساداً في الأرض، فإن فساد الأسرة فساد المجتمع، وفساد المجتمع فساد الحياة، فإنك تجد الأسرة المتمسكة بصلة الرحم فيها بينها تشملهم البركة في حالهم ومالهم، وتعمهم السعادة والاطمئنان، وعكس الأسرة المتقاطعة فان عاقبتها الذل والعار والدمار.

في رحاب السنة:

- ١ - قال النبي ﷺ: «ما من خطوة أحب إلى الله من خطوتين: خطوة يسد بها صفاً في سبيل الله وخ خطوة إلى ذي رحم قاطع يصلها»^(٤).
- ٢ - وقال النبي ﷺ: «إن المعروف يمنع مصارع السوء، وإن الصدقة تطفىء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر...»^(٥).
- ٣ - وقال النبي ﷺ: «من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله ليصل رحمه أعطاه الله عز وجل أجر مائة شهيد وله بكل خطوة أربعون ألف حسنة»^(٦).

(١) تحف العقول: ٥٧. (٢) الكافي ٢: ١٥٠، ح ٤.

(٣) محمد: ٢٢. (٤) الخصال ١: ٥٠، ح ٦٠.

(٥) بحار الانوار ٧٤: ٨٨، ح ٢. (٦) من لا يحضره الفقيه ٤: ٦١٦.

٢٣٨ شرح الأربعين النبوية

٤- وقال النبي ﷺ: «صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار وإن كان أهلها غير أخيار». (١)

٥- وقال النبي ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وإن قطعية الرحم واليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع من أهلها». (٢)

٦- وقال النبي ﷺ: «صل رحمك ولو بشربة من ماء، وأفضل ما يوصل به الرحم كف الأذى عنها». (٣)

٧- وقال النبي ﷺ: «أوصي الشاهد من أمّتي والغائب منهم ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة، أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة؛ فإن ذلك من الدين، صلوا أرحامكم ولو بالتسليم». (٤)

٨- وقال الإمام السجّاد عليه السلام في وصية له: «يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحدثهم ولا ترافقهم في طريق... إياك مصاحبة القاطع لرحمه فإنني وجدتته ملعوناً في كتاب الله عز وجل». (٥)

٩- وقال الإمام الباقر عليه السلام: «صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتُنسيء الأجل». (٦)

١٠- وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قطعت الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار». (٧)

١١- وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الذنوب التي تعجل الفناء: قطيعة الرحم». (٨)

١٢- وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن صلة الرحم تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتيسر الحساب وتدفع البلوى وتزيد العمر». (٩)

-
- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) أمالي الطوسي: ٤٨١، ح ١٠٤٩. | (٢) معاني الأخبار: ٢٦٤. |
| (٣) الكافي ٢: ١٥١، ح ٩. | (٤) الكافي ٢: ٣٧٦، ح ٧. |
| (٥) الكافي ٢: ٣٧٦، ح ٧. | (٦) الكافي ٢: ١٥٠، ح ٤. |
| (٧) الكافي ٢: ٣٤٨، ح ٨. | (٨) بحار الأنوار ٧٤: ٩٤، ح ٢٣. |
| (٩) الكافي ٢: ١٥٧، ح ٣٣. | |

- ١٣ - وقال الإمام الصادق عليه السلام: «صلة الأرحام تحسّن الخلق وتسمح»^(١).
- ١٤ - وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن صلة الرحم والبرّ ليهوّنان الحساب ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم وبرّوا بإخوانكم ولو بحسن السّلام وردّ الجواب»^(٢).
- ١٥ - وقال الإمام الصادق عليه السلام: «اتقوا الحالقة فإنها تميت الرّجال قيل: وما الحالقة؟ قال: قطيعة الرحم»^(٣).
- ١٦ - وقال بعض الاصحاب للصادق عليه السلام: إنّ لي ابن عمّ أصله فيقطعني حتّى لقد هممت لقطيعته إيّاي أن أقطعه، فقال عليه السلام: «إنّك إذا وصلته وقطعك وصلكما الله جميعاً، وإن قطعته وقطعك قطعكما الله»^(٤).
- ١٧ - وقيل للصادق عليه السلام: «تكون لي القرابة على غير أمري، ألهمّ حقّ؟ قال عليه السلام: نعم، حقّ الرّحم لا يقطعه شيء، وإذا كانوا على أمرك كان لهم حقّان، حقّ الرّحم وحقّ الإسلام»^(٥).
- وهكذا هو حقّ الرّحم في الإسلام، فكما تدين تدان، وما تفعله مع أرحامك فانه سيعاملك أرحامك بمثله في المستقبل العاجل أو الآجل.

(٢) الكافي ٢: ١٥٧، ح ٣١.

(٤) الكافي ٢: ١٥٢، ح ٢٤.

(١) الكافي ٢: ١٥١، ح ٦.

(٣) الكافي ٢: ٣٤٦، ح ٢.

(٥) الكافي ٢: ١٥٧، ح ٣٠.

رعاية الأيتام

قال تعالى: ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ○ ولو شاء الله لأعنتكم ان الله عزيز حكيم﴾^(١)

اليتيم هو الذي فقد بهجة الحياة بفقد والده، وعاش ذليلاً بائساً بين أقرانه يقسو عليه الزمان، وليس له سوى قلة من الصالحين، لا يملكون سوى جناح مكسور، وقد يصبح فريسة المنافقين والدجالين يستخدمه هذا، ويخدعه ذلك، وقد لا يكون له سوى الأم، وماذا تفعل الأم وهي لا تملك سوى العبرات ترسلها، والآلام تقتل نفسها، وحين يسألها عن أبيه، فتقول له: إن أباك غائب، فيقول سائلاً: متى يعود؟ فلا تستطيع جواباً، إنها حياة في أفسى صورها، وقد ألمح إلى ذلك الشاعر الصافي النجفي بقوله:

أودى الردى بأبيه قبل فطامه	فحسا المذلة في حليب المرضع
فتراه يلعب في الزقاق وطالما	من صحبه يُمنى بضرب موجع
فيجيء يشكو ضاربيه لأمه	فتجيب شكواه بجاري الأدمع
فيقول أين أبي؟ فتدعو: غائب	فيقول: غاب، فما له لم يرجع؟
فتظل واجمة وليس تجيبه	إلا بزفرة قلبها المتوجع

واليتيم ينقطع بالبلوغ الشرعي، فقد قال ﷺ: «لا يتم بعد احتلام»^(٢)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «انقطاع يتم اليتيم بالاحتلام، وهو أشده، وإن احتلم ولم يؤنس منه رشد وكان سفيهاً أو ضعيفاً فليمسك عنه وليه ماله»^(٣)

ورعاية اليتيم يستلزمه صدق الإيمان والإنسانية؛ لذلك أكد عليها القرآن الكريم في

(١) البقرة: ٢٢٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٦، ح ٤٢٧٣.

(٣) الكافي ٧: ٦٨، ح ٢.

اثنتي وعشرين آية، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(٢)

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ

السَّبِيلِ ۖ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٣)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَيَصِيلُونَ سَعِيرًا﴾^(٤)

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾^(٥) وآيات أخرى عديدة.

وكلّ وهذا التأكيد بسبب ما يفقده اليتيم عادة من مساعد ومدافع، وبما أنّ رعاية اليتيم إصلاحٌ للفرد وبالنتيجة إسعادٌ للأمة فإنّ في إهمال اليتيم مفسدة لخلقه وضياع لحقوقه، لذلك حثّ الإسلام على رعايته وكفالاته قبل البلوغ، واعتبر رعاية اليتيم في المرتبة الثالثة لعبادة الله تعالى بقوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين﴾^(٦)

ووعده النبي ﷺ بأنّه مع كافل اليتيم في الجنّة، وجمع ﷺ بين إصبعيه المسبّحة والوسطى، وفي هذا الوعد الذي يعده رسول الله ﷺ بشئٍ لكلّ من كفل يتيماً بأنّه، سوف يكون مع النبي ﷺ في الجنّة، ويا لها من درجة رفيعة؛ إذ يعتبر صنواً لدرجة النبي ﷺ.

وهكذا يعتبر اليتيم أمانة مستودعة لدى المسلمين عامّة، فيجب رعايته وكفالاته وإصلاح حاله وتنمية ماله، ومدّ يد المساعد والمعونة اليه، وينبغي تأسيس دور الأيتام المتكفّلة بصدق لهم، والتعاون في تهيئة حياة سعيدة لهم كما يسعى الانسان في سبيل سعادة ولده وأقربائه.

(١) الضحى : ٩. (٢) الاسراء : ٣٤.

(٣) البقرة : ١٢٥. (٤) النساء : ١٠.

(٥) البقرة : ٨٣. (٦) النساء : ١٢٧.

في رحاب السُّنة:

١- قال النبي ﷺ: «من كفل يتيماً وكفل نفقته كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» وقرن بين إصبعيه المسبحة والوسطى. (١)

٢- وقال النبي ﷺ: «من عال يتيماً حتّى يستغني أوجب الله له لذلك الجنة، كما أوجب الله لآكل مال اليتيم النار». (٢)

٣- وقال النبي ﷺ: «ما من عبد يمسح يده على رأس يتييم ترحماً له إلا أعطاه الله عز وجل بكل شعرة نوراً يوم القيامة». (٣)

٤- وقال النبي ﷺ: «أربع من كنّ فيه بنى الله له بيتاً في الجنة: من آوى اليتيم، ورحم الضعيف وأشفق على والديه ورفق بمملوكه». (٤)

٥- وقال علي عليه السلام: «أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم». (٥)

٦- وقال علي عليه السلام: «الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيّعوا بحضرتكم». (٦)

٧- وقال علي عليه السلام: «إن آكل مال اليتيم سيدركه وبال ذلك في عقبه ويلحقه وبال ذلك في الآخرة». (٧)

٨- وقال الإمام الباقر عليه السلام: «أربع من كنّ فيه من المؤمنين أسكنه الله في أعلى عليين، في غرف فوق الغرف، في محلّ الشرف كلّ الشرف: من آوى اليتيم ونظر له وكان له أباً، ومن رحم الضعيف وأعانه وكفاه، ومن أنفق على والديه ورفق بهما وبرّهما ولم يحزنهما، ومن لم يجحف بمملوكه وأعانه على ما يكلفه». (٨)

وطبيعي أن تكون العناية بجدارة، والإحسان إلى اليتيم بمختلف الوجوه مادياً

(١) قرب الاسناد: ٩٤، ح ٣١٥. (٢) بحار الانوار ٧٥: ٤، ح ٨، الكافي ٧: ٥١.

(٣) من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٨، ح ٥٧٠. (٤) المحاسن ١: ٨، ح ٣٢.

(٥) نهج البلاغة ٤: ٦٣، ح ٦٤. (٦) نهج البلاغة ٣: ٧٧، الخطبة ٤٧.

(٧) من لا يحضره الفقيه ٣: ١٧٣، ح ٣٦٥٢.

(٨) مستدرک الوسائل ١٢: ٣٨٦، ح ١٤٣٦٤.

ومعنوياً بالإرشاد إلى ما فيه صلاحه فكرياً، والإنفاق في سبيل سعادته مادياً من غير طمع أو خيانة، فليتنق الله الذين ينتهزون غفلة اليتيم وصغر سنّه وعدم قدرته فيبدّدون أمواله ظلماً وعدواناً، بدل أن يعملوا على تنميته وحفظه حتى يبلغ اليتيم أشدّه وكمال عقله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلُونَ سَعيراً﴾^(١)

وسئل الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية عن رجل أكل مال اليتيم، هل له توبة؟ قال عليه السلام: «يردّ به إلى أهله».^(٢)

وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى ما يولّده سوء التصرف مع اليتامى في نفس اليتيم من العُقد النفسية التي سوف تظهر آثارها في اليتيم سواء حين هو صغير أو حينما يكبر ويشعر، فإنّ ما سوف يفقده الظالم من الراحة في المال بسبب تصرفه غير اللائق في حق اليتيم وأمواله، يكون أكثر من ذلك المال الذي أكله من اليتيم ظلماً، وهذا ما تثبته دراسة حال اليتامى مع الظالمين في الدنيا، وأمّا عذاب الآخرة فهو أشد وأبقى، وما ربك بغافل عمّا يعمل الظالمون، وإلى ذلك يشير كلام الإمام علي عليه السلام في الحديث المذكور: «إِنَّ آكُلَ مَالِ الْيَتِيمِ سِيدْرَكَه وَبَالَ ذَلِكَ فِي عَقْبِهِ».^(٣)

فيأَيُّها الوصي الذي قصّرت أو أهملت، اتّق الله وتدارك قبل حلول الأجل، فإذا كان لك أولاد ويعيش معهم يتيم فعليك أن تنبّه أولادك على أن لا يمسّوا اليتيم بسوء أو يجرح أحد خاطره بكلمة، ولا تمنّ عليه كما لا تريد أن يمنّ عليك؛ فإنّ التاريخ يعيد نفسه، وكما تدين تدان، فأحسن كي يحسن إلى أولادك، وتذهب إلى ربك بقلب طاهر وعمل زاك، كي يترحم عليك. قال تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً﴾^(٤)

(١) النساء : ١٠. (٢) الوسائل ١٧ : ٢٦٠، ح ٢٢٤٧٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣ : ١٧٣، ح ٣٦٥٢.

(٤) النساء : ٩.

الربا

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(١)

لقد حارب الإسلام الربا بشدة بالغة لم تعهد في غيره من المحرمات الدينية، إذ اعتبره حرباً لله ورسوله لما فيه من الشقاء في العاجل أو الآجل على الفرد والمجتمع بسبب تضخم الأموال في يد طبقة فاقدة للضمير والإنسانية، فإنَّ الغالب في التعامل بالربا أن يتضرر، فإنَّ اليسير من الربا يتضاعف بمرور الزمن، والإسلام حرَّم كلَّ عمل تبتني فيه المصلحة على ضرر جماعة أخرى كالربا والرشوة والسرقة، وعلى العكس يشجّع تحصيل الثروة من طرقها المشروعة ما لم يؤدَّ إلى التضخم غير المشروع، ولا يمانع من تواجد الثروة عند صاحب الضمير والإنسانية، المؤمن بأنَّ في أمواله حقَّ معلوم للسائل والمحروم، والملتزم بدفع الحقوق الشرعية لمستحقِّيها كالزكاة والخمس، والطرق المشروعة التي أقرها الإسلام كثيرة أهمُّها التجارة، وهي تستهدف ثلاث دعائم:

- ١ - سلامة رأس المال.

- ٢ - تحصيل الربح والفائدة.

- ٣ - الخصم من صافي الداخل (الربح) بنسبة عشرين في المائة، وذلك في صورة تواجد الشروط في الخمس، وما يقرب منه في الزكاة.

والطرق المشروعة للبيع كثيرة، ولكلٍّ منها اسم خاص:

فالبيع من حيث تعلُّقه بالمبيع على أربعة أقسام:

- ١ - المفايضة: وهو بيع عين بعين.

٢- الصرّف: هو بيع ثمن بثمان.

٣- السلم: بيع ثمن بعين.

٤- البيع المطلق: وهو بيع عين بثمان.

وينقسم البيع من حيث تعلّقه بالثمان إلى أربعة أقسام أيضاً:

١- المراجعة: إن كان بزيادة على الثمن الأوّل.

٢- التولية: إن كان بمثل الثمن الأوّل بدون زيادة.

٣- الوضعية: إن كان بأنقص من الثمن الأوّل.

٤- المساومة: وهو البيع بأيّ ثمن كان من غير نظر إلى الثمن الأوّل.

وينقسم بيع المراجعة من حيث سبب زيادة الثمن إلى ثلاثة أقسام:

١- ما يتقسّط عليه الثمن دون الربح، كالخياطة وما شابه.

٢- ما يتقسّط عليه الثمن دون الربح، كالحمولة والكراء.

٣- ما لا يتقسّط عليه الثمن ولا الربح، كالسمسرة.

هذه لمحة خاطفة عن البيع وأقسامه، فتجد دائماً في البيع ثمناً بإزاء ثمن مع زيادة يتقسّط عليها الثمن، بخلاف الربا تماماً؛ حيث إنّ المال لا يقابله شيء ولا يتقسّط، فمثلاً من باع شيئاً يساوي ديناراً بدينارين فقد جعل الثمن الدينارين يقابلهما كلّ جزء من ذلك الشيء مع ملاحظة الوحدة، وإذا باع ديناراً بدينارين فقد دفع أحد الدينارين زائداً بغير عوض. ولا تعتبر المهلة عوضاً، لأنّها ليست مالاً ولا عملاً حتى يقابل بالمال، فيكون أحد الدينارين ضائعاً، لذلك يكون الربا طريقة غير شرعية لتحصيل المال كالسرقة والخيانة.

قال تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾^(١) أي لا يقومون إلا كما يقوم الذي أسكره الخمر ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل

(١) البقرة: ٢٧٥.

الرِّبَا» أي ان السبب في هذا السكر هو كسب المال من طريقة غير شرعية، وقولهم بأن البيع والربا واحد، فاستحلوا الربا بذلك، بينما الفرق بينهما كبير؛ ذلك أن الربا ظلم لمن أخذ منه المال، وحرمة مال الغير كحرمة دمه وعرضه، والمرابي بجشعه يستغل حاجة المضطر فيقيده بالديون ويثقل ظهره ويهدم مستقبله، وهذا ينافي روح الإسلام الأمر بإنظار المعسر إلى حين اليسر^(١) وإعانة الفقير وإغاثة الملهوف.

ثم يقول تعالى: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾^(٢)

ولما بلغ الإمام الصادق عليه السلام: أن رجلاً يسمى الربا لباءً، قال عليه السلام: «إن أمكنني الله منه لأضربن عنقه».

فما أشد مسؤولية المتحيلين لأكل الربا بصور مختلفة متناقضة مع روح الشريعة الإسلامية، فليتنق الله الذي يؤمن بالموت واليوم الآخر، فقيماً أحل الله من طرق الكسب المشروعة من التجارة والزراعة والصناعة غنى عما حرم الله، وهي طرق مشروعة ظلم فيها لأحد، ولا تعد على حقوق الآخرين، وفيها الخدمة الاجتماعية والمصلحة العامة.

إن المرابي بما أنه لا يحترم الناس لذلك يبغضه الناس ومنهم المتعاملون معه، ويطمعون فيما حصل عليه من دون تعب وكد، معتقدين أنه لم يملكه، وتظهر هذه العقدة النفسية بصورة الخيانة، أو الجناية وقد لاتخص المرابي نفسه، بل تشمل عائلته، وليس لها سبب سوى معاملة (الربا)، قال تعالى: ﴿يمحق الله الربا﴾^(٣) أي يجعل عاقبته إلى الفقر والدمار ﴿ويربي الصدقات﴾^(٤) أي يزيدها في الدنيا، على العكس مما يتصوره المرابون؛ فإن شأن المرابي سوف يقل في المجتمع واعتباره يسفل، بينما يزداد شأن المتصدق وتميل القلوب إليه ويذكر بالجميل.

(١) كما قال تعالى: ﴿وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾. (البقرة: ٢٨٠).

(٢) البقرة: ٢٧٥. (٣) البقرة ٢٧٦.

(٤) البقرة ٢٧٦.

والربا على قسمين:

الأول: الربا في القرض، بأن يشترط في الدين الزيادة في المال أو العمل، مثلاً: لو دفع عشرة دنائير لمدة شهر على أن يستوفيه عند حلول الأجل بزيادة مبلغ معين بنسبة معينة، وهذا الشرط المسبق يجعل القرض ربوياً، وكذا الأمر فيما لو اشترط العمل، كأن يقرض ذهباً لمدة معينة مشروطاً بأن يرجعه مصوغاً على شكل خاص، نعم لا بأس بإعطاء الزيادة، بل هو مستحب من غير اشتراط إذا أراد المقرض أن يدفع الزيادة عن طيب نفسه، من غير اشتراط، سواء علم بذلك صاحبه أم لم يعلم، ومن هنا يظهر حكم (حساب الودائع) و(صناديق التوفير) فيما لو التزم أصحاب البنوك بفائدة بنسبة مئوية لكل مال يودع عندهم بدون اشتراط مسبق، وهم يستخدمونه لأغراض خاصة تجارية أو عمرانية وما شابه، وعلى أمل أن يقوم بهذه الفكرة في المستقبل رجال تهتمهم مصلحة الإسلام والمسلمين.

الثاني: الربا في المعاملة، وإنما يتحقق بشرطين:

أولهما: اتحاد الجنسين عرفاً في الثمن والمثمن وإن اختلفا في الصفات، ثانيهما: أن يكون جنسهما من المكيل أو الموزون، فإذا كان يباع بالعد فلا بأس، مثلاً: يجوز بيع بيضة واحدة ببيضتين إذا كان الغالب فيهما البيع بالعدد دون الكيل والوزن، ويعتبر شرعاً عدة أشياء من جنس واحد كالحنطة والشعير وأنواع التمر، فإنها تعدّ كلّها من جنس واحد، وكذا الضأن والمعز، وكذا البقر والجاموس، وكذا كل أصل مع ما يتفرع عنه، فإنهما يعتبران جنساً واحداً كالحنطة والدقيق والخبز، وكالحليب واللبن والجبن.

وهذان القسمان يشتركان في الحكم والأثر من الحرمة الشرعية وخلق روح العداوة والبغضاء في المجتمع، وحيث إن التعامل بالربا إنما ينشأ من الحاجة الشخصية للأفراد فتجب المقاومة الايجابية في قلع المشكلة من جذورها، وذلك بإنشاء بنوك إسلامية ترفع حاجة المحتاجين بالطريقة الشرعية، وعلى أمل أن يقوم بذلك أهل المقدرة، فإن الله تعالى وعد بالنصر لكل من نصره، وكان الله في عون كل مخلص أمين.

في رحاب السُّنة:

- ١- قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه». (١)
- ٢- وقال ﷺ: «من أكل الربا، ملأ الله بطنه نار جهنم بقدر ما أكل، فإن كسب منه مالاً لم يقبل الله شيئاً من عمله، ولم يزل في لعنة الله وملائكته ما دام معه قيراط». (٢)
- ٣- وقال ﷺ: «شر الكسب كسب الربا». (٣)
- ٤- وقال علي عليه السلام: «إذا أراد الله بقوم هلاكاً ظهر فيهم الربا». (٤)
- ٥- وقال علي عليه السلام: «آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهداه في الوزر سواء». (٥)
- ٦- وقال الباقر عليه السلام: «إنما حرّم الله الربا لثلاث يذهب المعروف». (٦)
- ٧- وقال الباقر عليه السلام: «يستتاب آكل الربا من الربا كما يستتاب من الشرك». (٧)
- ٨- وقيل له عليه السلام: «قد ترى الرجل يربي ويكثر ماله، فقال عليه السلام: «يمحق الله دينه وإن كان ماله يكثر». (٨)
- ٩- وقال عليه السلام: «درهم ربا عند الله أشدّ من سبعين زنيّة كلّها بذات محرّم». (٩)
- ١٠- وقال الكاظم عليه السلام: «إنما حرّم الله الربا لثلاث يمتنع الناس المعروف». (١٠)
- ١١- وسئل عليه السلام عن رجل أعطى رجلاً مائة درهم على أن يعطيه خمسة دراهم أو أكثر أو أقل؟ فقال عليه السلام: «هذا الربا المحض». (١١)
- ١٢- وقال الرضا عليه السلام: «إنّ الربا حرام سحت من الكبائر، وممّا وعد الله عليه النار، وهو محرّم على لسان كلّ نبيّ وفي كلّ كتاب». (١٢)

-
- | | |
|--|--------------------------------------|
| (١) امالي الصدوق: ٣٤٦، ح ١. | (٢) ثواب الاعمال ٢: ٣٣٦، ح ١. |
| (٣) امالي الصدوق: ٣٩٥، ح ١. | (٤) الوسائل ١٨: ١٢٣، ح ٢٣٢٨٦. |
| (٥) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٤، ح ٣٩٩٣. | (٦) الوسائل ١٢: ٤٢٥، ح ١٠. |
| (٧) التهذيب ١٠: ١٥١، ح ٦٠٥. | (٨) مستدرك الوسائل ١٣: ٣٣٣، ح ١٥٥١٦. |
| (٩) بحار الانوار ١٠٣: ١١٧، ح ١١٢. | (١٠) بحار الانوار ٧٨: ١، ح ٣. |
| (١١) قرب الاسناد: ٢٦٥، ح ١٠٥٥. | (١٢) فقه الرضا عليه السلام: ٢٥٦. |

القرض الحسن

إنَّ الإصلاح يتركز دائماً على أمرين سلب وإيجاب: فالسلب: بتقليل موارد الفساد. والإيجاب: بتكثير موارد الصّلاح بما يسدّ الحاجة؛ كي لا يفتقر إلى ما به الفساد. وهكذا يظهر دور الإسلام في مكافحة أنواع الفساد، ولذلك حارب الربا بكلّ صورته باعتباره مادة فساد في الاقتصاد يجرّ الويل على من التزم به، وهو ظلم اجتماعي، فاعتبر التعامل به حرباً من الله ورسوله، ولكنّ المقاومة السلبية وحدها لا تنقل المشكلة من جذورها، فهناك آلاف المعوزين الذين لا يملكون ما يسدّون به حاجاتهم الشخصية ولا طريق لهم سوى تحصيل المال لسدّ الحاجة بأية طريقة كانت، فأكد على التشريع إيجابياً في مكافحة الرّبا بتشريع (القرض الحسن) بالنسبة إلى القادر والتمكّن مادياً، بأن يدفع المال للمحتاج على أن يرده بعد مدّة من غير اشتراط بزيادة، مساهمةً منه في إسعاد الفرد، وبالنتيجة إصلاح المجتمع.

وقد اعتبر القرآن الكريم القرض تعاملًا مع الله سبحانه، والإقراض إله تعالى لأنّه إسعاف للمحتاج، بالعكس تماماً من الرّبا الذي اعتبره حرباً من الله ورسوله. قال تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿إنّ المصدّقين والمصدّقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم﴾^(٢)

وقال تعالى: ﴿واقترضتم الله قرضاً حسناً لأكفرنّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل﴾^(٣)

(٢) الحديد : ١٨.

(١) البقرة : ٢٤٥.

(٣) المائدة : ١٢.

وفي آية أخرى قرن القرض بالصلاة والزكاة وقال: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾ (١)

كما يرشدنا إلى الأسلوب الصحيح في الاقتراض والمداينة وأنه ينبغي التدوين والتسجيل لئلا يتطرق إليها الشك والنسيان، فقال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله﴾ (٢)

في رحاب السنة:

١- قال النبي ﷺ: «من أقرض مؤمناً قرضاً ينظر به ميسوره، كان ماله في زكاة، وكان هو في صلاة من الملائكة حتّى يؤدّيه إليه». (٣)

٢- وقال النبي ﷺ: «من يمطل على ذي حقّ حقّه وهو يقدر على أدائه حقّه فعليه كلّ يوم خطيئة عشر». (٤)

٣- وقال النبي ﷺ: «قرض المال حمى الزكاة». (٥)

٤- وقال عليّ رضي الله عنه: «أمّا القرض، فقرض درهم كصدقة درهمين، سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: هو الصدقة على الأغنياء». (٦)

٥- وقال الباقر عليه السلام: «خير القرض ما جرّ المنفعة». (٧) (أي بلا اشتراط).

٦- وقال الصادق عليه السلام: «إذا اقترضت الدراهم ثمّ جاءك بخير منها فلا بأس إذا لم يكن بينكما شرط». (٨)

٧- وقال الصادق عليه السلام: «على باب الجنة مكتوب: القرض بثمانية عشر والصدقة بعشرة،

(١) المزمل : ٢٠. (٢) البقرة : ٢٨٢.

(٣) ثواب الاعمال : ١٦٦، ح ١. (٤) من لا يحضره الفقيه ٤ : ١٦.

(٥) الكافي ٣ : ٥٥٨، ح ٢. (٦) مستدرك الوسائل ١٢ : ٣٦٤، ح ١٤٣١٢.

(٧) الكافي ٥ : ٢٥٥، ح ١. (٨) الكافي ٥ : ٢٥٤، ح ٣.

وذلك إن القرض لا يكون إلا لمحتاج، والصدقة ربما وقعت في يد غير محتاج»^(١).

٨- وقال الصادق عليه السلام: «لأن أقرض قرضاً أحب إليّ من أن أصل مثله»^(٢).

٩- وقال عليه السلام: «السراق ثلاثة: مانع الزكاة، ومستحل مهور النساء، وكذلك من استدان

ولم ينو قضاءه»^(٣).

١٠- وقال الكاظم عليه السلام: «من طلب الرزق من حله فغلب فليستقرض على الله عز وجل

وعلى رسوله ﷺ»^(٤). يشير الإمام الكاظم عليه السلام إلى أن الإنسان إذا اكتسب بالطرق

المشروعة والتزم بالعمل الصادق واجتنب الإسراف والتبذير كما يأمر الإسلام فإن هذا

الإنسان لابد وأن يتوفق لأداء القرض والدين؛ لأنه يسير على المسلك الذي هداه الله

تعالى، وهنا يلفت الإسلام المديون إلى نكتة إنسانية وينبّهه على أن المال الذي قضى به

حاجته في فترة معينة لم يكن ماله وإثماً هو ملك الدائن، وكان له أن لا يعطيه لأحد

ويحفظه عنده، فإذا هو أحسن إليك وأعطاك ديناً فإنه يستحب لك أن تحسن إليه أيضاً

حينما تردّ دينه، وأن تدفع له شيئاً زيادة عن طيب خاطر كهدية، سواء من نفس جنس

المال أو من شيء آخر، فكما أنه أحسن إليك فينبغي أن تحسن إليه، قال الصادق عليه السلام:

«الربا رباؤه: أحدهما ربا حلال والآخر حرام، فأما الحلال فهو أن يقرض الرجل طمعاً أن

يزيده ويعوّضه بأكثر ممّا أخذه بلا شرط بينهما»^(٥). فيكون زيادة بالاختيار عند الأداء

مستحب شرعاً.

وبهذه الطريقة الفضلى يقلع الإسلام جذور الفساد الاقتصادي الناجم من الظلم

الرّبوي، وما أجدر بالحكومات الإسلامية وأهل الخير أن ينشئوا صناديق خيرية على

أساس من القرض الحسن لقلع هذه المشكلة من جذورها.

قال تعالى: ﴿يُمَحِّقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٦).

(١) بحار الانوار ١٠٣: ١٣٨، ح ٢. (٢) ثواب الاعمال: ١٦٧، ح ٤.

(٣) الخصال: ١٥٣، ح ١٩٠. (٤) الوسائل ١٨: ٣٢١، ح ٢٣٧٦٤.

(٥) الوسائل ١٨: ١٦٠، ح ٢٣٣٨٩. (٦) البقرة: ٢٧٦.

الخمير والمشروبات الكحولية

قال تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾^(١)

امتياز الإنسان على الحيوانات إنّما هو بالعقل، إذ يشترك مع الحيوانات في الحواس الظاهرة كالbصر والسمع واللمس والذوق والشّم، والمسكرات تسلب هذه الميزة من الإنسان وتجعله في مصاف الحيوانات، بل أخس منها حيث يسخر الناس منه حين لا يسخرون من الحيوانات، ويسمى الخمر بـ(أمّ الخبائث) وبـ(الإثم) وهذا ما يؤكّده القرآن الكريم: بقوله تعالى: ﴿إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾^(٢)

وإنّما سميت الخمر (خمراً) لأنّها تذهب بالعقل، فإنّ الخمر في اللغة العربية بمعنى الغطاء، ومنه (الخمارة) للنساء، واما منفعة الخمر من انبساط النفس ونشاط الجسم وتنبيه الأعصاب فهذه المنفعة لا تقدّر بشيء بالنسبة إلى الاضرار الفكرية والصحية الناشئة منها، فقد أثبت العلم أنّ الخمر ينبّه مركز المخّ ولكنّه يضعف مركز القلب، وكثيراً ما يورث العقم والشلل وسوء العلاج، يقول الخليلي الطبيب: «الطب الحديث - اليوم - قد أثبت أنّ الكحول لا تشفي مرضاً البتّة، بل يزيد وطاته طبقاً لما ورد من حديث آل البيت عليه السلام: «لا شفاء من مسكر» وثبت لدى أعظم الأطباء أنّ السكّير على الاطلاق أبطأ علاجاً وأبعد شفاء من الذين لم يعاقروا الخمرة، وبعبارة أوضح: إنّ مجال الشفاء في مدمن الخمر غير

متّسع، فلو أصيبوا بمرض مهما كان، عسر علاجه وتأخّر شفاؤه.

إنّ أولى آفات الخمر أنّها تذهب بالعقل، وهذا أمر محسوس ملموس لكلّ إنسان، ومن المعلوم أنّ أفضل ما في الإنسان عقله فإذا ذهب العقل حُسِنَ لشارب الخمر القبيح وقُبِحَ الحسن، وعاش حياة هي دون مستوى الحياة الإنسانية، يتغيّر جهازه العصبي، وتقلّ قدرته على ضبط أقواله وأفعاله، ويسهّل انقياده إلى كلّ شيء، وإذا ما سلب الخمر شاربيها العقل والفهم، صار أقلّ من الحيوان إدراكاً وأحقّر قدراً وشأناً، فإنّ كثيراً من الحيوانات تستطيع أن تذهب بنفسها إلى اصطبلها والسّكران لا يمكنه أن يذهب إلى بيته ولا أن يعرف أهله، وقد يكثّر المتفرّجون على شارب الخمر الذي أفقد عقله بيده وماله وهو يترنّح بين رحمة هذا وتحقير ذلك واستهزاء ثالث، ولو تأمّل الإنسان ما يترتّب على هذه الخمرة من فقد الوعي والأقوال الطائشة والأفعال الرذيلة ممّا يمجّه الإنسان العاقل، لما أقدم على جرثومة الفساد هذه، فقد كان أحد العظماء يمتنع من شرب الخمر ويقول: «أكره أن أصبح سيّد قومي وأمسي سفيهم»، وما أحسن ابن الرّومي في قوله:

واهجر الخمرة إن كنت فتى كيف يسعى في جنون من عقل؟

وكم من جرائم سببتها الخمرة في البيت بالنسبة إلى نفسه الشارب وأهله، وفي الشارع بالنسبة إلى المجتمع، وقد حاول عقلاء الأمم الحدّ منها بمختلف الأنظمة والقوانين لما أضرتّ بالأمن والسلامة في البيت والشوارع من جرّاء شرب الخمر، حيث يشعر السكير بنفسه حيث يعيش في جوّ خياليّ وينسى كلّ ما يحيط به من علاقات اجتماعيّة وعائليّة، ولا يميّز في علاقته الجنسيّة بين زوجته وأخته وبنته، ولهذا السبب ورد في الحديث: «إذا خطب إليكم شارب الخمر فلا تزوّجوه»^(١) وأيضاً: «من زوّج ابنته من شارب الخمر فكأنّما قادها إلى الزنا»^(٢).

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٥٨، ح ٥٠٩١.

(١) الكافي ٦: ٣٩٧، ح ٥.

أنواع الخمر: ولا فرق بين أنواع الخمر، فكل ما أسكر وخامر العقل - أي غلب على العقل وحجب عنه الفهم السليم - يعتبر خمرًا، سواء استخرج من التمر أو العنب أو الزبيب أو الحنطة أو الشعير أو غير ذلك، وإن اختلفت نسبة الكحول فيها، فالخمور المقطرة كالعرق والويسكي تحتوي على نسبة ٤٠٪ إلى ٧٥٪، وأما الخمر كالبيرة فتحتوي على نسبة ٢٪ إلى ٦٪، والمسكرات كلها تشترك في الحرمة والإثم وإن اختلفت أسماؤها، وفي الحديث: «إن الله لم يحرم الخمر لاسمها، ولكن حرمها لعاقبتها، فكل ما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر»^(١) وأيضاً: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(٢).

وفي اللغة للخمر أسماء خمسة:

«العصير» وهو الذي يتخذ من الكرم.

و «النقيع» وهو الذي يتخذ من الزبيب.

و «البتع» وهو الذي يتخذ من العسل.

و «المرز» وهو الذي يتخذ من الحنطة.

و «النبذ»، وهو الذي يتخذ من التمر.

واسماء أخرى كثيرة، والاسم العام هو الخمر، قال في القاموس: «والعموم أصح، لأنها حرمت وما في المدينة خمر، وما كان شرابهم إلا البسر والتمر»^(٣).

قال الطبيب الخليلي: «المادة الكحولية الموجودة في كل هذه الأنواع سم قوي فتاك، فلو أخذنا زلال بيضة وصبنا عليه قطرات من الويسكي أو أي مشروب روحي آخر، لجمد في الحال وتغير لونه كما لو كنّا وضعناه على حديدة محمّاة أو ماء مغلي، فإذا علمنا أنّ المعدة والقلب والكبد والكليتين تتركّب من نفس المواد التي تتركّب منها ذلك الزلال لا تضح لدينا ما تحدثه الكحول في تلك الأعضاء».

(٢) الكافي ٦: ٤٠٨، ح ٤.

(١) الكافي ٦: ٤١٢، ح ١.

(٣) القاموس المحيط ٢: ٢٣.

في رحاب السُّنة:

١ - قال النبي ﷺ: «أول ما نهاني عنه ربِّي عزَّ وجل، عبادة الأوثان، وشرب الخمر،

وملاحاة الرِّجال»^(١).

٢ - وقال النبي ﷺ: «شارب الخمر كعابد الوثن»^(٢).

٣ - وقال النبي ﷺ: «تحرَّم الجنَّة على ثلاثة: على المَنَّان، وعلى المغتاب، وعلى

مدمن الخمر»^(٣).

٤ - وقال النبي ﷺ: «كلُّ مسكر حرام وكلُّ مسكر خمر»^(٤).

٥ - وكان قال النبي ﷺ: «لعن بايعها ومشتريها وساقيتها وآكل ثمنها وشاربها»^(٥).

٦ - وقال النبي ﷺ: «ملعون من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر»^(٦).

٧ - وقال الباقر عليه السلام: «إنَّ شرب الخمر من أكبر الكبائر، ويدخل صاحبه في الزَّنا

والسرقة وقتل النفس المحترمة والشرك، وأفَاعيل الخمر يعلو كلَّ ذنب»^(٧).

٨ - وقال الصادق عليه السلام: «لا يدخل الجنَّة العاق لوالديه، ومدمن الخمر، ومَنَّان بفعال

الخير إذا عمل»^(٨).

٩ - وقال الصادق عليه السلام: «الخمر لا يزداد شاربها الاكلَّ سوء»^(٩).

١٠ - وقال الصادق عليه السلام: «لا يؤتمن شارب الخمر، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ولا تؤتوا

السَّفهاء أموالكم﴾ فأَيُّ سفيه أسفه من شارب الخمر، إنَّ شارب الخمر لا يزوج إذا خطب،

ولا يشفع إذا شفع، لا يؤتمن على أمانة؛ فمن أئتمنه على أمانة فاستهلكها لم يكن للذي

(١) الكافي ٢: ٣٠١، ح ٦. (٢) من لا يحضره الفقيه ٤٠: ٣٥٤.

(٣) الوسائل ١٢: ٢٨١، ح ١٦٣٩. (٤) الكافي ٦: ٤٠٨، ح ٣.

(٥) الكافي ٦: ٣٩٨، ح ١٠. (٦) المحاسن ٢: ٥٨٥، ح ٧٧.

(٧) الكافي ٦: ٤٢٩، خ ٣. (٨) الوسائل ٩: ٤٥٤، ح ١٢٤٨٦.

(٩) الكافي ٦: ٢٤٣.

اتتمنه على الله أن يؤجره ولا يخلف عليه»^(١).

١١- وقال الصادق عليه السلام: «لا تجالسوا شراب الخمر، فإنَّ اللعنة إذا نزلت عمّت من في

المجلس»^(٢).

١٢- وقال الرضا عليه السلام: «ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر»^(٣).

١٣- وقال الرضا عليه السلام: «إياك أن تزوج شارب الخمر فإن زوجته فكأنما قدت إلى الزنا،

ولا تصدّقه إذا حدّثك، ولا تقبل شهادته، ولا تأمنه على شيء من مالك؛ فإن اتّمنتته

فليس لك على الله ضمان، ولا تؤاكله ولا تصاحبه ولا تضحك في وجهه ولا تصافحه ولا

تعانقه، وإن مرض فلا تعدّه وإن مات فلا تشيّع جنازته»^(٤).

وهكذا يشدّد الإسلام في الإنكار على أمّ الخبائث ويحكم بالحدّ على الشارب

بثمانين جلدة - من قبل الحاكم الشرعي - كلّ مرّة حتّى المرّة الثالثة، ثمّ القتل، ولو قورن

هذا الحكم بأحكام الإعدام التي تنفّذها الدّول في حقّ مهربي المخدرات والمتآمرين

على مصالح الشعب والأمن، لكان هذا الحكم للخمر أجدر؛ لأنّه أمّ الخبائث، إذ هو السبب

في الاختلال بالأمن والتلاعب بمصالح الشعوب وحرّيتهم وسلامتهم، فإنّ نهضة الشعوب

وتحريرها يتوقّف على تحرير أنفسهم من مكافحة قوى الشرّ في نفوسهم والمتمثلة في

السموم والمخدرات من الخمر والميسر، وصدق الله العليّ العظيم حيث قال: ﴿إنّ لا يغيّر

ما يقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم﴾^(٥).

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٥٧، ح ٥٠٩٠.

(٤) مستدرک الوسائل ١٧: ٥٢، ح ٢٠٧١٣.

(١) الكافي ٥: ٢٩٩-٣٠٠.

(٣) الكافي ١: ١٤٨، ح ١٥.

(٥) الرعد: ١١.

المخدرات:

انتشرت الموادّ المخدرة في عصرنا بما يدعوا إلى معرفة رأي الإسلام فيها، وبما أنّ هذه الموادّ لم تكن في العصور الإسلامية الأولى قال بعض المترفين: «إنّ الأديان السماويّة وإن حرمت الخمر والميسر ولكنها لم تحرم هذه المستحدثات، فلا يشملها التحريم» فيجب أن نعرف حقيقتها أولاً ثمّ رأي الإسلام فيها.

إنّ الموادّ المخدرة هي نوع من السموم منه أو مسكّن على اختلاف جواهرها، ولها آثار طبيّة وصناعية، والإدمان عليها يسبب انحلال الجسم والقوة العقليّة تدريجاً، وتنقسم إلى قسمين:

الأول: المخدّرات الطبيعيّة من النباتات والأعشاب، ومنها الأفيون والقات والحشيش.

الثاني: المخدّرات الكيماوية التي تستحضر كيماوياً، ومنها المورفين والكوكائين والكحول بصورة عامّة والهيرئيين، ثم هذه المخدرات منها المنبّهة كالحول، ومنها المسكنة كالهيروئين والأفيون، وهي على كافة أنواعها تشترك في أثر التخدير.

ورأى الإسلام في استعمال هذه الموادّ في الأغراض الطبيّة والصناعيّة تتبع مدى أهميّة تلك الأغراض، وهي بلا شك أغراض إنسانيّة وخاصة في ميدان التخدير الموضعي أو الكلّي في العمليات الجراحية، لغرض تخفيف الآلام، أو في تركيب الأدوية الطبيّة، شأنها شأن سائر السّموم التي يستخدمها الطبيب المختص لعلاج بعض الحالات المستعصية بكلّ حيطة وحذر وعلى قدر الضرورة.

وأما التعمّد عليها أو استعمالها من دون ضرورة داعية إلى ذلك، فرأى الإسلام فيها يظهر جليّاً من التعريف الطيّب المتقدم الذي يعدّ الكحول بصفة عامة نوعاً من المخدرات والتي يعتبر (الخمر) أظهر أفرادها وهو الذي يخامر العقول من قوله ﷺ: «كلّ مسكر

خمر»^(١)، و«كل ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(٢)

فالنصوص الإسلامية على أن العلة في تحريم الخمر هو الاسكار، فكل ما أوجد السكر فهو يشترك مع الخمر في الحكم فإنه إضرار بالصحة وهو محرّم شرعاً، وقال الكاظم عليه السلام: «إن الله عز وجل لم يحرم الخمر لاسمها ولكنه حرّمها لعاقبتها، فما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر»^(٣) والسكر في اللغة العربية هو حالة تعرض بين المرء وعقله، وهي ثابتة في كل المخدرات، فكل ما أخرج الإنسان من حالته الطبيعية واعترض تفكيره يكون محرّماً سواء في ذلك الخمر أو غيره من المخدرات وإن اختلفت أسماؤها حسب الظروف والأحوال.

ومن ذلك يظهر حكم بيعها بالتهريب أو بغيره «فإن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه» فإذا كانت المخدرات تشكّل خطراً على الأمة فإن بيعها يكون تسهياً لهذا الخطر الداهم. فإن الله تعالى إنّما كرم الإنسان بنعمة العقل وبذلك ميّزه عن سائر المخلوقات لينتفع منها، لاليسيء إليها بالأضرار الطبيّة المترتبة على المخدرات بصفة عامة، بالإضافة إلى ما يترتب عليها من بطالة وانعدام المسؤولية وتقويض كيان المجتمع. ونظراً لما يترتب على هذه المواد من المفساد اهتّمت الحكومات بفرض عقوبات على متعاطيها والمتّجر بها، وتندرج هذه الأحكام من فرض الغرامات الباهظة والسجن والأعمال الشاقة وحتى الإعدام، ويا ليت أن الحكم يعمّ المخدرات بأنواعها بما فيها من المخدر الفكري ليقظة الأمم وتحررها من الفساد والضلال والانحراف كما هو موقف الإسلام، فرأيه في المخدرات بصفة عامة رأيه في (الخمر) أعاد الله الإنسانية شرّها.

(٢) الكافي ٦: ٤٠٨، ح ٤.

(١) الكافي ٦: ٤٠٨، ح ٢.

(٣) الكافي ٦: ٤١٢، ح ٢.

القمار والمسابقة والرمائية

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾^(١)

الميسر هو القمار، ويسمى (ميسراً) لتيسر أخذ مال الناس به من غير تعب أو مشقة، وقد جمع سبحانه وتعالى بين الخمر والقمار في الحكم لاشتراكهما في الضرر على الفرد والمجتمع والوطن اقتصادياً واجتماعياً.

والقمار: هو كل ما يتراهن فيه الناس مما يتردد بين الربح المطلق والخسارة المطلقة، وبه تضيع الأوقات وتباد الثروات وتنهدم البيوت العامرة وتسد الطرق المشروعة للكسب التي بها عمران البلاد والعباد والتجارة والصناعة والزراعة، فإن أولى أضراره الظاهرة هي اغتصاب الناس أموالهم؛ إذ ربح المقامر يتوقف على ضرر الطرف الآخر، وما أكثر الحالات التي يفقد المقامر فيها رأس ماله وما أكثر ضرره اقتصادياً ويخرج من حالته الطبيعية بالشجار أو الانتحار.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(٢)

فهما مصدران من مصادر الشرِّ والعداء في المجتمع يزرعان العداوة والحقد بين بني الإنسان، وكفى بذلك ضرراً اجتماعياً.

والقمار يجعل المقامر عاطلاً عن تحصيل الرزق متكللاً على الحظِّ والصَّدفَةِ والأُماني الفارغة، متجنباً الطرق المشروعة التي رسمها الله في الحياة ممّا يخدم الفرد وينفع

المجتمع، فيكون القمار سبباً في وجود أناس عاطلين يستهلكون من الحياة ولا يساهمون في إسعادها، وبذلك يخسرهم المجتمع وهم يخسرون السعادة، إذ المقامر يحاول قهر الخصم دائماً إن كان غالباً، ويحاول الانتقام إن كان مغلوباً، وكفى المقامر ذمّاً أن يحمل ما يقامر به من النقود مستبشراً، ويقامر صاحبه مهموماً، وينتهي من القمار منتقماً أو حاقداً على من غلبه، وكم من بيوت هدمت بالقمار، وكم من مقامرين أنتهى أمرهم إلى المقامرة على زوجاتهم وهدم بيوتهم ومستقبل أسرهم بأيديهم، قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾^(١): «كانت قريش تقامر، فيقامر الرجل بأهله وماله فنهاهم الله عن ذلك»^(٢) وما أشبه الليلة بالبارحة، وهذا الحقد طبعي القمار يحمله حبّ الانتقام ممّن يحوز ماله من غير تعب أو عوض، فكيف يرى غيره يتمتع بماله ظلماً وعدواناً ولا يحقد عليه؟! ويصف الخليلي «المقامر» وصفاً نفيساً دقيقاً بقوله: «إن من نظر إلى وجه المقامر حال لعبته يرى لون وجهه يتغيّر حسب عوارض لعبه القاسية المزعجة، فهو بين الرجاء والخوف، من فرح إلى ترح، ومن ابتهاج إلى انقباض، ومن يأس إلى أمل، فهو إذا قارب الخسارة أو تصوّرها تولّاه الخبل العقلي وضعف القوى المدركة، وامتكله الوهم، وبلغ من ضعف الإرادة إلى إظهار حركات غير إرادية من تبيير كرسية مثلاً من مكان إلى مكان، أو تغيير محلّه، وأحياناً إلى طرد المتفرجين من جواره، وإلى خلع ملابسه لأنّه يتشائم منها...»

ويقول أيضاً: «مما لاشك فيه - بعد التجارب العديدة وحكم الحس والوجدان - أنّ القمار يميّت في نفس المقامرين أعزّ الفضائل وأشرف الخصال، ويقضي على أجمل المواهب الإنسانية، أليس معنى فلاناً قامر فكسب: أنّه سطا على جيب أخيه أو صديقه أو قريبه فمدّ يده واختلس منه نقوده؟».

(٢) الكافي ٥: ١٢٢، ح ١.

(١) الكافي ٥: ١٢٣، ح ٢.

في رحاب السنّة:

١ - الرسول ﷺ: قيل: يا رسول الله ما الميسر؟ قال ﷺ: «كلّ ما يقامر به حتى

الكعاب والجوز»^(١).

٢ - الرسول ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه خمر أو دفّ أو طنبور ونرد،

ولا يستجاب دعائهم، ويرفع الله عنهم البركة»^(٢).

٣ - سأل الفضيل بن يسار الإمام الباقر عليه السلام عن هذه الأشياء التي يلعب بها الناس من

النرد والشطرنج وما شابه، فقال عليه السلام: «إذا ميّز الله الحق من الباطل مع أيهما يكون؟ قلت:

مع الباطل. قال عليه السلام: مالك والباطل؟»^(٣).

٤ - الصادق عليه السلام: «بيع الشطرنج حرام، وأكل ثمنه سحت، واتخاذها كفر، واللعب بها

شرك، والسلام على اللاهي بها معصية كبيرة موبقة»^(٤).

٥ - الرضا عليه السلام: «إن الشطرنج والنرد وأربع عشرة وكلّ ما قورم عليه منها ميسر»^(٥).

وهكذا نرى أنّ موقف الإسلام تجاه القمار موقف متشدّد؛ لأنّه موجب للضرر

الاقتصادي والاجتماعي، وسبب مباشر في العداوة.

والبغضاء، فمهما تظاهر المتقامرون بالرضا فهم دائماً يكتّون في قلوبهم بذور الحقد

والغش الذي حاربه الإسلام في كلّ معاملة، فلا يحلّ للمسلم أن يجعل من لعب القمار

وسيلة للتسلية، فإن وسائل التسلية واستغلال أوقات الفراغ أمرٌ ضروري في الحياة لكن

بالطرق النافعة والمشجّعة والتي يعود نفعها على الفرد والمجتمع من الوسائل الثقافية، على

العكس من القمار الذي يعتبر قتلاً للوقت وللمال.

(٢) الوسائل ١٧: ٣١٥، ح ٢٢٦٣٨.

(١) الكافي ٥: ١٢٣، ح ٢.

(٤) الوسائل ١٧: ٣٢٣، ح ٢٢٦٦٤.

(٣) الكافي ٦: ٤٣٦، ح ٩.

(٥) تفسير العياشي ١: ٣٣٩، ح ١٨٢.

السبق والرماية:

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١)

لقد حرّم الإسلام القمار باعتباره مادة يغلب فيها الفساد؛ لأنه وسيلة لتحصيل المال من دون جهد أو فائدة معقولة، صحيح أنّ في لعب القمار فائدة التسلية، وهذا ما يقرّه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(٢) إذ ما من عمل شريف أو دنيء إلا ويترتب عليه أثر وفائدة، ولكن لاعتبرة بهذه الفائدة إذا عارضها ضرر أكبر كما هو الحال في القمار، حيث إنه مضيعة للمال وضرر على المجتمع.

ثم هل التسلية منحصرة بهذا اللعب؟ أليست هناك أسباب للتسلية تعود بالنفع الكبير إلى الإنسان وكيانه؟ والإسلام في إصلاحه لكل مشكلة حينما يحظر على مادة الفساد يؤكّد ويحبّذ على ما شابه ذلك ممّا ليس فيه ضرر، بل يعود بالنفع على الفرد و المجتمع. ولمّا حرّم القمار حبّذ على (السبق والرماية) وكتب الفقه الإسلامي مشحونة بمسائلهما وفروعهما واعتبارهما ظاهرة إسلامية مستحبة شرعاً.

فيستحبّ لكلّ مسلم من أية طبقة من طبقات المجتمع أن يتراهن في المسابقة بواسطة الخيل، على شرط أن يكون لمن سبق منهما إلى المكان المحدّد ما يجعل له من المال أو أيّ شيء آخر، على غرار ما تأسست عليه (نوادي الفروسية).

وكذا الرمي، فيكون لمن أصاب الهدف - ضمن الشروط المعقودة من العدد والوقت - ما تراهن عليه، وليست فيها من الشروط سوى أن ترتفع الجهالة بقطع مادة النزاع فتصحّ المسابقة في الحيوانات: الخيل والإبل والفيلة والبغال والحمير، ولا بدّ من تعيين حدّ المسابقة بما لا يقع فيه النزاع.

وكذلك يصح الرمي بالآلات المستعملة في الحرب كالسهم والسيوف والبنادق، ولا بد من تعيين حد الرمي بالعدد والمسافة والصفة بما يرتفع به النزاع، كما يجوز لكل من المتسابقين جعل العوض من العين أو الدين، ويجوز أيضاً بذل الأجنبي للسابق منهما أو المصيب، ويجوز أيضاً أن يبذل من بيت المال.

وهذا الرهان حلال جائز؛ إذ فيه فائدة التربية الجسمية والجري، ولم يتكف الإسلام بتجويز هذه المسابقة والتجبيذ لها، بل شارك النبي ﷺ شخصياً في هذا النوع من المسابقات، قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ أجرى الخيل التي أضمرت من الحصى إلى مسجد بني زريق، وسبقهما من ثلاث نخلات فأعطى السابق عذقاً وأعطى المصلي عذقاً وأعطى الثالث عذقاً». (١)

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «أن رسول الله ﷺ أجرى الخيل وجعل سبقها أواقي من فضة». (٢)

وفي عصر الرسالة أغار المشركون على سرح المدينة فنأدى فيها مناد: يا سوء صباحاه، فسمعها رسول الله ﷺ في الجبل، فركب فرسه في طلب العدو، وكان أول صاحبي لحقه أبو قتادة على فرس له، وكان تحت رسول الله ﷺ سرج دقتاه ليف ليس فيه أشر ولا بطر، فطلب العدو فلم يلفوا أحداً وتتابع الخيل، وقال أبو قتادة يا رسول الله: إن العدو قد انصرف؛ فإن رأيت أن نستبق؟ فقال: نعم. فاستبقوا، فخرج رسول الله ﷺ سابقاً عليهم، ثم أقبل عليهم فقال: «أنا ابن العواتك من قريش، إنه لهو الجواد البحر». يعني فرسه (٣)، وكان الإمام الصادق عليه السلام يحضر الرمي والرهان.

(١) الكافي ٥: ٤٨، ح ٥، والمصلي: هو الذي يحاذي رأسه صلوئ السابق، والصلوان ما عن

(٢) الوسائل ١١: ٤٩٤، ح ١٥٣٥٣.

يمين الذنب.

(٣) الكافي ٥: ٥١.

في رحاب السُّنَّة:

- ١- الرسول ﷺ: «إِنَّ الملائكة تحضر الرهان في الخفّ والحافر والريش، وما سوى ذلك قمار حرام». (١) الخف كناية عن البعير، والحافر عن الحصان، والريش عن السهم.
- ٢- السّجاد: «إِنَّ النبي ﷺ أجرى الإبل مقبلة من تبوك، فسبقت العضباء وعليها أسامة، فجعل الناس يقولون: سبق رسول الله، ورسول الله ﷺ يقول: سبق أسامة». (٢)
- ٣- الصادق عليه السلام: «ليس شيء تحضره الملائكة إلاّ الرهان وملاعبة الرجل أهله». (٣)
- ٤- الصادق عليه السلام: «الرّمي سهم من سهام الإسلام». (٤)
- ٥- الصادق عليه السلام: «لا سبق إلاّ في نصل أو خفّ أو حافر». (٥) والنصل رأس الرمح أو السكين.

٦- الصادق عليه السلام: «إِنَّ الملائكة لتتفر عند الرهان وتلعن صاحبه ما خلا الحافر والخفّ والريش والنصل، وقد سبق رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأجرى الخيل». (٦)

وبهذه الطريقة المثلى يقلع الإسلام مادة الشرّ والبغضاء من المجتمع وهي (القمار)، ويزرع محلها مادة الوفاق والسعادة، فما أجدر برجال الإصلاح من يهدموا (دور القمار) ومقاهي البطالة ومحلات الرقص فيؤسسوا (نوادي الفروسيّة) والرمي لتنمية الجيل القويّ الحارس الأمين.

(١) التهذيب ٦: ٢٨٤، ح ٧٨٥. (٢) قرب الاسناد: ١٣٤، ح ٤٦٨.
 (٣) الكافي ٥: ٤٩، ح ١٠. (٤) الكافي ٥: ٤٩، ح ١١.
 (٥) عوالي اللآلي ٣: ٢٦٥. (٦) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٩، ح ٣٣٠٣.

الزنا واللواط

قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾^(١)

تعتبر المرأة النصف المكمل للحياة الإنسانية، ولها في الإسلام كيان اجتماعي أصيل قائم على أساس الحبّ الشريف، وليست سلعة رخيصة تقضى بها الشهوة الجنسية فقط، بل هي مدرسة البيت ومربية الخلية الأولى في بناء المجتمع، أي الطفل، وبسببها يكون الاستقرار للنوع الإنساني وسكون النفس البشرية. قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً﴾^(٢)

وليس تخصيص الإسلام النساء ببعض الأحكام إلا حرصاً على عفة النفس وصيانة للعرض وتطهيراً للمجتمع من الفساد والفوضى وتحقيقاً للسعادة وضماناً للأسرة، وللبحث في مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام مجال أوسع.

ونلمح في هذه الجولة إلى المسعى الإسلامي الجاد في بناء الأسرة والبيت المتكامل بالعرف والشرف باعتباره نواة المجتمع الصالح وفي نفس الوقت مقاومة الوسائل غير المشروعة التي تفكك الأسرة وتشتتها، ومن ذلك: (الزنا) وقد جعله الله المرتبة الثالثة بعد القتل، حيث قال في وصف المؤمنين: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً إلا من تاب﴾^(٣)

(٢) الروم : ٢١.

(١) الإسراء : ٣٣.

(٣) الفرقان : ٦٨.

٢٦٦ شرح الأربعين النبوية

ولمّا سئل الإمام الصادق عليه السلام لم حرّم الله الزنا؟ قال عليه السلام: «لما فيه من الفساد وذهاب
المواريث وانقطاع الأنساب، لا تعلم المرأة في الزنا من أحبلها؟، ولا المولود يعلم من
أبوه؟ ولا أرحام موصولة ولا قرابة معروفة».

فالزنا يوجب اختلاط الأنساب وانقطاع الأولاد وعدم التربية وتفكك الأسر وانعدام
العاطفة والمسؤولية.

لقد حرّمته الشرائع السماوية والقوانين الوضعية على حدّ سواء، وشدّد الإسلام في
عقوبته بما يقلع مادة الفساد، فقال تعالى:

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين
الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾^(١)

ففي هذه العقوبة الشديدة قطع لمادة الفساد وسيادة للقانون والعفة، ويجري هذه
العقوبة الحاكم الشرعي فقط مع اجتماع شرائطه من العقل والعلم والدخول وغيرها،
وتثبت بالإقرار أو شهادة أربعة رجال عدول وإذا كانوا أقل يجب الحد عليهم دون المتهم،
والعقوبة تختلف بين المحصن المتزوج - جلاً كان أو امرأة - وغيره، فالمحصن يضرب
مائة جلدة ثم يرمى بالحجارة، وغير المحصن يجلد مائة سوط ويحلق رأسه ويبعد عن
البلد سنة.

والجلد: هو ضرب مائة سوط على غير الوجه والفرج، والرجم: هو أن يجعل إلى وسطه
في التراب، والمرأة إلى صدرها، ويرمى بالحجارة ويبتدئ الشهود بالرجم.
وأما الزاني بأمه أو إحدى المحرّمات نسباً أو رضاعاً فالعقوبة فيها القتل.
ولا يقام الحدّ على الحامل حتى تضع، ولا على المريض حتى يبرأ، ولا في شدة الحر
والبرد، ولا في أرض العدو.

وهذه العقوبات شديدة بلا شك وفي نفس الوقت شروط ثبوتها أيضاً شديدة، وهذه في شدّتها قد لا توازي عظم الجريمة، فإن المجرم لا يستحقّ الرحمة، وهذه عامة الدول تفرض عقوبة الإعدام في حقّ المتآمرين والمتجسّسين، ولو قلت: إنّ الإجماع يستحقّ الإعدام قالوا لك: إنّ الجريمة عظيمة، والذي ارتكبها اليوم سوف يرتكبها غداً أيضاً، فقطعاً لدابر الجريمة لا بدّ من قلعها من جذورها، ويشهدها عامّة الناس كي يعتبروا ولا يوقعوا أنفسهم في الفساد.

في رحاب السنّة:

- ١- الرسول ﷺ: «إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة».^(١)
- ٢- الرسول ﷺ: «لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله تعالى من رجل قتل نبياً أو إماماً، أو هدم الكعبة التي جعلها الله قبلة للعبادة، أو أفرغ ماءه في امرأة حراماً».^(٢)
- ٣- الرسول ﷺ: «أربع لا يدخل بيتنا منهنّ إلّا خرب ولم يعمر بالبركة: الخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا».^(٣)
- ٤- عليّ عليه السلام: «الزنا يورث الفقر»^(٤) وقال عليه السلام: «كذب من زعم أنّه ولد من حلال وهو يحبّ الزنا».^(٥)
- ٥- الصادق عليه السلام: «إنّ الله أوحى إلى موسى عليه السلام: لا تزنوا فتزني نساؤكم، ومن وطأ فراش مسلم وطىء فراشه».^(٦)
- ٦- الصادق عليه السلام: «من شغف بمحبّة الحرام وشهوة الزنا فهو شرك الشيطان».^(٧)

(١) الكافي ٢: ٣٧٤، ح ٢.

(٢) بحار الانوار ٧٩: ٢٠، ح ٩.

(٣) بحار الانوار ٧٩: ١٩، ح ٤.

(٤) بحار الانوار ٧٩: ٢٣، ح ١٨.

(٥) روضة الواعظين: ٤٦٢.

(٦) المحاسن ١: ١٠١، ح ٩٤.

(٧) بحار الانوار ٧٩: ٢١، ح ١٢.

٢٦٨ شرح الأربعين النبوية

٧- الصادق عليه السلام: «من الذنوب التي تحبس الرزق: الزنا».^(١)

٨- الصادق عليه السلام: «ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل ولا يزيهم ولهم عذاب أليم، منهم المرأة التي توطئ فراش زوجها».^(٢)

٩- الصادق عليه السلام: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أقر نطفته في رحم تحرم عليه».^(٣)

١٠- الرضا عليه السلام: «حرّم الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنس وذهاب الأنساب وترك التربية للأطفال وفساد الموارث وما أشبه ذلك من وجوه الفساد».^(٤)

وهكذا نجد الزنا جريمة لا يرتكبها إلا من خانت العفة والطهارة وأوقع نفسه في مخاطر الأمراض الفتاكة (كالسفليس) مما يقوّض دعامة الأسرة والمجتمع وصحة الفرد، ويورث القلق والشعور بالآثام اللازم مما يجعل الزاني طريداً من المجتمع خلقياً وصحياً.

اللوّاط:

قال تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾^(٥)

ان اللواط جريمة أخلاقية تهدر كرامة الإنسان وتهوي بمرتكبها في أحضان الشرّ والذيلة، ذلك أنّ الإنسان يمتاز عن البهائم بالعقل، ومن المؤكّد أن للعلاقة الجنسيّة ما يستساغ وما لا يستساغ ممّا يتصف بالعقل أو التوحّش، وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربّكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾^(٦)

(١) بحار الانوار ٧٩: ٢٣، ح ١٨.

(٢) ثواب العمال ٢: ٣١٢، ح ٥.

(٣) بحار الأنوار ٧٩: ٢٦، ح ٢٨.

(٤) بحار الانوار ٧٩: ٢٤، ح ١٩.

(٥) الأعراف: ٨٠ - ٨١.

(٦) الشعراء: ١٦٥.

وما أقبح التوحّش ممّن يدّعي العلم والثقافة؟! قال الإمام الصادق لمن سأله: لم حرّم الله اللواط؟: «لو كان إتيان الغلام حلالاً لاستغنى الرجال عن النساء، وكان فيه قطع النسل وتعطيل الفروج، وكان في إجازة ذلك فساد كثير»^(١).

وقال الصادق عليه السلام: «علّة تحريم الذكر ان للذكران والإناث للإناث؛ لما ركّب في الإناث وما طبع عليه الذكران، ولما في إتيان ذلك من انقطاع النسل وفساد التدبير وخراب الدنيا»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «حرمة الدبر أعظم من حرمة الفرج، إنّ الله تعالى أهلك أمة بحرمة الدبر ولم يهلك أحداً بحرمة الفرج»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «من ألحّ في وطئ الرجال لم يمت حتى يدعوا الرّجال إلى نفسه»^(٤).

وقال علي عليه السلام: «ما أمكن من نفسه طائعاً يلعب به إلا ألقى الله عليه شهوة النساء»^(٥). وكفاه ذمّاً أنه توحّش وتشبّه بالبهائم وخروج من الطبيعة الإنسانية. وقد شدّد الإسلام على هذه الجريمة الأخلاقية وفرض في عقوبة اللواط مع اجتماع شرائطه - من البلوغ والعقل والإدراك - إحدى ثلاث:

١ - القتل بالسيف.

٢ - الحرق بالنار.

٣ - الإلقاء من شاهق.

كما ويحرم على اللاتط حرمة أبدية: أمّ الملوّط به، واخته، وبنته إن لم يسبق عقدهنّ.

(١) بحار الانوار ١٠: ١٨١، ح ٢. (٢) علل الشرائع: ٥٤٧، ح ١.

(٣) الوسائل ٢٠: ٣٢٩، ح ٢٥٧٤. (٤) ثواب الاعمال: ٣١٧، ح ٣.

(٥) ثواب الاعمال ٣١٧، ح ١١.

في رحاب السُّنة:

- ١ - قال رسول الله ﷺ: ثلاثاً «ملعون من عمل عمل قوم لوط». (١)
- ٢ - الرسول ﷺ: «أربعة يصبَحون في غضب الله تعالى: المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الرجال». (٢)
- ٣ - الرسول ﷺ: «من يعمل من أمتي عمل قوم لوط ثم يموت على ذلك فهو مؤجل إلى أن يوضع في لحدّه، فإذا وضع فيه لم يمكث أكثر من ثلاث حتّى تقذفه الأرض إلى جملة قوم لوط المهلكين، فيحشر معهم». (٣)
- ٤ - الرسول ﷺ: «من قَبِلَ غلاماً بشهوة أَلجمه الله يوم القيامة بلجام من نار». (٤)
- ٥ - قال عليّ عليه السلام: «ما أمكن أحد من نفسه طائعاً يُلعب به إلا ألقى الله عليه شهوة النساء». (٥)
- ٦ - الصادق عليه السلام: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: النائف شبّيه والناكح نفسه (أي بالعادة السريّة)، والمنكوح في دبره». (٦)

الاستمنا:

وهكذا حرم الاسلام الاستمنا ويسمّى (العادة السريّة) و(جلد عميرة) و(الخضضة) وفي النساء (السحق) وهو إنزال المني بواسطة غير طبيعيّة، وقد ضرب الإمام عليّ عليه السلام رجلاً استمنى بيده حتّى احمرّت يده واستنابه، ثمّ زوّجه من بيت المال. (٧)

(١) المستدرک ؛ للحاكم ٤: ٣٥٦. (٢) مجمع الزوائد ٩: ٢٧٢.
 (٣) بحار الانوار ٧٩: ٧٢، ٢٤٤. (٤) مكارم الاخلاق: ٢٣٨.
 (٥) ثواب الاعمال: ٢٦٧. (٦) الخصال: ١٠٦، ح ٦٨.
 (٧) الكافي ٧: ٢٦٥، ح ٢٥.

قال الصادق عليه السلام في الخضخضة: «إثم عظيم، نهى الله عنه في كتابه الحكيم، فاعله كنا كح نفسه، ولو علمت بمن يفعله ما أكلت معه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾. هو ممّا وراء ذلك»^(١).

يقول الخليلي الطيب عن هذه العادة الجنسيّة: «لو أردنا بيان كلّ ما في هذه العادة الشريرة من أضرار ومساوئ صحية أو أدبية أو أخلاقيّة لما استطاع القلم تحريرها - ثم ذكر عشرة منها ما يأتي:

- ١- إضعاف الجهاز التناسلي.
 - ٢- الضعف العام في جميع أجهزة الجسم.
 - ٣- يصبح متعاطيها هزياً أصفر اللون نائر البصر غائر العينين.
 - ٤- حدوث فقر الدم (الانيميا).
 - ٥- حدوث ضعف البصر.
 - ٦- قد يصاب البعض منهم بشلل جزئي أو كلي، والبعض الآخر يكون فريسة للأمراض العقلية من اختلال المخيلة إلى الجنون.
- وتنقل عن الدكتور فخري في علاجها: «ذلك لا يكون إلا بتنوير الأذهان تنويراً كاملاً، وإفهام المبتلى بشرّها وحقيقة مضارّها وبيان ما يترتب عليها من الفساد والفتك، على أنّه من الظلم أن يترك العارف المطلع من انغمس في هذا العمل الشائن».
- حقاً إنّ هذه الأمراض الخلقية الخبيثة الثلاث: (الزنا واللواط والاستمناء) تشترك في الفساد والضرر على النفس وبالنتيجة على المجتمع، وينبغي للعاقل للإقلاع منها بالعلاج والوقاية عنها بالزواج، ففي نفس الوقت الذي يحاربها الإسلام بشدة ويفرض عقوبات عليها، يشجع - أيضاً - الرابطة الجنسيّة المشروعة في حدود العدالة ويشرّع قانون الزواج الدائم والمؤقت مع تشريع سلسلة من القوانين والتوصيات الإنشائية الراقية.

(١) الوسائل ٢٨: ٣٦٤، ح ٣٤٩٧٨، والآية من سورة المؤمنون: ٧.

رابطه الزواج

تخضع رابطه الزواج والعلاقة الجنسية لأحكام متنوّعة تقيدها لتحقيق الهدف الأسمى منها وهو تحقيق الحياة السعيدة وبناء المجتمع المتكامل بيناء الخلايا الصالحة. وهو (الجو العائلي السعيد) وفي الوقت الذي يندّد الإسلام بحياة العزوبية ويفرض العقوبات الصارمة على الانحراف الجنسي، في نفس الوقت يحبّد العلاقة الجنسيّة المشروعة في رابطه الحياة العائلية.

ويعتبر الإسلام رابطه الزواج واجباً إنسانياً للفرد لغرض سكون النفس ومعاودة الزوجين على المشاركة في مسيرة الحياة بالمودة والرحمة كل حسب طبيعته.

قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ﴾^(٢)

وهذا السكون للنفس والتقيّد بالمسؤولية نتيجة حتمية لرابطة الزواج، فهو رابطه يوحد الزوجين في الهدف والحياة.

وقد تجاوزت نصوص الترغيب فيها الحد والحصرك قوله تعالى: ﴿وانكحوا الأيامى﴾^(٣) منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾^(٤)

وقوله النبي ﷺ: «النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني». ^(٥)

(١) الروم: ٢١. (٢) البقرة: ١٨٧ و

(٣) اي العزاب. (٤) النور: ٣٢.

(٥) بحار الانوار ١٠٣: ٢٢٠، ح ٢٣.

وقد اعتبر النبي ﷺ العزوبية خطراً اجتماعياً على سلامة المجتمع يجب مقاومتها، فقال ﷺ: «أكثر أهل النار العزاب»^(١).
وقال ﷺ: «شرار أمتي عزابها»^(٢).
وقال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة^(٣) فليتزوّج؛ فإنه أغضى للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٤).

في رحاب السنّة:

- ١- الرسول ﷺ: «من تزوّج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر»^(٥).
- ٢- الرسول ﷺ: «من أحب أن يتّبع سنتي فإن من سنتي التزويج»^(٦).
- ٣- الرسول ﷺ: «رذّال موتاكم العزاب»^(٧).
- ٤- الرسول ﷺ: «النساء شقائق الرجال»^(٨).
- ٥- وقال ﷺ: «ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهنّ إلا لئيم»^(٩).
- ٦- الرسول ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»^(١٠).
- ٧- الرسول ﷺ: «قول الرجل للمرأة: إنّي أحبك لا تذهب من قلبها أبداً»^(١١).
- ٨- الرسول ﷺ: «اختلفوا لنطفكم؛ فإنّ الخال أحد الضجيعين»^(١٢).

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٤، ح ٤٣٤٩.

(٢) مستدرک الوسائل ١٤: ١٠٠، ح ١٦٣٠٠.

(٣) اي الزواج. (٤) مستدرک الوسائل ١٤: ١٥٣، ح ١٦٣٥٠.

(٥) الكافي ٥: ٣٢٩، ح ٢. (٦) الكافي ٥: ٣٢٩، ح ٥.

(٧) بحار الانوار ١٠٣: ٢٢٠، ح ٢١. (٨) كنز العمال ١٦: ٤٠٧، ح ٤٥١٣١.

(٩) الجامع الصغير ١: ٦٣٢، ح ٤١٠٢. (١٠) التهذيب ٧: ٣٩٤، ح ١٥٧٨.

(١١) الكافي ٥: ٥٦٩، ح ٥٩. (١٢) الكافي ٥: ٣٣٢، ح ٢.

- ٩ - علي عليه السلام: «المرأة ريحانة وليست بقهر مائة».^(١)
- ١٠ - علي عليه السلام: «إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأت أهله؛ فإن عند أهله مثل ما رأى، فلا يجعل للشيطان إلى قلبه سبيلاً».^(٢)
- ١١ - السجاد عليه السلام: «من تزوج لله عز وجل ولصلة الرحم توجه الله تعالى بتاج الملك والكرامة».^(٣)
- ١٢ - الباقر عليه السلام: «ركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها غير متزوج».^(٤)
- ١٣ - الصادق عليه السلام: «من ترك التزويج مخافة الفقر فقد أساء الظن بالله عز وجل، إن الله يقول: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾»^(٥)
- هذا وقد شرحت الروايات المؤهلات والشروط في الزواج، وهي مشروحة في الفقه أيضاً، فمن مؤهلات الزوج الديانة وحسن الخلق. قال عليه السلام: «شارب الخمر لا يزوج إذا خطب».^(٦)
- وقال الصادق عليه السلام: «من زوج كريمته من شارب الخمر فقد قطع رحمها».^(٧)
- وهنا حكمة جامعة للإمام الحسن عليه السلام حيث قال: «زوج كريمتك من رجل تقى؛ فانه ان أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها».^(٨)
- ومن مؤهلات الزوجة التي أكد عليه الإسلام كثيراً: شرف العائلة؛ فإن ذلك تأثيراً مباشراً في السلوك البيني، قال عليه السلام: «انكحوا الأكفأ وانكحوا فيهم واختاروا لنطفكم».^(٩)

(١) الكافي ٥: ٥١٠. (٢) نهج البلاغة ٤: ٩٨، الحكمة ٤٢٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٨. (٤) بحار الانوار ١٠٣: ٢١٩، ح ١٥.

(٥) نور الثقلين ٣: ٥٩٧، ح ١٤١، والآية في سورة النور: ٣٢.

(٦) الكافي ٥: ٣٠٠، ح ١. (٧) الكافي ٥: ٣٤٧، ح ١٨.

(٨) مكارم الاخلاق: ٢٠٤. (٩) الكافي ٥: ٣٢٢، ح ٣.

وقال ﷺ: «إياكم وخضراء الدّمن. قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال ﷺ: «المرأة الحسناء في منبت السوء».^(١)

وقال الإمام علي: «إياكم وتزويج الحمقاء؛ فإن صحبتها بلاء وولدها ضياع».^(٢)
وقال الإمام الباقر في الرّجل المسلم يعجبه المرأة الحسناء، أيصلح إن تزوجها وهي مجنونة؟ قال عليه السلام: «لا».^(٣)

وقال ﷺ: «من تزوّج امرأة لمالها وكله الله إليه، ومن تزوّجها لجمالها رأى فيها ما يكره، ومن زوّجها لدينها جمع الله له ذلك».^(٤)
والسر في هذا: أنّ المرأة تعرف جيداً السبب في خطبتها، أهو المال أو الحسب أو الجمال أو الدّين؟

فإذا عرفت أن السبب من المال فسوف تبخل به مدى العمر كي تجعل الرجل في شركها دائماً.
وإذا كان الجمال فسوف تغترّ ولا تعتني بنفسها حتّى تبدو - بسبب إهمالها نفسها - غير جميلة.

وأما الحسب والجاه، فهو ذريعة للتحقير بمكانته الاجتماعيّة مدى الحياة كي لا تفوتها الحجة.

وأما الديانة والشرف إن كان وحده فهو سبب يدعو إلى رفع النواقص وعدم التنبذ في المال و الظهور بالجمال وتحصيل الكمال، فبالدين تتكامل الخصال، وليس معنى الحديث أن يهمل سائر الاعتبارات، بل معناه أن يكون الاعتبار الأوّل هو الدين ثمّ ملاحظة غيرها من الشؤون والاعتبارات لما يترتب عليه من الأثر في تكون الأسرة وتربيتها.

(١) بحار الانوار ١٠٣: ٢٣١، ح ٦.

(٢) بحار الانوار ١٠٣: ٣٢، ح ١٠.

(٣) الكافي ٥: ٣٥٤، ح ٣.

(٤) التهذيب ٧: ٤٠٠، ح ١٥٩٦.

مسؤولية البيت:

الأئمة تتكون من مجموع أسر، والأسرة تتكون من أفراد، هم - في الغالب - : الأبوان، والزوجان، والأولاد، والأقارب.

والإسلام وجه عناية بالغة في تهذيب اللبنة الأولى في بناء الأئمة وهي البيت؛ إذ صلاحها صلاحها، وبفسادها فساد الأمة وشرع تشريعات خاصة بالأفراد - كل حسب طبيعته - كحقوق (الوالدين) وتربية (الأطفال) و(صلة الأرحام) ومسؤولية البيت، وهذا يخص حديثنا الآن.

فالبيت هو الدولة الصغيرة التي تعيش فيها الأسرة ويحكم فيها الزوجان، فعلى كل منهما تكون المسؤولية في تنظيم الأسرة وإدارتها، وأفراد الأسرة لكل منهم مسؤولية خاصة، فيعتبر الرجل مسؤولاً عن خارج البيت: يجلب المنافع ويدفع الأخطار كما تقتضيه صلابته واتزانه في العاطفة، فهو القائم بالأسرة ونظم أمرها والمتكلم باسمها والمسؤول عنها.

ويأتي في الدرجة الثانية مسؤولية المرأة وهي مسؤولية داخلية كما تقتضيه طبيعتها العاطفية، وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة والله عزيز حكيم﴾^(١).

ولا يمكن أن تناط المسؤوليات المرهقة للمرأة التي لا تتحملها عادةً، وهذه هي القيمة التي أكد عليها الإسلام.

ويستند الإسلام إلى الطبيعة في تحديد واجبات الجنسين، ويجعل لكل من الرجل والمرأة واجبات تخصهما وواجبات تعمهما ما فلكل منهما دور خاص في الحياة.

قال تعالى: ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً﴾^(٢).

وعلى هذا الأساس، ففي الوقت الذي يدعو الإسلام إلى تساوي المرأة والرجل في الحقوق والواجبات العامة الروحية والاجتماعية والاقتصادية، في الوقت نفسه يعتبر التساوي في الواجبات الخاصة ظلماً وقبيحاً، وهل يصحّ التساوي بين الكفاءات المختلفة والقابليات المتفاوتة والجهود المتباينة؟ فالمرأة التي بحكم طبيعتها تؤدي دور الحمل والولادة وغيرها تناقض الرجل الذي ليس له صلة بذلك ممّا هو مدروس في علم الأجنّة ومحسوس، فنظراً لهذه الفروق الثابتة علمياً يفرق بينهما في بعض الحقوق وإلى هذا يشير تعالى بقوله: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾^(١) وللرجال عليهنّ درجة^(٢)

وهذه الدرجة هي درجة القيمة التي تقتضيه طبيعة الرجل، وأثبتها العلم والتاريخ منذ أقدم العصور، وسوف تبقى كذلك ما دام الاختلاف في الجنس.

وأما مكانة المرأة في الإسلام، فتظهر بالمقارنة إلى مكانتها في الأمم الأخرى، ويكفي التأمل في روايتها في المجتمع الشرقي حتّى اليوم، قال تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾^(٣)

والإسلام يقول: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾^(٤)

ويقول الإمام علي: «ما زال رسول الله يوصي بالمرأة حتى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها»^(٥).

وأيضاً قال ﷺ: «المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح»^(٦).

ونكتفي بذلك عن استعراض النصوص الإسلامية في رفع مكانة المرأة بالعلم والعمل، وعلى العكس من موقف الجاهلية في هدر كرامة المرأة واعتبارها سلعة ينتفع منها

(١) النساء: ٣٤. (٢) البقرة: ٢٢٨.

(٣) النحل (٤) النحل: ٩٧.

(٥) الكافي ٥: ٥١٢، ح ٦. (٦) الوسائل ٢٠: ١٧٢، ح ٢٥٣٤٢.

ويتاجر بها، بل ويتقامر عليها، ولا يزال للفكر الجاهلي ترسبات في المجتمع، ففي الشرق يتشائم من المرأة واسمها، وفي الغرب تدعى المرأة بغير لقبها أي بلقب زوجها، وتهدر شخصيتها بمجرد نقلها عن بيتها وزواجها، فيتبعه لقبها طبقاً للقب الزوج فكأنما تنفصل من أسرتها، وكأنّ الزواج شرع للفصل لا الوصل، في حين أنّ الزواج زيادة في الألفة والوصل، فكما أنّ المرأة كانت شخصيتها مربوطة بأسرة واحدة، فبالزواج تصبح رابطتها بالأسرتين معاً، والإسلام يتحفظ بشخصية المرأة في نسبها ونسبتها فلا يغيّر لقبها، ولماذا يُغيّر لقبها؟ وهل يغيّر ذلك واقعيتها؟

الحقوق الزوجية:

الحقوق الزوجية مشتركة بين الزوجين كما تقتضيه حياتهما الزوجية المشتركة، فلكل واحد مثل الذي عليه، قال تعالى: ﴿ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة﴾^(١)

وفي الأساس يوجب الإسلام الموافقة التامة من الطرفين في الزواج من دون أي إكراه أو إجبار، ويوجب (المهر والصدّق) دليلاً على صدق الخطبة ورمزاً للمعاهدة على اشتراكهما في مسيرة الحياة بصدق وإخلاص، ولا يشترط أن يكون من النقود بل يكفي ما يكون رمزاً. قال تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾^(٢)

وساوى الإسلام بين الزوجين باقتسام الواجبات والمسؤوليات كلّ حسب طبيعته، وحمل الزوج مسؤولية رعاية البيت من الخارج، والزوجة رعايتها من الداخل بالتعاون، كما وجّه مختلف التوجيهات للطرفين لهدف توطيد أركان الحياة الجديدة. وترتكز الحقوق الزوجية على نقطة واحدة هي (المعاملة الحسنة)، قال تعالى:

﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾^(١)

وطبيعي أن يختلف الحكم في الحالات الاستثنائية كما في حالة التمرد من أي جانب كان، والواجبات من الناحية الفقهية على الرجل، هي:

- ١- النفقة في المأكل والمشرب والسكنى على المتعارف مع ملاحظة القدرة.
 - ٢- المضاجعة ليلة كل أربع ليال في غير حالات المرض.
 - ٣- العلاقة الجنسية مرة كل أربعة أشهر في غير السفر الواجب.
- وأما من الناحية الأخلاقية، فقد تواترت الروايات والتوجيهات للزوجين بحسن العشرة، ففي الحديث: «جهاد المرأة حسن التبعل»^(٢).

في رحاب السنة:

- ١- الرسول ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»^(٣).
 - ٢- الرسول ﷺ: «أيا امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق، لم يقبل الله منها صلاة حتى يرضى عنها»^(٤).
 - ٣- الرسول ﷺ: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»^(٥).
 - ٤- الرسول ﷺ: «ما استفاد امرئ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله»^(٦).
- وجاء رجل إلى النبي ﷺ قائلاً: إن لي زوجة إذا دخلت بلغتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأتهني مهموماً قالت: ما يهكم؟

(١) النساء : ١٩. (٢) نهج البلاغة ٤: ٣٤، ح ١٣٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٥، ح ٤٩٠. (٤) الكافي ٥: ٥٠٧، ح ٢.

(٥) الكافي ٥: ٥٠٨، ح ٦. (٦) الكافي ٥: ٣٢٧، ح ١.

فقال الرسول ﷺ: «بشرها بالجنة، وقل لها: إنك عاملة من عمّال الله، ولك في كل يوم أجر سبعين شهيداً»^(١).

٦- الرسول ﷺ: «إنّ خير نساءكم: الولود، الودود، العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعْلِها، المتبرّجة مع زوجها، الحصان على غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها»^(٢).

٧- الرسول ﷺ: «أيّها الناس إنّ لنساءكم حقّاً، ولكم عليهنّ حقّاً، أمّا حقّكم عليهنّ: أن لا يوطئن أحداً فرشكم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلّا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة؛ فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجووهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإذا انتهين فعليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف. انكم أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكتاب الله، فاثّقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيراً»^(٣).

٨- أمير المؤمنين عليه السلام: «خير نساءكم خمس: الهيئة، اللينة، المؤاتية»^(٤) التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى، وإذا غاب عنها حفظته في غيبته، فتلك عامل من عمال الله، وعامل الله لا يخيب»^(٥).

٩- وعنه عليه السلام: «ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها؛ فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تعدّ بكرامتها نفسها، ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها، وإياك والتغايير في غير موضع غيرة؛ فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم»^(٦).

١٠- الصادق عليه السلام: «لا غنى للزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته، وهي: الموافقة، ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها، واستمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها.

ولا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال، هي: صيانة

(١) مكارم الاخلاق: ٢٠٠. (٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٩، ح ٤٣٦٧.

(٣) تحف العقول: ٣٤. (٤) اي المطيعة.

(٥) الكافي ٥: ٣٢٥، ح ٥. (٦) نهج البلاغة ٣: ٥٧، الكتاب ٣١.

نفسها عن كل دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته؛ ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلابة والهيئة الحسنة لها في عينه». (١)

١١ - الصادق عليه السلام: «أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: ما حق الزوج على المرأة؟ فقال ﷺ: أن تجيبه إلى حاجته وإن كانت على ظهر قتب، ولا تعطي شيئاً إلا بإذنه، فإن فعلت فعليها الوزر وله الأجر، ولا تبيت ليلة وهو عليها ساخط». (٢)

١٢ - الصادق عليه السلام: «خير نسائكُم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء، وإذا لبست لبست معه درع الحياء». (٣)

ولنختم هذه التوجيهات بحديث الرسول ﷺ: «أيما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل الله عز وجل منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه، وإن صامت نهارها، وقامت ليلها، وأعتقت الرقاب، وحملت على جياذ الخيل في سبيل الله، وكانت أول من يرد النار، وكذلك الرجل إذا كان لها ظالماً». (٤)

مسؤولية الأمومة:

ان الأمومة مسؤولية عظيمة، إذ هي مسؤولية التربية على الخير والفضيلة والإعداد للمجتمع الصالح للوطن وتكوين الشعب الكريم، قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

والفطرة السليمة تشهد بأن الأمومة هي الوظيفة الطبيعية للمرأة وما أعظمها من واجب إنساني، فلا يوازي حنان الأم حنان ولا عاطفتها عاطفة، فالأم في البيت إنسانة عاملة يواجهها الشريف ممّا يوافق طبيعتها وتضمن سلامة خلية من خلايا المجتمع وهي

(١) تحف العقول: ٣٢٣.

(٢) الفصول المهمة في اصول الائمة ٢: ٣٣٢، ح ١٩٦٤.

(٣) الكافي ٥: ٣٢٤، ح ٢. (٤) من لا يحضره الفقيه ٤: ١٥.

أسرتها. ومساهمة الأم في الشؤون البيتية ليست شرطاً شرعاً في الزواج، فالرضاعة مثلاً حقٌّ للأم باعتبار أن لبنها أوفق بالرضيع إذ لا يوجد حليب أفضل من حليب الأم، ولكن لا يجب ذلك عليها، بل لها أن تطالب بالأجرة العادلة، قال تعالى: ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهنّ أجورهنّ﴾^(١)

وليس لأحد إجبارها شرعاً فلها حريتها، وحيث أن الزوجين إذا انهماكا في العمل افتقرا إلى استخدام مربّية، والتربية هي مهمّة إنسانية وماديّة معاً، فلتكن هذه المهمّة على عاتق الأم التي لا يوجد أحنّ منها على طفلها بحكم طبيعتها ومروّتها وعاطفتها، أليس الأجدر بالأم أن تجعل عملها ممّا يوافق طبعها على طفلها وفلذة كبدها؟ وهذا الأب الذي يجب عليه أن ينفق على تربية أولاده في الروضة ودور الحضّانة التي لا يمكن أن يوجد فيها عطفًا مساوياً لعطف الأم تماماً، أليس الأجدر أن ينفق على امرأته التي تؤدّي نفس الدور بأحسن وجه؟

لذلك لم يوجب الإسلام الرضاعة والحضّانة على الأم، بل لها أن تقوم بذلك في مقابل أجره، وفي حديثٍ عن الرسول ﷺ مواصفات الأم الكاملة، قال ﷺ: «إن خير نسائكُم: الولود، الودود، الستيرة، العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعليها، المتبرّجة مع زوجها، الحصان عن غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها، ولم تبذل له تبذل الرجل»^(٢) أي بترك الزينة.

وترتكز هذه المواصفات على مفاتن الأنوثة ومواقع العاطفة وأصول الوفاء، وهي عشر نقاط كالآتي:

١ - تربية الأولاد.

٢ - الحب.

٣ - ستر العيوب.

٤ - العفة والأدب.

٥ - ستر تصرّفات زوجها غير اللائقة عند أهلها.

٦ - ان لا تكتم عن زوجها ما يهمه.

٧ - التبرّج لزوجها، والعكس لغيره.

٨ - النزول عند مطالبه المشروعة.

٩ - تسمح له بالحرية التامة من الناحية الجنسيّة.

١٠ - وتلتزم الأناقة والرشاقة.

هذه هي مواصفات الزوجة الكاملة، وأمّا اشتغال المرأة إلى جنب الرجل وإهمال واجبات الأمومة فانه سوف يحرم الأولاد من العناية والرعاية والتوجيه السليم التي تفتقر إليها كل أسرة سعيدة.

الحجاب:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ قُلُوبَ الْيُودِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾^(٢)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾^(٣)

شرّع الإسلام الحجاب الشرعي صوناً للجنس اللطيف من شهوة الجنس العامرة الكامنة في النفس الإنسانية، وسداً لباب الفساد، ووجه سبحانه الخطاب إلى المؤمنين

(٢) النور: ٣١.

(١) الأحزاب: ٥٩.

(٣) الأحزاب: ٥٣.

والمؤمنات على حدّ سواء بغضّ البصروستر المفاتن ما عدا الوجه والكفين، لأن تبرّج المرأة فساد لها، وفي فسادها فساد الأمة كلّها؛ لما يترتب عليه من الجرائم والشُرور التي تجعل الحياة شقاء.

والحجاب بمفهومه الشرعي أمر توجيه الفطرة السليمة، على العكس من الخلاعة والتبرّج التي تراه الفطرة أمراً غير إنساني وهدراً لكرامة المرأة وتجاوزاً على إنسانيتها، وما أكثر المهينين لكرامة الإنسان باسم القانون والمزهقين لأرواح الناس باسم الحرية؛ لذلك اقتصر وجوب الحجاب على الشابات، واختلفت العادات فيه من الخمار لستر الصدر والرأس، والمقنعة للرأس، والجلباب ثوب للبدن كلّ، والادناء: الالتفاف، فلا يجب الحجاب على العجائز، قال تعالى: ﴿والقواعد من النساء اللاتي يرجون نكاحاً فليس عليهنّ جناح أن يضعن ثيابهنّ غير متبرّجات بزينة وأن يستعففن خير لهنّ﴾^(١) فلهنّ شأن غير شأن الشابة؛ إذ لو خرجت المرأة الشابة للشارع أوللعمل مستزينة مرتدية من الملابس ما يظهر المفاتن ويثير الفتن فقد خرجت بذلك عن حدود الحرية، وليس لها أن تشكوا إذا رأت ما تكره؛ لأنّها كانت السبب. فإن للاحتشام والحجاب أثره المفيد وخاصة في ساحات المصلحة العامّة كالتوظيف والعلم والعمل، وله الأثر في التركيز في الوظيفة أو العلم أو العمل كما أثبتته التجارب، ولقد علت أصوات دعاة التبرّج والسفور بكل حماس وظنوا فيه التقدّم والرقى وغفلوا عن أن الثقافة والعمل هما أساس كلّ تقدّم، وكان من دعاة السفور الشاعر جميل صدقي الزهاوي حيث قال:

مزّقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث فقد كان حارساً كذاباً

ورده شاعر أهل البيت عليه السلام الشيخ عبدالحسين الأزري بقوله:

حصروا علاجك بالسفور وما دروا أن الذي حصروه عين الداء

أوما دروا أن الفتاة بطبعها كالماء لم يحفظ بغير إناء
 من يحفظ الفتيات بعد ظهورها ممّا يجيش بخاطر السفهاء
 ومن الذي ينهى الفتى بشبابه عن خدع كلّ فريدة حسناء
 ليس الحجاب بمانع تهذيبها فالعلم لم يرفع على الأزياء
 وما أظلم الذين اتهموا الإسلام بأنّ الحجاب حبس للمرأة وفصل لها عن أداء وظيفتها
 ودورها في الحياة، وهذا فقه الإسلام يطلق حريّتها في كل شيء من الحياة من التجارة
 والصناعة والعلم وحتى الشؤون الدينية - في حدودها - كالإمامة في صلاة الجماعة،
 فلها الحرية الشخصية فيما لا يستلزم فساداً في المجتمع ولا إضراراً بحرية الآخرين.
 وليس التبرج سوى الحرية الفاسدة التي قد تنتهي إلى ارتكاب الجريمة؛ لذلك أوجب
 الإسلام الحجاب على الشابات دون العجائز، وحظر على إظهار المفاتن ولم يحظر على
 الوجه والكفين ممّا جرت العادة على ظهورها، بل أوجب الإسلام كشف الوجه والكفين
 حين الإحرام في الحج الذي هو من أهم عبادات الإسلام؛ وذلك لأنّ الحج من الحالات
 التي لا تقع فيها الفتنة كما في الأقارب والأرحام، واستثنى القرآن الكريم من الزينة ﴿ما
 ظهر منها﴾ واختلفت المفسرون والفقهاء في تحديد المراد منها على أقوال، منها: نفس
 الزينة كالكلل والخاتم والذهب، ومنها: محلّ الزينة، أي الصدر والمعصم، والصحيح
 هو الأوّل ويشمل الثاني بالأولوية؛ لقوله تعالى: ﴿ولا يضرّبن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من
 زينتهنّ﴾^(١) إذ ليست الزينة هنا غير الخلخال التي كانت المرأة في الجاهلية تضرب
 برجلها ليعلم بها الآخرون، وعليه ليست الزينة في صدر الآية سوى ما يتزيّن به في كل
 عصر ممّا جرت به العادة، مضافاً إلى السيرة المستمرة في نساء البوادي والأعراب من
 كشف الوجه والكفين.

وهكذا نجد التشديد على غض البصر في الإسلام، باعتباره باب الفتنة المستتعبة

للإجرام، كما قال شوقي:

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

وقال عليه السلام: «النظر سهم من سهام إبليس، مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة». (١)

وقال عليه السلام: «أولى النظرة لك والثانية عليك». (٢)

وقال الصادق عليه السلام: «لا بأس بنظر الرجل إلى وجهها ومعاصمها إذا أراد أن يتزوَّجها». (٣)

وقال الصادق عليه السلام: «النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة». (٤)

ولا يستثني الفقه الإسلامي من حرمة النظر سوى موردين:

أحدهما: الخاطب، فيجوز لكلّ منهما النظر إلى الآخر.

والثاني: الضرورة، كالطبيب في العلاج وحالات الحرق والغرق وما شابه.

واستثنى القرآن الكريم من حرمة النظر الأقارب والمحارم بقوله: ﴿ولا يبدن زينتهنّ

الآل لبعلهنّ أو آباءهنّ أو أبناءهنّ أو أولادهنّ أو إخوانهنّ أو بني

إخوانهنّ أو بني أخواتهنّ أو نسائهنّ أو ما ملكت أيمانهنّ أو التابعين غير أولي الإربة من

الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء...﴾ (٥)

وهم على الترتيب:

١- الأزواج.

٢- الآباء.

٣- آباء الأزواج.

٤- الأبناء.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٧٤، ح ٤٦٥٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٤: ١٨، ح ٤٩٧٠.

(١) الكافي ٥: ٥٥٩، ح ١٢.

(٣) الكافي ٥: ٣٦٥، ح ٢.

(٥) النور: ٣١.

٥ - أبناء الأزواج.

٦ - الإخوان.

٧ - أبناء الإخوان.

٨ - أبناء الأخوات.

٩ - الرقيق والإماء.

١٠ - الشيوخ غير أولي الإربة من الرجال.

١١ - الطفل غير البالغ.

حل شبهة: لايتوهم أن الحجاب في القرآن الكريم إنما خوطب به نساء النبي ﷺ لمناسبة خاصة، فهي لا تتعرض لغيرهن من نساء المسلمين، ولذا بدأت الآية بقوله تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾^(١) كما ورد ذلك في كتاب «المرأة في القرآن»؛^(٢) لأن الحكم صادر في حق المسلمات بصفة عامة، وإنما وجه الخطاب إلى نساء النبي ﷺ بصفة خاصة لأنهن أولى بالالتزام بهذا الحكم، فلا يختص بنساء النبي، لذلك نجد منها آيات لا تختص بهن. كما في قوله تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾^(٣) فهل يختص هذا الأدب الإسلامي بنساء النبي؟ بل السؤال من وراء حجاب أطهر لكل إنسان وفي كل زمان. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾^(٤) فهل الدخول من غير استئذان يختص ببيت النبي ﷺ وأصحابه؟ أم هو أدب الزيارة يلزم مراعاته على كل مسلم، وقد أمر تعالى بالجلباب في سورة الأحزاب^(٥) وهو الثوب الذي يستتر الجسم والثياب معاً، وهكذا الحجاب يجب على كل مسلمة في كل زمان ومكان.

(١) الأحزاب: ٣٢.

(٢) تأليف عباس محمود عقّاد: ٩٢، ط: دار الكتاب العربي بيروت، سنة ١٩٦٩ م.

(٤) الأحزاب: ٥٣.

(٣) الأحزاب: ٥٣.

(٥) وهو قوله تعالى الأحزاب: ٥٩.

تعدد الزوجات:

لم يوجب الإسلام تعدد الزوجات على المسلمين وإنما أباحه في حالة توفر الشروط العادلة، وما أظلم الذين اتهموا هذا التشريع بالأخلاقية، وهو تشريع في أسمى مراتب الإصلاح وأوفق الحلول الاجتماعية في حالة حصول دواعيها، وهي حقائق لا يمكن تجاهلها: من المرض والعقم أو غيرهما، وهذا التشريع تفرضه طبيعة الحالات المختلفة التي يحتفظ بالزوجين وقيهما من الانحراف الخلقي، فلنتصور الزوجة التي لا تتمكن من أداء واجباتها الزوجية لمرض مزمن أقعدها أو حاجز منعها من استمرار الحياة الزوجية كالعقم رغم رابطتهما المقدسة، فما هو الحل؟

١ - فهل يطلق الزوج هذه الزوجة التي شاركتها آلامه وآماله برهة طويلة، ويتركها سائبة لا والي لها فتتعذب الزوجة المسكينة؟

٢ - أم يبقى كل منهما في حالة انعزال قاتلة إلى الأبد، ويمارس الزوج الطرق غير المشروعة إلى أن يفرق بينهما الموت ويتعذبا معاً؟

٣ - أم يحتفظ بها الزوج حفظاً لكرامتها، ويلتزم بواجباته الإنسانية والأدبية تجاهها مع حريته في إقامة رابطة مشروعة ولغرض انجاب النسل مثلاً، شريطة أن لا يخل بالحقوق الزوجية للزوجة الأولى، وهذا هو الذي شرعه الإسلام واعتبره حلاً وسطاً عادلاً.

فليس الإسلام في هذا التشريع سوى مصلح اجتماعي بعيد النظر وفي نفس الوقت فضّل الاكتفاء بزوجة واحدة وحرّم تعدد الزوجات في حالة خوف عدم العدالة، فقال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وإن خفتن أن تعدلوا فواحدة﴾^(١)

كما وحرّم التعدد بأكثر من أربعة، لاستحالة العدالة فيما زاد عن ذلك، وهو البصير بعباده، فقال: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل﴾^(٢) وليست العدالة في الناحية الاقتصادية وحدها، وإنما العدالة تعتمد على نقاط ثلاث

هي: النفقة والعشرة والعلاقة الجنسية على حد سواء كما هو مفصل في الكتب الفقهية، نعم للمرأة أن تتنازل عن بعض حقوقها بطيب نفسها وهكذا يدعو الإسلام إلى حفظ كرامة المرأة وصيانة الرجل معاً بما يوافق الحياة، ويجنب كلا من الزوجين من الوقوع في أحضان الرذيلة والانحراف.

عقد المتعة:

المتعة رابطة زوجية مؤقتة كالنكاح الدائم، ويشترط فيها: الصداق والعدة والعقد، ويتماز بأنها أخف من ناحية الشروط، كما يمتاز بالتوقيت الزمني، فإذا حلّ الأجل المحدد ينتهي عقد المتعة بنفسه كما ينتهي عقد النكاح الدائم بالموت من غير حاجة إلى الطلاق؛ لأنّ الرابطة تنقطع بنفسها.

وانتقلت كلمة فقهاء الإسلام على تشريع المتعة كسائر التشريعات الإسلامية، قال تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهن فاتوهنّ أجورهنّ فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتنّ به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً﴾^(١)

وفي تفسير القرطبي: ^(٢) «قال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام.... وكان قراءة ابن عباس وأبي وابن جبير ﴿فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى فاتوهنّ أجورهنّ﴾ إشارة واضحة إلى الحكمة البالغة في هذا التشريع من صيانة الفرد وبالنتيجة المجتمع من الانحراف، وما يقارن حياة العزوبة من المفاصد الخلقية والصحية، وهو يحل مشكلة الجنس والشباب في كل عصر وزمان.

ويتشابه عقد المتعة مع نكاح الإماء من جهات: فمن أحكام الأمة أن لها حقّ العلاقة الجنسية في حين أنّها لا ترث، وأن لا طلاق لها، وأن عدّتها خمسة وأربعون يوماً، والمرأة المتمتع بها لها حقّ العلاقة الجنسية ولا ترث - على قول - ولا طلاق لها كما طلاق للمرأة المتوفى عنها زوجها؛ حيث تنقسم الرابطة الزوجية بنفسها، وعدّتها حيضتان كاملتان، وإن كانت لا تحيض فعدها خمسة وأربعون يوماً، والحامل عدّتها أبعد الأجلين منه ومن

(٢) تفسير القرطبي ٥: ١٣٠.

(١) النساء: ٢٤.

الوضع، ولا نفقة لها كما لانفقة للزوجة الناشزة، تلك أحكام خاصة شرّعها الإسلام في المتعة صيانة للمجتمع من الاغتصاب والانحراف والخيانة.

الطلاق:

هو آخر الحلول لمشاكل الزواج، إذ هو موجب الانفصام الرابطة الزوجية بين الرجل والمرأة، وذكر الإسلام للطلاق قيوداً عديدة لكي لا يقع إلا عن عزم وإرادة واعية للفراق، ولا يقع تحت تأثير العاطفة، ولهذا السبب يشترط أن يقع بإرادة الزوج لا المرأة؛ لأن المرأة تقع تحت تأثير العواطف أكثر من الرجل، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لَعَدَتِهِنَّ وَاحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(١)

إذا كان الإنسان لم يتمكن من الاستمرار في الرابطة الزوجية التي ارتبط بها لسبب من الأسباب التي لا يطاق معها استمرار الحياة الزوجية كالمرض المسري والعذاب الروحي، فالحل من وجهة نظر الإسلام في طريقتين:

الأول: الإمساك بالمعروف والاحتفاظ بالزوجة الأولى مع عقد رابطة زواج جديد ضمن الشروط العادلة من النفقة والسكن.

الثاني: التسريح بإحسان، فيكون الطلاق طريق الخلاص من العذاب الروحي للزوجين معاً، وبذلك يضمن لكل من الرجل والمرأة الحرية في تأسيس رابطة زوجية جديدة بما يتفق مع المصلحة الخاصة وقيهما من الوقوع في أحضان الرذيلة والخيانة الزوجية.

فالطلاق آخر الحلول، وفي نفس الوقت يمقته الإسلام. قال الصادق عليه السلام: «ما من شيء ممّا أحلّه الله أبغض إليه من الطلاق»^(٢).

وأولى حلول المشاكل الزوجية هو الإصلاح من جانب حكّمين قريبين لكل من الزوج والزوجة، فيحاولان ما استطاعا على إلزامها بالعشرة الحسنة، ولا بدّ أن يكون لكل

منهما حكماً حتى يتمكن من معرفة الواقع والحقيقة والزامهما بواجبات الحياة الزوجية قال تعالى: ﴿وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾^(١)

وفي هذا المجال ينبغي أن يتذكر الزوج كلام الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الامام الحسن عليه السلام:

«إياك والتغاير في غير موضع الغيرة؛ فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم، ولكن أحكم أمرهن؛ فإن رأيت عيباً فعجل النكير على الصغير والكبير»^(٢).

فقد يكون الزوج على خطأ في سلوكه البيتي مع أهله كالغيرة في غير موضعها وسوء الخلق وعدم الالتزام بالمسؤولية فيجب تعديل موقفه.

وإذا كان الخطأ في السلوك من جانب الزوجة كإهمال في رعاية نفسها أو البيت فيجب عليها تعديل سلوكها بنفسها والوعظ والنصح باللسان والكلام الطيب من دون فرض للإرادة، قال تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً﴾^(٣)

فالمراتب ثلاث هي: ١ - الوعظ. ٢ - والهجر. ٣ - والضرب إذا توقّف عليه، ولا يجوز تعدّي مرتبة قبل الأخرى، فلا يكون الضرب إلا في المرتبة الأخيرة بشرط أن يكون ضرباً غير مبرح، فلا يجوز إلا بعد الإصرار على الانحراف والعناد وعلى السلوك المنحرف؛ فإن العقوبة تقدّر بقدر الجناية، وإذا لم تنفع هذه الوسائل في تعديل الموقف فلا طريق سوى فصل الرابطة الزوجية بالطلاق.

ولم يجعل الإسلام الطلاق فصلاً باتاً، بل أتاح فرصة ومجالاً للإصلاح وذلك بتشريع العدة - فهو تشريع ذو، حدّين لفرصة الإصلاح واستبانة الحمل، ثم جعل فرصة أخرى للحوار من جديد بعد الطلاق. ولوحصل الطلاق ثلاث مرات فلا تحلّ الزوجة «حتى تنكح زوجاً غيره»^(٤).

(٢) الكافي ٥: ٥٣٧، ح ٩.

(٤) البقرة: ٢٣٠.

(١) النساء: ٣٥.

(٣) النساء: ٣٤.

بأن يتزوجها شخص آخر تأكيداً على التريث في الطلاق الثلاث.

والفصل الأبدي إنما يتحقق لو تكرّر الطلاق تسع مرات، فتحرم المرأة حرمة أبدية؛ إذ تثبت هذه التجارب استحالة الحياة الزوجية بينهما، وبما أن الطلاق حلّ أخير للمشكلة الزوجية يجب على الزوجين وهما على أعتاب الانفصال الزوجي أن ينسيا واجباتهما تجاه الآخر، فالحمل يرتبط بهما معاً ولا بد أن يبقى بعيداً عن الخلافات الزوجية، فيجب على الزوج نفقته حتى الوضع وعلى الزوجة إعلام ذلك، ومن حقّها أن تلتزم الرضاة بأجرة، قال تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء ولا يحلّ لهنّ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهنّ أن كنّ يؤمنن بالله واليوم الآخر وبعولتهنّ أحقّ بردهنّ في ذلك إن أرادوا إصلاحاً﴾^(١)

وبعد الطلاق لا بدّ أن يكون الانفصال عن الصداقة لا العداء، وكذلك يجب على الزوج أداء صداق المرأة وليس يحلّ له الامتناع عن ذلك والزوجة لها الحق والحرية في العودة إليه - إذا راجعها في المطلقة الرجعية - وأن لا تعود وليس له إجبارها. قال تعالى: ﴿ولا يحلّ لكم أن تأخذوا ممّا آتيتموهنّ شيئاً إلّا؟ أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾^(٢)

وكذلك لا يجوز للزوج إخراج المرأة من بيته قبل كمال عدتها، قال تعالى: ﴿لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ ولا يخرجن إلّا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فامسكوهنّ بمعروف أو سرّحوهنّ بمعروف﴾^(٤)

ولنتعرض إلى أقسام الطلاق وحكم الإسلام فيها لنرى كيف يحاول التسهيل التام في عودة العلاقة الزوجية وكيف يشدّد في انفصامها.

(١) البقرة : ٢٢٨.

(٢) البقرة : ٢٢٩.

(٣) الطلاق : ١.

(٤) البقرة : ٢٣١.

١ - الطلاق الرجعي: تجب النفقة والسكنى حتى انتهاء العدة، ويحرم خروج الزوجة بدون إذن الزوج، كما يحرم على الزوج إخراجها من داره، ويجوز أن يرجع الزوج الى زوجته بلا عقد جديد فإن الزوجة ما دامت في العدة تعتبر زوجته.

٢ - طلاق الخلع: وهو طلاق الزوجة الكارهة لزوجها بفدية منها للزوج، سواء كانت الفدية بمقدار المهر أو أكثر، ويجوز فيه الرجوع إذا رجعت المرأة واستردت الفدية، فتكون الزوجة زوجته بلا عقد جديد.

٣ - طلاق المباراة: وهو طلاق الزوجين الكارهين مع الفدية من الزوجة، ومقدار الفدية هو الصداق لأكثر، ويجوز فيه الرجوع بلا عقد جديد إذا رجعت المرأة بالفدية.

٤ - الطلاق البائن: وهذا النوع الأخير يختص بأن لا رجوع فيها وإذا أراد عودته الرابطة الزوجية فلا بد من عقد جديد، وهو في ثلاثة موارد: الزوجة الصغيرة، وغير المدخول بها، والياسة؛ إذ لا مجال لاحتمال الحمل فيهن.

فالطلاق في الإسلام آخر الحلول للمشاكل الزوجية لا يصار إليه إلا بعد الحلول كافة، من مساعي الصلح بين الطرفين بالتحكيم والوعظ وما شابه، مع تشريع فرض الرجوع والعودة والشدة في قطع الرابطة الزوجية، فإذا فشلت كل الحلول فتكون حينئذ الرابطة الزوجية جحيماً لا يطاق.

وهكذا نجد الإسلام يجد في سبيل تكون الخلايا الصالحة للمجتمع بتكوين رابطة الزواج بين الأفراد على أسس مدروسة مع تقديم كافة التوصيات الأخلاقية للزوجين: من حسن العشرة في السلوك العائلي ليضمن سعادتها وفي نفس الوقت يحارب الطلاق والطرق غير المشروعة خلقياً، من الزنا واللواط والاستمناء، كما ويشجع للحالات الضرورية علاقات جنسية مشروعة - ضمن شروط عادلة - وذلك بتشريع الزواج الدائم وتعدّد الزوجات والمتعة، كما وجعل لحل المشاكل العائلية حلاً أولاً بدأ بالصلح بواسطة حكمين من جانب الزوجين.

وآخر الحلول هو الطلاق؛ إذ به يضمن كل من الزوجين حريتهما وذلك ضمن شروط إنسانية عادلة.

النميمة والإصلاح

النميمة رذيلة مؤدية إلى الفرقة والفتنة التي هي أشد من القتل، وهي سبب مباشر في بذر الحقد والضغينة، فهي شر لا يصدر منه إلا الشر، وقد حث الإسلام على حفظ اللسان دفعاً للشر ورغبة في الحب والتعاطف والسعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة، فرب كلمة سببت جرحاً لا يندمل كما قيل:

جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان
والنميمة: هي نقل قول الآخرين قائلًا: (فلان يقول كذا) فهي حقيقة إفشاء السر وهتك السر. وما أشأمه من رذيلة خلقية توجب الفساد في المجتمع.
قال تعالى: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون الأرض أولئك هم الخاسرون﴾^(١)

ومن أجدر بانطباق الوصف عليه من النمام الذي يهدم البيوت العامة ويفصم الصداقات الطويلة، وكم له من صريع في الحياة؟ إنها الفتنة التي وصفها الله بأنها أشد من القتل.^(٢)

وفي الحديث: «إن من أكبر السحر: النميمة، يفرّق بها بين المتحابين».^(٣)
وأفضل طريقة لعلاج النميمة هي ما علّمنا أمير المؤمنين عليه السلام: فقد أتى إليه عليه السلام برجل يسعى برجل آخر، فقال له الإمام عليه السلام: «يا هذا، نحن نسأل عمّا قلت، فإن كنت صادقاً مقتنأك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيّلك ألقناك فقال: بل تقيلني يا أمير المؤمنين».^(٤)

(١) البقرة: ٢٧. (٢) ورد ذلك في سورة البقرة، الآية: ١٩١.

(٤) الاختصاص: ١٤٢.

(٣) الاحتجاج ٢: ٨٢.

فهذا درس من دروس أهل البيت النبوي ﷺ في علاج الفساد، وما أحسن كلام صالح بن عبد القدوس:

من يخبرك بشتيم عن أخ فهو الشاتم لامن شتمك
ذاك شيء لم يواجهك به إنما اللوم على من أعلمك

في رحاب السُّنة:

١ - الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»^(١)

٢ - وقال الرسول ﷺ: ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء المعاييب»^(٢)

٣ - الرسول ﷺ: «من مشى في نميمة بين اثنين سلط الله عليه في قبره ناراً تحرقه»^(٣)

٤ - قال الشيخ الأنصاري رحمه الله: «وقد استفاضت الأخبار بعدم دخول النمام الجنة، وبدل على حرمتها جميع ما دل على حرمة الغيبة، وتتفاوت عقوبته بتفاوت ما يترتب عليها من المفساد»^(٤)

والوجه في ذلك أن الغيبة هي ذكر الرجل في غيبته ما يكرهه، والنميمة هي مواجهة المغتاب بما يكرهه، فالنميمة والغيبة مشتركان في الفساد.

(١) مستدرک الوسائل ٩: ١٥٠، ح ١٠٥٢٠.

(٢) الكافي ٢: ٢٢٥، ح ١٢. (٣) الوسائل ١٢: ٣٠٨، ح ١٦٣٧٤.

(٤) المكاسب ٢: ٦٤، طبعة مجمع الفكر الاسلامي - قم.

الغيبة

حرّمها الإسلام ووصفها بأبشع صورة حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(١).

وهي ذكر الإنسان بما يكرهه من وصف جسمه وخلقه ممّا يتّصف به حقيقة، وهي ذنب كبير وإثم عظيم، فكم سفكت من دماء وأهلكت من الناس وهدّمت من البيوت وفرّقت بين الناس؟ وفي الحديث: «إياكم والغيبة؛ فإن الغيبة أشد من الزنا، إن الرجل يزني فيتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتّى يغفر له صاحبها»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «الغيبة أن تقول في أخيك ما فيه، فإن كنت صادقاً فقد اغتبتته، وإن كنت كاذباً فقد بهتته»^(٣).

فالغيبة والنميمة والبهتان صفات متقاربة في الشرّ والفساد.

في رحاب السُّنة:

١ - الرسول ﷺ: «كذب من زعم أنّه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة»^(٤).

٢ - الرسول ﷺ: «من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إلّا يغفر له صاحبه»^(٥).

(١) الحجرات : ١٢. (٢) الخصال: ٦٣، ح ٩٠.

(٣) معناه في الوسائل ١٢: ٢٨١، ح ١٦٣٠٨.

(٤) أمالي الصدوق: ٢٧٨. (٥) مستدرك الوسائل ٧: ٣٢٢، ح ٨٢٩٣.

٣- الرسول ﷺ: «ألا، ومن تطوّل على أخيه في غيبة سمعها فيه فيردّها عنه، ردّ الله عنه ألف باب من السوء في الدنيا والآخرة، فإن هو لم يردّها وهو قادر على ردّها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة»^(١).

٤- الرسول ﷺ: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال ما ليس فيه، أقامة الله تعالى يوم القيامة على تلّ من نار»^(٢).

٥- الصادق عليه السلام: «الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»^(٣).

٦- الصادق عليه السلام: «من اغتابه أخاه بما فيه فهو خارج عن ولاية الله عزّ وجلّ داخل في ولاية الشيطان»^(٤).

٧- الصادق عليه السلام: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه حبسه الله يوم القيامة في طينة خبال حتى يخرج ممّا قال»^(٥).

٨- الصادق عليه السلام: «إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»^(٦).

ولا فرق في الحرمة بين الغيبة وسماعها؛ فإنّ سماع الغيبة محرّمة كالغيبة نفسها، فقد نهى النبي ﷺ عن الغيبة والاستماع إليها.
ويستثنى من الحرمة كلّ ما يكون فيه مصلحة أهمّ شرعاً، وقد نصّت الروايات على موارد من ذلك، منها:

١- الفاسق المتجاهر بالفسق؛ فإنّه لا غيبة له.

٢- تظلم المظلوم عمّن ظلمه لإحقاق الحقّ.

(١) الفقيه ٤: ١٥، ح. (٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٧، ح ٦٣.

(٣) مستدرک الوسائل ٩: ١٢٤، ح ١٠٤٣٠.

(٤) مستدرک الوسائل ٩: ١٢٤، ح ١٠٤٣٠.

(٥) الكافي ٢: ٣٥٨، ح ٥. (٦) الكافي ٢: ١٧، ح ٥.

٢٩٨ شرح الأربعين النبوية

٣- نصح المستشير في الزواج أو الشركة، فإنه يجوز اظهار الحقيقة لئلا يقع المستشير في الفخ من حيث انه لا علم له بالواقع، وما أكثر المتزمتين الذين يمتنعون عن النصح عند الاستشارة التي جوّز الإسلام الغيبة فيها، وهم يستحلّون الغيبة في الموضع التي لا يجوز، وكانهم أمروا بأن يخالفوا نصوص الشرع وأوامر الدين. ونعوذ بالله من الانحراف.

أما كفارة الغيبة: فهي التوبة بينه وبين الله والاعتذار ممّن اغتابه إذا لم تترتب عليه مفسدة، وأما إذا خاف المفسدة أو كان ميتاً فيستغفر له.

والإصلاح:

إنّ العداء المسبّب عن النميمة أو الغيبة بين اثنين قد يستلزم العداء بين أفراد آخرين تجمعهم رابطة الصداقة أو القرابة، فيكون تفريقاً لجماعات وتقسيماً للجمع، والإصلاح هودرء لهذه المفاسد التي قد تتطوّر من شرّ إلى شرّ آخر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾^(١)

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٢)

فالصلاح والإصلاح متلازمان؛ إذ يستلزم على من يريد الإصلاح أن يكون صالحاً في نفسه، فيبدأ بنفسه ويطهرها ويهذبها ثمّ ينتقل بعد ذلك إلى إصلاح غيره أو تهذيب صاحبه.

وقد تكررت مادة الصلاح والإصلاح في القرآن الكريم في أكثر من مائة وسبعين مورداً كما تكرر قول القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في أكثر من خمسين مرة، وذلك أنّ من لم يؤدّب نفسه لم يتأدّب به غيره، وكذلك من لم يصلح نفسه لم يمكنه ان يصلح غيره:

ووصف في القرآن الكريم كثيراً من الأنبياء بالصلاح، ففي النبي إبراهيم عليه السلام قال تعالى:

﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا وإِنَّه في الآخرة لمن الصالحين﴾^(١)

وفي يحيى عليه السلام قال تعالى: ﴿أَنَّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبيّاً من الصالحين﴾^(٢)

وفي عيسى عليه السلام قال: ﴿ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾^(٣) وقال:

﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلّ من الصالحين﴾^(٤)

وقال: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً كلّ من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾^(٥)

ودرجات الإصلاح كثيرة وكلما كان أوسع كان أنفع وكلما كان أسرع كان أوقع. قال تعالى: ﴿فاتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾^(٦)

ولا فرق في الإصلاح بين الأفراد والجماعات، قال سبحانه: ﴿إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾. ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾^(٧)

وهكذا يؤكد الإسلام على صيانة اللسان عن الإساءة والغيبة والنميمة والافتراء، وهي صفات تشترك في الشر والفساد، ويأمر بالإصلاح بين الناس على اختلاف قومياتهم وأحسابهم وأنسابهم؛ لأنّ الإصلاح هدف إنساني فهو واجب إنساني، وما أروع قوله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾^(٨)

(١) البقرة : ١٣٠ . (٢) آل عمران : ٣٩ .

(٣) آل عمران : ٤٦ . (٤) الأنعام : ٨٥ .

(٥) الأنبياء : ٨٥ - ٨٦ . (٦) الأنفال : ١ .

(٧) الحجرات : ٩ - ١٠ . (٨) النساء : ١١٤ .

الحلف والعهد

قال تعالى ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾^(١)

الثقة أساس الحياة الاجتماعية السعيدة، وتناط سعادة الافراد والأمم بدرجة الثقة في أقوالهم وأعمالهم ومواعيدهم وعهودهم، والثقة فيها معاني الوثوق والاطمئنان والأمان يقال: (وثق به، أي ائتمنه وسكن إليه، والموثق هو الائتمان ويطلق على العهد المؤكّد كالميثاق).

وقد تكررت كلمة الميثاق في القرآن بمعنى العهد الذي يجب الوفاء به على الإنسان، قال تعالى: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق... أولئك لهم عقبى الدار﴾^(٢) والعهود والمواثيق تعتبر الوسيلة السلمية لحل الخلافات والمنازعات بين الأفراد والأمم والدول. وقد احترم الإسلام كافة المعاهدات التي ارتبط بها بما يحفظ مصلحة الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾^(٣) وقال: ﴿الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾^(٤)

بل يعتبر القرآن نقض العهد ضعفاً وذلةً وحقارة نفسية كالمرأة التي تنفث غزلها بعد إحكامه كما في سورة النحل.^(٥) بل يؤكّد على أن نقض العهد خروج عن حقيقة الإنسانية،

(٢) الرعد : ٢٠ - ٢٢.

(٤) المؤمنون : ٨.

(١) النحل : ٩١.

(٣) الإسراء : ٣٤.

(٥) سورة نحل : ١٩.

بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾^(١).

وقد عقد النبي ﷺ في حياته كثيراً من المعاهدات مع الكفار والمشركين لغرض نشر الدعوة الإسلامية وكانت في الغالب تنتهي بالجزية أو الإسلام، وأحياناً الحرب إذا نقض الكفار نصوص المعاهدة؛ فإن من الطبيعي أن يكون المسلمون والحالة هذه في حِلٍّ منها. قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٢).

والحلف هو القسم واليمين على شيء يحتمل الوفاق والخلاف في المستقبل، ويتحقق الحلف عرفاً بكل ما يكون عزيزاً عند الإنسان، فتارة يحلف بحياته أو حياة عزيز عليه أو شرف، ولا يتحقق شرعاً إلا باسم الله تعالى.

ويكره الحلف بالله لغير ضرورة؛ لأنه استهانة بالاسم المقدس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾^(٣) ذلك أن الحلف تابع من فقدان الثقة والشخصية، والرجل الصادق لا يهتم شيء لعلمه بصدقه، سواء صدقه الناس كلهم أم كذَّبوه، والذي يحس في نفسه ضعفاً يحاول جبره باليمين والشاهد وما شابه، قال الصادق عليه السلام: «لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين»^(٤).

وقال عليه السلام: «إِنْ ادَّعَى عَلَيْكَ مَالٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْكَ فَأَرَادَ أَنْ يَحْلِفَكَ، فَإِنْ بَلَغَ مِقْدَارَ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا فَأَعْطَهُ وَلَا تَحْلِفْ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَاحْلِفْ وَلَا تَعْطِهِ»^(٥). ويشير الإمام عليه السلام بهذا إلى أنه لا بأس في الحلف في حالة الضرورة، كما في إثبات حق أو انقاذ النفس المحترمة.

(١) الأنفال : ٥٥. (٢) التوبة : ١٢.

(٣) البقرة : ٢٢٤. (٤) الكافي ٧ : ٤٣٤، ح ١.

(٥) الكافي ٧ : ٤٣٥، ح ٦.

والحلف على أقسام:

أولاً - اللغو: وهو الحلف بلا قصد لاعتیاد اللسان ذلك سواء على الماضي أو الآتي: فلا أثر لهذا الحلف شرعاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَأْخُذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾^(١).

وقال الصادق عليه السلام: «هو لا والله وبلى والله وكلاً والله، لا يعقد عليها»^(٢)

وقال الصادق عليه السلام: «إن جماعة حلف بعضهم أن لا ينام في الليل أبداً، وحلف آخر على أن لا يفطر في اليوم أبداً، وثالث أن لا ينكح أبداً... فصعد رسول الله ﷺ على المنبر ثم قال: ما بال أقوام يحرمون على أنفسهم الطيبات، ألا إنني أنام بالليل وأنكح وأفطر في النهار، فمن رغب عن سنتي فليس مني، فقام أولئك فقالوا: يا رسول الله قد حلفنا على ذلك، فأنزل الله: ﴿لَا يَأْخُذُكُمُ اللَّهُ فِي اللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾»^(٣).

الثاني - الغموس: وهو الحلف على الماضي كاذباً متعمداً، وفي الحديث: «اليمين الغموس ينتظر بها أربعين ليلة»^(٤).

وذلك يسبب انعدام الثقة التي بها حياة المجتمع ونظامه، وإذا انعدمت الثقة في المجتمع خربت الديار.

الثالث - المناشدة: وهي الحلف على أحد بأن يقوم بعمل ما، وهذا لا يترتب عليه شيء، كأن تقول لصاحبك: (والله لا بد أن تأكل) فليس على الحالف شيء لأنه حلف في حق غيره، ولا على المقسم عليه لأنه لم يحلف.

وسئل الصادق عليه السلام: عن الرجل يقسم على أخيه، فقال عليه السلام: «ليس عليه شيء، إنما أراد إكرامه»^(٥).

(١) البقرة: ٢٢٥. (٢) الوسائل ٢٣: ٢٣٩، ح ٢٩٤٧٢.

(٣) الوسائل ٢٣: ٢٤٤، ح ٢٩٤٨٦. (٤) الكافي ٧: ٤٣٦، ح ٧.

(٥) التهذيب ٨: ٢٩٤، ح ١٠٨٩.

الرابع - اليمين الصادقة: وهو المعتبر شرعاً، وله في الفقه الإسلامي شروط كالآتي:
١ - لا ينعقد بغير أسماء الله وإن كان عظيماً، فلا ينعقد باسم النبي أو الأئمة أو الكعبة ونحوها.

٢ - يعتبر في الحالف التكليف والقصد والاختيار.
٣ - يعتبر فيما يحلف عليه أن يكون مباحاً من دون مرجوحية، فلا يصح الحلف على ترك الواجب أو فعل المكروه أو الحرام.
٤ - أن يكون الحلف على المستقبل، فلا تنعقد بالماضي والحكم الشرعي في اليمين الصادقة لو نقضها الحالف هو الكفارة، وهي بإحدى الثلاث: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو صيام ثلاثة أيام متتالية.

وتنحل اليمين بدون كفارة لو استثنى الحالف بأن يقول حين الحلف (إن شاء الله) فلا ينعقد. قال الامام علي عليه السلام: «من استثنى في يمين فلا حنث ولا كفارة»^(١).
وكذلك للوالد والزوج حل اليمين، قال النبي صلى الله عليه وآله: «لا يمين للولد مع والده: ولا للمرأة مع زوجها، ولا نذر في معصية، ولا يمين في قطيعة»^(٢).
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لم ينقض قوم عهد الله وعهد رسوله إلا سخط الله عليهم عدوهم فأخذ بعض ما في أيديهم»^(٣).

وهكذا يشدد الإسلام على الوفاء بالحلف والعهد والنذر؛ لأنها روابط الثقة بين الأفراد والأمم ودعامة الحياة الاجتماعية السعيدة.

والعهد مع الله - بأقسامه - ملزم للإنسان بالوفاء إذا كان بلفظ صريح وصادر عن قصد واختيار، كأن يقول مثلاً: (عاهدت الله أن أتصدق على الفقير إذا شفي المريض). وكذا إذا أبرز هذا العهد بصيغة النذر كأن يقول: (لله عليّ كذا) أو أبرزه بصيغة اليمين بالحلف باسم

(٢) النوادر: ٢٦، ح ١٧.

(١) الكافي ٧: ٤٨٨، ح ٥.

(٣) الكافي ٢: ٣٧٤، ح ١.

٣٠٤ شرح الأربعين النبوية

الله تعالى أو أحد أوصافه المختصة، كأن يقول: (والله لأفعل كذا) أو (بربي لأفعل كذا).

فإذا عاهد الله ولم يف وجبت الكفارة، وهي: ١ - اطعام عشرة مساكين.

٢ - أو كسوتهم. ٣ - وإذا لم يتمكن فصيام ثلاثة أيام.

ولا شيء في صورة الخطأ والنسيان والغفلة.

وبما أن النذر شائع اليوم فلا بد من الإشارة إلى أهم أحكامه ومسائله:

النذر الشرعي هو الالتزام بالشيء المقدور، لله تعالى فعلاً أو تركاً، كما لو نذر زيارة مؤمن من أصدقائه، أو أن يترك التدخين، أو الصيام في يوم معين، أو إعانة الفقراء بمبلغ معين، فيجب الوفاء. وإذا خالف وجبت الكفارة، ويجب أن يكون المنذور مقدوراً عقلاً و راجحاً شرعاً، فلا يصح النذر بالحرام أو بالمكروه.

مسائل:

١ - إذا كان الفعل مقدوراً في حين النذر أو اليمين أو العهد ثم تعذر أو تسر بعد ذلك فلا يجب الوفاء به، ولا كفارة.

٢ - لا ينعقد النذر ولا اليمين للولد مع منع الوالدين، وكذا الزوجة مع منع الزوج، ولا يجب الوفاء به ولا الكفارة.

٣ - لا يصح النذر بفعل الغير، كما قد يفعله البعض من النذر بتزويج بنته للهاشمي مثلاً، فإنه لا يصح، ولا يجب على البنت شيء، بل لها م حريتها في التزويج وعدمه.

وبالإجمال فالنذر نوع من المعاهدة مع الله سبحانه وتعالى، فإذا تحققت شروطه المعتبرة فإنه يجب الوفاء به، وإذا خالف النذر فإنه تجب الكفارة التي هي نوع من العقوبة كي يرتدع عن مخالفة العهد، ويلتزم بالعهود والمواثيق.

السرقه والأمانة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)

من أعظم الوسائل للتقدم والرقى: الأمانة، ومن لأمانة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له لاخير فيه لنفسه وأمنه ووطنه؛ إذ الأمانة تولد الثقة التي بها بناء الفرد ونجاح الأمة، وطبيعي أن تختلف الأمانات باختلاف مرتبة الثقة والمسؤولية، فأمانة الرؤساء أداء واجباتهم تجاه الشعب والوطن، وكذا الوزير والمدير والعامل فكلّ منهم يجب أن يكون أميناً في أداء عمله على الوجه اللائق، فالواجب على كلّ مسؤولٍ السهر على مصالح العباد والبلاد، وكذا على كل من تقبّل أمانة أدائها، ولا فرق بين الأمانة الصغيرة والكبيرة، فالحكم الإسلامي فيها على حد سواء.

يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحقّ نبياً لو أنّ قاتل أبي الحسين بن علي عليه السلام ائتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه»^(٢). وهذا النوع من التشديد والتأكيد على أداء الأمانة من إمام المسلمين عليه السلام إنّما هو تنبيه على أنّ الهدف الذي قتل له سيّد الشهداء عليه السلام إنّما هو تطبيق الإسلام بكافة بنوده التي منها أداء الأمانات.

ومن هذا التأكيد يظهر موقف الإسلام في الخيانة، فإن الخيانة شرّ الصفات التي بها يتصدّع المجتمع ويختلّ النظام، فهي نذير الفوضى والانهييار، ولا شيء أضرّ منها على الأمة، إذ تستلزم انعدام المسؤولية.

(١) الأنفال: ٢٧.

(٢) الوسائل ١٩: ٧٦، ح ٢٤١٨٨.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١)

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِمًا﴾^(٢)

والسرقة من أخطر الخيانات التي تهدد الأمن العام والنظام، لذلك يجب مقاومتها بأشدّ العقاب، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَنْ تَابَ بَعْدَ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)

والسرقة في مفهومها العرفي تشمل حالات، فقد يكون السارق طفلاً أو مجنوناً، وقد يكون المسروق مالاً قليلاً تافهاً، وقد يكون علناً كالاعتصاب، وقد يكون اختلاساً من الحساب، وهذه الحالات لا يجري عليها في الشرع حكم السرقة، بل هي من (الغصب) أو (الاختلاس) ولها أحكام خاصة تقتضي التأديب و (التعزير) وإنّما السرقة التي توجب القطع فهي: سلب المال المستور عن علم وعدوان، فلا بدّ في تحقّق مفهوم السرقة أن يكون المال محفوظاً، ستره مالكة لغرضٍ عن الأنظار في مكان خاص كالصندوق، وهذا هو المفهوم من السرقة شرعاً.

وهي من أبرز موارد الخيانة، لو تسامح القانون فيها لأدى إلى تفشيه في المجتمع؛ إذ هو أقصر الطرق لابتزاز أموال الناس واستلزام انعدام الأمن في المجتمع، فهي حالة خطيرة تقتضي المقاومة، وأي شيء أكثر أثراً وأقلع للاطماع من قطع الأصابع في صورة توقّف الشروط، أو التعزير والتأديب إذا لم تجتمع الشروط، فقد أتى أمير المؤمنين عليه السلام بصبي قد سرق فأمر بحكّ أصابعه على الحجر حتى خرج الدم، ثم أتى به ثانية وقد سرق فأمر بأصابعه فشرطت، ثم أتى به ثالثة وقد سرق ففقطع أنامله.^(٤)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس على الطّار (٥) والمختلس قطع؛ لأنها دعارة معلنة، ولكن يقطع من يأخذ ويخفي»^(٦).

(٢) النساء : ١٠٧.

(١) النساء : ٥٨.

(٤) فقه الرضا : ٣١٠.

(٣) المائدة : ٣٨.

(٦) علل الشرائع : ٥٤٤، باب ٣٣٢.

(٥) (و الطرار: السارق بالحيلة.)

وقال الباقر عليه السلام: «لا يقطع إلا من نقب بيتاً أو كسر قفلاً»^(١).

وعن أحدهما عليه السلام: «لا يقطع السارق حتى يقر بالسرقة مرتين، فإن رجع ضمن السرقة ولم يقطع إذا لم يكن له شهود»^(٢). وقال الباقر عليه السلام في رجل سرق: «يقطع يمينه - شلاء كانت أوصحيحة - فإن عاد فسرق قطعت رجله اليسرى، فإن عاد خلد في السجن وأجري عليه من بيت المال وكف عن الناس شره»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام في الصبي يسرق: «يعفى عنه مرة ومرتين، ويعزّر في الثالثة»^(٤).

وروى سماعة: «من سرق خلسة خلصها لم يقطع، ولكن يضرب ضرباً شديداً»^(٥).

والموجب للقطع ثلاثة شروط مجتمعة، وهي:

١ - هتك الحرز سراً، وهو المستور بقفل أو غلق أو دفن ممّا لا يمكن لغير المالك الوصول إليه، فلو لم يكن كذلك لم يقطع بلا خلاف، فإن كان ذلك علناً فهو غضب لاسرقة.

٢ - أن يكون بحد النصاب، وهو ربع دينار من الذهب الخالص المسكوك بسكة المعاملة.

٣ - أن لا يكون شبهة، كما لو أشتبه الصندوقان في الوصف، فإن الحدود تدراً بالشبهات. والحديث الآتي يكشف لنا بوضوح حد السرقة:

«قال محمد بن مسلم: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: في كم يقطع السارق؟

قال عليه السلام: في ربع دينار.

قلت له: في درهمين؟

قال عليه السلام: في ربع دينار، بلغ الدينار ما بلغ.

قلت: رأيت من سرق أقل من ربع دينار، هل يقع عليه حين سرق اسم السارق، وهل

هو عند الله سارق؟

(١) التهذيب ١٠: ١٠٩، ح ٤ (٢) الكافي ٧: ٢١٩، ح ٢.

(٣) انظر: الوسائل ٢٨: ٢٦٧، ح ٣٤٧٢٨ (٤) الكافي ٧: ٢٣٢، ح ١.

(٥) الوسائل ٢٨: ٢٦٩، ح ٣٤٧٣٣.

٣٠٨ شرح الأربعين النبوية

قال ﷺ: كل من سرق من مسلم شيئاً قد حواه وأحرزه فهو يقع عليه اسم السارق وهو عند الله سارق، ولكن لا يقطع إلا في ربع دينار أو أكثر^(١).

وذلك أن العموم في القرآن كما يخصص فعلاً في حق المجنون والصبي كذلك يخصص في مال السرقة مما يكون ربع دينار شرعي فأكثر دون الأقل، إذ لا تكون العقوبة أكثر من الجريمة، بل العقوبة حينئذٍ التعزير بما يرتدع به كما يجب التعزير لجماعة منهم:

١- المختلس، وهو الذي يأخذ المال خفية من غير حرز.

٢- المستلب، وهو الذي يأخذ المال جهراً بالغصب.

٣- المحتال، وهو الذي يأخذ المال بشهادة الزور.

٤- المبتئج، وهو الذي يأخذ المال باستعمال المخدرات.

في رحاب السنة:

١- الرسول ﷺ: «أربعة لا تدخل بيتاً واحدة منهم إلا خرب ولم يعمر بالبركة: الخيانة، والسرقه، وشرب الخمر، والزنا»^(٢).

٢- علي ﷺ: «إن لأهل الدين علامات يعرفون بها: صدق الحديث وأداء الأمانة و الوفاء بالعهد وصلة الرحم ورحمة الضعفاء»^(٣).

٣- الصادق ﷺ: «مدمن الزنا والفسوق والشرب كعابد وثن»^(٤).

٤- الصادق ﷺ في حديث: «اتقوا الله وعليكم بأداء الأمانة إلى من ائتمنكم، فلو أن قاتل أمير المؤمنين ﷺ ائتمني على أمانة لأديتها إليه»^(٥).

٥- الرضا ﷺ: «إن علة قطع اليمين من السارق لأنه يباشر الأشياء بيمينه، وهي أفضل

(٢) أمالي الصدوق: ٤٨٢، ح ٦٥٢.

(٤) الوسائل ٢٥: ٣٢١، ح ١٣، ٣٢.

(١) الكافي ٧: ٢٢٢، ح ٦.

(٣) الكافي ٢: ٢٣٩، ح ٣٠.

(٥) الكافي ٥: ١٣٣، ح ٤.

أعضائه وأنفعا له، فجعل قطعها نكالا وعبرة للخلق»^(١).

وحدث في عهد محمد المعتصم العباسي (١٩٨ - ٢١٨ هـ) إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيرة بإقامة الحد عليه، فجمع الفقهاء لذلك في مجلسه، وقد حضر الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، واختلفوا في حد القطع، فقيل: من الكرّسوع، وقيل: من المرفق، ولما أقسم الخليفة على الإمام قال عليه السلام: «إنّهم أخطأوا فيه السُّنة، وأنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكفّ». قال: وما الحجة على ذلك؟ قال عليه السلام: قول رسول الله ﷺ: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا وقعت على الكرّسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها. وقال الله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(٢).

يعني هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وما كان لله لم يقطع، فأعجب المعتصم ذلك فأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف»^(٣).

وهذا الاختلاف يكشف بالطبع عن عدم حدوث التراجع في السرقة طول هذه المدة الطويلة في تاريخ الإسلام حتى وقع الخلاف في تعيين موضع القطع، وكذلك يكشف عن عمق أثر هذا التشريع الإسلامي البالغ في الردع عن هذه الخيانة منذ عصر الرسالة حتى عصر الإمام الجواد عليه السلام المتوفى سنة ٢٢٠ هـ.

وهكذا يؤكد الإسلام على رعاية الأمانات وعدم التفريط فيها، ويفرض عقوبة شديدة رادعة تقلع جرثومة الفساد من جذورها، فكم في عصرنا من سرّاق يعتبرون السرقة وسيلة لمآربهم وهم عالمون بأن (السجن) لا يؤثر على شيء في نفوسهم، بل يعودون من السجن ويزاولون هذه الطريقة الفاسدة، وعلى العكس في الحكم الإسلامي كان تشريع الحكم في نفسه قالعا لفكرة الاعتداء على ممتلكات الآخرين، وبالنتيجة سببا في المحافظة على الأمن في المجتمع.

(١) الفصول المهمة في اصول الاثمة ٢: ٥١٨، ح ٢٤١٣.

(٢) الجن : ١٨. (٣) الوسائل ٢٨ : ٥٣، ح ٣٤٦٩٠.

الشهادة ومسؤولية الكلمة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْلَمُونَ عَلِيمٌ﴾^(١)
كثيراً ما يجزّ اللسان المصائب ويؤدي إلى المهالك، لذلك ينهى الإسلام عن التكلم والتدخل فيما لا يعني وما شابه من آفات اللسان.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢)

فللكلمة مسؤولية خطيرة، فهي الشجرة التي تنتج الثمرة، فالمسلم يفكر قبل أن ينطق، فقد تكون كلمة واحدة سبباً في تدمير أسرة بل أمة بأسرها، لذلك أمرنا الإسلام بأن لا نتيح للسان فرصة للانحراف والتمرد، بل ندربه على الطاعات والدعوات التي تعتبر دروساً لفعل الخير والالتزام بالمعروف.

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»^(٣)
وما أروع كلام أمير المؤمنين عليه السلام في التفريق بين الكلمة الطيبة والخبيثة أو بين العقل والحمق والجنون بقوله: «لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه»^(٤) فإن الفارق بين العاقل والأحمق هو التحكّم في اللسان، والتحكّم في موضعه بعد الفكر والتأمل.

(١) البقرة: ٢٨٣.

(٢) إبراهيم: ٢٧ - ٢٥.

(٣) الكافي ٢: ٦٧٧، ح ٦.

(٤) الوسائل ١٥: ٢٨١، ح ٢٠٥١٨.

الشهادة:

وإذا كان الصمت حكمة فإن ذلك ليس في كل الأحوال، فهناك مواطن يعتبر الصمت فيها جريمة، وقد يكون الصمت سبباً في تدمير الأسرة بل الأمة بأسرها، ومن ذلك الشهادة فإن السكوت عن الحق والصمت أمام افتراء المعتدي إثم كبير: «فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس».

والشهادة أمانة الله، لا يجوز كتمانها أو تحريفها، ومن يفعل ذلك فهو خائن بأمانة الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١) فجعل سبحانه كتمان الشهادة من أظهر أفراد الظلم، فتكون الشهادة الزور كذلك بطريق أولى.

قال الباقر عليه السلام: «ما من رجل يشهد بشهادة زور على مال رجل مسلم ليقطعه إلا كتب الله له مكانه صكاً إلى النار»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «شاهد الزور لاتزول قدماء حتى تجب له النار»^(٣).
واتفقت الكلمة على جواز تشهير شاهد الزور حتى يتقى شره ويجب تعزيره على الحاكم الشرعي بما يكون رادعاً له، روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه «كان إذا أخذ شاهد زور، فإن كان غريباً بعث به إلى حبسه، وإن كان سوقياً بعث به إلى سوقه، فطيف به ثم يحبسه أياماً ثم يخلي سبيله»^(٤).

فكما أن شهادة الزور والكذب جريمة نكراء كذلك السكوت عن أداء الشهادة جريمة مروعة، وكل ذلك من آفات اللسان، هذا المخلوق الصغير الذي لم يخلق من الحديد ولكنه أحد من الحديد، وليس من العظم ولكنه أعظم خطراً وأثراً من السيف.
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

(١) البقرة: ١٤٠. (٢) الكافي ٧: ٣٨٣، ح ١.

(٣) الكافي ٧: ٣٨٣، ح ٢. (٤) التهذيب ٦: ٢٨٠، ح ٧٧٠.

ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً^(١)

في رحاب السُّنَّة:

١ - الرسول ﷺ: «شاهد الزور كعابد الوثن»^(٢).

٢ - الرسول ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه حيث يجب اظهاره ويزول عنه التقيّة جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من النار»^(٣).

٣ - الرسول ﷺ: «إنّ املاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من املاء الشر»^(٤).

٤ - السجاد عليه السلام: «إنّ القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسيء الأجل، ويحبّب إلى الأهل، ويدخل الجنة»^(٥).

٥ - الصادق عليه السلام: «معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، وقولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبح القول»^(٦).

٦ - الصادق عليه السلام: «لا يتكلّم أحدكم بما لا يعينه، وليدع كثيراً من الكلام فيما يعنيه حتى يجد له موضعاً، قرب متكلّم في غير موضعه جنى على نفسه بكلامه، ولا يمارين أحدكم حليماً ولا سفيهاً؛ فإنه من ماري حليماً أقصاه ومن ماري سفيهاً أرداه»^(٧).

وهكذا فللكلمة مسؤوليتها الخطيرة؛ ولذلك وجهت مختلف دول العالم عنايتها ورقابتها على أجهزة الإعلام التي تعتمد أساساً على الكلمة المسموعة والمقروءة سلباً وإيجاباً، وأغدقت على تنظيمها بكل سخاء.

(١) الأحزاب: ٧١ - ٧٠. (٢) نقله نصّاً في حواريات فقهية: ٢٩٨.

(٣) التفسير الصافي ١: ١٦٣. (٤) الوسائل ١٢: ١٨٨، ح ١٦٠٤٤.

(٥) الخصال ٣١٧، ح ١٠٠. (٦) الوسائل ١٢: ٩٤، ح ١٦٠٦٣.

(٧) الوسائل ١٢: ١٩٤، ح ١٦٠٦٥.

العدالة والظلم

العدل عماد ضروري في الحياة وأساس الحكم الإسلامي، فالحياة البشرية مبنية على العدالة والأديان السماوية جاءت لحمايتها في رابطة الخالق والمخلوق والخلق أنفسهم، والعدالة هدف التشريعات الإلهية والوضعية منها، وكلما كانت التشريعات أوفق للعدالة كانت أدوم وأثبت في المجتمع، والعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، على النقيض من الظلم، ومن مظاهره: المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات العامة وإلى هذه المساواة أشار تعالى في قوله: ﴿اعدلوأ هو أقرب للتقوى﴾^(١).

وقوله: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾^(٢)

وقوله: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾^(٣)

والعدل أساس الحكم في الإسلام، وبلغت عناية الإسلام به عناية بالغة حتى على نفس الإنسان باعتباره الهدف الإسلامي النظام الأفضل:

قال تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾^(٤)

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾^(٥)

وقال تعالى: ﴿ولا يجرمكم شئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا

الله إن الله خبير بما تعلمون﴾^(٦)

فقد عمم تعالى لزوم العدل بين بني الإنسان، من دون فرق بين الصديق والقريب

(١) النحل : ٩٠.

(٢) المائدة : ٨.

(٣) الأنعام : ١٥٢.

(٤) النساء : ٥٨.

(٥) النساء : ١٣٥.

(٦) المائدة : ٨.

٣١٤ شرح الأربعين النبوية

وحتى، العدو، وفي الحديث: «من المنجيات كلمة العدل في الرضا والسخط»^(١) وكفى العدالة فضلاً أن بها قوام الحياة وأن الله سبحانه اختارها اسماً لنفسه فهو (العدل) بمعنى ذو العدل.

والظلم:

على الضد من ذلك، فهو سبب الهلاك وخراب البلاد والفساد بين العباد، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وقد نفاه الله عن نفسه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿لَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عما يعمل الظالمون إنما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾^(٣).

وإن الإنسان هو الذي يظلم نفسه بارتكابه جريمة محرّمة فعلها، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه﴾^(٥).

إن حسن العدل وقبح الظلم أمر بديهي لا يحتاج إلى تفصيل وبيان، وما أحسن ما قيل:

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتنبه يدعوا عليك وعين الله لم تنم

ولا فرق - كما في الحديث النبوي - بين الظلم والركون إلى الظالم ولو كان قريباً حميماً، أو اعانة الظالم على ظلمه كإعطائه سوطاً أو قلماً ليكتب ويلحق أذىً بالآخرين، ففي الحديث: «من أعان ظالماً على ظلمه سلّطه الله عليه»^(٦).

(١) الخرائج والجرائح ٣: ١٠٥٨. (٢) النساء: ٤٠.

(٣) إبراهيم: ٤٢. (٤) البقرة: ٢٢٩.

(٥) الطلاق: ١. (٦) الكافي ٥: ١٠٧، ح ٧.

وقال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾^(١)
 وقال الرضا عليه السلام: «الدخول في أعمال السلطان (الظالم) والعون له في حوائجه عدل
 الكفر، والنظر إليه على العمد من الكبائر التي يستحق بها النار».^(٢)
 وقال رجل للصادق عليه السلام: «جعلت فداك أنه ربما أصاب الرجل منّا الضيق أو الشدة،
 فيدعى إلى البناء بينيه أو النهر يكرهه أو المسناة يصلحها، فما تقول في ذلك؟ فقال عليه السلام: ما
 أحب أني عقدت لهم عقدة ووكتيت لهم وكاء، وأنه لي ما بين لابتيتها»^(٣) ولامدة بقلم، إن
 أعوان الظلم يوم القيامة في سراق من نار حتى يحكم الله بين العباد».^(٤)
 وفي الحديث: «من قتل دون مظلّمته فهو شهيد».^(٥)

في رحاب السنة:

- ١ - الرسول صلى الله عليه وآله: «من مشى إلى ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من
 الإسلام».^(٦)
- ٢ - الرسول صلى الله عليه وآله: «اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة».^(٧)
- ٣ - الرسول صلى الله عليه وآله: «جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من معاصي ستين
 سنة».^(٨)
- ٤ - الرسول صلى الله عليه وآله: «من خاف القصاص كفّ عن ظلم الناس».^(٩)
- ٥ - الرسول صلى الله عليه وآله: «شرار الناس ثلاثة... الذي يسعى إلى السلطان فيهلك نفسه ويهلك
 أخاه ويهلك السلطان».^(١٠)

(١) هود: ١١٣.	(٢) الوسائل ١٧: ١٩٢، ح ٢٢٣٢٥.
(٣) جبلان محيطان بالمدينة.	(٤) الكافي ٥: ١٠٧، ح ٧.
(٥) الكافي ٥: ٥٢، ح ١ و ٢.	(٦) الوسائل ١٧: ١٨٢، ح ٢٢٣٠٣.
(٧) الكافي ٢: ٣٣٢، ح ١٠.	(٨) شرح الازهار ٤: ٣٠٨.
(٩) الكافي ٢: ٣٣١، ح ٦.	(١٠) مستدرک الوسائل ١٣: ١٢٥، ح ١٤٩٦٧.

٣١٦ شرح الأربعين النبوية

٦- الرسول ﷺ: «من مدح سلطاناً جائراً أو تخفف وتضعف له طمعاً فيه كان قرينه في النار».(١)

٧- الرسول ﷺ: «ألا ومن علّق سوطاً بين يدي سلطان جائر جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من نار.. يسلط عليه في نار جهنم».(٢)

٨- الامام علي عليه السلام في وصية للحسن عليه السلام: «كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً».(٣)

٩- الامام علي عليه السلام: «والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّداً، وأجرّ في الأغلال مصفّداً، أحبُّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد أو غاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يُسرّع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها؟».(٤)

١٠- الباقر عليه السلام: «ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم، وذلك قوله عز وجل: ﴿وكذلك نُولِي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾».(٥)

١١- الباقر عليه السلام: «لما حضرت أبي الوفاة ضمّني إلى صدره، ثم قال: يا بُنيّ أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة... إياك وظلم من لم يجد عليك ناصرًا إلا الله».(٦)

١٢- الباقر عليه السلام: «ما من أحد يظلم مظلمة إلا أخذ الله بها في نفسه وماله، فأما الظلم الذي بينه وبين الله فإذا تاب غفر له».(٧)

١٣- الباقر عليه السلام: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم».(٨)

١٤- الصادق عليه السلام: «إن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من مال المظلوم».(٩)

١٥- الصادق عليه السلام: «من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به، أما إنّه إنّما يحصد

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ١١. (٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ١٧.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٥٧٦، الكتاب ٤٧. (٤) نهج البلاغة ٢: ٢١٦، الخطبة ٢٢٤.

(٥) تفسير العياشي ١: ٣٧٦، والآية في سورة الانعام ١٢٩٤.

(٦) الكافي ٢: ٣٣١، ح ٥. (٧) الوسائل ١٦: ٤٧، ح ٢٠٩٤٢.

(٨) الكافي ٢: ٣٣٣، ح ١٦. (٩) الكافي ٢: ٣٣٤، ح ٢٢.

بن آدم ما يزرع وليس يحصد أحد من المرّ حلواً ولا من الحلو مرّاً»^(١).

١٦ - الصادق عليه السلام: «ما من مظلمة أشدّ من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله»^(٢).

١٧ - الصادق عليه السلام: «من عذّر ظالماً بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه وإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»^(٣).

١٨ - الصادق عليه السلام: «إن العبد ليكون مظلوماً فما يزال يدعوا حتّى يكون ظالماً»^(٤).

١٩ - الصادق عليه السلام: «من أحبّ بقاء الظالمين فقد أحبّ أن يعصى الله، إن الله تبارك وتعالى حمد نفسه على هلاك الظلمة فقال: ﴿فقطّع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين﴾»^(٥).

والتوبة من الظلم تختلف مراتبها، ويجمعها كلام الإمام علي عليه السلام:

«ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب.

فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، قال الله سبحانه: ﴿إنّ الله لا يغفر أن يشرك به﴾.

وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات.

وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً»^(٦).

فإنّ الذنب إن كان ظلماً للنفس فلا يُغفر إلا بالتوبة إلى الله تعالى، وأما ظلم العباد بأكل أموالهم أو اتلاف حقوقهم فلا يكون إلا بردّ الأموال إلى أصحابها وإعطاء الحقوق لمستحقيها.

(١) الكافي ٢: ٣٣٤، ح ٢٢. (٢) الكافي ٢: ٣٣١، ح ٤.

(٣) الكافي ٢: ٣٣٤، ح ١٨. (٤) الكافي ٢: ٣٣٣، ح ١٧.

(٥) معاني الاخبار: ٢٥٣، والآية في سورة الانعام: ٤٥.

(٦) نهج البلاغة ٢: ٩٠، الخطبة ١٧٦.

الحقّ والحقيقة

وإذا كان الظلم والركون إلى الظالم ظلماً فالأخذ بالحقّ والحقيقة يكون عدلاً، كما جاء في الحديث النبوي: «وأن تقبل الحق ممّن جاء به صغيراً كان أو كبيراً»^(١).

إن العدل والحق متلازمان ﴿فما ماذا بعد الحق إلا الضلال﴾^(٢) لأنّ بذرة الخير لا تُنبَت خيراً ولا تُنبَت شراً، ومهما تعترضه من الفتن والشبهات، فإن الحق لا بد وأن يبدو نوره وينجلي الصبح، ولا ينقضي زمن قصير إلا وتتهاوى المناظر الخادعة والمظاهر الكاذبة، التي لا تنطلي إلا على من ابتعد عن الحقيقة ولم يتأمل عاقبة الأمور، فالحقّ أحقّ أن يُتَّبَعَ. وهو اسم من أسماء الله تعالى اسمه، وهو المفهوم الذي في ظله يستريح الضمير وتهدأ النفس ويطمئن القلب، وعليه تنعقد آمال المظلومين والمستضعفين، إنّه الحقّ والفطرة الإنسانية، التي تهدف الخير وتبرأ من الشرّ، ويتخلص الإنسان به عن وخز الضمير وقد يما قيل: (للحق دولة وللباطل جولة).

إن الصدق حقّ، والأمانة حق، والاهتمام والعمل بالواجب الإنساني حق، والكذب باطل والخيانة باطل، والاهمال بالواجب باطل، والمراد من الدولة الدوام والثبات، فالنصر دائماً للحقّ، وبالعكس الهزيمة والانتكاس دائماً للباطل، وهنا يكمن السرّ الذي تقدّم به الغربيون لأنهم التزموا في حياتهم الفرديّة والاجتماعيّة بالنقاط الثلاث - المتقدّمة - للحق، واجتنبوا النقاط المعاكسة الثلاث للباطل، فلا بدّ أن ينتصروا، ولا بدّ أن يتأخّر من يتأخّر إذا كان متهاوناً بهذه المبادئ الإسلامية، كافرّاً بها عملاً، مهما نبّرّ تقاعسنا وعدم التزامنا؛ إذ لا يعرف التاريخ ظالماً يظلم وهو يعتبر نفسه ظالماً، فكم من المتنازعين يجري

(١) راجع نص الحديث في أول الكتاب. (٢) يونس: ٣٢.

كل منهما وراء محامٍ خاص وقد يكون الحقّ معروفاً في قرارة أنفسهم.
 وإنّما يبرر دائماً عمله بما يعتبر نفسه على حقّ وخصمه على الباطل، ولكن وجه
 الحقّ والحقيقة لا تنطلي على أحد، والتاريخ لهم بالمرصاد.
 وحيث يلتبس الحق بالباطل دائماً يلزم أن نعرف المقياس الذي به التمييز، والاسلام
 حافل بالمقاييس العادلة والموازن الدقيقة، مما يربي الضمير ويوقظ الوجدان، وينهي
 الإنسان الشريف عن الطمع في حقوق الناس، والمقياس بيد الإنسان نفسه، وهو (مخالفة
 الهوى) المنهي عنه، وقد أخذ أهل البيت النبوي طول التاريخ جانب الحق، وضحووا لذلك
 بكلّ نفس ونفيس حتى قال الإمام الكاظم عليه السلام: «قل الحق ولو كان فيه هلاكك»^(١)
 وتاريخ حياة كلّ واحد منهم حافل بالتضحيات بالرغم من مضايقة السياسة لهم،
 ولكن أين الملوك؟ وأين السياسات؟ وأين الفراعنة؟ ولا يذكرهم لتاريخ الأمم
 الاشمئزاز ممّا مارسوه من الخلاعة والمجون والتلاعب بالعدالة وقلب الحقائق، وعلى
 العكس نجد في ذكرى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيت النبوة روح العدالة وضمير الإنسانية
 الخالدة.

التقوى والهوى

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيَإِنِّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١)

الهوى والتقوى حقيقتان متضادتان، فالتقوى يعتي الإرادة القوية من فضائل النفس الإنسانية، بل أعظمها فضلاً وأكثرها كمالاً لما يترتب عليه من الوصول إلى معالي الأمور، بل تعتبر الإرادة مفتاح السعادة، ويتّصف بالإرادة الكاملة الإنسان صاحب الهمة العالية وروح المقاومة للشدائد والصبر والحكمة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، الذي بها يتميز الإنسان على سائر الحيوانات. وبهذا السبب يعظّم التاريخ أصحاب الإرادة الإنسانية على الرغم من اختلاف بلادهم وألوانهم، وإنّما يعظمون لما أحكموا إرادتهم الإنسانية ولم يرضخوا للباطل وبذلوا دماءهم لهدف إنساني كريم كالإمام الحسين عليه السلام سيد الشهداء الذي أصبحت مواقف الإسلاميين درساً للأجيال وعبرة للتاريخ. فالإرادة الإنسانية هي العامل الوحيد في انتصار المبادئ والسلوك في طريق الرقي والوصول إلى أوج الكمال، وليس الرجال الذين أدركوا السيادة والزعامة إلا وأحسنوا استخدام هذه الإرادة اقتضاء لأثر عظيم من عظماء التاريخ فحالفهم الحظ ونالوا السعادة، وبالعكس تماماً حال من أهمل الإرادة واتبع الهوى فما كانت النتيجة إلا الذل والخسران.

والفارق بين الدين والقانون الوضعي ينجلي في ظاهرة (الهوى) فإن القوانين الوضعية لا تجدي نفعاً إلا لمن خاف الوقوع في قبضة السلطة، وليس كل فرد يخاف ذلك، وكم يحفظ التاريخ من المتلاعبين بالقانون والمعتدين على السلطة وهم في حماية القانون، وأما صاحب الدين فهو يخاف الله ويلتزم بالتقوى، وهذا الالتزام يُنهى النفس الأمارة

بالسوء وهو قالع لكل طمع سراً وعلناً.

قال الرسول ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل». وهذا الكلام الحكيم منه ﷺ بيان لمفتاحي الشر، كما فيه الارشاد الى الوقاية منهما، وهما: أولاً: اتباع الهوى، فإنه يعني الانتهاء إلى الشر، لأن النفس أمارة بالسوء، والإنسان بطبعه يميل إلى الخلود الى الراحة وعدم المسؤولية، بالعكس من موقف الدين والعقل. وثانياً: طول الأمل، ومعناه تأجيل الواجب وتأخيرته عن وقته على أمل الحياء، بل يجب أداء الواجبات سواء الاجتماعية والروحية وعدم تأخيرها على أمل أدائها في المستقبل.

في رحاب السنة:

- ١- الرسول ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى وطول الأمل». (١)
- ٢- الرسول ﷺ: «من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فزع يوم القيامة». (٢)
- ٣- وفي الحديث القدسي: «أيما عبد أطاعني لم أكله إلى غيري، وأيما عبد عصاني وكلته إلى نفسه». (٣)
- علي ﷺ: «أيها الناس تولّوا من أنفسكم وتأديبها واعدلوا بها عن ضرواة عاداتها». (٤)
- علي ﷺ: «من كانت همه آخرته كفاه الله همه من الدنيا، ومن أصلح سريره أصلح الله علانية ومن أصلح فيما بينه وبين الله عز وجل أصلح الله ينارل وتعالى فيما بينه وبين الناس». (٥)
- الصادق ﷺ: «اجعل نفسك عدوّاً تجاهده». (٦)

(١) الكافي ٨: ٥٨. (٢) الخصال: ١٥، ح ٥٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤، ٤٠٤، ح ٥٨٦٩.

(٤) نهج البلاغة ٤: ٨٤، الحكمة ٣٥٩. (٥) الكافي ٨: ٣٠٧، ح ٤٧٧.

(٦) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١٠، ج ٥٨٩٢.

٣٢٢ شرح الأربعين النبوية

الصادق عليه السلام: «أقصر نفسك عما يضرُّ بها من قبل أن يفارقك، واسع في فكاكها كما تسع في طلب معيشتك».

والتقوى هو جعل النفس في وقاية من الانحراف في السلوك، وقد اهتمَّ به الإسلام كثيراً وجعله هدفاً لكثير من الأحكام، قال تعالى: ﴿اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾. (١)

والتقوى معناه أداء الواجبات وترك المعاصي، وبعبارة أوضح هو التجرد عن كلِّ ما يضر الإنسان سواء في نفسه أو مجتمعه ووطنه والالتزام بالواجبات الزوجية والاجتماعية والاقتصادية والكمال الذي يحصل بالتقوى هو السبب المباشر في التقدم والازدهار، وذلك بالاتِّقاء عن مهلكات الشعوب على حدِّ الاتِّقاء عن مهلكات الفرد، وباتِّقاء مهلكات الآداب والإنسانية على حدِّ الاتِّقاء عن مهلكات الدولة، وبالاتِّقاء عن مهلكات الفنون والصناعات على حدِّ الاتِّقاء عن مهلكات الشخصية، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ومن يتَّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾. (٢) وقال أيضاً: ﴿ومن يتَّق الله يجعل له من أمره يسراً﴾. (٣) وقال أيضاً: ﴿ومن يتَّق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾. (٤)

فالتقوى هدف إسلامي عظيم في الحياة، يقول سبحانه في فريضة الحج: ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾. (٥)

وقال تعالى: ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. (٦)

وقال تعالى: ﴿وتزوّدوا فإنَّ خير الزاد التقوى﴾. (٧)

(٢) الطلاق: ٢-٣.

(٤) الطلاق: ٥.

(٦) الحجرات: ١٣.

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٣) الطلاق: ٤.

(٥) الحج: ٣٧.

(٧) البقرة: ١٩٧.

حدّ التقوى:

والتقوى معناه أن يطاع الله فلا يعصى، ويشكر فلا ينسى، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «والمجاهدة في الله وإن لا تأخذه في الله لومة لائم». فقد قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.^(١)

والقرآن الكريم أشاد كثيراً بأوصاف المتقين، ونكتفي منها بما يأتي:

١- ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾.^(٢)

٢- ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾.^(٣)

٣- ﴿إنّ المتقين في جنّات وعيون آخذين ماء آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحر هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾.^(٤)

ويكفي موعظةً للتقوى والإقلاع عن الهوى ذكر (الموت) الذي يرسل كل يوم إلى القبور الأصدقاء والأحباب من دون تمييز بين الشيوخ والشباب، فيودعون القبور المظلمة بلا أنيس ولا جليس سوى ما قدّمت أيديهم من العمل الصالح، وما أعظم الموت من عبرة، وما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار.

(١) التغابن: ١٦. (٢) البقرة: ٢ - ٥.

(٣) آل عمران ١٣٣-١٣٥. (٤) الذاريات: ١٥ - ١٩.

السبّ والقذف

كما يهدف الإسلام تزكية ضمير الإنسان من نية السوء بالتشريعات العبادية، كذلك يهدف إلى تزكية اللسان من ألفاظ السوء، وهي:

١- اللعن، بمعنى الطرد من الخير.

٢- السبب، وهو الشتم الموجه.

٣- الفحش، وهو الكلام القبيح.

وتجمعها كلها صفة القبيح من الكلام، قال الباقر عليه السلام: «سلاح اللثام قبيح الكلام»^(١). وكان النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرون في سيرتهم مثلاً رائعاً في تزكية اللسان، وما سمع من الحسن بن علي عليه السلام كلمة فحش سوى قوله لعمر بن عثمان في خصومة «ليس له عندنا إلا ما أرغم أنفه»^(٢) فإن هذا أشد كلام سمع منه.

وكان الامام علي عليه السلام ينهى أصحابه من سب أهل الشام بالرغم من الحرب بينهم، قال عليه السلام: «كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتبرون، ولكن لو وصفتهم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لسبكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم إحقن دماءهم ودماءنا، وأصلح ذات بينهم وبيننا واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق منهم من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان منهم من لهج به، لكان أحب إليّ وخيراً لكم»^(٣).

وهذا درس عظيم من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مثل تلك الظروف الصعبة حيث يطلب الدعاء للعدو بالهداية بدل الدعاء عليه، وما أقدمه من خلق إسلامي رفيع. وقال الإمام الكاظم عليه السلام في رجلين يتسابان: «البادئ منهما أظلم، وزره ووزر صاحبه

(١) بحار الانوار ٧٨: ١٨٥، ح ١٤.

(٢) بحار الانوار ٤٣: ٣٥٨، ح ٣٦.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٨٥، الخطبة ٢٠٦.

عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم»^(١) ذلك أن السب لو تكرر من الإنسان بالنسبة إلى ما لا يعقل من الزمان كالأيام والأجرام السماوية فسوف يصبح ذلك عادة للإنسان فيستعمله فيمن يعقل، ويحصل الوبال عليه؛ إذ من الطبيعي أن يكون السب يجرّ سباً، والعداء يستتبع العداء وهكذا، وإلى ذلك يشير الكلام الإمام الصادق عليه السلام: «إنّه من سبّ أولياء الله فقد انتهك سب الله»^(٢) وإذا كان الاتهام خفيفاً ولا يتأثر به الإنسان الشريف حيث يعلم أن هذا الاتهام ناشئ من قلة الأدب، فلا بدّ فيه الموعظة والنصيحة، قال الصادق عليه السلام: «إذا قال الرجل: أنت خبيث فليس فيه حدّ، ولكن فيه موعظة وبعض العقوبة»^(٣).

أي العقوبة الأدبية، وقضى أمير المؤمنين عليه السلام في الهجاء التعزير، وقضى أيضاً في رجل دعا آخر: ابن المجنون، فقال له الآخر: أنت ابن المجنون. فأمر الأول أن يجلد صاحبه عشرين جلدة، وقال: اعلم أنه ستعقب مثلها، فلما جلده أعطوا المجلود السوط فجلده. نكالاً ينكل بهما»^(٤) وأقصى ما يتصور في الإساءة بالشريف الاتهام بالخيانة الزوجية والقذف وهواّتهم الإنسان بالزنا أو اللواط.

قال تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾^(٥). وما أشدّ عقوبة القاذف من الجلد وعدم قبول الشهادة أبداً ممّا يكون قاعاً لمادة هذه الجريمة الأخلاقية التي تسبّب تفكك الأسر وانعدام الخلق الكريم. قال تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعفوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾^(٦).

وكان للإمام الصادق عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه، فقال يوماً لغلامه: يا ابن الفاعلة. فرفع الإمام عليه السلام يده فصكّ بها وجه نفسه وقال: «تقذف أمّه؟! قد كنت أرى أن لك ورعاً، فإذا ليس لك ورع. فقال: جعلت فداك، أمّه سندیّة مشركة. فقال: أما علمت أن لكل أمة نكاحاً،

(١) شرح اصول الكافي ١٠: ١٦. (٢) الكافي ٨: ٧.

(٣) الكافي ٧: ٢٤١، ح ٦. (٤) التهذيب ١٠: ٨١، ح ٣١٩.

(٥) النور: ٤. (٦) النور: ٢٣.

فتنحَّ عني». ^(١) فلم يمش معه حتى فرَّق بينهما الموت. ^(٢)

في رحاب السُّنة:

١ - الرسول ﷺ: «الموبقات السبع: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتوليُّ يوم الزحف، وقذف المحصنات». ^(٣)

٢ - الرسول ﷺ: «لا تسبُّوا الناس فتكسبوا العداوة لهم». ^(٤)

٣ - الرسول ﷺ: «إن الله حرَّم الجنة على كلِّ فحَّاشٍ بذئٍ قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له». ^(٥)

٤ - الرسول ﷺ: «ما كان الحياء في شيء قط إلا زانه، ولا كان الفحش في شيء قط إلا شانه». ^(٦)

٥ - الصادق عليه السلام: «إن اللعنة إذا خرجت من فيِّ صاحبها ترددت، فإن وجدت مساعاً وإلا رجعت على صاحبها». ^(٧)

٦ - الصادق عليه السلام: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم: الديوث من الرجال، والفاحش المتفحش، الذي يسأل الناس وفي يده ظهر غنى». ^(٨)

٧ - ونهى الصادق عليه السلام أن يُقذف من ليس على الإسلام إلا أن يُطَّلَعَ على ذلك منهم. وقال عليه السلام: «أيسر ما فيه أن يكون كاذباً». ^(٩)

٨ - الرضا عليه السلام: «حرَّم الله قذف المحصنات لما فيه من فساد الأنساب، ونفي الولد، وإبطال المواريث، وترك التربية، وذهاب المعارف، وما فيه من المساوىء والعلل التي تؤدِّي إلى فساد الخلق». ^(١٠)

(٢) الكافي ٢: ٣٢٤، ح ٥.

(٤) الوسائل ١٢: ٢٩٧، ح ١٦٣٤٨.

(٦) روضة الواعظين: ٤٦٠.

(٨) الوسائل ٩: ٤٣٨، ح ١٢٤٣٣.

(١٠) من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٦٥، ح ٤٩٣٤.

(١) الكافي ٢: ٣٢٤، ح ٥.

(٣) الخصال: ٣٦٤، ح ٥٧.

(٥) الكافي ٢: ٣٢٣، ح ٣.

(٧) الكافي ٢: ٣٦٠، ح ٧.

(٩) النوادر: ١٥٣، ح ٣٩٢.

الحياء

والحياء يضادّ الفحش في الصفات، قال النبي ﷺ: «ما كان الفحش في شيء قط إلاّ شأنه ولا كان الحياء في شيء قط إلاّ زانه». فإنّ رعاية الأدب ومقابلة الإساءة بالإحسان ينزع من المعتدي روح البغضاء، ويكون سبباً مباشراً في المحبة والودّ، بينما (القذف والفحشاء) يزيد في العداة والبغضاء، فالحياء صفة حميدة من صفات الأنبياء والمرسلين وخلق كريم من أخلاق العباد والصالحين.

والحياء من الإيمان - كما في الحديث - لأنّه يمنع الإنسان من فعل ما يشين، ويدفعه إلى عمل ما يزين، فيبتعد عن القبيح والمنكر، ومن حرّم الحياء وقع في أحضان السوء ويعيش كلّاً على المجتمع ويتمنّى المجتمع الخلاص منه؛ إذ ليس له ضمير يمنعه من القبائح ويحول بينه وبين الشرور، فاللزام على كل إنسان أن لا يستعمل لسانه في المعصية وسوء الألفاظ كالسب والشتم من الكلمات النابية، ويتّصف (بالحياء) من الأفعال القبيحة كي يعيش سعيداً ويكون حميداً.

الرياء والإخلاص

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١)

الرياء هو التظاهر بالخير من دون حقيقة؛ لينال رضا الناس، وذلك بإتيان ما يدلّ عليه من الآثار التي يستدلّ بها على الخير، وقد شدّد الإسلام على الرياء بصفة عامة وفي العبادات بصفة خاصة، وأنكر ذلك بعبارات قاسية؛ لأن الرياء تفسد العبادة كذلك سائر الأعمال، فمن بنى بيتاً ليظهر للناس كماله لا يتهم طبعاً بحقيقة هذه الأوصاف، والبناء المتضعع الأساس خائر لا محالة مهما كان ظاهره متيناً متماسكاً.

لذلك أبطل الإسلام العبادة رياءً؛ لأنّ الأعمال بالنيّات. والعبادات إنما تتقوم بقصد القربة، بل المرائي في العبادة أسوأ حالاً من تارك العبادة حيث يعتبر هذا مستهزئاً بها.

سئل رسول الله ﷺ ما النجاة غداً؟ فقال ﷺ: «إنّما النجاة في أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنّه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الإيمان، ونفسه يخدع لو يعتبر. قيل له: كيف يخادع الله؟ قال: يعجل بما أمر الله ثم يريد غيره، فاتقوا الله في الرياء فإنّه الشرك بالله، إن المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا فاجر، يا كافر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له»^(٢).

وكذلك الشأن في أمور الدنيا فالذي يصرف أمواله على الناس للشهرة ويتظاهر بفاخر الثياب وأحدث السيّارات في حين أنّه أحوج إلى تأمين حاجاته الضرورية وتأمين المستقبل، وتفتقر عائلته، لا بدّ أن يقال لهذا الإنسان في المستقبل حيث الحاجة الملحة

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) أمالي الصدوق: ٦٧٧، ح ٩٢١.

إلى الحياة السعيدة: «يا خاسر حبط عملك وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممن منك تعمل له». وخذ اليوم نتيجة الرياء والاهمال والإسراف في مظاهر الدنيا الزائلة المختلفة باختلاف الزمان والمكان والافراد.

وفي نفس الوقت الذي يندد الإسلام بالإسراف يندد أيضاً بالذين يتحاشون الحلال قائلاً: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾^(١). ونهى عن السلوك في طريق التهمة وإن كان صحيحاً قائلاً: «رحم الله امرءاً جبّ الغيبة عن نفسه».

ومن هذا نعرف وجهة نظر الإسلام في (التصرف السلبي) وبتعبير أدق (الملازمة) وهو أن يتظاهر المطيع بالمعصية لغرض عدم اطلاع الناس على حقيقة حاله، على طرف النقيض من المرائي؛ فإن كلاهما طريقان للباطل، حيث أن الإسلام يأمر في أحكامه بالظاهر والباطن على حد سواء، كما في أحكام الحج والصلاة وخاصة الصلاة الجامعة والانفاق؛ إذ لا تكون الحياة سعيدة إلا بالموازنة بين الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾^(٢).

فالإنفاق بنص القرآن الكريم مطلوب شرعاً سرّاً وعلانية. وأما الرياء في الانفاق، فمعناه أن يبذل المال للفقير لالسّدّ حاجة الفقير كما هو المطلوب في الانفاق، بل لغرض سدّ حاجة نفسه وهي إظهار الغنى أو بيان فقر الفقير، فهذا هو الرياء الممقوت الذي يبطل الهدف من الانفاق، وهو:

١ - استخدام المال في سدّ حاجة الفقير.

٢ - وإغناء الفقير من السؤال.

٣ - وثواب الآخرة.

لأنَّ الله عالم بقصده الرياء فهو بنفسه فوّت ثواب الآخرة، والفقير يعلم أنَّ المال لم يبذل لانتقاده من هوّة الفقر، بل لغرض آخر وهو إظهار الاستعلاء، فإذاً لا يجد موجباً للمكافأة الحسنة، ولا لاستخدامه في إسعاد نفسه ولا سبباً للانقطاع من السؤال، بل يسعى للانتقام من الذين هدهم من الانفاق تحقير الفقير، وليس معنى ذلك أن يقتصر الانفاق على السرّ، ولقد قيل لرسول الله ﷺ: «إني أسر في العمل لأحبّ أن يطلع عليه أحد، فيطلع عليه فيسرّني، قال ﷺ: «لك أجران: أجر السر وأجر العلانية»^(١).

بل قد يستحسن إظهار المعروف في الاجهار بالخير فيما إذا كان ذلك سبباً لاقتداء الآخرين به - كما في كبار القوم - فيكون ممن سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة - كما في الحديث^(٢) - كما أن من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها وزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

والمقياس في اختبار النفس هو مراجعة محكمة الضمير ليعرف نفسه هل أنه (مخلص) أو (مرائي) يلاحظ مطابقة قوله لفعله و ظاهره لباطنه، بأن يعرض نفسه على العلامات الثلاث التي ذكرها الإمام علي عليه السلام قال: ثلاث علامات للمرائي:

١ - ينشط إذا رأى الناس.

٢ - ويكسل إذا كان وحده.

٣ - ويحبّ أن يحمد في جميع أموره»^(٣).

وما أدقّه من قياس، ويكفي لمن يريد الإقلاع عن هذه العادة الخبيثة التأمل بأن الباعث على الرياء هو طلب رضى الناس و حب المدح وخوف الذم وكما في الحديث: «رضى الناس غاية لا تدرك»^(٤) ومهما جدّ الإنسان في طلب رضاهم كان أبعد من رضاهم، والتظاهر ممّا لا واقع له سواء في الماديّات أو العبادات مهما كثرت صورته وفنونه؛

(١) بحار الانوار ٧٢: ٢٧٤. (٢) الكافي ٥: ٩، ح ١.

(٣) مستدرك الوسائل ١: ١١٤، ح ١٢٩. (٤) الحكمة الخالدة، لابن مسكويه: ١٠٨.

فإنّه لا يخفى على أهله وإن خفي على السذج لبضعة أيّام، وسوف يسجّل التاريخ ذلك كنقطة سوداء وهولا يرحم ولا يجمال، فإنّ الشعارات الفارغة والدعايات المظلمة مهما غرّت من جماعات فإنّها لا تغري أهل التحقيق، فإذا كان رضى الناس غاية لا تتال وما يرضى البعض يسخط الآخرين، فالأفضل أن يجتنب الإنسان الرياء ويؤدّي الواجب عليه مهما كانت الظروف والأحوال، ولا يضع قدمه إلّا في موضع ثابت؛ فإنّ للحق دولة وللباطل جولة.

في رحاب السُّنّة:

- ١ - الرسول ﷺ: «اجتنبوا الرياء فإنّه شرك بالله»^(١)
- ٢ - الرسول ﷺ: «أعظم الشقاء... رجل ترك الدنيا للدنيا، ففاته الدّنيا وخسر الآخرة، ورجل تعبّد واجتهد وصام رياءً للناس وذلك الذي حرّم لذات الدنيا من دنيا ولحقه التعب الذي لو كان به مخلصاً لاستحق ثوابه»^(٢)
- ٣ - سئل الباقر عليه السلام: عن الرجل يعمل شيء من الخير فيراه الإنسان فيسرّه ذلك، فقال عليه السلام: «لا بأس، ما من أحد إلّا وهو يحبّ أن يظهر له في النَّاس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك»^(٣)
- ٤ - الباقر عليه السلام: «الإبقاء على العمل أشد من العمل... يصل الرجل بصلة وينفق بنفقة لله وحده لا شريك له فيكتب له سرّاً، ثم يذكرها منه فتمحى وتكتب له علانية»^(٤) ثم يذكرها فتمحى وتكتب رياءً»^(٥)
- ٥ - الصادق عليه السلام: «من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له»^(٦)

(١) بحار الانوار ٧٢: ٢٩٥، ح ١٩. (٢) عدة الداعي: ٩٣.
(٣) الكافي ٢: ٩٧، ح ١٨. (٤) أي ثوابها.
(٥) الكافي ٢: ٢٩٦، ح ١٦. (٦) الكافي ٢: ٢٩٥، ح ٩.

٣٣٢ شرح الأربعين النبوية

٦- الصادق عليه السلام: «كلّ رياء شرك، إنّ من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله». (١)

٧- الصادق عليه السلام: «يقول الله عزّ وجلّ أنا خير شريك، من أشرك بي في عمله لن أقبله، إلّا ما كان لي خالصاً». (٢)

٨- الرضا عليه السلام: «اعملوا لغير رياء ولا سمعة؛ فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل... ما عمل أحد عملاً إلّا زاده الله (٣) إنّ خيراً فخيئراً وإن شراً فشرّاً». (٤) فإذا لم يكن في العمل إخلاص كانت النتيجة المتوخّاة بدون ثواب، فإن كان خيراً يكتب خيراً والعكس بالعكس، بخلاف الإخلاص فإن المخلص مثاب دائماً.

والإخلاص:

هو العمل مجرّداً عن الغش والخداع، على العكس من الرياء تماماً، وليس فيه تظاهر بل هو الواقع بعينه.

وعن الحواريين انهم قالوا لعيسى عليه السلام: ما الخالص من الاعمال؟ فقال: «ان تعمل لله، لا تحبّ أن تحمد عليه». (٥) أي لا تعبد هوى نفسك ولا تعبد الآ ربك وتستقيم في عبادتك كما أمرت، وذلك لأن أي عمل يقوم به الإنسان بدون إخلاص فيه لا قيمة له ولا وزن. قال تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص﴾ (٦)

والخطاب الموجه للنبي ﷺ إنّما هو باعتبار هه موجههاً وهادياً للأمة في الحياة، ويقرن سبحانه بين الإخلاص والعمل في قوله: ﴿وما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين

(١) الكافي ٢: ٢٩٣، ح ٣. (٢) مستدرك الوسائل ١: ١٠٠، ح ٨٧.

(٣) أقرّه عليه. (٤) الكافي ٢: ٢٩٤، ح ٥.

(٥) التحفة السنية: ٧٦ (مخطوط). (٦) الزمر: ٢ - ٣.

حنفاء و يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة»^(١)

فلا بد أن يستتبع الإخلاص العمل الروحي وهو الصلاة، والمادي وهو الزكاة، ولا ضير في أن يقارن الإخلاص السرور على العمل؛ فإن من الطبيعي أن يستر الإنسان من عمل الخير سواء كان من فعله أو من غيره؛ لأنه أولاً عمل خير، وثانياً عمل صدر منه. وهذا لا ينافي الإخلاص في شيء، بل هو سرور تابع من الإخلاص وليس رياء؛ لأنه ليس تظاهراً بالخير بل هو الخير نفسه، فالسرور من أجل فعل الخير سواء صدر من نفس الإنسان أو غيره أمر طبيعي كنتيجة للعمل.

قال الباقر عليه السلام: «ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك» أي فعل لأجل أن يظهر للناس فيكون رياءً.

ودرجة الإخلاص في الإسلام عظيمة، قال رسول الله ﷺ: «ما أخلص عبد الله عز وجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٢) وقالت فاطمة الزهراء بضعة النبي ﷺ: «من أصدق إلى الله خالص عبادته أهبط الله عز وجل إليه أفضل مصلحته»^(٣)

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً إلا زهده الله تعالى في الدنيا وبصره داؤها ودواؤها، وأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه»^(٤) فالإخلاص في نفسه عبادة لله تعالى، بل أفضلها كما قال الإمام الجواد عليه السلام: «أفضل العبادة الإخلاص»^(٥).

وهكذا نجد الإسلام يرفع شأن (الإخلاص) إذ هو روح العمل وقرين الثقة التي بها قوام الحياة على العكس من الرياء تماماً.

(١) البيهقي: ٥. (٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام: ١، ٧٤، ح ٣٢١.

(٣) بحار الانوار ٧: ٢٤٩ - ٢٥٠، ح ٢٥. (٤) الكافي ٢: ١٦، ح ٦.

(٥) عدة الداعي: ٢١٩.

العيب والحسد

عيب الناس ناشئاً من عيبٍ في النفس، وهو على الأغلب الحسد وسوء الظن والعجب والبخل وما شابهها من نقاط الضعف، والعيب هو كل ما يزيد أو ينقص عن الجرى الطبيعي كزيادة إصبع أو نقصانه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(١)
فقد أمر تعالى بالاجتناب عن هذه الصفات؛ لأن كل صفة منها مرتبطة بأخرى، إما سبباً لها أو نتيجة، فالظن منشأ الضعف، والتجسس عن العيب سببه الحسد ونحوه، والغيبة أساسها الجبن، وهذه الصفات الذميمة لا يرضاها الإنسان لنفسه فلا بد أن لا يرضاها لأخيه الإنسان.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة»^(٢) فويل لهؤلاء العيَّابون من غضب الله تعالى الذي يلحقهم في حياتهم أينما كانوا، وهم الخاسرون روحياً لرحمة الله، واجتماعياً لثقة الناس، وما أعظمها من خسارة.

في رحاب السُّنة:

١- الرسول ﷺ: «لا تَدْموا المسلمين ولا تتَّبِعُوا عوراتهم؛ فَإِنَّهُ مَن يَتَّبِعْ عَوَارِثَهُمْ تَتَّبِعْ

(٢) الكافي ٢: ٢٠٠، ح ٥.

(١) الحجرات: ١٢.

الله عورته، ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في بيته»^(١).

٢- الرسول ﷺ: «من مشى في عيب أخيه وكشف عورته كانت أولى خطوة خطاها وضعها في جهنم، وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق»^(٢).

٣- الرسول ﷺ: «من أذاع فاحشة كان كمبتديها، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتّى يركبه»^(٣).

٤- الامام علي عليه السلام: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»^(٤).

٥- الامام علي عليه السلام: «من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره... ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضىها لنفسه فذلك الأحق بعينه»^(٥).

٦- الامام علي عليه السلام: «الأشرار ينتغون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم كما يستتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح»^(٦).

٧- الامام علي عليه السلام: «أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله»^(٧).

٨- الامام علي عليه السلام: «جهل المرء بعيوبه من أكبر ذنوبه»^(٨).

٩- الامام الصادق عليه السلام: «أحبّ إخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي»^(٩).

١٠- الامام الصادق عليه السلام: «من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروّته ليسقط من أعين الناس، أخرج الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»^(١٠).

والحسد أكثر الأسباب الداعية إلى العيب، وقد يكون أيضاً ناشئاً من البخل والحرص.

والحسد مرض اجتماعي خطر متفش في المجتمع إلى حد كبير لا يجعل للحاسد راحة

ويتركه في شقاء لازم وعذاب نفسي دائم.

(١) الكافي ٢: ٣٥٤، ح ٢. (٢) ثواب الاعمال: ٢٨٨.

(٣) الوسائل ١٢: ٢٧٧، ح ١٦٢٩٦. (٤) نهج البلاغة ٢: ٩٦، الخطبة ١٧٦.

(٥) نهج البلاغة ٤: ٨١، الحكمة ٣٤٩. (٦) مستدرک سفينة البحار ٧: ٥٠٣.

(٧) الوسائل ١٥: ٢٩١، ح ٢٠٥٤٥. (٨) الارشاد: للمفيد ١: ٢٩٩.

(٩) الكافي ٢: ٣٦٩، ح ٥. (١٠) الكافي ٢: ٣٥٨، ح ١.

والحسد حرفة الإنسان العاجز الفاشل الذي لا يريد للآخرين سعادة حتى يكونوا فاشلين في الحياة مثله، ولو بذل هذا الجد - الذي يبذله في الوقيعة بين الناس - لغرض إصلاح نفسه بالكسب الشريف لحالفه النجاح في الحياة كما حالف غيره؛ فإن الإنسان مرهون بكسبه وعمله.

قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾. (١)

وإذا تصفّحنا التاريخ نجد الانحرافات تنبع من الحسد، وبدافع الحسد يقتترف الإنسان الجرائم ويتلوّث بدماء الأبرياء ولا يتورّع من المنكرات، إنّ حسد إبليس لآدم عليه السلام على رتبته حمله على عيبه قائلاً: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. (٢)

فترك السجود مخالفاً لأمر الله حسداً، والحسد هو الذي دفع قابيل لأنّ يقتل أخاه هابيل ظمناً وعدواناً، وإلى ذلك يشير الرسول ﷺ في قوله: «كاد الحسد أن يغلب القدر». (٣) وذلك أنّ الحسود يحاول كل جهده الاطاحة بالمحسود وحتى لو كان على ضرر نفسه، فيبذل المال ويصرف الوقت والنفوس، والله سبحانه يأمرنا بالاستعاذة من شرّ الحسود بقوله: ﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق و من شر غاسق إذا وقب و من شر النفاثات في العقد و من شر حاسد إذا حسد﴾ ونعم ما قيل: «الحسد جرح لا يبرأ». و«كل حاسد عدو نفسه وصديق عدوه».

وفي الحديث: «المؤمن يغط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغط». (٤)

ذلك أن الغبطة طلب النعمة لنفسه مثل الذي للآخرين، والحسد طلب زوال النعمة من الآخرين وثبوتها لنفسه، كما كان شأن الكفار الذين تبين لهم الحقّ، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

(١) النساء : ٣٢.

(٢) الأعراف : ١٢.

(٣) بحار الانوار ٣٤: ٧٢.

(٤) الكافي ٢: ٣٠٧، ح ٧.

لهم الحق»^(١)

وقد سمى الحسد الغلّ كما في قوله تعالى: ﴿والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالآيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاّ للذين آمنوا ربّنا إنّك رؤوف رحيم»^(٢)

في رحاب السُّنة:

- ١- الرسول ﷺ: «أقل الناس لذّة الحسود».^(٣)
- ٢- الرسول ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».^(٤)
- ٣- الرسول ﷺ: «ألا إنّ قد دبّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم، وهو الحسد، ليس بحالق الشعر لكنّه حالق الدين».^(٥)
- ٤- الامام علي عليه السلام: «صحة الجسد من قلّة الحسد».^(٦)
- ٥- الامام علي عليه السلام: «العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد».^(٧)
- ٦- الامام علي عليه السلام: «لله درّ الحسد حيث بدأ بصاحبه فقتله».^(٨)
- ٧- الامام الصادق عليه السلام: «الحاسد مضّر بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود».^(٩)
- ٨- الامام الصادق عليه السلام: «الحسد أصله من عوى القلب والجحود بفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا يتجو منه أبداً».^(١٠)
- ٩- الامام الصادق عليه السلام: «لا يطمعنّ الحسود في راحة القلب».^(١١)

(١) البقرة: ١٠٩.	(٢) الحشر: ١٠.
(٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٩٥.	(٤) كنز الفوائد: ٥٧.
(٥) الوسائل ١٥: ٣٦٨، ح ٢٠٧٦٨.	(٦) الوسائل ١٥: ٣٦٨، ح ٢٠٧٦٧.
(٧) نهج البلاغة ٤: ٥٠، الحكمة ٢٢٥.	(٨) بحار الانوار ٧٣: ٢٤١.
(٩) بحار الانوار ٧٣: ٢٥٥، ح ٣.	(١٠) مستدرک الوسائل ١٢: ١٨، ح ١٣٣٩٠.
(١١) الخصال: ٤٣٤.	

علاج الحسد:

قيل: إن هذا المرض الاجتماعي الخطير لا علاج له ؛ لأن الحسد فعل غير اختياري للنفس، وهو لا يكون مقدوراً للإنسان، ولكن هذا غير صحيح ؛ لأن إبقاء النفس على صفة الحسد حالة اختيارية؛ إذ من الضروريّات أنّ كل إنسان يتمكّن من تهذيب نفسه وسوقها إلى الصلاح أو الفساد، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١).

نعم هناك عوامل مترسّبة في طبيعة الإنسان بحيث تصبح عادة متأصلة وطبيعية ثانويّة، ولكن إرادة الإنسان فوق ذلك فيمكنه تغييرها مع طول الزمن، ولوتأمل الإنسان سوء العاقبة التي يحصل بسبب هذا المرض الاجتماعي لا تمتنع عنه من يومه، قال بعض الحكماء: «يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود: أو لاها: غمّ لا ينقطع، الثانية: مصيبة لا يؤجر عليها، الثالثة: مذمّة لا يحمد عليها. الرابعة: سخط الرب، الخامسة: يغلق عنه باب التوفيق، ولنعم ما قيل:

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

فالعلاج الوحيد للحسد هو التركيز على أداء الواجبات وترك المحرّمات والاشتغال بشؤون نفسه عن عيوب غيره، وأن يجعل كلام الرسول ﷺ نصب عينه: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». وأن يعمل بجّده وجهده للوصول إلى الأهداف الإنسانيّة في الحياة ؛ فإن الحسد لا ينفعه بل يضرّه في مقاصده، قال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً إنّ الله بما يعملون محيط﴾^(٢)

ولنعم ما قيل :

لا تشتغل بالغيب يوماً للردى فيضيع وقتك والزمان قصير

السخرية والمسؤولية

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١)

من الأدب الإسلامي ألاَّ يسخر إنسان من آخر مثله، فقد يكون ذاك أجلَّ قدرًا وأشرف، طاهر الضمير محبٌ للخير، داعية إلى الصلاح وإن لم ينبئ ظاهره عن ذلك. والسخرية هذه الصفة الخبيثة تتولد من عدم الشعور بالمسؤولية، وقد تتولد من الحسد فيحاول الحسود أن ينقص من قيمة الإنسان المتقدم في حياته، وأيسر ما يكون هو التركيز على نقاط الضعف التي فيه، وقد يكون في نفسه أكثر منها، ولو كان إنساناً شريفاً لَعَمِلَ على مقتضى شرفه وسعى في إسعاد الآخرين بدل السخرية منهم. والسخرية هي الاستهزاء والاستهانة بكرامة الإنسان بأية طريقة أفهمت، وركّز الإسلام على المسؤولية إيجابياً بالتحبيذ بالمعروف والدعوة إليه، وسلبياً بالانتهاء عن المنكر والنهي عنه .

ويشدد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتبارهما التزاماً بالمسؤولية في الحياة، فالمسؤولية ترافق الفرد المسلم حياته ويعتبر مسؤولاً أمام خالقه وأمام ضميره وأمام مجتمعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسْمُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

(٢) الإسراء: ٣٦.

(١) الحجرات: ١١.

(٣) النور: ٢٤.

٣٤٠ شرح الأربعين النبوية

ومسؤولية الإنسان أمام ربّه، هي الالتزام بالشرعية من عبادات وأخلاقيات ومعاملات؛ لأن أداء حق الله إنما هو إقرار بفضلِهِ علينا وشكر لنعمه التي لا تحصى .
ومسؤولية الإنسان أمام ضميره: بالمحافظة على حسن السلوك وتطهير ذاته من الصفات الرذيلة مثل التكبر ونية الشرّ والسخرية:

ومسؤولية الإنسان أمام مجتمعه: بتقديم الخير إلى المجتمع ودفع الشرور عن الوطن والمجتمع، وذلك إنما يكون في مرحلتين: أولاً: صنع المعروف، وثانياً: الدعوة إليه. وعلى العكس المنكر، وقد وجّه الإسلام توجيهات راقية للمرحلتين، وهما:
أولاً: صنع المعروف،، فقد قال الرسول ﷺ: «استتمام المعروف أفضل من ابتدائه».(١)

وقال الرسول ﷺ: «من سألكم بالله فأعطوه ومن أتاكم معروفاً فكافئوه».(٢)
وعن الحسن عليه السلام: «المعروف ما لم يتقدّمه مطل ولم يعقبه منّ، والبخل أن يرى الرجل ما أنفقته تلفاً وما أمسكه شرفاً».(٣)

وعن الباقر عليه السلام: «إن الله عزّ وجلّ جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبّ إليهم المعروف وحبّ إليهم فعالة، وأوجب على طالب المعروف الطلب إليهم ويسرّ عليهم قضاءه كما يسرّ الغيث إلى الأرض المجدة ليحييها ويحيي أهلها».(٤)

وعن الباقر عليه السلام أيضاً: «صنائع لمعروف تقي مصارع السوء، وكلّ معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة، وأول أهل الجنة دخولاً إلى الجنة أهل المعروف».(٥)

وعن الصادق عليه السلام: «إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمنٌ فيتّعظ، أو جاهل

(١) مستدرک الوسائل ٧: ٣٩، ح ٨١٣٣. (٢) الوسائل ١٦: ٣٠٧، ح ٢١٦.

(٣) مستدرک الوسائل ٧: ٢٣٨، ح ٨١٣٠. (٤) الزهد: ٣٢.

(٥) الوسائل ١٦: ٢٨٨، ح ١٥٦٦.

فيتعلّم...»^(١).

وعن الصادق عليه السلام أيضاً: «إذا أردت أن تعلم أشقى الرجل أم سعيد فانظر سيبه ومعروفه إلى من يصنعه، فإن كان يصنعه إلى من هو أهله فاعلم أنه إلى خير، وإن كان يصنعه إلى غير أهله فاعلم أنه ليس له عند الله خير»^(٢).

وعن الرضا عليه السلام: «اصطنع المعروف إلى أهله وإلى غير أهله، فإن كان أهله فهو أهله، وإن لم يكن أهله فانت أهله»^(٣).

وفي الحديث: «لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجلته هنأته، وإذا صغّرته عظّمته، وإذا سترته تمّمته»^(٤).

ثانياً: الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر، ولهما مراحل ثلاث:

١- بالوعي، وذلك بتنوير الفكر.

٢- بالقول، وذلك بالوعظ والإرشاد.

٣- بالفعل، وذلك بالمقاومة السلبية.

ففي الحديث: «من رأى منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٥).

ولكل واحد منها مراتب شديدة وخفيفة، والمشهور الترتيب فيها، ولا يأتي بالأشد إلا بعد إتمام الحجة بالمرتبة الخفيفة، ويسبق مراتب الأفكار كلّها: العمل قبل الدعوة إلى المعروف، فإن الدعوة لا تأتي ثمارها إلا بعد أن يكون الداعي عاملاً.

ويؤكد الإسلام على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية في عتق كل فرد مسلم «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته»^(٦) طبعاً ضمن شروط، أهمّها:

(١) الكافي ٥: ٦٠. (٢) الكافي ٤: ٣١، ح ١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٧٤، ح ٣١٧. (٤) خصائص الائمة: ١٠٠.

(٥) عوالي اللالي ١: ٤٣١، ح ١٢٨ و ١٢٩. (٦) كشف المحجة لثمره المهجة: ٣٩.

أولاً: العلم بالمعروف والمنكر .

ثانياً: احتمال التأثير .

ثالثاً: أن لا تترتب مفسدة أهم .

ووجوب هذا الواجب على كل فرد لا ينافي وجود جماعة خاصة تؤدي نفس الدور كما هو الحال بالنسبة إلى الشرطة، وقد طبّق الحكم الإسلامي نظام (الحسبة) في تاريخ طويل.

ومن المؤسف حقاً أن هذا الواجب العظيم قد أهمل وعُطِّل حتى عمّت المنكرات من دون رادع، واستهين بالمحرمات من دون وازع، ولا يحل محل الخوف من الله خوف أية سلطة أو نظام ؛ لذلك نجد بالرغم من قوّة الشرطة ونظامها كثرة الفحشاء والاجرام، فكان من الطبيعي أن يسودهما الأحقاد والأطماع والفساد، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيِرَ مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾^(١)

وفي الحديث: «إن بالأمر بالمعروف ويقام الفرائض، وتأمين المذاهب وتحلّ المكاسب، وتمنع المظالم، وتعمّر الأرض وينصف للمظلوم من الظالم، ولا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعنا منهم البركات، وسلّطنا بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السّماء»^(٢). وهكذا نجد الإسلام يعتبر المسؤولية فريضة اجتماعية على كلّ قادر على التوجيه حتى يهتدي المجتمع ويتخلّق بالعفة والنظام.

(٢) الوسائل ١٦: ٣، ح ١١٤٤.

(١) الرعد ١١.

الصبر

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. (١)

الصبر في الحياة طريق النصر وعلامة الفلاح، ومقرون بالنجاح في مختلف شؤون الحياة من العلم والصناعة والتجارة، ولولا صبر هؤلاء على تحمّل المصائب التي تقتضيها طبيعة العمل لما وصلوا إلى هدفهم السامي في الحياة.

قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. (٢)

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. (٣)

والإنسان لو لم يتحلّ بالصبر لوجب أن ينهار في حياته بسبب الكوارث والمصائب ولوجب أن يشقى في هذه الحياة، وفي الحديث عن الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام: «من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز». (٤)

وقد حدد رسول الله ﷺ منزلة الصبر في الإسلام في كلمة جامعة، فقال ﷺ: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» (٥) فعليه فلا إيمان لمن لا صبر له. وقد كرّر القرآن الصبر في أكثر من سبعين مورداً، والصبر إنما هو الثبات والاحتمال، قال نصير الدين الطوسي: «الصبر: حبس النفس عن الجزع عند المكروه، وهو يمنع الباطن من الاضطراب، واللسان عن الشكاية، والإعضاء عن الحركات غير المعتادة». (٦)

(٢) النحل: ٩٦.

(١) البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

(٤) الكافي ٢: ٩٣، ح ٤.

(٣) لقمان: ١٧.

(٦) انظر بحار الانوار ٦٨: ٦٨.

(٥) معاني الاخبار: ٣٦١.

فالصبر إذاً مقاومة هوى النفس وليس الاستسلام للمصيبة، فإنه ضعف وجبن، فلا يجوز الصبر على الجهل، لأنه مرض اجتماعي، وبالنتيجة مصيبة اجتماعية، بل يجب الكفاح بالتعليم، ولا يجوز الصبر على الظلم كذلك، بل يجب مكافحته، فالصبر هو التدرع لمكافحة الشر بأي وجه كان.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال: «يا جبرئيل فما تفسير الصبر؟ قال: تصبر في الضراء كما تصبر في السراء، وفي الفاقة كما تصبر في الغنى، وفي البلاء كما تصبر في العافية، فلا يشكو حاله عند المخلوق بما تصيبه من البلاء»^(١).

فالصبر إذاً ليس الاستسلام واليأس، بل هو قوة احتمالٍ أمام الحوادث فيكون الصابر بحيث لا يمكن أن تحطمه المغريات المادية مهما عظمت، فالصبر قوة وصلابة ضد مفاتن الدنيا، فبالصبر تقوى الارادة الإنسانية وتحصل الطمأنينة والوقاية من القلق النفسي والاضطراب والخوف والهلع، وما أوجنا إلى ذلك في الحياة. وطبيعى أن يكون للصبر درجات إذا تمسك بها الإنسان كاملة كان صورة حيّة للإنسان السعيد في حياته الشخصية والاجتماعية.

في رحاب السُّنة:

١- الرسول ﷺ: «الصَّبْرُ نصف الإيمان»^(٢).

٢- الرسول ﷺ: «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية»^(٣).

٣- الرسول ﷺ: «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له، ولا في إيمان لا صبر معه»^(٤).

(٢) مستدرك الوسائل: ٤٢٥، ح ٣٥٩.

(١) معاني الاخبار: ٣٦١.

(٤) نهج البلاغة ٤: ١٨، الحكمة ٨٢.

(٣) الكافي ٢: ٩١، ح ١٥.

- ٤- الامام علي عليه السلام: «ثلاث بهن يكمل المسلم: التفقه في الدين، والتقدير في المعيشة، والصبر على النوائب»^(١).
- ٥- الامام علي عليه السلام: «الصبر شجاعة والعجز آفة»^(٢).
- ٦- الامام علي عليه السلام: «الصبر يرغم الأعداء»^(٣).
- ٧- وقال عليه السلام: «بالصبر تدرك معالي الأمور»^(٤).
- ٨- الامام علي عليه السلام: «لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان»^(٥).
- ٩- الامام علي عليه السلام: «من ركب مركب الصبر اهتدى إلى ميدان النصر»^(٦).
- ١٠- الباقر عليه السلام: «الصبر الجميل صبر ليس فيه شكوى إلى الناس»^(٧).
- ١١- الباقر عليه السلام: «مروءة الصبر في حال الحاجة والفاقة والتعفف والغنى أكثر من مروءة الإعطاء»^(٨).
- ١٢- الصادق عليه السلام: «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كرهه، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحبّ أو كرهه إلا كان خيراً له»^(٩).
- ١٣- الصادق عليه السلام: «كم من صبر ساعة قد أورثت فرحاً طويلاً، وكم من لذة ساعة أورثت حزنًا طويلاً»^(١٠).
- ١٤- الصادق عليه السلام: «قد عجز من لم يعدّ لكلّ بلاء صبراً، ولكلّ نعمة شكراً ولكلّ عسر يسراً»^(١١).
- ١٥- الصادق عليه السلام: «عليك بالصبر في جميع أمورك، فإنّ الله بعث محمداً ﷺ فأمره

(١) الخصال: ١٢٤، ح ١٢٠.
 (٢) روضة الواعظين: ٤٢٢.
 (٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤.
 (٤) عيون الحكم والمواعظ: ١٨٨.
 (٥) نهج البلاغة: ٤، الحكمة ١٥٣.
 (٦) بحار الانوار ٧١: ٩٦، ح ٦١.
 (٧) الكافي ٣: ٩٣، ح ٣.
 (٨) الكافي ٢: ٩٣، ح ٢.
 (٩) الكافي ٢: ٦٠، ح ١.
 (١٠) مستدرك الوسائل ١١: ٢٩٣، ح ١٢٩٤٢.
 (١١) التمهيد: ٦٠، ح ١٢٧.

٣٤٦ شرح الأربعين النبوية

بالصبر والرفق. فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(١).

١٦- الصادق عليه السلام: «الصبر يعقب خيراً فاصبروا تظفروا، وواظبوا على الصبر تؤجروا»^(٢).

١٧- الكاظم عليه السلام: «الصبر عند البلاء أفضل من الغفلة عند الرّخاء»^(٣).

والجزع: على العكس من صفات الصبر، قال عليه السلام: «الجزع عند البلاء تمام المحنة»^(٤). وقال الإمام علي عليه السلام: «من لم ينجبه الصبر أهلكه الجزع»^(٥).
وقال عليه السلام: «المصيبة واحدة، وإن جزعت كانت اثنتين»^(٦).

وقال الصادق عليه السلام: «الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة»^(٧).

ويكفي الجازع عظة، التفكر فيما للصبر من المدح وللجزع من الذم في الدنيا والآخرة، فقد بشر الله الصابرين أموراً ثلاثة، هي: الصلوات من الله والرحمة والهداية^(٨). وما أعظمها من فضائل؟ ومن الثابت أن المصائب الدنيوية قصيرة.

وما من إنسان إلا ويعتريه أمثالها، وهناك من هو مبتلى بأشد منها، فالشهادة أن يكون الإنسان أرسخ وأثبت من هزّ العواطف،

ونعم ما في ديوان الإمام عليه السلام:

للسّبر عاقبة محمودة الأثر	إني وجدت وفي الأيام تجربة
فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر	وقلّ من جد في أمرٍ يطالبه

(١) الكافي ٢: ٨٨، والآية من سورة المزمل: ١٠.

(٢) الكافي ٢: ٨٩، ح ٦. (٣) التمهيد: ٥.

(٤) مطلوب كل طالب: ٨، شرح مئة كلمة: ١٤٣.

(٥) نهج البلاغة ٤: ٤٣، الحكمة ١٨٩. (٦) عيون الحكم والمواعظ: ٢٦.

(٧) الوسائل ٢: ٤٢٧، ح ٣٦٩. (٨) كما ورد في سورة البقرة: ١٥٥.

الشكر والكفران

قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾^(١)

الإسلام يطالب الإنسان أن ينظر إلى الحياة على حقيقتها ولا يلهيه الحاضر عن المستقبل، ولا تخدعه المظاهر الخلّابة، ولا تغرّه الزينة الظاهرة، ذلك أنه لا يعيش في الدنيا حيواناً همّه علفه، يغرق في الشهوات والملذات، فنعم الدنيا التي لا تحصى مما تفضلّ بها الله علينا ولا ينبغي أن نقصر أنفسنا على الانتفاع منها وإهمال ما زاد عن حاجتنا كالبهائم والحيوانات التي تستغني عما زاد على مأكلها، بل إنّ للإنسان أهداف عليا تمنعه عن الإسراف والكفران، وتوجب عليه الشكر والعرفان، وأن يلتزم حين استمتاعه بنعم الحياة بالاعتدال فلا يظلم نفسه بتناول المحرّمات، ولا يخرج إلى حد الإسراف، ولا يصل إلى حد التقتير، بل يكون وسطاً بين ذلك. قال تعالى: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾^(٢)

وقال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾^(٣)

والحد الوسط هو عرفان النعمة والشكر عليها، والشكر تارة يكون بالعبادة كما في (سجدة الشكر) والتلفظ بالشكر، وقد قالت عائشة للرسول ﷺ: «لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال ﷺ: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً»^(٤)

وقد يكون بالعمل بالتقدير وعدم الإسراف واعطاء الحقوق الشرعية وإكرام الفقراء

(١) الأعراف: ٣١.

(١) إبراهيم: ٧.

(٤) الكافي ٢: ٩٥، ح ٦.

(٣) الإسراء: ٢٩.

٢٤٨ شرح الأربعين النبوية

والمساكين مما فيه خير الدنيا وثواب الآخرة. ويؤكد القرآن الكريم على أن فائدة الشكر ترجع إلى نفس الشاكر وذلك بحصول اطمئنان القلب وسكون النفس، فقد قال تعالى: ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني كريم﴾^(١).

وعن حدّ الشكر يقول الرسول ﷺ: «خصلتان من كانتا فيه كان عند الله شاكراً صابراً: من نظر في دينه إلى من فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فشكر الله، فإن نظر في دنياه إلى من فوقه فأسف على ما فاتته لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً» وقال الصادق عليه السلام في حدّه: «يحمد الله على كلّ نعمة عليه في أهل ومال، وإن كان فيما أنعم الله عليه في ماله حق أداه»^(٢).

في رحاب السنّة:

١- الرسول ﷺ: «أربع من كن فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنباً بدّلها إلى حسنات: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر»^(٣).

٢- الامام علي عليه السلام: «ما كان الله سبحانه ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب المزيد»^(٤).

٣- السّجاد عليه السلام: «إن الله يحبّ كلّ عبد شكور»^(٥).

٤- السّجاد عليه السلام: «أشكركم الله أشكركم للناس»^(٦).

٥- الباقر عليه السلام: «لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العباد»^(٧).

٦- الصادق عليه السلام: «شكر النعمة إجتنب المحارم، وتمام الشكر قول: الحمد لله رب

(١) النمل: ٤٠.

(٢) الكافي ٢: ٩٦، ح ١٢.

(٣) الكافي ٢: ١٠٧، ح ٧.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٢.

(٥) الكافي ٢: ٩٩، ح ٣٠.

(٦) الوسائل ١٦: ٣١٠، ح ٦، ١٦.

(٧) تحف العقول: ٤٥٧.

العالمين».(١)

٧- الصادق عليه السلام: «من احتمل الجفاء لم يشكر النعمة».(٢)

٨- الصادق عليه السلام: «طوبى لمن لم يبدل نعمة الله كفوفاً».(٣)

٩- الصادق عليه السلام: «اشكر من أنعم عليك، وانعم على من شكر؛ فإنه لازوال للنعماء إذا شُكرت، ولا بقاء إذا كُفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير».(٤)

١٠- الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً».(٥)

١١- الكاظم عليه السلام: «من حمد الله على النعمة فقد شكره، وكان الحمد أفضل من تلك النعمة».(٦)

١٢- الرضا عليه السلام: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل».(٧)

١٣- الجواد عليه السلام: «نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر».(٨)

وحيث أنه «ليس للإنسان إلا ما سعى»^(٩) فبتفاوت السعي تتفاوت درجات النعمة، وتتفاوت أيضاً درجات الشكر، كنعمة الحياة التي وهبها الله للبشر كافة من فقير وغني وسلطان، وكنعمة الهواء والماء والعقل والإرادة والسلامة، فإنها نعم دائمة للبشر ولو اختلف شيء منها لاختلفت الحياة.

(١) الكافي ٢: ٩٥، ح ١. (٢) الخصال ١١: ٣٧، ح ٣٧.

(٣) مستدرك الوسائل ١٢: ٣٥٢، ح ١٣٢٣٥.

(٤) الكافي ٢: ٩٤، ح ٣. (٥) أمالي الصدوق: ٣٧٩، ح ٤٧٩.

(٦) مستدرك الوسائل ٥: ٣١٢، ح ٥٩٥٣. (٧) عيون اجبار الرضا عليه السلام ١: ٣٧، ح ٢.

(٨) عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٧. (٩) النجم: ٣٩.

القنوط والأمل

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. (١)

الإسلام يهتم بتطهير النفس البشرية عن جميع الخواطر والأخلاق النفسية الذميمة، ومنها: اليأس من رحمة الله، كما يرشد إلى العمل والمثابرة وعدم العيش بالاتكال، فهما صفتان متقابلان يحارب الإسلام كلا منهما بالاستقلال، فهو إذ يقول: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢) يقول أيضاً: ﴿وَلْيَئِيسَىٰ فَارْهَبُون﴾. (٣)

بل يسعى الإسلام بتشريعاته وتوصياته تربية الإنسان على حالة متوسطة بينهما: بين الخوف والرجاء.

والرجاء: يعني الاتكال على رحمة الله. والخوف: يعني اليأس عن رحمة الله، ولا شك أن الله هو «الرحمن الرحيم»، و«وسعت رحمته كل شيء» لكنه «أرحم الراحمين» في موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة.

فالحالتان ممقوتتان في نظر الإسلام والحالة الوسطى بين الحالتين هي ما توجبه التربية الإنسانية، فإن الله سبحانه مع الاتكال على رحمته يفرض واجبات يجب على الكل أدائها، في حين أنه لا يفتقر إلى شيء منها، وفرض على من أخل بها العقوبات. وكذلك منع اليأس من رحمته وفتح (باب التوبة) على مصراعيه لكل من أراد

(٢) يوسف ٨٧.

(١) الزمر: ٥٣.

(٣) البقرة: ٤٠.

الاستقامة في الحياة، لئلا يحصل اليأس إذا حصلت له زلّة وكثيراً ما تعرض، فإن الإنسان إذا نظر إلى ذنوبه فزع، وكاد أن تؤدي به إلى اليأس، وإذا نظر إلى رحمة الله طمع وكاد أن يؤدي به إلى الرجاء، ولكن الله تعالى فرض علينا واجبات والتزامات وجعل لمن انحرف بسبب من الأسباب طريق العودة بالتوبة والمغفرة.

وأما الرضا بالقضاء، فهو قناعة الإنسان بأنّ ما يحدث من دون إرادته من الحوادث خيراً كان أو شراً هو واقع لا محالة، فلا يفرح إن كان خيراً ولا يجزع إن كان شراً، قال تعالى: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾^(١).

لأنّ رحمة الله عمّت الكون، وقد جاءت مادة الرحمة صفة لله في آيات كثيرة نحو أكثر من ثلاثمائة آية في القرآن الكريم، كما وصف الله رحمته بالسعة والشمول التي شملت كل شيء في قوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتّقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾^(٢).

فالثقة بالله تعالى لا تجتمع مع القنوط، وإنّما مع الخوف من عقاب الله تعالى .

والخوف:

ليس الخوف من الله خوف الجبان، ولكنه خوف المحب المطيع الذي يحس وهو في حرية تامة سلطة الله الرحيم وسلطة العطف والحنان والمحبة، فهو شعور براحة النفس وإيمان بسكون القلب. وقد جاء التأكيد عليه في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة كالخشية والرغبة والوجل، وقد يفرق بينهما بفروق جزئية كالهرب من المكروه والفرع واستشعار الخوف النابع من الإيمان بالعقاب العادل والرحمة الواسعة كما قال تعالى: ﴿وبشّر

(٢) الأعراف: ١٥٦.

(١) الحجر: ٥٦.

وممّا رزقنا هم ينفقون»^(١).

فقد ذكر سبحانه أربعة أوصاف متلازمة:

١- الوجل عند ذكر الله .

٢- الصبر عند المصيبة .

٣- إقامة الصلاة .

٤- الانفاق ممّا رزق الله .

فالخوف من الله هو الخوف من الرحيم العادل، وهو يلزم الصفات المذكورة والتي تجمعها العبادة الروحية كالصلاة، والعبادة المادية كالانفاق.

في رحاب السُّنة:

١- الرسول ﷺ: «والذي لا إله إلا هو ما أعطى مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له، حسن خلقه، والكف عن اغتياب المؤمنين»^(٢).

٢- الرسول ﷺ: «يبعث الله المقنطين يوم القيامة مغلّسة وجوههم يعنى قد على السواد على البياضهم فيقال لهم: هؤلاء المقنطون من رحمة الله»^(٣).

٣- الرسول ﷺ: «إن حسن الظن بالله من حسن العبادة»^(٤).

٤- الامام علي عليه السلام: «خف الله خوفاً ترى انك إن أتيت به بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها»^(٥).

٥- الامام علي عليه السلام: «لا تأمن على خير هذه الأمة عذاب الله لقوله: ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾»^(٦).

(٢) الكافي ٢: ٧٢.

(١) الحج: ٣٥.

(٤) مستدرک الوسائل ١١: ٢٥٢، ح ١٢٩٠٨.

(٣) الامامة والتبصرة: ١٧٦.

(٦) نهج البلاغة ٤: ٩٠، الحكمة ٣٧٧.

(٥) امالي الصدوق: ٧٦٦، ح ١٣١.

٦ - الحسن عليه السلام: «أنا الضامن لمن لم يهجم قلبه إلا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له». (١)

٧ - السجاد عليه السلام: «يأسك من رحمة الله أشد خوفاً مني عليك مما أتيت». (٢)

٨ - الصادق عليه السلام: «أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله». (٣)

٩ - الصادق عليه السلام: «خف الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، وإن كنت لا تدري أنه يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم استترت المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته أهون الناظرين إليك». (٤)

١٠ - الصادق عليه السلام: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجباً، ولا يكون خائفاً راجباً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو». (٥)

١١ - الصادق عليه السلام: «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كرهه، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره إلا كان خيراً له فيما أحب أو كره». (٦)

وهكذا يكون المسلم يرجو ويخاف، يرجو رجاء لا يؤدي به إلى التهرب من المسؤولية، ويخاف خوفاً لا يؤدي به إلى الانتحار؛ لأنّ كلا من الخوف والرجاء بالاستقلال يتولد من عدم الثقة بقدرة الله التي وسعت رحمته كل شيء.

(٢) الكافي ٧: ٩٦، ح ٣.

(٤) فقه الرضا عليه السلام: ٣٨٢.

(٦) الكافي ٢: ٧١، ح ١١.

(١) الكافي ٢: ٦، ح ١١.

(٣) فقه الرضا عليه السلام: ٣٥٩.

(٥) الكافي ٢: ٦٠، ح ١.

التوبة والاستغفار

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِالصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. ^(١)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. ^(٢)

التوبة هي تطهير الضمير الإنساني والعودة إلى طريق الصلاح بعد الانزلاق، وإصلاح الخطأ بعد الانحراف، وليست في التوبة أية قيود زمنية أو مادية، بل هي صلة مباشرة بين العبد وخالقه بالندم على ما مضى من الذنوب الكبائر والصغائر والامتناع عنها في المستقبل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ ^(٣)

وأما الكبائر فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم مرتان، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾. ^(٤)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ ^(٥)

واختلف العلماء والمفسرون في مفهوم الكبائر على أقوال، ولعل أوفقها: أن الكبائر هي الذنوب التي توعد الله عليها العقوبة الشديدة كالسرقة.

والفواحش: هي نوع من الكبائر التي تعتبر فاحشة كالزنا.

واللمم: الذنوب الصغيرة التي لم يذكر القرآن عليها عقوبة شديدة كالنظر إلى الأجنبية بريئة.

والله سبحانه فتح باب التوبة على مصراعيه أمام العصاة والمذنبين ليصلح نفسه بنفسه

(٢) البقرة: ٢٢٢.

(١) التوبة: ١٠٤.

(٤) النساء: ٣١.

(٣) التحريم: ٨.

(٥) النجم: ٣٢.

كلّ من أراد لنفسه الخير والسعادة والصلاح من دون وساطة أي إنسان مهما كان تقياً.
فالذنب حجاب بين العبد وربّه، ولا يرتفع هذا الحجاب إلّا أن تحرقه نار الندم
والحسرة من قلب التائب ليعقبه نور العفو والرحمة من الله، وليس هناك ذنب أو خطأ
لا تشمل التوبة إلّا الشرك بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ
لِمَنْ يَشَاءُ﴾. (١)

ومهما بلغ عظم الذنب فإن الله يغفره إذا كان العبد صادقاً في توبته، والتعليق على
المشيئة أمر ثابت، فكما أن الله لن يغفر الشرك كذلك لن يشاء قبول التوبة إلّا أن تصدر
التوبة عن الواقع. وهذا أمر يعمّ الكبيرة والصغيرة على حدّ سواء ويظهر اهتمام القرآن
بالتوبة إنها ذكرت في القرآن الكريم أكثر من ثمانين موضعاً.

والتوبة معناها الندم على المعصية والرجوع عنها بالاستغفار، إذ الاستغفار يستلزم
التوبة حقيقة، وهي - بعد تحقّق شروطها - تستلزم من الله القبول والغفران كما قال
تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾. (٢)

وقال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾. (٣)

وفي الصحيفة السجادية المناجاة الأولى: «إلهي إن كان الندم من الذنوب توبة إليك
فإنّي أندم النادمين، وإن يكن الاستغفار حطّة للذنوب فإنّي لك من المستغفرين». (٤)
وذكر القرآن الكريم على أن المذنب يظلم نفسه بارتكاب المعصية، وبالنتيجة يكون
التائب مصلحاً لنفسه ومنقذاً لها من الهلكة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾. (٥)
وقال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظِلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾. (٦)

(٢) هود: ٣.

(١) النساء: ٤٨.

(٤) الصحيفة السجادية: الدعاء الاول.

(٣) نوح: ١٠.

(٦) المائدة: ٣٩.

(٥) النساء: ١١٠.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.^(١)

وطبيعي أن تختلف التوبة باختلاف المعاصي، فبالنسبة إلى حق الله تعتبر التوبة الندم من فعل القبيح كشرب الخمر، وبالنسبة إلى حق النفس العلم والعمل وحفظ الصحة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.^(٢) ولا فرق في الهلاك بين الجهل والبطالة والمرض.

وبالنسبة إلى حق الغير (التربية) للأولاد و(حسن السيرة) للأهل، وأداء الحقوق كالدين للمستحقين، ودفع الصدقات كالزكاة للفقراء والمساكين، وأداء الواجب بالنسبة إلى النفس والمجتمع والوطن، وقد جمعها كلام الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام: «الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه، وهو أول درجة الصابرين وترك الذنب، والاستغفار اسم واقع لمعان ستة :

أولها: الندم على ما مضى .

والثاني: العزم على ترك العود أبداً .

والثالث: أن تؤدّي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم .

والرابع: أن تؤدّي حق الله في كل فرض .

والخامس: أن تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام حتى يرجع الجلد إلى عظمه ثم ينشأ فيما بينهما لحماً جديداً .

والسادس: أن تذيب البدن ألم الطاعات كما أذقته لذات المعاصي».^(٣)

وقال رسول الله ﷺ: «إذا تاب العبد ولم يرض الخصماء فليس بتائب.

ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب.

ومن تاب ولم يغيّر لباسه فليس بتائب.

(١) النحل: ١١٩. (٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) تحف العقول: ١٩٧، وانظر نهج البلاغة ٤: ٩٧، الحكمة ٤١٧.

ومن تاب ولم يغيّر رفقاءه فليس بتائب.
 ومن تاب ولم يفتح قلبه ولم يوسع كفه فليس بتائب.
 ومن تاب ولم يقصر أمله ولم يحفظ لسانه فليس بتائب.
 ومن تاب ولم يقدّم فضل قوته من بدنه فليس بتائب.
 وإذا استقام على هذه الخصال فذلك التائب»^(١)
 ورويت أحاديث كثيرة تفيد أن السيئة تؤجل فيها إلى مقدار من الزمان على أمل أن يعود المذنب إلى رشده، قال رسول الله ﷺ: «يَهْمُ الْعَبْدُ بِالسَّيِّئَةِ أَنْ يَعْمَلَهَا، فَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْمَلَهَا لَمْ يَكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ هُوَ عَمَلَهَا أُجِّلَ سَبْعَ سَاعَاتٍ»^(٢)
 وخاصة بالنسبة إلى بلوغ الأربعين، فقد ورد «أن العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة، فإذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عزّ وجلّ إلى مكليه: قد عمّرت عبدي هذا فغلّظا وشدّدا وتحفّظا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره كبيره، وينبغي لصاحب الخمسين أن يكون كمن كان في النزع»^(٣)

التوبة النصوح:

هي التوبة الخالصة التي لا يعاد بعدها الذنب، وقد يكون من النصح بمعنى إزالة الأدران كما يقال: «نصح الغيث البلد» فالتوبة كالمطر يغسل التائب من أدران المعاصي وآثار الذنوب، وقال الصادق عليه السلام: «رحم الله عبداً تاب إلى الله قبل الموت، فإن التوبة مطهّرة من دنس الخطيئة ومنقذ من شقاء الهلكة»^(٤)
 وقال الصادق عليه السلام: «توبة النصوح: أن يكون باطن الرجل كظاهره وأفضل» ويستلزم ذلك أن لا يعود إلى الذنب أبداً.

(١) مستدرك الوسائل ١٢: ١٣١، ح ٩، ١٣٧٠.

(٢) الكافي: ٤٢٠. (٣) الخصال: ٥٤٥، ح ٣.

(٤) مستدرك الوسائل ١٢: ١٢٥، ح ١٣٦٩١.

٣٥٨ شرح الأربعين النبوية

وحيث أن التوبة ندم على المعصية فتجب التوبة ؛ فإن الندم على القبيح واجب على كل حال ومن جميع المعاصي والقبائح، قال أبو جعفر الثاني عليه السلام: «تأخير التوبة اغترار»^(١).

والإصرار على الذنب أمن من مكر الله، ولا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون^(٢). لذلك لا تصح توبة المعاينة وهو عند حضور الموت كما قال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حصر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾^(٣).

في رحاب السنة:

- ١- الرسول ﷺ: «التائب حبيب الله»^(٤).
- ٢- الرسول ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(٥).
- ٣- الرسول ﷺ: «لكلّ داء دواء، ودواء الذنوب الاستغفار»^(٦).
- ٤- الرسول ﷺ: «يلزم الحق لأمتي في أربع: يحبون التائب، ويرحمون الضعيف، ويعينون المحسن، ويستغفرون للمذنب»^(٧).
- ٥- الرسول ﷺ: «إنّ تاب قبل موته بسنة قيلَ الله توبته، ثم قال: إن السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر قيلَ الله توبته، ثم قال: إن الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قيلَ الله توبته، ثم قال: إن الجمعة لكثيرة، من تاب قبل موته بيوم قيلَ الله توبته، ثم قال: إن يوماً لكثير، من تاب قبل أن يعاين قيلَ الله توبته»^(٨).

(١) تحف العقول: ٤٥٦. (٢) كماورد في سورة الاعراف، الآية ٩٩.

(٣) النساء: ١٦.

(٤) لقوله تعالى: ﴿ان الله يحبّ التوابين﴾، البقرة: ٢٢٢.

(٥) الوسائل ١٦: ٧٤، ح ١٠١٩. (٦) ثواب الاعمال: ١٦٤.

(٧) الخصال: ٣٩، ح ٨٨. (٨) الكافي ٢: ٤٤٠، ح ٣.

٦- وكان ﷺ يستغفر كلَّ يوم سبعين مرة، وكان لا يقوم من مجلس - وإن خفَّ - حتَّى يستغفر الله خمساً وعشرين مرَّة. (١)

٧- وقال علي عليه السلام: «العجب ممَّن يقنط ومعه الممحة، قبل وما الممحة؟ قال الاستغفار». (٢)

٨- علي عليه السلام: «لا شفيح أنجح من التوبة». (٣)

٩- علي عليه السلام: «ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة، وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً». (٤)

١٠- الباقر عليه السلام: «كفى بالندم توبة». (٥)

١١- الصادق عليه السلام: «اتَّقوا المحقَّرات من الذنوب فإنها لا تغفر». (٦) ووورد في بيان معناه: أن يقول المذنب: طوبى لي إن لم يكن لي غير هذا الذنب.

١٢- الصادق عليه السلام: «التوبة حبل الله ومدد عناية، ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كلِّ حال». (٧) يقول العرفاء: كل فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر، وتوبة الأصفياء من التنفس، وتوبة الأولياء من تلوّن الخطرات، وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله، وتوبة العام من الذنوب، ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره.

(١) الكافي ٢: ٥٠٤، ح ٤. (٢) الوسائل ٧: ١٧٧، ح ٩٠٥٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٧٤، ح ٤٩٦٥. (٤) الكافي ٣: ٤٥١، ح ١.

(٥) الكافي ٢: ٤٢٦، ح ١. (٦) انضر: الكافي ٢: ٢٨٧، ح ١.

(٧) مستدرك الوسائل ١٢: ١٣١، ح ١٣٧١١.

الوعد والوعيد

الوعد هو حقّ العباد على الله بوفاء ما وعد من الثواب على الأعمال الصالحة. والوعيد: هو حقّ الله على العباد بتنفيذ ما أوعد من العقاب على المعاصي، وكانت هذه المسألة مثار جدال عنيف في الفكر الإسلامي، قالت المعتزلة والخوارج بأن الله لا بدّ أن يخلف فيهما ما وعد عليه بأن يثيب المطيع ويعاقب العاصي الذي ارتكب كبيرة ومات بلا توبة، فلا يجوز لله تعالى العفو عن المعصية؛ لأنه مقتضى الأمر والنهي.

ومذهب أهل البيت عليهم السلام: أنّ الوفاء من الله حق على الله تعالى بمقتضى الأمر والنهي ولكن يجوز لله تعالى خاصة (العفو) شأن كلّ صاحب حق، من غير إنكار للأمر ولا للنهي، فإن لصاحب الحق إسقاط حقه لسبب من الأسباب الداعية لذلك كالشفاعة، ونعم ما قاله السري الموصلي:

إذا وعد السّراء أنجز وعده وإن أوعد الضّرّاء فالعفو مانعه

وهكذا نجد الإسلام قد فتح باب التوبة - على مصراعيه - لانتقاذ البشر من المزالق والمهالك بين الإنسان وربّه من دون أيّة وساطة أو شروط غير ما تقتضيه التوبة نفسها، فالتوبة طريق العودة إلى الرشد لتكوين التائب من جديد عضواً صالحاً في المجتمع.

قال تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾^(١).

الجبر والاختيار والقضاء والقدر

الإنسان يمرّ في حياته منذ تكوّنه إلى وفاته بمراحل كثيرة، يكون بعضها طوع إرادته وبعضها خارجاً عن إرادته بتأثير المحيط والبيئة أو الطبيعة أو الآداب والعادات، ومن هنا نشأت أفكار متناقضة حادّة بحثتها المدارس الفكرية المختلفة ودرسها القانون باعتبار العقوبات المفروضة على المختار وغير المختار، سواء كان تحت تأثير الطبيعة أو الجنون أو ما شابه، ودرسها المدارس الفلسفية نظرياً كما درستها الأديان، لأنّها ترتبط ارتباطاً مباشراً في علاقه الإنسان بربه. والبحث فيها - اليوم - بحث قائم برأسه يلمح إلى ما يقصده الحديث الشريف، ولا بدّ قبل الدخول في البحث أن نلّم بالمصطلحات التالية:

- ١- الجبر: حالة اللا اختيار الحاصلة بتأثير قوّة عليا من الطبيعة أو العادة أو غيرها.
- ٢- الاختيار: الحرية الموجودة لكل انسان بالفطرة.
- ٣- القضاء: الحالات الاستثنائية التي لا يعلم بها سوى الله كالأجل والوفاة.
- ٤- القدر: الحالات المقدّرة على حصول أسبابها الداعية إليها.

الجبر والاختيار:

توجد في الإنسان حالتان متناقضتان حالة اللا اختيار قبل الرشد في مراحل التكوين من الرضاعة فالطفولة، فليست له أية إرادة أو حرية، وبعد الرشد والتميز تحصل له القدرة والإرادة والاختيار، وهذا التناقض بين الحالتين دعا فرقة (الأشاعرة) إلى القول بالجبر وأنّ الإنسان مسير في حياته بدون إرادة من نفسه، ودعا فرقة (المعتزلة) إلى القول بالاختيار وأنّ الله خلق الإنسان وفوض إليه أمر نفسه، ولا إرادة فوق إرادته، ويبرهن كلّ

٣٦٢ شرح الأربعين النبوية

منهما على مذهبه بالأدلة، ومن الواضح الجلي التناقض بين المذهبيين لوضوح التناقض بين القول بأن الله هو القوة المطلقة والقول بأن الإنسان هو القوة المطلقة، والآيات القرآنية يستفاد منها ما يؤيد المذهبيين؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

وكذا قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾^(٢).

وقوله: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٣).

وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٤).

فالنصوص القرآنية - مع قطع النظر عن الحديث - كادت تكون متكافئة في استناد المذهبيين: مذهب الجبر وأن الإنسان مجبور كالريشة المعلقة في الهواء وتمثله الأشاعرة، ومذهب التفويض وأن الإنسان هو الفاعل لما يشاء وتمثله المعتزلة.

وأما مذهب الشيعة الإمامية فهو المذهب الوحيد الذي سلك طريقاً وسطاً بين القولين؛ ذلك أن الله خلق الإنسان وأكرمه بالعقل والعلم القدرة، فهو بالعقل يدرك مفاهيم الخير والحق وكذلك الشر والباطل، ثم هو بقدرته التي وهبها الله يأتي بأحدهما فإذا: (لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين ومنزلة بين المنزلتين) كما هو المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام، فمن حيث أنه صاحب القدرة فالفعل منتسب إليه بالمباشرة، ومن حيث أن يوجه قدرته إلى الخير أو إلى الشر، فيعتبر هو مباشراً حيث وجهها، وهذا يعني الإيمان بقدرة الله تعالى الذي على كل شيء قدير، في حين أن التفويض يستلزم عجزه سبحانه، والجبر يستلزم الظلم سبحانه وتعالى عما يصفون.

وهذه المنزلة المتوسطة هي ما يشعر الإنسان بها في نفسه إذ يقوم بالأفعال بمحض اختياره بالوجدان.

(٢) الكهف: ٣٠.

(١) فاطر: ٨.

(٤) الإنسان: ٣.

(٣) فصلت: ٤٦.

القضاء والقدر:

أما القضاء فهو الأمر المحتوم من الله، وهو أمر لا يعلمه سواه وسوى ما علّمه رسوله (ولارادّ لقضائه) كالأجل المقضي الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾^(١).

وتتلخّص العقيدة بالقدر، بالعقيدة بالأسباب والنتائج، قال تعالى: ﴿قد جعل الله لكلّ شيء قدراً﴾^(٢) وقال: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزّله إلا بقدر معلوم﴾^(٣). وقال: ﴿إنا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾^(٤).

والقدر - كما في هذه الآيات - هو النظام الحاكم في الكون وهو نظام العلّية الذي أجراه تعالى بقدرته و «أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسباب»^(٥).

وهذا النظام يعمّ الخير والشر في الكون والحياة والتشريع، فما يحصل شيء من التغيّر في الكون إلا بسبب كوني وما يحصل تغيّر في الحياة سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً بسبب مماثل، ولا يتغيّر التشريع إلا بسبب موجب التغير. قال تعالى: ﴿إنّ الله لا يغيّر ما يقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾^(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره»^(٧) فالإيمان بالقدر جزء من العقيدة الإسلامية، وهو درس للإنسان على أن كلّ شيء يجري في الكون بمقادير وموازين معيّنة وعلل وأسباب مضبوطة، فكلّ من اختار سبباً مع رعاية الشروط المعتمدة، لا بد وأن يصل إلى النتيجة، هذا من جانب الإنسان.

وأما من جانب الله سبحانه فهو عالم بأن الإنسان ماذا سيختار، وما تكون نتيجة إرادته

(١) الأعراف: ٣٤. (٢) الطلاق: ٣.

(٣) الحجر: ٢١. (٤) القمر: ٤٩.

(٥) الفصول المهمّة في أصول الائمّة ١: ٤٨٦، ح ٦٨٥.

(٦) الرعد: ١١. (٧) التوحيد: ٣٨، ح ٢٧.

٣٦٤ شرح الأربعين النبوية

الإنسان، ولا يستلزم علمه فعلاً، بل علمه تعالى بفعل الإنسان كعلم الإنسان بنجاح ولده في العمل والدراسة للعلم بذكائه مثلاً، فلا يكون نجاح الوالد في العمل والدراسة للعلم بذكائه مثلاً، فلا يكون نجاح الولد بسبب علم الوالد بل سببه الدراسة.

وبالجملة، فالإيمان بالقدر درس لليقظة والشجاعة، وحثُّ على العمل الهادف، وخلقٌ لروح الأمل في الحالات المفاجئة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾^(١)، ولنعم ما قيل:

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدر
وبالهمة العليا ترقى إلى العلى فمن كان أعلى همّة كان أظهر
ولم يتأخر من أراد تقدّمًا ولم يتقدّم من أراد تأخراً
ومن العجيب جداً أن يؤاخذ على الإيمان بالقدر بأنه سبب الكسل وأنه الاتكالية
والسلبية، في حين أن الإيمان به إيجابية ونشاط ودرس لليقظة والعمل.

وهذا معنى كلام الإمام علي الهادي عليه السلام: «المقادير تريك ما لم يخطر ببالك»^(٢).

التوكل والتواكل

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(١)

يقارن سبحانه في هذه الآية بين القدر والتوكل، فبعد ما علمنا بتقدير الأسباب من الله تعالى يجب على العبد أن يأخذ بها مؤمناً بقدره الله العليا التي تتحكم في كل قدرة، فالتوكل على الله معناه الاعتماد عليه بعد السعي والأخذ بالأسباب، وهو خُلُق رفيع وفضيلة إنسانية توجب راحة نفسية وطمأنينة قلبية.

فالتوكل على الله يستلزم العمل والسعي، فالمرضى إنما يكون متوكلاً إذا شرب الدواء وطلب الشفاء، وهكذا العامل والكاسب والطالب، والاعتماد بدون العمل يسمى (التواكل).

والفرق بينهما كبير؛ إذ التواكل الكسل والإهمال والفشل، والتوكل السعي والكفاح والعمل، والتواكل مذموم في كل شريعة عليا بالعكس من التوكل، واعظم مثال يحتذى به قول الرسول الأعظم ﷺ القائل: «اعقلها وتوكل» لرجل ترك ناقتة من غير أن يربطها ثقة بالله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٢)

وفي هذه الآية نرى الله سبحانه يربط الرزق بالسعي ارتباطاً وثيقاً، يقول سبحانه: أن ليس في هذا الأرض من حي متحرك إلا والله يرزقه، والمعنى أن الرزق إنما هو لمن تحرك في الأرض ويسعى، دون الميت ودون الحي الذي لا يتحرك، فالحركة والديب يستلزم الرزق دون السكون والراحة، وهذا ما يحسه الإنسان بالوجدان، فكل هذه الدواب إذا سعت إلى شيء ميسور لها حصلت على ما تحتاج إليه بالحركة دون العكس، وهكذا في

مطاوي الآيات الكريمة نجد مسألة السعي والعمل جعلت مورد الاهتمام .

قال تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾. ^(١)

وقال تعالى: ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾.

وقال تعالى: ﴿وإن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى﴾. ^(٢)

وغيرها من الآيات التي تحضّ على السعي وكسب الرزق والعمل إلى جانب الاعتماد على الله سبحانه وتعالى.

في رحاب السُّنة :

١- الرسول ﷺ: «التوكل هو العلم بأن المخلوق لا يضّر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لاحد سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكل». ^(٣)

٢- ومّر أمير المؤمنين عليه السلام يوماً على قوم في زاوية المسجد فقال: من أنتم؟ فقالوا: نحن المتوكلون، قال عليه السلام: لا، بل أنتم المتأكلون، فإن كنتم متوكلين فما بلغ بكم توكلكم؟ قالوا: إذا وجدنا أكلنا وإذا قصدنا صبرنا. قال عليه السلام: هكذا تفعل الكلاب عندنا. قالوا: فما نفعل؟ قال عليه السلام: كما نفعل. قالوا: كيف تفعل؟ قال عليه السلام: إذا وجدنا بذلنا وإذا فقدنا شكرنا». ^(٤)

٣- الكاظم عليه السلام: «التوكل على الله درجات، منها: أن تتوكل على الله في أمور كلها فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنه يألوك إلا خيراً وفضلاً، وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها». ^(٥)

وهكذا نجد التوكل في الإسلام إيمان وعمل، والتواكل كسل وفشل، وأن الله لا يأمرنا بالاستسلام بل يأمرنا بالعمل والنشاط والتحرر من المغريات.

(١) الملك : ١٥. (٢) النجم : ٤٠.

(٣) تفسير نور الثقلين ٥: ٣٥٨، ح ٥٩ (٤) مستدرك الوسائل ١١: ٢٢٠، ح ١٢٧٩٨

(٥) الوسائل ١٥: ١٣، ح ٣٠٧، مستدرك الوسائل ١١: ١٦، ح ١٢٧٨٣

إيثار الدنيا

جاء في الحديث النبوي النهي عن إيثار الدنيا، ومن أفرادها الظاهرة:

١- طلب رضى المخلوقين، وهو جميل جداً إذا لم يتسلزم مصادفة سخط الخالق، وقد ذكرنا في حديث سابق أن رضى الناس غاية لا تتال.

٢- البخل بمال الدنيا على المحتاجين مع القدرة، ويقابله السخاء وإيثار الدنيا - بمعنى جعله هدفاً للحياة.

والبخل أمر يميته الإسلام، فإن الدنيا هي الدار الزائلة، وفي هذا يقول الإمام علي عليه السلام: «إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولّاها أبغض الآخرة وعادها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماشي بينهما، كلّما قرب من واحد بعد عن الآخر، وهما بعد ضرّتان»^(١).

والمراد من الآخرة هي العاقبة كما قال تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾^(٢).
فإن الآخرة هي الحياة بعد الموت للجميع ولا يختص بطائفة خاصة.

وكلامه عليه السلام مقصور على إيثار الدنيا بمعنى جعلها غاية في الحياة من دون الاهتمام بالواسطة والعاقبة، فالنهي إنما هو عن المحرمات الغير المشروعة، وأما المشروع من الملاذ فلم ينه عنها بل حثّ عليها، فقد قال تعالى: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾^(٣).
وقال تعالى ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾^(٤).

(٢) القصص: ٨٣.

(١) نهج البلاغة ٤: ٣ الحكمة ١٠٣.

(٤) الأعراف: ٣٢.

(٣) القصص: ٣٢.

وقد ورد الترغيب في طلب الدنيا في كثير في الروايات:

قال الحسن عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»^(١).

وقال النبي ﷺ: «اعمل عمل امريء يظن أنه لن يموت أبداً، واحذر حذر امريء يخشى أن يموت غداً»^(٢).

وقال ﷺ أيضاً: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق.. فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً، واحذر حذر من يخاف أن يموت غداً»^(٣).
والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً.

في رحاب السنة :

- ١- الرسول ﷺ: «أصلحوا دنياكم وكونوا لآخرتكم كأنكم تموتون غداً»^(٤).
- ٢- الرسول ﷺ: «اعظم الناس همماً المؤمن ؛ يهتم بأمر دنياه وأمر آخرته»^(٥).
- ٣- علي عليه السلام: «ان الزهد بين كلمتين من القرآن، قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ فمن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد استكمل الزهد بطرفيه»^(٦).

٤- علي عليه السلام: «إنما الناس ثلاثة: زاهد وراغب وصابر، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء فاتته، وأما الصابر فيتمناها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها، وأما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من

(١) مستدرك الوسائل ١: ١٤٦، ح ٢٢٠. (٢) السنن الكبرى: للبيهقي ٣: ١٩.

(٣) شرح اصول الكافي ١: ٢٧٦. (٤) مسند الشهاب ١: ٤١٦، ح ٧١٧.

(٥) كنز العمال ١: ١٤٤، ح ٧٠٢.

(٦) الوسائل ١٦: ١٩، ح ٢٠٨٥٢، والاية من سورة الحديد: ٣.

حرام»^(١).

٥ - المجتبي عليه السلام: «لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أن في حلالها حساباً وفي حرامها عقاباً وفي الشبهات عتاباً»^(٢).

٦ - الصادق عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ كان في زمان مقفر جذب، فأما إذا أقبلت الدنيا فأحق أهلها بها أبرارها لا فجارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفّارها»^(٣).

٧ - الصادق عليه السلام: «ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا بتحرّم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق ممّا عند الله عزّ وجل»^(٤).

٨ - وقال رجل للصادق عليه السلام: أنا لنطلب الدنيا ونحبّ أن نؤتاها، فقال عليه السلام: «تحبّ أن تصنع بها ماذا؟ فقال: أعود بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدق واحج واعتمر، فقال عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة»^(٥).

٩ - الكاظم عليه السلام: «ليس منا من ترك دنياه لدينه أو ترك دينه لدنياه»^(٦).

وهكذا يكون موقف الإسلام، وهدفه التوازن بين الدين والدنيا في الحياة.

(٢) كفاية الاثر: ٢٢٧.

(١) التوحيد: ٣٠٧.

(٤) التهذيب ٦: ٣٢٧، ح ٨٩٩.

(٣) الكافي ٥: ٦٥، ح ١.

(٦) تحف العقول: ٤١٠.

(٥) الكافي ٥: ٧٢، ح ١٠.

البخل والانفاق

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١)

المال هو الوسيلة إلى الخير والشر على حدّ سواء، فيكون امتحاناً للبشر في اختياره أيّاً منهما، ومقياساً لتفكيره وتدييره، قال تعالى: ﴿واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾^(٢) والفتنة هي الامتحان، وكلّما ارتفعت شبه لتهالك في جمع المال - من أي مصدر كان، وبدون أي هدف إنساني - تتولد بنفس النسبة مشاكل اجتماعية متفاوتة ابتداء من السرقة وانتهاء إلى الإجرام، كما يعيشها العالم الغربي في الغلب، وإذا كان لجمع المال مصدراً مشروعاً ومصرفاً إنسانياً قل فيه ذلك بالطبع، ولذلك نهى الإسلام عن البخل باعتباره صفة مولّدة للحقد الاجتماعي، وأمر بمساعدة الفقراء والضعفاء لئلاّ تمتلئ قلوبهم حقدًا تتولد من الذين لم يؤدّوا حقوق الفقراء، وبالنتيجة تكون نقمة على أصحاب النعم، قال تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هوشرّ لهم﴾^(٣)

ذلك أنّ البخل في نفسه فقر، وما أفقر صاحب المال الذي لا ينتفع، به قال تعالى: ﴿ومن يبخل فإنّما يبخل عن نفسه﴾^(٤)

هذا بالإضافة إلى العذاب الأليم الذي سيوافي كل من يكثر من خزن الأموال بغير حق ولا يساهم في بناء المجتمع الأفضل، قال تعالى: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا

(٢) الأنفال: ٢٨.

(١) النساء: ٣٧.

(٤) محمد: ٣٨.

(٣) آل عمران: ١٨٠.

ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴿١﴾

الانفاق :

ونظراً لأهمية الانفاق ورد في القرآن الكريم أكثر من مائتي آية في الانفاق، وقد قرن سبحانه الانفاق بالإيمان في قوله: ﴿ألم ذلك الكتاب لا يرب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ (٢)

والإنفاق هو إخراج المال بحق، ومنه قولهم: (نفق البيع) إذا خرج من يد البائع إلى المشتري، واختلف المفسرون في المراد من الآية:
ف قيل: المراد (النفقة)، إذ هما بمعنى واحد.

وقيل: (الصدقة)، ففي الحديث: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله» (٣).
وفي الفقه الإسلامي دراسات مستوعبة لشرح النفقات الواجبة، والذي يفيد التأمّل في الآية الكريمة إنّ الإنفاق لا يختص بالمال، بل يعمّ كلّما رزق الله من العلم والمال والنصح والإرشاد، وكذلك البخل لا يختص بالماديات، بل يعمّ كلّ فائدة اجتماعية تكون مسهمة في إسعاد المجتمع.

وتأكيداً على أهمية الإنفاق كثيراً ما يقرن بين الصلاة والانفاق في القرآن الكريم، على العكس من البخل قال تعالى: ﴿وانفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (٤)

(١) البقرة: ١.

(١) التوبة: ٣٤.

(٤) التغابن: ١٦.

(٣) كنز العمال ٦: ٣٩٠، ح ١٦٢٢٢

في رحاب السُّنة:

- ١- الامام علي عليه السلام: «سادة الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء»^(١)
 - ٢- الامام علي عليه السلام: «عجبت للبخل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي إياه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء»^(٢)
 - ٣- الباقر عليه السلام: «الموبيقات ثلاث: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»^(٣)
 - ٤- الصادق عليه السلام: «ثلاث إذا كنّ في الرجل لا يخرج أن تقول أنه في جهنم: الجفاء والجبن والبخل»^(٤)
 - ٥- الصادق عليه السلام: «خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الإيمان البر بالإخوان والسعي في حوائجهم، وفي ذلك مرغمة الشيطان وتزحزج عن النيران»^(٥)
 - ٦- الرضا عليه السلام: «السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس، والبخل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس»^(٦)
 - ٧- الصادق عليه السلام: «السخاء من أخلاق الأنبياء، وهو عماد الإيمان ولا يكون مؤمن إلاّ سخياً، ولا يكون سخياً إلاّ ذو يقين وهمّه عالية، لأنّ السخاء شعاع نور اليقين، ومن عرف ما قصد هان عليه ما بذل»^(٧)
- وهكذا ترى البخل إنّما يبخل بما رزقه الله من العلم والمال والنصح أو غيرها لغرض واحد، هو الترفع على المجتمع، وأنّ ذلك سوف يولّد حقداً اجتماعياً، ويكون أوّل من يتضرر منه هو البخل.

(١) أمالي الصدوق: ٨٤، ح ٥٠. (٢) نهج البلاغة ٤: ٢٩، الحكمة ٢١٦.

(٣) بحار الانوار ٧٣: ٣٠٢، ح ١١. (٤) الخصال: ١٥٩، ح ٢٠٤.

(٥) الكافي ٤: ٤١، وح ١٥. (٦) مستدرک الوسائل ٧: ٢٦، ح ٧٥١٩.

(٧) مستدرک الوسائل ٧: ١٧، ح ٧٥٢١.

والإسراف:

وقد يكون البخل ردّ فعل معاكس (للإسراف) العائلي، فتجد الولد (بخيلاً) إذا كان الوالد (مُسرفاً) وكذا العكس .

والإسلام في تشريعاته يهدف الاعتدال والتوازن، ففي نفس الوقت الذي يذم البخل هو أيضاً يذم الإسراف، قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾^(١).

والإسراف هو وضع المال في غير مواضعه، فالمسرف يضّر نظام المعيشة، وباختلاله يختلّ الاتزان في الحياة الاقتصادية بالنسبة إلى الفرد وبالنتيجة بالنسبة إلى المجتمع. قال تعالى: ﴿ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوماً محسوراً﴾^(٣).

وليس صرف المال في النفقات اللائقة إسرافاً، ولما سئل الإمام الصادق عن الرجل يتخذ الثياب الكثيرة الجياد يصون بعضها بعضاً يتجمل بها، أيكون مسرفاً؟ قال الإمام عليه السلام: «لا، لأن الله عز وجل يقول: «لينفق ذو سعة من سعته»»^(٤).

ولا يختص الإسراف بالمال، بل قد يكون في الوقت والعمل، وإسراف العامل هو الإهمال للأدوات التي يملكها هو أو غيره من الأفراد أو الحكومات، فإن هذه الأدوات مشتركة بثمر، وعملها ينفع المجتمع، وإذا اعتنى العامل بها استطاعت أن تؤدي عملها بدقة واتقان من دون حاجة إلى قطع غيار، وإذا أهملها العامل تلف بعض أجزائها وكان

(٢) الإسراء: ٢٧.

(١) الفرقان: ٦٧.

(٤) دعائم الاسلام ٢: ١٠٠، ح ٥٤٩

(٣) الإسراء: ٢٩.

٣٧٤ شرح الأربعين النبوية

سبباً في إضاعة المال والوقت حتى يمكن تحصيل الغيار، وبالنتيجة تعطيل للإنتاج فيحرم المجتمع من المادة المطلوبة.

وكذلك في الطعام قال تعالى: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾^(١) وقد نهى الله عن الإسراف فيهما خاصة باعتبار أن الطعام هو الحاجة الضرورية للمجتمع الإنساني المتطورة بتطور فنون الطهي، لذلك يؤكد القرآن بأن التوازن في الأكل والشرب هو سبيل الصحة. قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، فإن كان ولابد، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٢) وقال ﷺ: «كل وأنت جائع وامسك وأنت جائع»^(٣).

وهكذا يؤكد الإسلام على عدم الإسراف بما يؤكد الطب - بفرعيه: الوقائي والعلاجي - ويقرّره، من أن الطعام الزائد عن الحاجة الضرورية يسبب اجتهاداً للجهاز الهضمي وارهاقاً للصحة وزيادة في الوزن، فقد سبق الإسلام الطب الحديث في تشريعه بأن لا يأكل الإنسان الطعام إلا إذا أحس بالجوع وما أعظم كلامه ﷺ: «صوموا تصحوا»^(٤).

(١) الاعراف: ٣١. (٢) مستدرك الوسائل ١٦: ٢١٠، ح ١٩٦٢٠.

(٣) مستدرك الوسائل ٧: ٥٠٢، ح ٨٧٤٤. (٤) قرب الاسناد: ٢٨، ح ٩٢.

النفاق

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(١)

النفاق داء اجتماعي يتسبب منه كثير من الشرور والآثام والفساد والاجرام، وهو لقاء الناس بوجهين، ويحدده قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَوْنَ﴾^(٢). وفي الحديث: إن «علامة المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»^(٣).

فالمنافق لا يهتم صدق الحديث ولا إخلاص له في العمل ولا يتورع عن البهتان ولا يجتنب العدوان والغيبة ولا يقصد إلا المراوغة ومن بعد ذلك الغدر والخيانة، لذلك إذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان الأمانة، لأنه لا شرف له ولا ثقة به، وما أقبحها من صفات ذميمة تقوّض الثقة التي بها حياة الإنسان .

وقد ابتلى الإسلام في كل أدواره تقريباً بالمنافقين الذين حاربوا في الظلام وسعوا في الأرض فساداً، ففي عصر الرسول الأعظم كانت مواقفهم تهدف وأد الإسلام في المهد لولا عناية الله ونصره الدائم في بقاء الفكر الإسلامي حياً وقرآنه منتشراً مدوياً، وقد تعرض القرآن الكريم لتهديدهم في مختلف السور وخصّ سورة واحدة بهم هي^(٤) وهي من السور المدنية حيث كثر المنافقون، وكلّما تقدم الإسلام وذاع صيته اشتد نشاط المنافقين في الاستهانة به وتشويه معالمه وزرع الأشواك في طريقه، لذلك أصبح موقف الإسلام

(٢) البقرة: ١٤.

(١) النساء: ١٤٥.

(٤) سورة المنافقين (رقم ٦٣).

(٣) قرب الاسناد: ٢٨، ح ٩٢.

تجاههم شديداً فقال سبحانه: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾^(١).

وكان لهذا التشديد أثره كما كان من الطبيعي هذه الشدة؛ لما ترتب على مواقفهم الخيانية من الإضرار بالإسلام والمسلمين حاضراً ومستقبلاً، وعلى سبيل المثال التاريخي نذكر:

١- تحالفهم مع اليهود سرّاً.

٢- بناء مسجد الضرار لشق وحدة المسلمين.

٣- نقل الأكاذيب على لسان الرسول ﷺ حتى قال ﷺ: «أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار»^(٢).

وكان موقفهم في حادثة (أحد) وفرارهم من الحرب وهم يدّون بثلاث الجيش بزعامة عبدالله بن أبي، موقفاً مخزياً جداً لا يزال التاريخ الإسلامي يذكره كنقطة سوداء، وليس هذا الموقف الوحيد، بل هناك مواقف أخرى نستنبط منها بوضوح أنّ الذين دخلوا في الإسلام لم يكن الجميع اعتنقوه طوعاً ورغبة، بل كان هناك المنافقون الذين امتلأت قلوبهم من الأحقاد ولم ينسوا صرعى آباءهم وأجدادهم في غزوات الرسول ﷺ، وينبغي للمحدثين وخاصة أن يقفوا أمام أحاديث هذه الطائفة ورواياتهم موقف الشك والريبة، فكما لا يمكننا أن نغض أعيننا عن دورهم بعد وفاة النبي ﷺ في تجميع المفاهيم الإسلامية عملياً وتغيير سيرة الإصلاح الإسلامي، كذلك لا يمكننا التسامح في موقفهم بالدرس في التراث الإسلامي لتشويه معالمه نظرياً، بل قد يكون هذا أشدّ أثراً وأكثر ضرراً.

في رحاب السُّنة :

- ١- الرسول ﷺ: «من خالفت سريره علانيته فهو منافق»^(١).
 - ٢- الرسول ﷺ: «ثلاث من كن فيه كان منافقاً وإن صام وصلى وزعم انه مسلم: من إذا أئتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف»^(٢).
 - ٣- الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً»^(٣).
 - ٤- الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبداً همزة لمزة، يقبل بوجه ويدبر بآخر»^(٤).
 - ٥- الصادق عليه السلام: «من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار»^(٥).
- وما أخطر النفاق من داء على المجتمع في فساد الضمير وضعف الإيمان وبناء المجد الكاذب وانعدام الثقة والأمانة التي بها قوام الحياة.

(٢) الكافي ٢: ٢٩١، ح ٨.

(٤) ثواب الاعمال: ٢٦٩.

(١) مصباح الشريعة: ١٤٦.

(٣) الكافي ٢: ٣٤٣، ح ٢.

(٥) الكافي ٢: ٣٤٣، ح ١.

الصدق والكذب

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١).

وقال الله: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صَدَقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

الصدق: رابطة الثقة في المجتمع في المجالين الاجتماعي والاقتصادي، والصدق: الخلق الوحيد الذي به استقرار الثقة بين الأفراد وبالنتيجة الأمة، وبدونه يكون التفكك فيها من القاعدة إلى القمة.

والإنسان بفطرته صادق، قال الباقر عليه السلام: «لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية»^(٣) والحنيفية هي الفطرة، والكذب مهما أفاد الإنسان، لكنها فائدة مؤقتة تجلب ضرراً دائماً هو سلب الثقة التي بها قوام الحياة الاجتماعية، إن كل عمل لا يقترن بالصدق فعاقبته الخيبة، فكم من الناس الذي اشتغل بالصناعات المختلفة والتجارات ولم يترك باباً من أبواب المهنة إلا طرقه والعمل إلا سلكه لكنه رغم ذلك كله لم ينجح في الحياة نجاحاً يؤهله للسعادة، لأنه اتخذ من الكذب طريقاً، فتضاعفت جهوده لكن من دون فائدة، لأنه مسلوب الثقة، فالصدق فيه خير الدنيا والآخرة.

(٢) المائدة: ١١٩.

(١) التوبة: ١١٩.

(٣) مستدرک الوسائل ٨: ٤٥، ح ٩٩٨٨.

في رحاب السُّنة:

١ - الرسول ﷺ: «الصدق يهدي إلى البر والبر يدعو إلى الجنة، وما يزال أحدكم يصدق حتى لا يبقى في قلبه موضع ابرة من كذب حتى يكون عند الله صادقاً»^(١).

٢ - الرسول ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق، وأنت له به كاذب»^(٢).

٣ - الامام علي عليه السلام: «ألا فاصدقوا، فإن الله مع الصادقين، وجانبوا الكذب، فإن الكذب مجانب للإيمان، إلا إن الصادق على شفا منجاة وكرامة، ألا وإن الكاذب على شفا مخزاة وهلكة»^(٣).

٤ - الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة»^(٤).

٥ - الصادق عليه السلام: «من صدق لسانه زكي عمله»^(٥).

٦ - الصادق عليه السلام: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم؛ فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»^(٦).
وكفى بالصدق شرفاً أن يكون سبباً لراحة الضمير واطمئنان النفس ورفع منزلة الإنسان في المجتمع وأن يكون الصادق محلاً لثقة الناس، على العكس من الكذب تماماً.

والكذب:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٧).
الكذب: هو الاخبار بما لا يطابق الواقع في اعتقاد المتكلم، على العكس من الصدق،

(١) مستدرك الوسائل ٨: ٤٥٥، ح ٩٩٨٨. (٢) تنبيه الخواطر ١: ١١٤.

(٣) المحاسن ١: ٢٩، ح ٤٣٦. (٤) الكافي ٢: ١٠٤، ح ١.

(٥) الكافي ٢: ١٠٤، ح ٣. (٦) الكافي ٢: ١٠٤، ح ٣.

(٧) النحل: ١٠٥.

٣٨٠ شرح الأربعين النبوية

فالصدق من علامات العقل والكمال والشرف، على العكس من الكذب، والصدق به قوام المجتمع وراحة الضمير والشجاعة الأدبية على عكس الكذب، فالكذب يسبب العداء ويسلب الثقة ويوخز الضمير، ولذلك كان من أقبح الذنوب وأفحشها لما يترتب عليه من المفساد التي أهمها التفرقة والخيانة، قال رسول الله ﷺ: «الكذب رأس النفاق»^(١).

وقيل له ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال نعم؟ فقليل: ويكون بخيلاً؟ قال ﷺ: نعم فقليل: ويكون كذاباً؟ قال ﷺ: لا»^(٢).

وهذا الحديث يعني أن الإيمان يلزم الصدق في الحديث وينافي الكذب، وقال رجل لرسول الله ﷺ: دلني على عمل أتقرب به إلى الله تعالى: فقال ﷺ: «لا تكذب»^(٣) وكان ذلك سبباً لاجتنابه عن كل معصية؛ لأنه لم يقصد وجهاً من وجوه المعاصي إلا وجد فيه كذباً أو ما يدعو إلى الكذب.

قال الإمام علي عليه السلام: «لا يصلح من الكذب جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيّه ثم لا يفي له، إنّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال أحدكم يكذب حتى يقال: كذب وفجر، وما يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى في قلبه موضع إبرة صدق، فيسمى عند الله كذاباً»^(٤).

وكان السجّاد عليه السلام يقول لولده: «اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير»^(٥).

وقال الباقر عليه السلام: «إن الله جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب»^(٦).

وإنما عبّر الإمام عليه السلام: بأنه شر من الشراب لأن شراب الخمر إنما يفعل الشر

(١) شرح أصول الكافي ١: ٢٥٦. (٢) الرسائل ١٢: ٢٤٦، ح ١٦٢١٤.

(٣) فقه الرضا عليه السلام: ٢٢. (٤) أمالي الصدوق: ٥٠٥.

(٥) تحف العقول: ٢٧٨. (٦) الكافي ٢: ٣٣٩، ح ٣.

وهو مسلوب العقل كالمجنون، والكاذب إنما يكذب وهو في كمال شعوره، وكلاهما يرتكبان محرماً، بينما الكاذب لا يمتنع عن الكذب على الله ورسوله وهذا ما لا يفعله الشارب.

وكما نهى الإسلام عن الكذب نهى عن مخالطة الكذابين ومعاشرتهم، فإن للمخالطة أثرها الواضح في اكتساب الأخلاق وعدواها إلى الجليس، ونعم ما قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
وما حرّم الإسلام الكذب إلا بسبب ما يترتب عليه من المفساد، فإذا كان الصدق سبباً
للفساد كان حكمه حكم الكذب في الحرمة، وبالعكس إذا كان الكذب فاقداً لصفة الفساد
كان جائزاً، كما لو كان سبباً في الإصلاح بين المتخاصمين والتأليف بين القلوب وكان
ذلك من المصلحة المترتبة عليه، لذلك جوّز الإسلام الكذب في حالة (الضرورة)
و(الإصلاح). قال الصادق عليه السلام: «ليس شيء مّا حرّمه الله إلا وقد أحله لمن اضطرّ إليه»^(١).

قال تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً: «كلّ كذب مسؤول عنه صاحبه يوماً إلا كذباً في ثلاثة: رجل كائد في
حربه فهو موضوع عنه، أو رجل أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا، يريد بذلك
الإصلاح، ورجل وعد أهله شيئاً وهو يريد أن لا يتمّ لهم»^(٣).

وقال عليه السلام أيضاً: «الكلام ثلاثة: صدق وكذب وإصلاح بين الناس، قيل له: جعلت فداك
ما الإصلاح بين الناس؟ قال: يسمع عن الرجل كلاماً يبلغه نفسه فتلقاه فتقول: سمعت
فلاناً قال فيك من الخير كذا وكذا، خلاف ما سمعت منه»^(٤).

(١) مستدرک سفینه البحار ١: ١٤٩. (٢) البقرة: ١٧٣.

(٣) الكافي ٢: ٣٤٢، ح ١٨. (٤) الكافي ٢: ٣٤١، ح ١٦.

٣٨٢ شرح الأربعين النبوية

وقال عليه السلام أيضاً: «أيُّما مسلم سئل عن مسلم، فصدق وأدخل على ذلك المسلم مضرة، كتب من الكاذبين، ومن سئل عن مسلم فكذب، وأدخل على ذلك المسلم منفعة، كتب عند الله من الصادقين»^(١).

والوجه في ذلك واضح؛ فإن القبح والحسن للصدق والكذب ليس ذاتياً، وإنما باعتبار المصلحة فيهما، فقد يجز الكذب للإنسان تمام المصلحة، فإن الكذب في هذا المورد لا يكون قبيحاً كما لو ترتب على الصدق تمام الفساد؛ فإنه لا يكون حسناً حينئذٍ.

في رحاب السنّة:

١ - الرسول ﷺ: «اجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة»^(٢).

٢ - الرسول ﷺ: «أقل الناس مروءة من كان كاذباً»^(٣).

٣ - الرسول ﷺ: «إيّاك والكذب، فإنه يسود الوجه»^(٤).

٤ - الامام علي عليه السلام: «أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، وشرّ الندامة ندامة يوم القيامة»^(٥).

٥ - الامام علي عليه السلام: «إِنَّ الصادق على منجاة وكرامة ألا وإن الكاذب على شفا مخزاة وهلكة»^(٦).

٦ - الامام علي عليه السلام: ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخذة الكاذب، فإنه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدق»^(٧).

(١) مستدرك الوسائل ٩: ٩٥، ح ١٠٣٠٢٠.

(٢) مستدرك الوسائل ٩: ٨٨، ح ١٠٣٠١٠.

(٣) مستدرك الوسائل ٩: ٨٨، ح ١٠٣٠١٠. (٤) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٩٥.

(٥) انظر كنز القوائد: ٩٧، الحيحة البيضاء: ٥: ٢٤٣.

(٦) المحاسن ١: ٥٢٩ ح ٤٣٦. (٧) الكافي ٢: ٣٤١، ح ١٤.

- ٧- الامام علي عليه السلام: «اعتياد الكذب يورث الفقر».^(١)
- ٨- الامام علي عليه السلام: «الصدق أمانة والكذب خيانة».^(٢)
- ٩- السجاد عليه السلام: «اتقوا الكذب الصغير منه والكبير، في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».^(٣)
- ١٠- الباقر عليه السلام: «إن الكذب هو خراب الإيمان».^(٤)
- ١١- الباقر عليه السلام: «إن الله عز وجل جعل للشر اقفاً وجعل مفاتيح الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب».^(٥)
- ١٢- الصادق عليه السلام: «إن ممّا أعان الله على الكذابين النسيان».^(٦)
- ١٣- الصادق عليه السلام: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع».^(٧)
- ١٤- العسكري عليه السلام: «جعلت الخبائث كلّها في بيت واحد وجعل مفتاحها الكذب».^(٨)
- ولنتمّم كلامنا عن الكذب بقول رسول الله ﷺ: «لا يكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه».^(٩) ولنعم ما قيل:
- ما يكذب المرء إلا عن مهانته أو فعله السوء أو من قلّة الأدب
- وكفى في ذلك ذمّاً حيث يصبح مشوش الخاطر مكدر الضمير يسخط عليه الناس و
لا يعتمدون على أقواله ويجتنبون عشرته و معاملته.

(١) بحار الانوار ٧٢: ٢٦١، ح ٣٦.
(٢) الخصال: ٥٠٥.
(٣) الكافي ٢: ٣٣٩، ح ٤.
(٤) الكافي ٢: ٣٣٩، ح ٣.
(٥) الكافي ٢: ٣٤١، ح ١٥.
(٦) معاني الاخبار: ١٥٩.
(٧) بحار الانوار ٧٢: ٢٦٣.
(٨) مستدرک الوسائل ٩: ٨٤، ح ١٠٢٨٢.

الغضب والحلم

قال تعالى: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

الغضب حالة نفسية توجب هيجان الدم في بدن الإنسان، ويفقد الغاضب بسببها التَّعَقُّل ويصبح كالوحش، يعتدي على من دونه ويخافه من فوقه، بل بسبب شدة الانفعال قد يعتدي على ما لا يعقل فيضرب البهائم ويكسر الأشياء إذا استعصى عليه أمرها، وإذا اشتدَّ الغضب سمي (الغيظ).

وهو ينشأ من ضعف النفس والعجلة في الأمر والترف في الحياة، وليست حالة اضطرارية، بل هي صادرة عن الوعي والاختيار، ويتبع مدى اهتمام الإنسان بالأسباب المثيرة إيَّاه كالكلام البذيء أو الفعل المنافي للأدب وما شابه، وكلما ازداد الاهتمام بالسبب ازداد الغضب. وكفى الغضب ذمًّا أنَّه حالة شبه حالة المجانين.

وفي الحديث: «إنَّ أوَّلَ جنونٍ وآخره ندم»^(٢) وأوَّل ما يجزُّ الغاضب الضرر على نفسه والأذى قبل غيره، فيخرج عن شعوره كالمجنون تماماً ولا يمتنع عن الضرب والشتيم والسلب والنهب.

ويسمى أيضاً (الحدة) قال الإمام علي عليه السلام: «الحدة نوع من الجنون إلا أن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنون مستحكم»^(٣).

وما أقبحه من حالة تؤذي صاحبها ولا تحلّ المشاكل بل تزيد لها اشكالا، ولوتصوّرت هيئة الغاضبين وما هم عليه من الاضطراب وتطاير الشرر من عيونهم لكانت هيئة الجنون

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٩٦.

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٣) بحار الانوار ٧٣: ٢٦٦، ح ٢١.

بالضبط، لذلك قيل: «إذا غضبت فأسرع إلى النظر إلى المرأة» فتعرف أنها حالة شاذة لا ينبغي للعاقل أن يكون عليها، فإنها حالة شيطانية». وقد ورد عن الصادق عليه السلام: «لو قال أحدكم إذا غضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غضبه». (١)

وينبغي أن يتذكر عواقب الغضب الوخيمة، فإنه سوف يولد عداوة قد تكون أشدّ ضراوة وقسوة في الدنيا والآخرة و يفوت على الإنسان رضى الله تعالى الذي هو أبصر بالعيوب وأقدر على ذلك. فينبغي للإنسان أن يتأمل ويعرف أن الذي يتكلم بما لا ينبغي أو يعمل ما لا ينبغي قد يقصد حصول الغضب منك لغرض الانتقام منك أو الحسد، أو تفويت وقت منك يصدك عن أعمالك التي تتقدم بها في الحياة، فأنت إذا غضبت أعنته على الإساءة إلى نفسك وإن تركته وشأنه هدمت أساس العداء عليك، بل ربما جلبت وده وجدد لك عهداً.

قال سبحانه: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾. (٢) والعلاج: إذا حصلت لك حالة الغضب وأردت تهذيب نفسك من هذه العارضة القبيحة فعليك الانتقال من الحالة التي جاءك الغضب وأنت عليها إلى حالة أخرى، فلو كنت قائماً فاجلس وبالعكس، قال رسول الله ﷺ: «فأيا رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، وأيا رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسّه فإن الرحم إذا مسّت سكنت». (٣)

في رحاب السنة:

١- الرسول ﷺ: «الغضب يفسد إيمان كما يفسد الخل العسل». (٤)

(١) الدعوات للراوندي: ٥٢، ح ١٣٢. (٢) فصلت: ٣٤. (٣) الكافي ٣: ٢، ح ٢. (٤) الكافي ٣: ٢، ح ١.

٢٨٦ شرح الأربعين النبوية

- ٢ - الرسول ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه استكمل خصال الإيمان: إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعدّ ما ليس له»^(١).
- ٣ - قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله علّمني عملاً لا يحال بيني وبين الجنة؟ قال ﷺ: «لا تغضب، ولا تسأل الناس شيئاً، وارض للناس ما ترضى لنفسك»^(٢).
- ٤ - الرسول ﷺ: «من كفّ غضبه عن الناس كفّ الله عنه عذاب يوم القيامة»^(٣).
- ٥ - الرسول ﷺ: «لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكّر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم»^(٤).

٦ - ونهى ﷺ عن الأدب عند الغضب^(٥).

٧ - وسئل الامام علي عليه السلام: من أحلم الناس؟ فقال عليه السلام: «الذي لا يغضب»^(٦).

٨ - الباقر عليه السلام: «أي شيء أشّر من الغضب، إن الرجل إذا غضب يقتل النفس ويقذف المحصنة»^(٧).

٩ - الصادق عليه السلام: «الغضب ممحقة لقلب الحكيم»^(٨).

١٠ - الصادق عليه السلام: «من لم يملك غضبه لم يملك عقله»^(٩).

١١ - الصادق عليه السلام: «الغضب مفتاح كل شر»^(١٠).

والحلم والغضب حقيقتان متضادتان إذا الحلم هو ضبط النفس عن التعدي عند الغضب، وللغضب أسبابها الخبيثة من حبّ الانتقام والحسد والحقد، على الضد من الحلم، فإنه دليل على الصفاء وحسن النية والفتنة ورجحان العقل، وهو أيضاً تملك لزمّام الإرادة وتحكّم في العاطفة، وبذلك يتجنّب الحليم من الشرّ لنفسه والمجتمع، وهدى

(١) الكافي ٢: ٣٩، ح ٢٩.	(٢) بحار الانوار ٧٣: ٦٤، ح ٨.
(٣) الكافي ٢: ٣٠٥، ح ١٥.	(٤) تحف العقول: ١٤.
(٥) الكافي ٧: ٢٦٠، ح ٣.	(٦) أمالي الصدوق: ٤٧٨.
(٧) الاختصاص: ٢٤٣.	(٨) الكافي ٢: ٣٠٥، ح ١٣.
(٩) الكافي ٢: ٣٠٥، ح ١٣.	(١٠) الكافي ٢: ١٠٣، ح ٣.

السُّنَّة في مدحها كثير:

١ - قال رسول الله ﷺ: «احتمل ممّن هو أكبر منك، وممّن هو أصغر منك، وممّن هو خير منك، وممّن هو شرّ منك، وممّن هو فوقك، وممّن هو دونك، فإن كنت كذلك باهى الله بك الملائكة». (١)

٢ - وقال ﷺ: «من حلم ساد، ومن تفهّم ازداد». (٢)

٣ - الامام علي عليه السلام: «أول عوض الحلم عن حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل». (٣)

٤ - الامام علي عليه السلام: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك». (٤)

٥ - السّجاد عليه السلام: «ما من عبد كظم غيظاً إلّا زاده الله تعالى عزاً في الدنيا والآخرة». (٥)

٦ - الرضا عليه السلام: «لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً». (٦)

٧ - الرضا عليه السلام: «من صبر على ماورد عليه فهو الحليم». (٧)

والحلم هو أفضل عقوبة للمعتدي، وقد سمع أمير المؤمنين رجلاً يشتم كثيراً وقد رام قنبر أن يردّ عليه، فناده عليه السلام: «مهلاً يا قنبر، دُع شاتمك مهاناً، تُرضي الرّحمن وتسخط الشيطان وتعاقب عدوك، فوالذي خلق الجنة وبريء النّسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه». (٨)

وكفى الحلم شرفاً إنّه تنبيه للمعتدي بالأدب في حين أنه خلُق جميل وعلامة العقل والكمال .

(١) مستدرك الوسائل ١١: ٢٩٢، ح ١٣٠٦٠.

(٢) تحف العقول: ٨٠. (٣) نهج البلاغة ٤: ٤٧، الحكمة ٢٠٦.

(٤) نهج البلاغة ٤: ٢١، الحكمة ٩٤. (٥) الكافي ٢: ١١٠، ح ٥.

(٦) الكافي ٢: ١١١، ح ١. (٧) الاختصاص: ٢٤٦.

(٨) مستدرك الوسائل ١١: ٢٩١، ح ١٣٠٥٧.

التربية والأدب

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾.^(١)

كلمة (الأدب) تعني (التربية) فهما بمعنى واحد، والإسلام في تشريعاته يعني بالتربية بمختلف وجوهها، ولا تختلف صور التربية من الاهتمام جسمياً كان كما في تشريعه النظافة والرمية، أو ثقافياً بالعلم والكتابة، أو روحياً بالعبادات والطاعات.

كما ويحدد مسؤولية التربية زمنياً حتى بلوغ الواحد والعشرين عاماً.
ففي الحديث: «دع ابنك يلعب سبع سنين، و يؤدّب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح و إلا فانه ممن لاخير فيه».^(٢)

وبعد هذا الحد تكون المسؤولية على عاتق الإنسان نفسه في علاقاته سواء في ذلك :
١- بالنسبة إلى نفسه . ٢- بالنسبة إلى الأسرة والبيت . ٣- بالنسبة إلى المجتمع القومي أو الإنساني.

وإليك لمحة عن نظرة الإنسان إليها:

أولاً - حرية الفرد :

تعتبر الحرية المبدأ الأول في حياة الإنسان، وقد كفل الإسلام هذه الحرية للفرد وآمنه من أيّ اعتداء على النفس أو المال أو العرض شريطة أن لا تكون حريته على حساب حرية الآخرين، ولا يستلزم اعتداء على غيره، ومنح الفرد الحرية الشخصية في أوسع

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٩٤، ح ٤٧٤٣.

(١) التحريم: ٦.

مفهومها، سواء في ذلك الحقوق السياسية والمدنية سواء في العقيدة والرأي والعلم والمالية وغيرها، وتتجلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم من آيات عديدة، منها قوله تعالى:

١- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١)

٢- ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٢)

٣- ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾^(٣)

وكذلك في كافة التشريعات الإسلامية وخاصة التشريعات الناهية عن المحرمات كما في تحريم الغيبة والنميمة والأذى والمن والسخرية وغيرها.

كما وضع الإسلام أعظم الأساليب التربوية لهدف تهذيب الضمير الإنساني وتربية النفس ورعاية الرقابة الإلهية في التشريعات الواجبة من الصلاة والزكاة والصوم والحج، وكذلك اعتنى الإسلام بالفرد باعتباره اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، ومن يعجز عن إصلاح نفسه فلا بد أن يعجز عن إصلاح المجتمع؛ لذلك اهتم بفرض العبادات والتشديد على تاركها لتقوي صلة الإنسان بنفسه عن طريق التقوى التي هي عبارة عن امتثال الأمر الإلهي واجتناب النهي الإلهي وليس ما وراء ذلك شيء، بل أباح الإسلام التمتع بكافة الطرق المشروعة في الحياة طبعاً من غير إسراف أو تقتير.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٤)

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٥)

نزلت هذه الآية لما جاء بعض المسلمين إلى رسول الله يرون التقرب إلى الله بتحريم

(١) البقرة: ٢٥٦. (٢) البقرة: ١٩٤.

(٣) النور: ٢٧. (٤) الأعراف: ٣٢.

(٥) الفرقان: ٦٧.

٣٩٠ شرح الأربعين النبوية

النساء والطَّيِّبات مع الالتزام بالقيام والصيام، فنهاهم الرسول ﷺ قائلاً: «لكني أصوم وأفطر واصلي وأنام وأنزّج النساء»^(١).

وقال ﷺ: «لا رهبانية في الإسلام»^(٢).

ولم يقتصر القرآن في هذا المجال على ذلك بل أمر صريحاً بالانتفاع من زينة الحياة قائلاً: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إِيَّاه تعبدون﴾^(٣)

وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿فكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً واشكروا نعمت الله إن كنتم إِيَّاه تعبدون﴾^(٥).

وفي نفس الوقت الذي يولّي الإسلام اهتماماً بالتربية ينهى عن اجتهاد الجسم بما لا يطيقه قائلاً: ﴿لا يكلف الله إلّا وسعها﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾^(٦).

وقال أيضاً: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾^(٧).

وحتى في العبادات - على أهمّيتها في الإسلام - يحكم بان يقصر المسافر في صلاته وكذا المريض يصلي حسب تمكّنه والمسافر لا يصوم في السفر.

وهكذا يكون الإسلام دين الفطرة السليمة يتماشى مع طبيعة الموقف بأحلى صورته من اليسر والسماح.

(١) المجموع؛ للنووي ١٦: ١٢٦. (٢) دعائم الاسلام ٢: ١٩٣، ح ٧٠١.

(٣) البقرة: ١٧٢. (٤) البقرة: ١٦٨.

(٥) النحل: ١١٤. (٦) البقرة: ٢٨٦.

(٦) الحج: ٧٨. (٧) البقرة: ١٨٥.

ثانياً - البيت والأسرة:

الحياة العائلية جزء من الحياة الاجتماعية ولها نظام سماوي أو وضعي تتبعه الأسرة في شؤونها العائلية، حتى يعيش أفرادها في ظلّه آمنين متضامنين عيشة إنسانية تتفق مع الأدب الإنساني، ويؤدي بهم نحو السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة، وينشأ منهم أعضاء صالحين للمجتمع الكبير الذي يتكون من مجموع العائلات والأسر، وقد أشرنا في حديث سابق إلى دور الوالدين وحقوقهما، ونلمح هنا إلى دور الأم ومسؤوليتها الكبيرة في إدارة المجتمع الصغير ومالها من تأثير مباشر في سلوك الأفراد - صغاراً وكباراً - ونعم ما قيل:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم استاذ الأساتذة الأولى شملت مآثرهم مدى الآفاق

لذلك اهتم الإسلام في اختيار الأم عناية ملحوظة، لأنها المدرسة الأولى التي تربي الفرد الصالح، والمربيّة الوحيدة التي تستطيع أن تخلق بأفكارها عظماء الرجال وجهابذتهم، ومن هنا حبّذ على الرابطة المقدسة مع المؤمنات ونهي عن نكاح المشركات قائلاً: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم^(١) فالمشركة إن أثرت عقيدتها في الرجل لكانت سبباً في انحرافه وإن لم تؤثر كانت الأسرة مفككة عقائدياً لا تجمعها عرق المحبة والوئام وبذلك تنفصم وشائج الأسرة.

وقد شرح الإسلام مواصفات المرأة التي ينبغي أن يتخذ معها رابطة الحياة المشتركة كقوله: «اختاروا لنطفكم؛ فان العرق دساس»^(٢)، وكما وقدّم بعض الصفات على بعض في الاختيار، كالدين فالحسب فالجمال فالمال، والركن الركين هو الدين وهو الذي ما تمسك به إنسان إلا زاده الله عزّاً وشرفاً وخيراً، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «من أراد عزّاً بلا

(٢) المحجة البيضاء ٣: ٩٣.

(١) البقرة: ٢٢١.

٣٩٢..... شرح الأربعين النبوية

عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته»^(١). ولم يكن ذلك إلا تخوّفاً من انفصام رابطة الحياة المشتركة التي يهدف إليها الإسلام في الزواج.

قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾^(٢). وهذه سنّة الخالق؛ إذ لم يترك البشر من جنس واحد يعيش في عزلة عن الجنس اللطيف.

مكانة المرأة :

إن الإسلام هو أول من أنقذ المرأة وحرّرها وأعطاهها حقوقها الإنسانية التي لم يكن أحد في أي نظام اجتماعي يعترف بها، كالنصف المكمل للإنسان، وكانت المرأة في كل أمم الأرض - حتى ذات الحضارة القديمة كالرومان والفرس - مسلووبة الإرادة منزلة بمنزلة الخدم، راضية كانت أم كارهة، كما هي الحال - ومع الأسف - في بعض المجتمعات المنتسبة إلى الإسلام، ولكن الإسلام رفع شأنها وجعلها بمنزلة النصف المكمل للإنسان وأنقذها من ظلم الرجال وظلمات الجهل وأعطاهها حقّها، فأصبحت شريكة الرجل في الحقوق الإسلامية حيث ينتميان إلى أصل واحد ونفس واحدة.

قال تعالى: ﴿يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾^(٣)

وفرض عليها - كالرجال تماماً - الفرائض الإسلامية تثبيتاً للحقّ وجودها الإنساني

(٢) الروم: ٢١.

(١) بحار الانوار ١٩٢: ٧٨.

(٣) النساء: ١.

ولم يخصصن بشيء إلا ما كان لابد منه بحكم طبيعتهن الخاصة كما يظهر جلياً من عقد البيعة معهن.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرَكَنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيَهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَلَا أَرْجُلَهُنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)

وكذلك اختصها بالتزويج ولبس الحرير والذهب بما يتلاءم وأنوثتها، وحكم في ميراثها النصف لما يقع على عاتق الذكر - غالباً - من أعباء الحياة وتكاليفها مما ليس على البنت، فإنه يعمل ويكدح وينفق على البيت، وإذا تزوج دفع المهر وأنفق على الزوجة وعلى من يعول من الأولاد والأهل، ولا شيء على البنت فإنها في حياة أبيها غير مكلفة بإنفاق، وإذا تزوجت قبضت مهرها لنفسها واحتمل زوجها الانفاق عليها، فالنصف في الميراث تقتضيه روح العدالة في الإرث إذا ما روعيت الاعتبارات المذكورة التي تقتضيها طبيعة كل من الجنسين، وبهذا الاعتبار جعل على عاتق الرجل نظام حياة العائلة والقوامه والمسؤولية في النفقة والكسوة والسكنى والتربية وغيرها مما تطلبه الحياة العائلية، وله الحق في سياسة العنف عند الضرورة في سبيل تطبيق ما هو في العائلة - حاضراً أو مستقبلاً - وصدّهم عن الضرر الاجتماعي والخلقي والاقتصادي، وهذه المسؤولية واجب من واجبات الأسرة أكد عليها الإسلام وتقتضيها طبيعة الجنسين، لذلك نجد جميع الملل والأمم تعترف بهذه المسؤولية على عاتق الرجل، ولا يسوغ إنكارها أو إهمالها في جميع أدوار التاريخ والمجتمع البشري، وأما المشاكل العائلية فقد قاومها الإسلام من الأساس بتشريعات تبدأ بالحكمين من جانب الزوجين، وتنتهي بآخر الحلول الذي هو الطلاق حيث لا يمكن غيره.

والأولاد:

وأطفال اليوم هم رجال الغد وجيل المستقبل، وعليهم تعقد الآمال في الوطن والدين والأسرة، لذلك اهتم الإسلام في بناء العضو الصالح للمجتمع الإنساني والشخصية التي تتحمل المسؤولية في المستقبل .

قال الإمام الحسن عليه السلام: «إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين^(١)» فالطفل أول ما يولد يواجه المحسوسات ويدركها بقدر ما تسمح له قواه الحسية أن يدرك، فيحب ما يحسبه حسناً ويتعد عمّا يتصوّره قبيحاً، وليست حواسه الباطنة إلا مادة خام خالية من النقش والرسوم والعادات والآداب والتقاليد، وعلى مرّ السنين تؤثر فيه عوامل البيئة والتربية والطقس، وهذه العوامل تبدأ نشاطها من حين الولادة حتى يتعرّع الطفل وينمو، ويعتبر عامل التربية أهمّها؛ لأنّ غيره من العوامل تتأثر بالتربية، وتقع مسؤولية التربية على عاتق الأبوين مباشرة، الذين يعتبر الطفل أمانة في عنقيهما، فعليهما رعايته صحياً وفكرياً ومادياً بغرس روح الفضيلة والأدب فيه وتوجيهها إلى الخير والمشاركة في أعمال البر حتى يصبح عضواً عاملاً ومفيداً في المجتمع الإنساني .

قال الإمام السّجاد عليه السلام: «وأما حقّ ولدك فتعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب والدلالة على ربّه، والمعونة على طاعتك فيك وفي نفسه، فمثاب على الإحسان إليه ومعاقب على الإساءة عليه»^(٢).

فعلى الوالدين اغتنام أيام طفولة الأطفال حتى لاتضيع أوقاتهم العزيزة وهي أوقات التلقين والتمرن والتعود والتوجيه إلى الحياة الأفضل روحياً واجتماعياً وفكرياً واقتصادياً، فإنّ الطفل ينشأ في أحضان أبويه ويقع عبئه عليهما ويبدأ في تقليدهما لأنهما أولى الناس به وأقربهم إليه .

قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه»^(١)
 إن كل مولود يولد صافي النفس تقي القلب ليس له أي انطباع عن أي شيء، ولا ميول
 لأي شيء، فهو على الفطرة الخالصة التي شرع الدين عليها، فطرة الله التي فطر الناس
 عليها من سلامة القلب وسمو الأخلاق ورفعة النفس.

وتربية الأطفال ينقسم إلى ناحيتين: الناحية المادية، وتختص بالوالد. والناحية
 المعنوية وهي مشتركة بين الوالدين، لكن أثر الوالدة فيها أكثر وأظهر، ودوام الصفات
 السامية إنما هو مرتبط بمساعي الوالدين معاً وجهودهما المبذولة في داخل البيت و
 خارجه، فعلى الوالدين اغتنام الفرص في تربية الطفل وتوجيهه وإلا فيتعبه الندم حيث
 لا ينفع الندم؛ فإن التربية المادية للأولاد من سن الطفولة إلى سن الرشد من دون رعاية
 معنوية أمر طبيعي حتى بين الحيوانات الأهلية وحتى الوحوش المفترسة، فقد خلق
 تعالى عاطفة وشعوراً رقيقاً تحقق هذه كأم طبيعي، وقد اعتنى الإسلام بنظام التربية
 فكرياً واجتماعياً واقتصادياً للإنسان المكرّم بالعقل والمعرفة؛ لئلا يضيع الجيل الناشئ
 في متاهات الحياة.

التأديب :

ويرسم الإسلام المنهج الأقوم في السلوك الأفضل الذي ينبغي للآباء أن ينتهجوه مع
 الأبناء حتى يكون الولد قرّة العين وأمل الحياة وبهجة الناظر؛ فإنه زينة الحياة الدنيا وهم
 أعظم نعمة تمنّاها الإنسان، قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات
 الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيراً أملاً﴾^(٢).

وهو الذكرى الحسنة للإنسان إن أحسن تأديبه وتربيته، قال رسول الله ﷺ: «إذا
 مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به وولد صالح يدعو

(٢) الكهف: ٤٦.

(١) الكافي ٦: ١٣.

له»^(١) وإذا كان الولد الصالح أمل كل مسلم وبغية كل مؤمن ورجاء كل إنسان لأن الولد صنو أبيه، فينبغي أن يولي اهتماماً بالغاً بعنايته ذكوراً وإناثاً كل حسب طبيعته، قال ﷺ في البنات: «علموهن سورة التور ولا تعلموهن سورة يوسف»^(٢) وذلك حيث تشتمل الأخيرة على استعراض قصة غرامية بين يوسف وزليخا، بينما السورة الأولى تتضمن الآداب والتوجيهات التي هي أنفع لهن.

في رحاب السنة:

- ١- الرسول ﷺ: «خير أولادكم البنات»^(٣).
- ٢- الرسول ﷺ: «من قبل ولده كتب الله له حسنة»^(٤).
- ٣- الرسول ﷺ: «علموا أولادكم السباحة والرمية»^(٥).
- ٤- الرسول ﷺ: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأدبه، ويضعه موضعاً صالحاً» وفي حديث آخر: «يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه إذا بلغ»^(٦).
- ٥- الرسول ﷺ: «من ولد له مولود فليؤذن في أذنه اليمنى بأذان الصلاة وليقيم في اليسرى؛ فإنها عصمة من الشيطان الرجيم»^(٧).
- ٦- الرسول ﷺ: «إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتي في القبله»^(٨).
- ٧- الرسول ﷺ: «أكثرُوا من قبلة أولادكم، فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة».
- ٨- الرسول ﷺ: «أعدلوا بين أولادكم بالنحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللفظ»^(٩).

(١) المعتمر ١: ٣٤١. (٢) انظر التهذيب ١٢: ٨، ح ٣٧٨.

(٣) مستدرک الوسائل ١٥: ١١٦، ح ١٧٧٠٨.

(٤) عوالي اللآلي ٣: ٢٨٣، ح ١٨. (٥) الكافي ١: ٤٧، ح ٤.

(٦) انظر: من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٢. (٧) الكافي ١: ٤، ح ٩.

(٨) كنز المال: ح ٤٠٣٥٠. (٩) السنن الكبرى، للبيهقي ٦: ١٧٨.

٩- الرسول ﷺ: «من كان عنده صبي فليتصاب له»^(١).

١٠- الرسول ﷺ: «أحبوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم ففوا لهم»^(٢).

١١- علي عليه السلام: «انظروا من يرضع أولادكم؛ فإن الولد يشب عليه»^(٣).

تسمية المولود:

يرسم الإسلام للتربية الصالحة ما فيه معاني السمو والرفعة للأولاد؛ لأنهم عدّة المستقبل وأمل الغد، وحماة الوطن، فما يكاد الوليد يدبّ على الأرض حتى يرشد الإسلام بأن يختار الوالد لولده اسماً يكون خيراً للأسماء، واعتبره حقاً من حقوقه؛ لما في التسمية من أثر بيّن في السلوك الاجتماعي، لذلك غيّر النبي ﷺ أسماء بعض الصحابة ممن كان اسمه (حرب) إلى (سلم) حتى يكون سبباً للودّ والاحترام.

قال الباقر عليه السلام: «أصدق الأسماء ما سمي بالعبودية، وأفضلها أسماء الأنبياء، إن النبي ﷺ قال: من ولد له أربعة أولاد ولم يسم أحدهم باسمي فقد جفاني»^(٤).

وقال الباقر عليه السلام: «إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي: يا محمد يا علي، ذاب كما يذوب الرصاص، حتى إذا سمع منادياً ينادي باسم عدوٍ من أعدائنا اهتز واختال»^(٥).

وقال الصادق عليه السلام: «ما ولد لنا ولد إلا سميناه محمداً، وإذا مضت سبعة أيام فإن شئنا غيّرنا وإلا تركنا»^(٦).

وقال الصادق عليه السلام: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم يغفر لكم»^(٧).

وقال الصادق عليه السلام: «من السنّة والبر أن يُكنّى الرجل باسم ابنه»^(٨).

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٨٣، ح ٤٧٠٧.

(٢) عدة الداعي: ٧٨.

(٣) الوسائل ٢١: ٤٦٧، ح ٧٦٠٠.

(٤) الوسائل ٢١: ٣٩٣، ح ٢٧٣٨٥.

(٥) الكافي ٦: ٢٠، ح ١٢.

(٦) عدة الداعي: ٧٧.

(٧) مكارم الاخلاق: ٢٢٢.

(٨) الوسائل ٢١: ٣٩٧، ح ٢٧٣٩٨.

٣٩٨ شرح الأربعين النبوية

وقال الكاظم عليه السلام: «أول ما يبرّ الرجل ولده أن يسميه باسم حسن، فليحسن أحدكم اسم ولد». ^(١)

والأولى الأسماء الحسنى، وهي (٩٩) اسماً، ذكر بعضها في سورة الحشر رقم (٢١)، وكذا أسماء النبي والصحابة والأئمة عليهم السلام أو ألقابهم، أو كُناهم، وكذا النساء المجاهدات في الإسلام وألقابهن أو كُناهن.

الآداب المستحبة للمولود:

١- أول ما يولد الطفل يؤكد الإسلام بعد تنظيفه على أن يستأنس سمعه بكلمات الحق والصدق، فيستحب الأذان في أذنه اليمنى الإقامة في اليسرى، وفي اليوم السابع من ولادته يعمل له العقيقة ويعمد إلى إزالة شعر رأسه والختان.

٢- العقيقة عن المولود، قال الصادق عليه السلام: «كلّ مولود مرتين بالعقيقة... عَقَّ عنه وأحلق رأسه يوم السابع وتصدّق بوزن شعره فضة، واقطع العقيقة جداول واطبخها وادع عليها رهطاً من المسلمين». ^(٢)

٣- الختان، قال الصادق عليه السلام: «اختنوا أولادكم سبعة أيام، فإنه أظهر وأسرع لنبات اللحم، وإن الأرض لتكره بول الأغلف». ^(٣)

وقال: «الختان في الرجل سنّة ومكرمة في النساء». ^(٤)

ولا تقف عناية الإسلام بالتربية عند هذا الحد من الطقوس، بل إذا شبّ الوليد عن الطوق ونضجت أظفاره فالإسلام يرشد إلى تربيته وتكوين شخصيته بغرس المبادئ الإسلامية السامية، ويأمره بالعبادات التمرينية قائلاً: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء

(١) التهذيب ٧: ٤٣٧، ح ١٧٤٥. (٢) الكافي ٦: ٢٧، ح ١.

(٣) الكافي ٦: ٣٤. (٤) الكافي ٦: ٣٧، ح ٤.

سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»^(١) باعتبار أن الصلاة تستلزم كثيراً من الواجبات وترك كثير من المحرمات، فهي أصل الدين وعموده، وفيها معاني الطهر من النفاق والصفاء وضبط النفس والتعود على النظام، كي ينشأ الطفل نشأة صحيحة لصالح نفسه ومجتمعه.

حد الأدب: وليس المراد الضرب المبرح وإنما ذلك في حدود المعقول إذا توفرت الدواعي، وعن الصادق عليه السلام في أدب الصبي والمملوك فقال: «خمس أو ستة وأربع»^(٢) وقال: الإمام علي عليه السلام لصبيان الكتّاب: «ابلغوا معلّمكم إن ضربكم فوق ثلاث ضربات في الأدب اقتص منه»^(٣).

وقال إسحاق بن عمار: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ربما ضربت الغلام في بعض ما يحرم. فقال عليه السلام: وكم تضربه؟ فقلت: ربما ضربته مائة. فقال عليه السلام: مائة مائة - فأعاد ذلك مرتين - ثم قال: حدّ الزنا؟ إتق الله. فقلت: جعلت فداك فكم ينبغي لي أن أضربه؟ فقال: واحد، فقلت: لو علم إني لأضربه إلا واحداً ما ترك لي شيئاً إلا أفسده؟ فقال عليه السلام: فتشني. فقلت: جعلت فداك هذا هو هلاكي إذاً. قال: فلم أزل أماكسه حتى بلغ خمسة، ثم غضب عليه السلام، فقال: يا إسحاق إن كنت تدري حدّ ما أجرم فأقم الحدّ فيه ولا تتعدّ حدود الله»^(٤).

كما يؤكد الإسلام في تشريعاته على التساوي بين البنات والبنين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاييج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور؛ فإنه من فرّح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقرّ عين ابن فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله أدخله جنات النعيم»^(٥).

(١) عوالي اللآلي ١: ٣٢٨، ح ٧٤. (٢) الكافي ٧: ٢٦٨، ح ٣٥.

(٣) الكافي ٧: ٢٦٨، ح ٣٨. (٤) الكافي ٧: ٢٦٧، ح ٣٤.

(٥) أمالي الصدوق ٦٧٣، ح ٩٠٤.

٤٠٠ شرح الأربعين النبوية

ويظهر مدى اهتمام الإسلام بشأن البنات من النصوص الإسلامية المتواترة، منها: إن رجلاً من المسلمين بُشِّر في مسجد الرسول بمولودة فتغيّر وجهه، فقال ﷺ: مالك؟ فقال: خير. فقال ﷺ: قل؟ قال: خرجت والمرأة تمخض، فأخبرت أنها ولدت جارية. قال ﷺ: ومالك ولها، الأرض تقلّها، والسما تظلّها، والله يرزقها، وهي ربحانة تشمّها»^(١).

وهكذا نجد عناية الإسلام بالغة بالتربية منذ اختيار الحياة الزوجية، وحين الحمل، وبعد أن يدبّ الطفل على وجه الأرض، وبعد أن يصير شاباً يافعاً وزوجاً وأباً وشيخاً هرمًا، وحتى وفاته، ونختم الحديث بوصية لقمان لابنه وهو يعظه: ١ - يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ٢ - يا بني إن تك مثقال حبة من خردل، فتكن في صخرة، أو في السموات، أو في الأرض، يأت بها الله، إن الله لطيف خبير. ٣ - يا بني أقم الصلاة. ٤ - وامر بالمعروف. ٥ - وانه عن المنكر. ٦ - واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ٧ - ولا تصغر خدك للناس. ٨ - ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. ٩ - واقصد في مشيك. ١٠ - واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير»^(٢).

ثالثاً - المجتمع الإسلامي:

الحياة الاجتماعية تتطلب - بطبيعة الحال - نظاماً يتكفل الأمن والسلام، ولهذا لا يوجد على وجه الأرض مجتمع إلا وله نظام سماوي أو وضعي يتكفل له ذلك، والإسلام عقيدةً وشريعةً يستهدف استقرار الأمن والسلام في المجتمعين الإسلامي والإنساني.

وعلى الصعيد الإسلامي نجد التوصيات الإسلامية تجاوز الحدّ والعدّ في آداب

(٢) لقمان : ١٩.

(١) الكافي ٦: ٦، ح ٦.

العشرة والسلوك الاجتماعي بكل وضوح وشمول وعمق، ويكفي الباحث أن يقف عليها من خلال كتب الأخلاق والفقه، ونحن نلمح إلى بعض النقاط:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْلَمُونَ عَلِيمٌ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْلَمُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢)

تؤكد نصوص الروايات - الزاخرة بالآداب الاجتماعية - وهكذا سيرة النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام عملياً على الحث على حسن الخلق مع الناس كافة، وعلى أن البشر يدل على الصفاء كما يدل النور على النار وطلاقة الوجه على المحبة وحسن المعاشرة، فالحق عدوك وصديقك بالطلاقة، ولا تكثر اللغو، ولا تتدخل فيما لا يعينك من أمور الأفراد أو الجماعات، وإذا صلحت فلا تتكبر على أحد وتحفظ من كثرة التمثي والتثاؤب في وجوه الناس، وليكن مجلسك هادئاً، وحديثك منظماً مرتباً، واصغ إلى كلام جليستك، واسكت عن المضاحك، ولا تتصنع تصنع المرأة في التزيّن، ولا تلج في الحاجات، ولا تشجع أحداً على الظلم، ولا تهزل الناس فيسقط وقارك، وانصف الناس، وتفكر في صحتك، ولا تكثر الالتفات إلى وراءك، وإيّاك والغيبة التقرب إلى السلطان فإن أخلاقهم متغيرة، وإيّاك وصديق السوء فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من شرفك، احذر الخوض في حديث العامة، وتغافل عما يجري من سوء أفعالهم، وإيّاك والمزاح مع اللبيب أو السفيف؛ فإن اللبيب يحقد السفيف يتجرأ عليك.

في رحاب السُّنة:

١ - الرسول ﷺ: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون».(١)

٢ - علي عليه السلام: «خالطوا الناس مخالطة إن مِتّم معها بكوا عليكم، وإن عشتُم حنّوا اليكم».(٢)

٣ - الصادق عليه السلام: «وطّن نفسك على حسن الصحابة لمن صحبت، وحسّن خلقك، وكفّ لسانك، واكظم غيظك، وأقلّ لغوك».(٣)

٤ - الصادق عليه السلام: «المؤمن ألف مألوف، ولا خير فمن لا يآلف ولا يؤلف».(٤)

٥ - الصادق عليه السلام: «يا شيعة آل محمد اعلّموا أنّه ليس منّا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، وممالحة من مالحه»(٥)

وعلى الصعيد الإنساني:

أعلن الإسلام حقوق الإنسان كاملة لكل إنسان، وبكل صراحة وشمول، وبكل جدّ في التطبيق، بلا فرق بين جنس وآخر، عنصر وعنصر، أو لون وآخر، ونادى: أنّ مقياس الفضيلة هو التقوى، ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالكفاءة والتقوى؛ لأنهم جميعاً متساوون في الإنسانية، فلا بدّ أن يتساووا في الحقوق أيضاً. وعالمنا اليوم يحتفل في العاشر ديسمبر من كلّ عام بذكرى إعلان وثيقة حقوق

(١) الكافي ٢: ١٠٣ ح ١٦. (٢) نهج البلاغة ٤: ٤، الحكمة ١٠.

(٣) الكافي ٤: ٢٨٦، ح ٣.

(٤) الكافي ٢: ١٠٢، ح ١٧، وانظر: مستدرک الوسائل ٨: ٤٥، ح ٩٩٦٩.

(٥) الكافي ٢: ٦٣٧، ح ٢.

المواظب الدينية / التربية والأدب ٤٠٣

الإنسان، التي أصدرتها الأمم المتحدة في مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٨ م. باعتبارها الوثيقة الجديدة التي أقرت الحقوق الإنسانية المدنية والسياسية والاقتصادية الاجتماعية بما في ذلك الضمان الاجتماعي، من الصحة والتعليم وواجبات الفرد ومسؤولياته في المجتمع

وأهم ما فيها المادة الأولى نصها: «يولد البشر جميعاً أحراراً متساويين في الكرامة والحقوق، وأن لهم التمتع بكافة الحريات المعلننة في هذا الميثاق دون التمييز بسبب اللون أو العرق أو الدين أو الرأي السياسي أو الثروة والنسب أو غير ذلك من الأسباب» الأمم المتحدة أعلنت هذا، وتحفل دول العالم بها في كل عام، مع العلم أن التفرقة العنصرية تسود مناطق شاسعة في العالم، وتؤيدها نفس الدول التي تحتفل بهذه الذكرى مادياً ومعنوياً، والدول القائمة على الدم والعرق لاتزال تزداد يوماً بعد يوم، وضحايا الاختلاف في الرأي السياسي يتجاوز حد الإحصاء، فإذا أصبحت الوثيقة حبراً على ورق، ينتفع منها القوي فقط فقط.

ولكن الإسلام أعلن حق المساواة بكلمة موجزة قائلاً: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)^(١) وطبقها فعلاً قروناً طويلة في قوميات مختلفة، من ترك وفارس وعرب، حتى أصبحت أمة الإسلام أمة لها كيانها واستقلالها رسالتها الخالدة ونالت تقديراً عالمياً حتى من قبل الذين لم يعتنقوا الإسلام.

العلم والعمل

قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾^(١).
وقال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا
الألباب﴾^(٢).

ان العلم هو مبدأ كل حضارة وسبب كل سعادة، وتهذيب للفكر الإنساني من الجمود،
ومقياس التفاضل في الحياة فإنه بقدر العلم - أي علم كان - تتفاوت درجات الناس.
والإسلام هو دين العلم، وهذا من مميزات حضارته الخالدة، فقد جعل الإسلام للعقل
والعلم السلطان الأعلى، ووضع الاقتناع النفسي أسلوباً ناجحاً من أساليب التربية
والتعليم، وحرية الإنسان الفكرية حقاً وضرورياً في الحياة، وما أكثر الآيات الأحاديث
التي حثت على العلم والمعرفة، سواء ما ورد في فضل العلم أو طالب العلم أو كتابة العلم أو
ما شابه، وقد عدّه سبحانه في القرآن الكريم أفضل نعمة بعد نعمة الخلق حيث قال
تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ○ خلق الاءنسان من علق ○ اقرا وربك الاكرم ○
الذي علم بالقلم ○ علم الانسان ما يعلم﴾^(٣)

وليس العلم في القرآن مقصوراً على العلوم الدينية، بل اللفظ يفيد العموم لكل علم
ينفع المجتمع ويعود بالفائدة على بني الإنسان.

قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم
ويعملهم الكتاب والحكمة...﴾^(٤)

وبالعلم هدى الله سبحانه البشرية إلى الصراط المستقيم بعد أن كانوا في ضلال مبين،

(٢) الزمر : ٩.

(١) المجادلة : ١١.

(٤) الجمعة : ٢.

(٣) المجادلة : ١١.

وبنفس الدرجة التي يؤكد القرآن على طلب العلم يؤكد على أن هذه التذكرة إنما تكون من نصيب أصحاب العقول؛ إذ بالعلم يكون كمال العقل وبه يكون تفاضلهم في الحياة. قال تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾^(١).

وإن درجات العلوم والمعرفة متسعة متفاوتة: (و فوق كل ذي علم عليم)^(٢). ولما كان التقليد الأعمى - من دون قناعة - حجرة عثرة في سبيل العلم، حاربه الإسلام بكل صوره، فقال تعالى ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾^(٣). وأمر سبحانه بالاستزادة من العلم بقوله: ﴿وقل رب زدني علماً﴾^(٤). ولم يأمره بطلب المال أو الجاه أو السلطان وإنما بالعلم الذي هو أهم من ذلك كله. وكان النبي ﷺ في سيرته يجعل للعلم مكانة سامية، وكان يطلق سراح الأسارى إذا علموا أولاد المسلمين الكتابة القراءة؛ حرصاً على شرف العلم. وفي الحديث: «إن الناس أربعة: رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فذاك مرشد عالم فاتبعوه، ورجل يعلم ولا يعلم إنه يعلم فذاك عاقل فأنصفوه، ورجل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم فذاك جاهل فعلموه، ورجل لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم فذاك ضال فأرشدوه»^(٥). وفي ديوان الإمام عليه السلام:

ما الفضل إلا لأهل العلم أنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه	و الجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تبغي به بدلاً	فالناس موتى وأهل العلم أحياء

(٢) يوسف : ٧٦.

(١) الزمر : ٩.

(٤) طه : ١١٤.

(٣) المائدة : ١٠٤.

(٥) عوالى اللآلي ٤ : ٧٩، ح ٧٤.

في رحاب السُّنَّة:

- ١ - الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة». (١)
- ٢ - الرسول ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين». (٢)
- ٣ - الامام علي عليه السلام: «تعلموا ممّن علم فعمل». (٣)
- ٤ - الامام علي عليه السلام: «لا تقسروا اولادكم على آدابكم؛ فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم». (٤)

٥ - وقال الامام علي عليه السلام في وصف العلم: «و هو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، وترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم... لأنّ العلم حياة القلوب من الجهل، ونور الأبصار من العمى، وقوّة الأبدان من الضعف، ينزل الله حامله منازل الأبرار، ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة، بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحّد، وبالعلم توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام...». (٥)

٦ - الصادق عليه السلام: «اطلبوا العلم، وتزيّنوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين، فيذهب باطلكم بحقكم». (٦)

والعمل هو الميزان العادل في تقويم السلوك الاجتماعي والاعتقاد الديني على حدّ سواء، قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحييّه حياة طيّبة ولنجزينّهمْ أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾. (٧)

(١) مستدرک الوسائل ١٧: ٢٤٩، ح ٢١٢٥٠.
 (٢) دعائم الاسلام ١: ٨٠.
 (٣) الوسائل ١: ١١١، ح ٢٧٢.
 (٤) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٦٧، الحكمة ١٠٢.
 (٥) أمالي الصدوق: ٧١٣، ح ٩٨٢.
 (٦) الكافي ١: ٣٦، ح ١.
 (٧) النحل: ٩٧.

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.^(١)
 فالعمل واجب إنساني يعود على نفس العامل والمجتمع بالخير والبركة، وسبب لرقى
 الأمة، بينما ترك العمل يؤدي إلى الكسل الذي مقتته الإسلام؛ إذ يؤدي إلى إهمال التفكير
 في أداء الواجب بالنسبة إلى نفسه والمجتمع، ويكون كالبهائم همها علفها، وليس على
 وجه الأرض إنسان له تقدّم في الحياة إلا بقدر ما سعى في الحياة في سبيل هدفه. قال
 تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى﴾.^(٢) وهو وعد مؤكّد من الله
 بأن السعي تتبعه سريعاً النتيجة، فبقدر الأعمال يكون قدر الرجال، وبقدر الكسل يكون
 الفشل، بالدرجة التي عمل المسلمون سادوا برهة طويلة أقطاراً شاسعة في آسيا وإفريقيا
 وقسماً من أوروبا. وما أبهر الأوروبيون العالم باكتشافاتهم لمظاهر القدرة الإلهية في الكون
 بمختلف الاكتشافات العلمية إلا بسعيهم وعملهم، كانت النتيجة كما وعد الله تعالى كل
 إنسان من غير استثناء بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى﴾.

وصلة العمل بالعلم هي صلة الإيمان بالعمل وصلته تعالى بالخلق: ﴿الَّذِي خَلَقَ
 الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.^(٣) والقرآن الكريم يقرن الإيمان بالعمل
 والصالح في أكثر من سبعين آية؛ ذلك أن العمل من مقومات الإيمان، قال الصادق عليه السلام:
 «الإيمان هو القول باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان».^(٤)

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.^(٥)
 فالعمل هو الذي يرسم المستقبل والمصير، وما تأخرت أمة إلا بنتيجة أعمالها قال
 تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.^(٦)

(١) الكهف : ٣٠. (٢) النجم ٣٩ : - ٤٠.

(٣) اطلبك : ٢٠.

(٤) عيون اخبار الرضا عليه السلام : ١٧٧، ط / ١٣٩٠ هـ

(٥) الزلزلة : ٨ - ٧. (٦) يونس : ١٣ - ١٤.

الكسب والتجارة

ما أكثر الروايات في الأمر بالكسب الحلال، كمثال من موارد تطبيق الأمر بالعمل؛ إذ المعيشة الصالحة لا تكون إلا بأسباب موجبة لها، ولا منافاة بين ذلك وبين قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾^(١). فإن ذلك يدل على ثبوت الرزق في السماء، وأما أسباب الرزق فليست في السماء، بل هي في الأرض وبيد الإنسان وهو (السعي). قال تعالى: ﴿وهزي إليك جذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً﴾^(٢).

ولو لا (الهز) الذي هو سعي الإنسان لما تساقط الرطب، والله قادر أن يحني النخلة إليها لتأكل ولكن «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب»^(٣) ولا بدّ من جانب الإنسان أن يهزّ النخلة وهذا سعي منه، ثم يتساقط الرطب ويأخذ بيده لياكل.

وكفى شرفاً للعمل و الكسب المشروع أن الأنبياء ﷺ والائمة عليهم السلام عملوا أعمالاً مختلفة من التجارة والرعي وصناعة الدروع، ومعنى ذلك أن العمل شرف مهما كان صغيراً وكبيراً.

كان آدم عليه السلام حارثاً، وإدريس خياطاً، ونوح نجّاراً، وهود تاجراً، وإبراهيم راعياً، ولوط زارعاً، ومحمد ﷺ تاجراً.

ومن أئمة أهل البيت عليه السلام كان الإمام الصادق عليه السلام يتجر بماله بالمضاربة، وقد دفع سبعمائة ديناراً لعذاقر وأمره بالتجارة وربح عذاقر مائة دينار فتنافسا.

(١) الذاريات: ٢٢. (٢) مريم: ٢٥.

(٣) الفصول المهمة في اصول الائمة ١: ٤٨٦، ح ٦٨٥.

وأصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا يكسبون بأيديهم، فكان سلمان المحمّدي خوّاًصّاً، وميثم التّمّار تّمّاراً، وجاء في ديوان الإمام عليه السلام:

و ما طلب المعيشة بالتمني
ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجنك بملئها يوماً ويوماً
يجيء بحمأةٍ وقليل ماء

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يخرج في الهاجرة في الحاجة التي كفاها الله، يريد أن يراه الله يتعب في طلب الحلال، وجاء محمد بن المنكدر معاتباً للإمام الباقر عليه السلام على مباشرته للعمل الشريف، فقال له الإمام عليه السلام: «لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله، أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنّي كنت أخاف لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله»^(١).

و رأى الصادق عليه السلام رجلاً وقد خرج عليه السلام في يوم صائف شديد الحرّ، فلامه على خروجه، فقال عليه السلام: «خرجت في طلب الرزق لأستغني عن مثلك»^(٢).

وقال أبو عمرو الشيباني: رأيت أبا عبد الله لصادق عليه السلام ويده مسحاة وعليه ازار غليظ يعمل في حائط له، والعرق قد أخذ منه مأخذاً، فقلت: جعلت فداك أعطني المسحاة أكفيك. فقال لي: «إني أحب أن يتأذى الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «ما خلف الرجل بعده شيئاً أشد عليه من المال الصامت. قيل له: فكيف يصنع به؟ قال عليه السلام: يجعله في الحائط والبستان والدار»^(٤).

وقال الرضا عليه السلام: «الذي يطلب من فضل الله ما يكفّ به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله»^(٥).

(٢) الكافي ٥: ٧٤، ح ٣.

(١) التهذيب ٦: ٣٢٥، ح ٨٩٤.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ١٤٧٠، ح ٢٦٤.

(٣) الوسائل ١٧: ٣٩، ح ٢١٩٢٤.

(٥) الكافي ٥: ٨٨، ح ٢.

في رحاب السُّنة:

- ١ - الرسول ﷺ: «العبادة سبعون جزءاً، أفضلها طلب الحلال».^(١)
- ٢ - علي عليه السلام: «إياكم والكسل؛ فإنه من كسل لم يؤدِّ حقَّ الله عز وجل».^(٢)
- ٣ - علي عليه السلام: «أوصيكم بالعمل قبل أن يؤخذ منكم بالكظم، وباغتنام الصحة قبل السقم، وقبل أن تقول نفس: يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله».^(٣)
- ٤ - السَّجَّاد عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».^(٤)

- ٥ - الصادق عليه السلام: «ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا».^(٥)
- ٦ - الصادق عليه السلام: «إياك وخصلتين: الضجر والكسل؛ فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تودِّ حقاً».^(٦)

وهكذا نجد الإسلام يحثُّ على السعي في طلب الرزق على الصغار والكبار والنساء والرجال - على حدٍّ سواء - بمختلف طرق المعيشة من الصناعات اليدوية الخفيفة، حتى الصناعات الثقيلة، ممَّا يؤثر في رفع مستوى المعيشة من الصناعة والتجارة والزراعة، وبنفس الدرجة يحارب الكسل والبطالة؛ ذلك إن العلم مصدر القوَّة في الحياة وأساس العمران الحافل بالخيرات، وأنَّ سعادة الأمة ومستقبل الفرد مرهون بالعمل، على العكس من الكسل الذي هو داء اجتماعي وبيل يسبب التأخر والفشل أعاذ الله المسلمين شرّه.

(١) الكافي ٥: ٧٨، ح ٦. (٢) الخصال: ٦٢٠.

(٣) دعائم الاسلام ٢: ٣٤٩، والآية من سوره.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ١٥٦، ح ٣٥٦٩.

(٥) الوسائل ١٥: ٢٤٧، ح ٢٠٤٩. (٦) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٥٥.

المسامحة والتساهل

يحث الإسلام على فضيلة التسامح والتساهل، فقد قال الرسول ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة».^(١)

وفي الحديث النبوي: «تكون سهلاً للقريب والبعيد وان ولا تكون جبّاراً عنيداً».^(٢)
والنظرة الفاحصة في التشريعات الإسلامية توضح مدى اهتمام الإسلام بالمسامحة وخاصة في حسن الخلق والمجاملة والتغافل عن الهفوات، قال الإمام عليه السلام في صفات المؤمن: «سهل الخليفة، لين العريكة، رصين الوفاء، قليل الأذى».^(٣)

والله سبحانه سنّ التسامح لبني الإنسان عامة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيّسِرْهُ لِلْيُسْرَى﴾.^(٤)

ذلك ان كلّ إنسان يحتاج إلى من يعينه إذا افتقر، ويرشده إذا ضلّ، فهو مرتبط بفطرته مع الناس؛ لذلك عمّ الحكم الالهي للبشر كافة، وعلى العكس من يفقد هذه الصفات الإنسانية: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيّسِرْهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾.^(٥)

واليسر رحمة من الله تعالى لعباده، على العكس من العسر، وليس اليسر في المال وحده؛ فإنك تجد المتوسع في أمور الحياة وحدها من مال وعقار وتجارة مهموماً هلوغاً جزوعاً، ذلك إن لم تشمله رحمة الله

(١) الوسائل ٨: ٦١١، ح ١٠٢٠٨. (٢) الخصال: ٥٤٤.

(٣) الوسائل ٨: ٦١١، ح ١٠٢٠٨. (٤) الليل: ٥ - ٧.

(٥) الليل: ٨ - ١١.

و(اليسر) والحياة الطيبة إنما هو انشراح الصدر، والعمل الصالح: حياة القناعة من دون تهالك، فإذا حلّ في القلب الغنى والقناعة فقد حلّ فيه الفرح والسرور، وإذا لم تقتنع النفس وأصيب بالفقر الدائم كانت حياته حياة نكدة مكدّرة مهما كان يملك من المال والعقار، وكلّما زادت امواله زادت همومه وغمومه.

ومجال التسامح في تشريعات الإسلام كثير، نكتفي بالتلميح إلى نقاط بارزة:
منها: (العفو عند المقدرة) وهو خلق إسلامي رفيع وسبب للمودة والصدقة.
قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(١)
وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)
وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٣)

فالعفو يدعو إلى اسماحة وتعاطف المجتمع وترابطه على أساس متين من الحب والعطف، وينفي الأمراض التي تعرض كيان الأمة، وهي عوامل التفرقة والضعف، فالعفو إذاً من أعظم الفضائل الإنسانية ومن أكرم الصفات التي تدلّ على سمو النفس وطهارة الضمير وقوة الإرادة، وقد غَضَّ النبي ﷺ في فتح مكة عن هند - أم معاوية - التي أخرجت كبد عم النبي ﷺ في أحد واران أن تأكله ولم تتمكن من ذلك، فقطعت أذنه وأنفه وجعلتها قلادة في عنقها، وبعد ذلك كله جاءت وأسلمت متنكرة، ولمّا عرفها الرسول ﷺ صفح عنها، وهو الذي قال لمعشر قريش - أعداؤه، الذين أخرجوه من مكة وآذوه - بعد أن أسلموا: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٤)

(١) فصلت: ٣٤ - ٣٥. (٢) الأعراف: ١٩٩. (٣) آل عمران: ١٥٩. (٤) التهذيب ٤: ١١٩، ح ٣٤١.

وهذا علي أمير المؤمنين عليه السلام يوصي أهله بقاتله (ابن ملجم) في حين أنه عليه السلام كان يعاني ضربته القاتلة قائلاً: «إن بقيت مع الأحياء فالأمر إلى الله وإليّ، وإن انتقلت إلى الله فالأمر إليه وإليكم، وأن أبيتم إلا القصاص فضربة بضربة، (وأن تعفوا أقرب للتقوى)»^(١).

وهذا الامام السجّاد عليه السلام أخطأته جاريته وهي تصبّ الماء فأصاب الاناء رأس الإمام عليه السلام فشجّته فنظر إليها، فقالت: «والكاظمين الغيظ» قال عليه السلام: كظمت غيظي، فقالت: «والعافين عن الناس» قال: عفوت عنك. فقالت: «والله يحبّ المحسنين» قال عليه السلام: أنت حرّة لوجه الله»^(٢).

وكان الإمام السجّاد عليه السلام إذا سمع ما يسوؤه من الاعداء يقول عليه السلام: «اللهم إن كان صادقاً فاغفر لي، وإن كان كاذباً فاغفر له»^(٣).

وما أعظمه من درس أخلاقي عظيم يجب على المسلمين أن يجعلوه نصب أعينهم في السلوك الفردي والاجتماعي.

في رحاب السُّنة:

١- الرسول ﷺ: «إنكم إن لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر»^(٤).

٢- الرسول ﷺ: «من لم يقبل من متّصل عذراً، صادقاً كان أو كاذباً، لم ينل شفاعتي»^(٥).

٣- الرسول ﷺ: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال

(١) نهج السعادة ٧: وآية في سورة البقرة ٢٣٧.

(٢) انظر مشكاة الانوار: ٣١٢، وآية في سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) الصحيفة السجّادية: (دعاؤه عليه السلام إذا أغضبه أحد).

(٤) الكافي ٢: ١٠٣، ح ١. (٥) الوسائل ١٢: ٢١٧، ح ١٦١٢٤.

ﷺ: الهين القريب اللين السهل»^(١).

٤- الرسول ﷺ: «أعقل الناس أشدهم مداراةً للناس»^(٢).

٥- الرسول ﷺ: «وأذل الناس من أهان الناس»^(٣).

٥- الرسول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»^(٤).

٦- الرسول ﷺ: «من اصطنع إليه المعروف فاستطاع أن يكافي عنه فليكافي، ومن لم يستطع فليثني خيراً؛ فإن من أثنى كمن جزى»^(٥).

٧- السجّاد عليه السلام: «إن شتمك رجل ممن يمينك ثم تحوّل إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره»^(٦).

٨- الصادق عليه السلام: «اتّقوا الله وتحابّوا وتزاوروا وتواصلوا، وكونوا إخواناً بررة»^(٧).

٩- الصادق عليه السلام: «رأيت المعروف كاسمه، وليس شيء أفضل منه إلاّ ثوابه»^(٨).

١٠- الصادق عليه السلام: «أجيزوا لأهل المعروف زلّاتهم واغفروها لهم»^(٩).

١١- الصادق عليه السلام: «رأيت المعروف لا يتم إلاّ بثلاث: تصغيره وستره وتعجيله، فإنك إذا صغّرت عظمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تمته، وإذا عجّلته هنأته، وإذا كان غير ذلك سخفته ونكدته»^(١٠).

(١) أمالي الصدوق: ٣٩٧، ح ٥١١. (٢) أمالي الصدوق: ٧٣، ح ٤١.

(٣) روضة الواعظين: ٣٨١. (٤) المحاسن: ١، ٢٨٥، ح ٤٢٦.

(٥) مستدرك الوسائل: ١٢، ٣٥٥، ح ١٤٢٧٧.

(٦) الوسائل: ١٦، ٢٩٥، ح ٢١٥٨٤. (٧) مشكاة الانوار: ١٣٧.

(٨) فقه الرضا عليه السلام: ٣٧٣. (٩) الكافي: ٤، ٢٨، ح ١٢.

(١٠) الوسائل: ١٦، ٣١٤، ح ٢١٦٤٠.

الدعاء والذكر

قال تعالى: ﴿إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١)
الدعاء - بالضم والمد - النداء تقول: دعوت فلاناً إذا ناديته، وشاع بمعنى طلب
الرحمة من الله تعالى على وجه الخضوع، الدعاء عبادة إسلامية حث عليه الإسلام لغرس
روح الفضيلة في سلسلة من نصوص الأدعية التي هي بمثابة دروس الأخلاق يتزوّد منها
الإنسان المسلم في حياته الروحية، وهو صلة الإنسان بربه، وليس للأمراض النفسية
ومشكلاتها الطارئة من الهمم الأحزان من علاج نفسي سوى الدعاء؛ إذا العلاج الوحيد
للقلق هو التحدّث مع الصديق المخلص، والدعاء حديث صريح وحوار مفتوح مع أصدق
المخلصين: رب العالمين الرحمن الرحيم، فالداعي بدعائه يسمو روحياً عن الشهوات
والمزلق الانحراف، والدعاء - كما في الحديث - مخ العبادة ومعناه: إنّه بمنزلة المخ في
الإنسان، فهو سرّها وروحها لأنّه شعوق رقيق وحديث بكل صفاء وخضوع أمام القدرة
الكاملة فهو إذاً أساس العبادة.

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)

وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٣)

والإخلاص والضراعد والرجاء حالات تلازم الدعاء، والأخبار في فضله والحث
عليه متواترة، ويكفي في فضله أنّه شعار الصالحين وسنة الأنبياء والمرسلين، وقد ألف
جمع من علمائنا في الأدعية مؤلّفات خاصة تناولت الأدعية التي لها منزلة خاصة في
بعض المناسبات الدينية التي اهتمّ بها الإسلام كأوقات الضيلة: ليلة القدر وشهر رمضان

(٢) غافر: ١٤.

(١) البقرة: ١٨٦.

(٣) البينة: ٥.

٤٦٦ شرح الأربعين النبوية

ورجب وشعبان، وفي الأماكن المقدسة كالمسجد الحرام والمدينة والكوفة ومراقد الأئمة عليهم السلام والأولياء، وأثرت أدعية خاصة في بعض الحالات والأوقات خاصة مع طلوع الشمس وغروبها ووقت الحسر وأوقات الصلاة.

ومن أهم الملاحظات: الدعوة عن نية صادقة وفي حالة سمو النفس وطهارة الضمير متطهراً عن حقوق الله والناس، فإنها من جملة شرائط القبول.

وأما الذكر:

إن الدعاء والذكر واحد، قال تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾. ^(١)

وقال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾. ^(٢)

وقال عليه السلام: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلّ صلاته وصيامه وتلاوة القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن». ^(٣)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أما إني لأقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وإن كان هذا من ذاك، ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت على طاعة أو معصية». ^(٤)

فليس الذكر مجموعة تراويل فاقدة للروح والوعي، إنما هي سلاح فعال في ميدان الحياة، قال تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾. ^(٥)

فذكر الله لا يختص بالمسجد والصلاة، بل وحتى بعد قضاء الصلاة والانتشار للعمل، وخاصة في المواقف الصعبة حينما تنقطع الآمال إلا منه تعالى. قال تعالى لموسى عليه السلام:

(١) الأعراف : ٢٠. (٢) الرعد : ٢٨.

(٣) مستدرک الوسائل ٥: ٢٩٩٩، ح ٥٩١٤.

(٤) شرح اصول الكافي ٨: ٤٠٩. (٥) الجمعة : ١٠.

﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾^(١)
فالذكر عبادة، ولا تتحقق العبادة إلا بذكر الله تعالى.

شبهة وحل:

قد يسأل الإنسان ربه ويكرر الدعاء ولكن من دون أي أثر للإجابة، والسّر في ذلك:
أولاً: قد يكون في تأخير الإجابة مصلحة وفي الاستعجال مضرة، والإنسان كثيراً ما
تغيب عنه الحكمة ﴿عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾^(٢).
ثانياً - قد يكون بسبب الإخلال بشرط الدعاء وآدابه، وهذا ما يوجب علينا التعرّض
لشرائط الدعاء بتفصيل.
شرائط الدعاء: لا شك في أنّ الله قضاءً لازماً لا يتخلف، فهل الدعاء يؤثر في ذلك
القضاء اللازم؟

وقد انتهى هذا السؤال لدى بعض المسلمين إلى القول بأن الدعاء لا يزيد ولا ينقص
شيئاً؛ لأن المطلوب إن كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع، وإلا فلا يقع.
والحل: أنّ القضاء - كما ذكرنا فيما سبق - هو الحكم من الله سبحانه بشيء من الأشياء
معلقاً على حصول سببه؛ لأن الله سبحانه «أبى أن يجري الأشياء إلا بأسباب»^(٣)، والقضاء
حكم لازم معلق على عدم المانع، ومن موانع الدعاء والتصدّق والاستغفار، وهذا ما
يؤكدّه المروي عن الصادق عليه السلام: «ادع ولا تقل؛ إنّ الأمر قد فرغ منه، إنّ عند الله منزلة
لاتنال إلا بمسألة، ولو أن عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً، فسل تعط؛ انه ليس باب
يقرع إلا يوشك أن يفتح لصاحبه»^(٤).
وقد وعد الله إجابة الدعاء بشرائط والتي أهمّها الإخلاص وطهارة الضمير وطهارة

(١) طه: ٤٢. (٢) البقرة: ٢١٦.

(٣) الفصول المهمة في اصول الائمة ١: ٤٨٦، ح ٦٨٥.

(٤) الكافي ٢: ٤٦٦، ح ٣.

٤١٨ شرح الأربعين النبوية

المأكل والمشرب. قال رجل لرسول الله ﷺ: أُحِبُّ أَنْ يَسْتَجَابَ دُعَائِي، فقال ﷺ: «طَهَّرْ مَا أَكَلْتَ وَلَا تَدْخُلْ بَطْنَكَ الْحَرَامَ»^(١) ومن آداب الدعاء:

١- بسط اليدين إلى السماء.

٢- الصلوات على محمد وآله قبل الدعاء وبعده.

٣- أن تقول: (يا الله) عشر مرات.

قال الإمام السجّاد عليه السلام: والذنوب التي تردّ الدعاء:

١- سوء النية.

٢- وخبث السريرة.

٣- والنفاق مع الإخوان.

٤- وترك التصديق بالإجابة.

٥- وتأخير الصلوات المفروضات حتّى تذهب أوقاتها.

٦- وترك التقرب إلى الله عزّ وجلّ بالبرّ والصدقة.

٧- واستعمال البذاء والفحش في القول»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام لما سئل عن قول الله سبحانه: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾^(٣) فما

بالنا ندعو فلا يجاب لنا؟ قال عليه السلام: «إن قلوبكم خانت بثمان خصال:

أولها: أنكم عرفتم الله فلم تؤدّوا حقّه كما أوجب عليكم فما أغنت عنكم معرفتكم

شيئاً.

الثانية: أنكم أمنتكم برسوله ﷺ ثم خالفتكم سنّته وأمتّم شريعته، فأين ثمرة إيمانكم.

والثالثة: أنكم قرأتم كتابه المنزل عليكم فلم تعملوا به وقلتم: سمعنا وأطعنا لكم؟ و

الرابعة: أنكم قلتم: انكم تخافون من النار، وأنتم في كلّ وقت تقدّمون إليها بمعاصيكم

فأين خوفكم؟

(٢) انظر: معاني الاخبار: ٢٧١.

(١) الوسائل ٧: ١٤٥، ح ٨٩٦٥.

(٣) الوسائل ٧: ١٤٥، ح ٨٩٦٥.

والخامسة: أنكم قلتم: ترغبون في الجنة، وأنتم في كل وقت تفعلون ما يباعدكم منها، فأين رغبتكم فيها؟!

والسادسة: انكم أكلتم نعمة المولى ولم تشكروا عليها.
والسابعة: أن الله أمركم بعداوة الشيطان وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(١) فعاد يتموه بلا تولٍ وواليتموه بلا مخالفةٍ.

والثامنة: أنكم جعلتم عيوب الناس نصب عيونكم وعيوبكم وراء ظهوركم، تلومون من أنتم أحق باللوم منه، فأى دعاءٍ يستجاب لكم مع هذا وقد سدّتم أبوابه وطرقه.
فاتّقوا الله وأصلحوا أعمالكم وأخلصوا سرائركم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فيستجيب الله لكم دعاءكم».^(٢)

في رحاب السُّنة:

- ١- الرسول ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض».^(٣)
- ٢- الرسول ﷺ: «إن أعجز الناس من عجز عن الدعاء».^(٤)
- ٣- الرسول ﷺ: «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليست قطيعة رحم ولا استجلاب إثم إلا أعطاه الله تعالى بها إحدى خصال ثلاث: إمّا أن يعجّل به الدعوة، وإمّا أن يؤخّرها في الآخرة، وإمّا أن يدفع عنه مثلها من سوء».^(٥)
- ٤- الرسول ﷺ: «من أحبّ أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه وكسبه».^(٦)
- ٥- الرسول ﷺ: «الدعاء مخّ العبادة».^(٧)
- ٦- وقال ﷺ أفضل أعمال أمتي بعد قراءة القرآن الدعاء.^(٨)

(١) فاطر: ٦.
(٢) مستدرك الوسائل ٥: ٢٦٩، ح ٨٥٤١.
(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٠، ح ٩٥. (٤) روضة الواعظين: ٤٥٩.
(٥) مكارم الاخلاق: ٢٦٩. (٦) عدة الداعي: ١٢٨.
(٧) الوسائل ٧: ٢٧، ح ٨٦١٥. (٨) مستدرك الوسائل ٥: ١٥٩، ح ٥٥٥٥.

٧- الامام علي عليه السلام: «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر»^(١).

٨- الامام الصادق عليه السلام: «من ترك مسألة الله افتقر»^(٢).

ولنعم ما قال شيخنا العلامة قدوة السالكين الشيخ آقا بزرك الطهراني أدام الله أيامه: «إنَّ حال الدعاء والذكر أقرب حالات العبد إلى حضرة الربوبية وإن كان هو أقرب من حب الوريد لكنهم عنه ساهون، وبالدعاء والذكر يرتفع الحجاب بين الداعي ورب الأرباب».

وكذلك نرى اهتمام الشارع بالدعاء فوق اهتمامه بكل شيء؛ فإنه قد روي لكل آن من آناء الليل والنهار ولكل يوم من أيام الأسابيع أو الشهور أو السنين أو العمر أدعية خاصة يمكن الاطلاع عليها بمراجعة كتب الادعية».

مدرسة القرآن:

القرآن هو الوحي المنزل على خاتم النبيين محمد ﷺ، وهو آخر الكتب السماوية، بدأ نزوله في مكة المكرمة، واستمر نزوله حتى بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة مدة ثلاثة وعشرين عاماً - حسب الحاجة - وعرف ما نزل قبل الهجرة بالمكي، وما نزل بعدها بالمدني، ويشمل مجموع القرآن على ١١٤ سورة سميت بأسماء أوائلها أو الغالب على مواضيعها، ويمتاز القرآن على سائر الكتب السماوية من صحف إبراهيم عليه السلام والتوراة والإنجيل وزبور داود بالخاتمية والكمال وبقاء التشريع.

قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾^(٣)

فتكفل النظام الشامل الكامل لكل ما تحتاج إليه البشرية في العقيدة والسلوك بالنسبة إلى الفرد والمجتمع واشتمل القرآن الكريم على آيات تتعلق بالأحكام الشرعية تبلغ

(١) نهج البلاغة ٤: ٧٩، الحكمة ٣٣٧. (٢) عدة الداعي: ٤١.

(٣) آل عمران: ٢ - ٣.

عدتها نحو خمسمائة آية، وعلى آيات تتعلق بالتاريخ تبلغ عدتها نحو ألف آية، وعلى آيات آخرتتعلق باليوم الآخر وأحواله وأهواله وحسابه وكتابه وثوابه وبعقابه، إلى غير ذلك مما ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية.

وقد تحدّى القرآن الكريم كافة البشر على أن يأتوا بمثله في عدالة التشريع وقابلية التطبيق و ضمان الحياة السعيدة» قائلاً: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣)

وقد سمع العرب والعالم هذا التحدي ولم يتمكنوا من أن يبدلوه بكتاب أسمى تشريعاً وأعمق مادةً وأجدر أسلوباً، ذلك لأنّ القرآن خيرة خالق العباد، العالم بأحوالهم ومبدأهم ومنتهاهم وهو المعجزة الخالدة ما بقي للعقل الإنساني كيان وللعلم استقلال، ومنذ ان قام الإسلام بنشاطاته الفكرية والسياسية في عصر الرسالة قامت قوى الشرّ تناقض النشاط الديني وحتى يومنا هذا حيث يحاول أعداء الإسلام أن يستغلّوا ما في نفوس المسلمين من نقاط ضعف ويشوّهوا الدين ويفسدوا الأخلاق باسم الحرية والنقد والديمقراطية، في حين أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أعطى للفكر أبعد حدود الحرية، فلا تقليد في العقائد ولا استغلال فكري ولا إكراه. قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾^(٤)

ومدرسة القرآن هذه التي أنقذت البشرية من ضلالها ورسول الله راعيها ومؤسسها، قد

(٢) يونس : ٣٨.

(١) البقرة : ٢٣.

(٤) المائدة: ١٥ - ١٦.

(٣) هود : ١٣.

٤٢٢ شرح الأربعين النبوية

أخرجت جيلاً متمتعاً بتربية إسلامية رشيدة عظيمة، طبقت العدالة والحرية والسلام، وانتمت إليها - على حدّ سواء - القوميات المختلفة من عرب و ترك و فرس و تقبلوا الإسلام بعقل حتى أصبحت قومية إسلامية واحدة.

صحيح أن الإسلام دخل بقوة، لكنه لو كان غير صالح لهم لرفضوه بعدما ذهبَت القوة، ولكن نرى العكس حيث نرى الاجيال من الفرس والترك والهند وغيرهم يعتقدون بالإسلام أشدّ الاعتقاد.

وهكذا عاش المجتمع الإسلامي في رحاب هدى القرآن أمة لها تاريخ ودول، وأصبح الفرد صاحب إرادة وحرية. ولما تركنا القرآن جانباً صار المجتمع يعاني كثيراً من المشاكل في الحياة من الظلم الكذب والفسل، أعاذ الله المسلمين شرّها.

في رحاب السُّنة:

١ - الرسول ﷺ: «من طلب الهداية بغير القرآن ضلّ، وهو الحبل المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا يلتبس على الإنس، ولا يخلق من كثرة القراءة، ولا يشبع منه العلماء، ولا ينقضي عجائبه»^(١)

٢ - علي عليه السلام: «إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى ونقصان في عمى»^(٢)

٣ - الصادق عليه السلام: «لا يعجبني أن يقرأ القرآن في أقل من شهر»^(٣)

٤ - الصادق عليه السلام: «قارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال؛ فإذا أخشع الله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾»^(٤)

(١) مستدرك الوسائل ٤: ٢٤٠، ح ٤٥٩٥. (٢) نهج البلاغة ٢٦ ٩١٧ الخطبة ١٧٦.

(٣) الكافي ٢: ٦١٧، ح ١. (٤) النحل: ٩٨.

وإذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة، فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خاليا واعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين، استانس روحه وسرّه ووجد حلاوة مخاطبة الله عبادة الصالحين»^(١).

٥ - الصادق عليه السلام: «إن القرآن لا يقرأ هزيمة»^(٢)، ولكن يرتل ترتيلاً، فإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها واسأل الله عز وجل الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوّذ بالله من النار»^(٣).

وهكذا ظل القرآن دستور المسلمين وقانونهم الأساسي الذي يرجع إليه في العقيدة والشريعة وكلّ شأن من شؤون الدين والدنيا.

والمسلمون وهم أكثر من مليار شخص - على ما بينهم من اختلاف في المذاهب - متفقون على قرآن عربي واحد، تجمعهم لغة القرآن في صلاتهم وحجّهم وعباداتهم ودعواتهم، وتهدي سلوكهم الاجتماعي، وقد أكد الإسلام تلاوة القرآن في آناء الليل وأطراف النهار. واهتمّ به الأوائل من المسلمين فجزّؤوه ثلاثين جزءاً كي يتمكن المسلم من قراءته في شهر واحد كشهر رمضان المبارك، كما وردت السنة بأداب خاصة لتلاوة القرآن، منها:

١ - الطهارة.

٢ - الاستعاذة.

٣ - البسملة.

٤ - التفكّر في معاني القرآن.

٥ - القراءة بصوت حسن.

وكان الإمام السجّاد عليه السلام من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار^(٤)، وقّنا الله جميعاً لتلاوته والعمل بقوانينه، آمين رب العالمين.

(١) رسائل الشهيد الثاني ١: ١٣٠. (٢) أي سريعاً.

(٣) الوسائل ٦: ٢١٦، ح ٧٧٧١. (٤) الوسائل ٦: ٣٠٩، ح ٧٧٥٢.

البر والإحسان

قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾^(١)
البرّ هو حسن المعاملة والإحسان هو البر عند الإساءة، فهما بمعنى واحد يلزمهنّ
الصلاح والصدق والطاعة والنظام.

وهو خلق كريم وسبب مباشر في محو الشقاء وإرساء قواعد الحب والسعادة، وأكد
عليها الإسلام كثيراً. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان
في الأعمار»^(٢)؛ وذلك أنهما خصلتان تكملان الشخصية الإنسانية بكمال الأفراد يكون
كمال المجتمعات والدول، والبر لكل إنسان أمر يحبّذه العقل والشرع، فكيف بمن له مزيد
عناية بك وله أثر مباشر في سعادتك كالأبناء والأمهات والأقارب، فقد اعتبر الإسلام النزول
لرغباتهم المشروعة واجباً شرعياً، والخروج عن اطاعتهم عقوباً، وكذلك من هم أبناء
جلدتك من الفقراء والمساكين الذين يعيشون في ضنك من العيش، فإن لهم حق معلوم
في مالك، أيّها الغني - فالواجب الإنساني عليك أن تدفعهم نحو السعادة والحياة الهانئة،
وتضمن بذلك حفظ الطبقة الكادحة عن الثورة والخيانة عليك حيث تقلّ رقابتك، ولا
شيء يمنعه سوى الضمير؛ فإن كنت أدّيت حقوقه الإنسانية فسوف يراعي حقوقك
الإنسانية، يقول تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾^(٣)

وقد قرن الإسلام الإحسان بالإيمان بالله، بل كاد يلزمه؛ ذلك أنه واجب إنساني
للإنسان، فكما أحسن الله إليك يجب أن تحسن إلى الناس: ﴿وأحسن كما أحسن الله
إليك﴾^(٤)

(٢) الكافي ٢: ١٠٠، ح ٨.

(٤) القصص: ٧٧.

(١) المائدة: ٢.

(٣) الإسراء: ٧.

وقد اعتبره من أوتق أسباب الترقى والتقدم الاجتماعي قائلاً: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾^(١)

فإن فائدة الإحسان تعود أولاً وقبل كل شيء إلى المحسن، فيشعر بالطمأنينة والهدوء النفسي فإنه ملأ نفسه فرحتان: فرحة قدرته على الإحسان، وفرحة إسعاد الفقير بأداء الواجب الإنساني الإسلامي نحو الناس.

هذا عدا ما وعده الرحمن قائلاً: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾^(٢)

وقال الله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾^(٣)
وقد عدّ القرآن الكريم بعض الخصال الكريمة من الإحسان والبر، منها:

الصبر: ﴿واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾^(٤)

الصبر: ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾^(٥)

الجهاد: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾^(٦)

الاتفاق مما يحب: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾^(٧)

وعدّ سبحانه وتعالى وجوهاً للبر في قوله: ﴿ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق

والمغرب ولكن البر

١- من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین.

٢- وءأتى المال على حبّه ذوي القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل والسائلین وفي الرقاب.

٣- وأقام الصلاة.

(١) لقمان : ٢٢. (٢) النمل : ٨٩.

(٣) الأنعام : ١٦٠. (٤) هود : ١١٥.

(٥) المائدة : ١٣. (٦) العنكبوت : ٦٩.

(٧) آل عمران : ٩٢.

٤- وآتى الزكاة.

٥- والموفون بعهدهم إذا عاهدوا.

٦- والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس.

أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتّقون^(١)

تلك هي النقاط التي تحقق الإحسان والبرّ، وليس مجرد تراتيل وترانيم فارغة عن الروح وبعيدة عن واقع العمل، بل هما مجموعة خصال ترتبط بصميم الحياة، وهكذا فإحسان والبر غاية ما تصبوا إليه الإنسانية لإقرار السلام في العالم وتعميم الخير والمحبة لجميع الافراد، ونعم ما قيل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم و طالما استعبد الإحسان إنساناً

في رحاب السُّنة:

١- الرسول ﷺ: «معاونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في

المسجد الحرام». ^(٢)

٢- الرسول ﷺ: «من كفّ غضبه كفّ الله عنه عذابه، ومن حسن خلقه بلغه الله درجة

الصائم القائم». ^(٣)

٣- الرسول ﷺ: «إن الخلق عيال الله، فأحبّ الخلق إلى الله من أدخل على أهل بيت

مؤمن سروراً، ومشيه مع اخيه في حاجته». ^(٤)

٤- الامام علي عليه السلام: «ليكن أحب الناس إليك وأحظاهم لديك أكثر سعيّاً في منافع

الناس». ^(٥)

٥- الصادق عليه السلام: «إنّ من كان وصولاً لإخوانه بشفاعته في دفع مغرم أو جرّ مغنم، ثبت

(١) البقرة: ١٧٧. (٢) مستدرک الوسائل ١٢: ٤٢٢ ح ١٤٥٠٣.

(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٧٦، ح ٢٣٨.

(٤) فقه الرضا عليه السلام: ٣٦٩. (٥) مستدرک الوسائل ١٢: ٣٩١، ح ١٤٣٨٤.

الله عز وجل قدمه يوم تزلّ فيه الأقدام»^(١).

٦- الصادق عليه السلام: «البرّ وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»^(٢).

٧- الصادق عليه السلام: «لان أمشي في حاجة أخ لي مسلم أحب اليّ من ان اعتق الف نسمة»^(٣).

٨- الصادق عليه السلام: «من لم يمش في حاجة وليّ الله ابتلي بأن يمشي في حاجة عدوّ الله»^(٤).

٩- الصادق عليه السلام: «يحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله رحماء بينكم متراحمين مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ»^(٥).

١٠- الكاظم عليه السلام: «من سرّ مؤمناً فبالله بدأ، وبالنبي ﷺ ثنى، وبنا ثلث»^(٦).

من هدى النبوة:

سيرة النبي ﷺ كلها دروس وعبر، وفي اليوم الذي هاجر إلى المدينة وحّد قلوب المسلمين في مشاعرهم وأهدافهم و مسيرهم ومصيرهم، وكان المسلمون فيها فريقين هما: الأنصار وهم أهل المدينة، والمهاجرون وهم أهل مكة النازحون إلى المدينة، وطبيعي أن توجد بينهما الوحشة والغربة؛ نظراً لما تأصّلت في الأمة الجاهلية من النظام القبلي، فقد سعى ﷺ عملياً في تغييره وإحلال النظام الإسلامي محلّه، وعقد التآخي بين جماعات المسلمين فاختر كل مسلم أخاً له يعيش معه حياة أخويّة صادقة، وتحقّقت الأخوة بين جماعات، فعقد الإخاء بين أبي بكر وخارجة بن زيد، وبين حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة، واختار الرسول ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام أخاً لنفسه.

(١) الوسائل ١٦: ١٦: ٣٤٢، ح ٢١٧١٥. (٢) الكافي ٢: ١، ح ٨.

(٣) الكافي ٢: ١٩٧، ح ٤. (٤) مشكاة الانوار: ٣٢١.

(٥) الكافي ٢: ح ١٥. (٦) مستدرک الوسائل ١٢: ٣٩٩، ح ١٤٤٠٩.

حقوق الأخوة الإسلامية

يحدد الإمام الصادق عليه السلام حق الأخوة في الإسلام في سبع نقاط، قال ابن خنيس سألت أبا عبد الله عليه السلام: ما حق المسلم على المسلم؟ قال عليه السلام: «له سبعة حقوق واجبات، ما منهن حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب... إلى أن قال عليه السلام:

- ١- أيسر حق منها: أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك و تكره له ما تكره لنفسك.
 - ٢- والحق الثاني: أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته و تطيع أمره.
 - ٣- والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.
 - ٤- والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته.
 - ٥- والحق الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويضماً، ولا تلبس ويعرى.
 - ٦- والحق السادس: إن يكن لك خادم وليس لأخيك خادم، وجب أن تبعث خادمك، فيغسل ثيابه ويصنع طعامه، ويمهّد فراشه.
 - ٧- والحق السابع: أن تبرّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته»^(١).
- وهكذا يجعل الإسلام الاخاء الإسلامي رابطة متينة في سبيل تكوين المجتمع الفاضل المساهم في الحضارة الإنسانية.

مقياس الفضيلة:

يتحدد مقياس الفضيلة من الوجهة الإسلامية بكلمتين: «أن تحب لأخيك ما تحبّ

(١) كتاب المؤمن: ٤٠.

لنفسك»^(١) فلا يكمل الايمان للانسان المسلم الا إذا نظر إلى إخوانه من المسلمين كما ينظر إلى نفسه ويعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه به، فيحبّ لهم الخير كما يحبّ لنفسه، ويكره لهم الشرّ والضرر كما يكره لنفسه، وما أدقّه من مقياس عادل لا يحيد، وهذا شرط أساسي في كمال الايمان حتى يصبح المسلمون أمة واحدة صفّاً كأنّهم بنيان مرصوص، ويسود المجتمع الحبّ والتعاون بعيداً عن الأنانية والأحقاد.

وهذا المقياس الإسلامي والميزان الإنساني يعاكس تماماً ما عليه المقاييس المادية التي تعاني منها الشعوب والأمم، وتقوم على أساسها الدول المستغلّة على حساب الشعوب الضعيفة، وقد حارب الإسلام بكلّ شدّة الاستغلال بكلّ مظهره حيث خاطب البشرية جمعاء بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢)

وقال رسول الله ﷺ: «لا فضل للعربي على العجمي، ولا الأحمر على الأسود بالتقوى»^(٣).

وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علّمني عملاً أدخل به الجنة؟ فقال ﷺ: «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فاته إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأتّه إليهم»^(٤).

ويقول الإمام علي عليه السلام في وصيته للحسن عليه السلام: «اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فلا تظلم كما لا تحبّ أن تظلم، وأحسن كما تحبّ أن يُحسن إليك، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس ما ترضى لنفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك»^(٥).

(١) الدعوات؛ للراوندي ٢٢٦. (٢) الحجرات: ١٣.

(٣) الايضاح، للفضل بن شاذان: ٢٨٢. (٤) الكافي ٢: ١٤٦، ح ١٠.

(٥) نهج البلاغة ٣: ٤٥، الكتاب ٣١.

٤٣٠ شرح الأربعين النبوية

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى بعض مصاديق هذا الميزان، كما كان عليه السلام في حياته مثلاً أعلى لهذا المقياس الدقيق حتى قال عليه السلام: «أفنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟»^(١)

وقد جاء في الحديث النبوي إشارة إلى ثلاثة مصاديق بارزة لهذا الميزان:

١ - فعل الخير من دون ملل.

٢ - عدم التناقل على أحد.

٣ - عدم المنّ على الناس.

أما فعل الخير، فقد اهتم الإسلام بالخيرات اهتماماً بالغاً، قال تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير﴾^(٢)

وقال: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾^(٣)

وقال الرسول الله ﷺ: «رأس العقل - بعد الإيمان بالله - التودّد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل برّ وفاجر»^(٤)

وقال الرسول ﷺ: «إن الله يحبّ من الخير ما يعجل»^(٥)

وقال علي عليه السلام: «لفعلوا الخير ولا تحتقروا منه شيئاً، فإن صغيره كبير، وقليله كثير، ولا يقولنّ أحدكم: إنّ أحداً أولى بفعل الخير مني، فيكون والله كذلك، إنّ للخير والشر أهلاً، فما تركتموه منهما كفاكموه أهله»^(٦)

وقال الباقر عليه السلام: «إذا هممت بخير فبادر؛ فإنك لا تدري ما يحدث»^(٧)

أمّا التناقل على الناس، فهو يوجب الملل فالحقد والعداء، لذلك أوجب الإسلام الرفق

(١) نهج البلاغة ٣: ٧٢، الكتاب ٤٥. (٢) البقرة: ١٤٨.

(٣) المزمّل: ٢٠. (٤) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٨، ح ٧٧.

(٥) المعتبر ٢: ٦٢. (٦) نهج البلاغة ٤: ٩٩، الحكمة ٤٢٢.

(٧) الكافي ٢: ١٤٢، ح ٤.

في الصحبة، قال رسول الله ﷺ: «ما اصطحب اثنان الا كان أعظمهما أجراً، وأحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه». (١)

وقال ﷺ أيضاً: «لو كان الرفق خلقاً يُرى، ما كان فيما خلق الله شيء أحسن منه». (٢)

وقال ﷺ أيضاً: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف». (٣)

وقال ﷺ: «المداراة نصف الايمان، والرفق نصف العيش». (٤)

وقال ﷺ: «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض». (٥)

وقال علي عليه السلام: «إياكم ومعادة الرجال فإنهم لا يخلون من ضربين؛ من عاقل يمكر بكم، أوجاهل يعجل عليكم». (٦) وقال عليه السلام:

وليس كثيراً ألف خلٌ وصاحب وإنّ عدواً واحداً لكثير (٧)

وقال عليه السلام أيضاً: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه». (٨)

وقال رسول الله ﷺ: «أَيُّما مسلمين تهاجرا فمكتنا ثلاثاً لا يصطلحان الا كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأَيُّهما سبق الكلام لأخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب». (٩)

وأما الامتنان بالإحسان فقد قارنه تعالى بالأذى، ووصفه بالبطلان، لقوله: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾ (١٠)

(١) منتهى المطلب ٢: ٦٤٧ (الطبعة الحجرية).

(٢) الكافي ٢: ١٢٠ ح ١٣.

(٣) مسند أحمد ١: ١١٢.

(٤) الكافي ٢: ١١٧ ح ٤.

(٥) الكافي ٢: ١١٧ ح ٤.

(٦) الخصال: ٧٢ ح ١١١.

(٧) امالي الصدوق: ٧٦٦.

(٨) نهج البلاغة ٤: ٤٠، الحكمة ١١.

(٩) نهج البلاغة: ٤٠، الحكمة ١١.

(١٠) البقرة: ٢٦٤.

وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى﴾^(١)

وهذا نصّ على أنّ الصدقة تبطل بالمنّ، ومعناه أنّ الذي أتى بالصدقة بالرغم من جهده المبذول يكون كمن لم يأت بشيء أصلاً؛ إذ هو عملٌ باطل.

وهذه الخصال خيرها وشرّها، ليست متأصلة في الإنسان، وإنما تنتقل إلى الإنسان بعوامل خارجية من البيئة والعائلة والمجتمع، فكما أنها انتقلت إلى الفرد بعوامل خاصة كذلك يمكن أن تزول بعوامل خاصّة، فإن التربية لها أثرها في النبات والحيوان والإنسان، وليس شيء من أخلاق الإنسان وعاداته ومعتقداته إلّا وهو قابل للتغيير والتبدّل.

قال ابن مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ هـ): «الخلق حال للنفس يحملها على أداء أعمالها دون فكر وروية، وهذه الحال إما طبيعيّة من أصل المزاج كالغضب لأوهى الأسباب، والفرع من ضعيف الأصوات، والحزن على تافه الأشياء، وإما مستفادة بالعادة والتدرّب حتى صارت ملكة وخلقاً كالشجاعة»^(٢).

وبالرغم من اضطراب الفكر الفلسفي في طبيعة الإنسان، وهل هو مجبول على الخير أو الشر؟ فقد انتصر للرأي الأوّل (سقراط) الحكيم الإغريقي (المتوفى ٣٩٩ ق.م).

وانتصر للثاني (فلوطين) الحكيم اليوناني (المتوفى ٢٦٢ ق.م) ولكن النظرية المتوسطة بينهما ما شرحه ابن مسكويه الحكيم الإسلامي بقوله: «الحق إن الإنسان يولد مطبوعاً على قبول الخلق، إذ تراه ينتقل بالتأديب والمواعظ إمّا سريعاً وإمّا بطيئاً؛ لأنّ القول بعدم قبول الخلق يؤدي إلى إبطال قوّتي التمييز والعقل، وإلى رفض السياسات كلّها وترك الناس جمعاً مهمّلين وإلى ترك الأحداث والصبيان بغير سياسة ولا تعليم، وهذا ظاهرة الشناعة».

وقد يكون هذا واضحاً؛ فإنّ كلّ مولود يولد صحيح البدن ويتكامل على أثر العوامل الخارجية من التربية والتغذية حتى يتكامل إنساناً صحيح الجسم قويّ البدن، وكذلك

(٢) الاخلاق؛ لابن مسكويه.

(١) البقرة : ٢٦٣.

يولد صحيح الفطرة وتتكامل النفس بالتربية والتعليم، فالتربية الصحيحة يتأتى أثرها من الصلاح والسعادة فتكوّن العضو الإنساني النافع في المجتمع، وهذا ما يصرّح به القرآن الكريم: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١)

وقال الله: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى﴾^(٢)
وقال أيضاً: ﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٣)

والناس جميعاً سواء في هذه الطبيعة، كلّهم من آدم ﷺ وآدم من تراب، ولا فضل للإنسان على إنسان ولا لشعب على شعب ولا لسلالة على سلالة إلاّ بالعمل والعمل والتقوى بالتربية الفكرية والجسمية والوقاية من مزالق الانحراف والفساد، وهذا ما يشير إليه الإمام علي عليه السلام بقوله:

أبوهم آدم والأُمّ حواء	الناس من جهة التمثال أكفاء
يفخرون به فالطين والماء ^(٤)	فإن يكن لهم من أصلهم شرف

(٢) النجم : ٣٩.

(١) الانسان : ٣.

(٤) حاشيه ردّ المحتار؛ لابن عابدين ١ : ٤٣.

(٣) الشمس : ٧ - ١٠.

حدود الشريعة

يؤكد الإسلام على إعطاء الإنسان الحرية الكاملة في شتى مجالات الحياة من العقيدة والعلم والعمل مع شرط واحد فقط هو (أن لا يتعدى على حقوق الآخرين) وهي تطابق تماماً القوانين الوضعية (من الحرية في حدود القانون) وهذا ما يشير إليه الحديث النبوي: «وأن تكون الدنيا عندك سجنًا».^(١) ذلك أن مراعاة حقوق الآخرين تفرض على حرية الإنسان في الدنيا قيوداً لا يجوز تخطيها في الشريعة الإنسانية، ويظهر ذلك جلياً في تشريعات الإسلام المختلفة، وأهم هذه الحقوق هي:

١- حق الحياة.

٢- حرية الإرادة.

٣- حرية العمل.

وأما ما يستلزمها من التعليمات، فقد قرّر الإسلام أن ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾^(٢)، وكذلك أولى اهتماماً بالحصانة في الحياة ما لم تستلزم التعدي على حياة الآخرين: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾^(٣)

وأعطى الإنسان حريته الكاملة في الإرادة: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾^(٤)

(١) انظر الحديث في أول الكتاب. (٢) المائدة: ٣٢.

(٣) البقرة: ١٧٩. (٤) البقرة: ٢٥٦.

وقال الله: ﴿إنا هدينا السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾^(١)

ولم يكلف الكفار الذميين بشيء من تعاليم الإسلام إلا في حدود المصلحة العامة وقاوم الإكراه والعنف في مختلف صورته وأساليبه، قال تعالى: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾^(٢)

وكذلك أعطى حرية العمل لكافة البشر - ذكوراً وإناثاً - فقال تعالى: ﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى﴾^(٣)

ودعى إلى التساوي الكامل بقوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾^(٤)

والقوانين الوضعية تقرّ هذه الحقائق بعد تفكير بشري محدود بعالم المادة والماديات، ولكن الدين الإسلامي سبقها، لأن الدين أمر غريزي للإنسان فيه إصلاح الناس جميعاً وهو الفطرة الإنسانية التي أشار إليها القرآن الكريم في مختلف الآيات ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾^(٥)

ولما كان الفكر البشري يتطور من حالة إلى أخرى أرقى شأناً - كما هو شأن كل المخلوقات في سيرها التكاملية - بعث الله أنبياء وشرّع شرائع تطابق هذا التطور الفكري ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾^(٦)

وكانت روح الشرائع واحدة تهدف إلى تهذيب الإنسان في الحياة الفاضلة، قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى

(١) الإنسان : ٣.

(٢) يونس : ٩٩.

(٣) آل عمران : ١٩٥.

(٤) الحجرات : ١٣.

(٥) الروم : ٣٠.

(٦) النساء : ١٦٥.

وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرّقوا فيه^(١)

والإسلام آخر الشرائع الإلهية التي به كمالها في سيرها التكاملي، كما أتمّ به كمال التشريع الإسلامي بقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٢) وقد حدّد تاريخ نزوله في ١٨ / ذي الحجة / سنة ١٠ هـ وقد تكفّلت الشريعة الإسلامية لأحكام الحياة كلّ ما فيه الخير والصلاح للإنسان منذ أن يولد ويتعهده الوالدان بالتربية وفق أصولها إلى أن يفارق الحياة، من التشريعات التي تتكفل كرامة الإنسان والإنسانية، كما شرط في كافة تشريعاته شروطاً إنسانية عادلة، هي:

١- البلوغ، فلا تعمّ الصبي.

٢- والعقل، فلا تعمّ المجنون.

٣- والرشد، فلا تعمّ السفه.

٤- والاختيار، فلا تعمّ المكره.

٥- والقصد، فلا تعمّ الساهي.

٦- ونفي الضرر والغبن.

٧- والقدرة، فلا تعمّ العاجز؛ فإنه ﴿لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها﴾^(٣)

وهذا السماح واليسر من الإسلام أصل هام يترتّب عليه فروع كثيرة في حياة الإنسان المسلم، فيسقط الواجب الديني في حالة الحرج إلى بدلٍ أو مطلقاً.

وقد استوعبت الشريعة الإسلامية تنظيم حياة الإنسان من مختلف الوجوه في الجانب الروحي المتمثل في علاقة الإنسان بربه، أي (العبادات)، والجانب الاجتماعي المتمثل في علاقة الفرد بالمجتمع أي (الأخلاقيات)، والجانب الاقتصادي المتمثل في علاقة الفرد

(٢) المائدة ٣.

(١) الشورى: ١٣.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

بالفرد (المعاملات).

هذا، بالإضافة إلى تشريعاته الأخرى في الأحوال الشخصية والعقوبات والعلاقات الإدارية من الولاية والحسبة وغيرها مما يسلكه الإنسان المسلم في مناجاه اليومي والأسبوعي والسنوي.

وقد اعترف كبار الفلاسفة ورجال القانون بأصالة الإسلام وعدالته في تشريعاته المتكفلة لسعادة الإنسان، كل حسب طبيعته من دون تفريق في الجنس أو اللون أو النسب.

وقد اعترف بذلك في المؤتمر الدولي للقانون الذي تمّ عقده في مدينة (لاهاي) في شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ م، وقرّر بوضوح أنّ الشريعة الإسلامية لم يتأثر بالقانون الروماني بل هي شريعة مستقلة قائمة بذاتها.

ويكفي دليلاً على واقعية الإسلام أنه وإن دخل بالقوّة ولكن الشعوب - من عرب وفرس وترك وغيرها - لمّا عرفت واقعية الإسلام وصلاحيته للحياة اعتنقوه من صميم القلب، وجعلوه دستورهم في الحياة القانونية والمدنية، ولم تعد داعية إلى الحياة الجاهلية قبل الإسلام، وليس ذلك نابغاً إلا من واقعية هذا الدين وصلاحيته وخلوده وتأمينه للحياة الأفضل.

قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(١)

٤٣٨ شرح الأربعين النبوية

الخاتمة

الأربعون حديثاً

٤٤٠ شرح الأربعين النبوية

الأربعون حديثاً

استمرت عادة أصحاب الحديث من مختلف الفرق الإسلامية على تأليف (أربعين حديثاً) مدروساً ومشروحاً وذلك لما روي عن النبي ﷺ بأن لحفظ الأربعين حديثاً في شؤون الحياة آثاراً دينية.

ويحتفظ التراث الإسلامي بطائفة كبيرة من هذا النوع من المؤلفات.^(١) والمهم في الأمر معرفة الحكمة الداعية لتحديد عدد الأربعين دون زيادة أو نقصان، فإن تركيز الروايات الكثيرة على هذا العدد، وكذا بعض العادات لابد وأن يكون نابغاً عن خصوصية فيه توجب مزية وفضيلة له على سائر الأعداد، فإن العرب يُطلقون السبع والسبعين والسبعمائة، ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر.^(٢) فإن هذه المسامحة مقصورة على مواردّها، وليس منها عدد (الأربعين).

نصوص كثيرة:

فإنّ هناك نصوص كثيرة وردت في عدد (الأربعين) وهي تفيد اهتمام الشريعة بهذا العدد اهتماماً خاصاً، وإليك بعضها:

١ - قال تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين

(٢) راجع: النشر في القراءات العشر: ٢٥.

(١) راجع: الذريعة ١: ٤٠٩.

ليلة ﴿^(١)﴾

٢- وقال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كُرهاً ووضعته كُرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك...﴾ ^(٢)

٣- قال رسول الله ﷺ: «من أخلص لله أربعين يوماً فجزَّ الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». ^(٣)

٤- وقال ﷺ أيضاً: «كل أربعين داراً جيران من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله». ^(٤)

٥- وأيضاً: «حدّ الجوار أربعون داراً من أربعة جوانبها». ^(٥)

٦- وأيضاً: «حريم المسجد أربعون ذراعاً». ^(٦)

٧- وقال أيضاً: «ما من عبد إلا وعليه أربعون جنة». ^(٧)

٨- قال الإمام الكاظم ﷺ: «من حج أربعين حجة قيل له: اشفع فيمن أحببت، ويفتح له باب من أبواب الجنة يدخل منه هو ومن يشفع له». ^(٨)

٩- وقال الصادق ﷺ: «ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عز وجل في أمر إلا استجاب لهم، فإن لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله عز وجل عشر مرات إلا استجاب لهم، فإن لم يكونوا أربعة فواحد يدعوا الله أربعين مرة فيستجيب الله العزيز الجبار له». ^(٩)

(١) الأعراف : ١٤٢. (٢) الأحقاف : ١٥.

(٣) عيون اخبار الرضا ﷺ : ١، ٧٤، ح ٣٢١.

(٤) الكافي : ٢، ٦٦٩، ح ١. (٥) تذكرة الفقهاء ٢ : ٤٦٩ (الطبعة الحجرية).

(٦) انظر: تذكرة الفقهاء ٢ : ٤١٤ (الطبعة الحجرية).

(٧) علل الشرائع : ٢، ٥٣٢، باب ٣١٦. (٨) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٢١٧، ح ٢٢١١.

(٩) نقله كاشف الغطاء في كشفه : ٢، ٣٠٩.

الأربعون حديثاً / الأربعون حديثاً ٤٤٣

ونكتفي بهذه عن نصوص مضاهية تثبت أن لعدد الأربعين خاصّة تميّزه عن سائر الأعداد.

حدثان بارزان:

وفي التاريخ الإسلامي حدثان بارزان روعي فيهما عدد الأربعين، ولا يمكن اعتبار حدوثهما من قبيل الصدفة والاتفاق:

الأول: بعثة الرسول الأكرم ﷺ عند بلوغه من العمر أربعين عاماً (أي عام: ٦٠٩ للميلاد) وفي ذلك قيل:

وأنت عليه أربعون فأشرق
شمس النبوة منه في رمضان^(١)

حيث كان سنّ الأربعين يعتبر السنّ التي يبلغ فيها الإنسان ذروة الكمال والعقل - وعلى الأقل في اعتقاد العرب - فكانت البعثة النبويّة الشريفة في العمر الذي تقتضيه الطبيعة البشرية أو اعتقاد العرب، لذلك لانجد اتّهاماً لشخص النبي بالصباوة والحدائثة في العمر بالرغم من اتّهامه بغيرها.

الثاني: زيارة الأربعين، اءثر رجع آل البيت عليهم السلام من دمشق إلى كربلاء في ٢٠ صفر ٦١هـ، بعد أربعين يوماً من مقتل الحسين ﷺ في حادثة كربلاء الرهيبة في ١٠ محرم نفس العام، على المشهور وهذه الزيارة أيضاً لم تكن اعتباطاً بل كانت مقصودة باعتبار أن يوم الأربعين هو نهاية أيام الحداد والعزاء، وبه ينتهي المصاب ومراسم الحداد كما هو المعتاد في بعض الطوائف - لحدّ التاريخ - وذلك أن آل البيت ﷺ لم يكونوا الوحيدين في هذه الزيارة، بل زار الحسين ﷺ في نفس اليوم جماعة من بني هاشم، وكذلك جابر بن عبدالله الأنصاري الصحابي الجليل، ولمّا لاح سواد من الشام - وهم في كربلاء - أرسل جابر غلامه قائلاً: «انطلق إلى هذا السواد واتنا بخبره... وإن كان زين

(١) راجع: السيرة الحلبية ١: ١٢٨.

العابدين فأنت حرّ لوجه الله».

وهكذا نجد جابراً متوقّفاً لقدوم آل البيت الذين هم أهل العزاء والمصائب في يوم الأربعين بالذات، وما ذلك إلا من أجل استقرار هذه العادة عند العرب - أو في بني هاشم خاصة - ولعلّ إلى هذه الخاصّة تشير الآية الكريمة: « (حتّى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة) ^(١) باعتبار أنّ كمال العقل الإنساني إنّما هو في سن الأربعين، ويؤكدّه ما فسّره الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشدّه، وإذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه، فإذا طعن في إحدى وأربعين فهو في النقصان، وينبغي لصاحب الخمسين أن يكون كمن كان في النزع» ^(٢).

وأيضاً ما روي: «إن العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة، فإذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عز وجلّ إلى ملكيه: إني قد عمّرت عبدي عمراً فغلظاً وشدّداً وتحفظاً واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره» ^(٣).

قَمَّةُ الكَمال:

إنّ كمال كلّ شيء في عدد الأربعين باختلاف الموارد والأشياء، فكمال العمر في أربعين سنة، وكمال الدّعاء في أربعين مرة، وإذا جالست رجلاً أربعين مجلساً فيمكنك معرفته معرفة كاملة، ولا يمكن الحكم على معرفتك إيّاه بالكمال وصفه بالصدق والأمانة إلا بعد صحبته وامتحانه أربعين مرة.

وكمال الوعي في موضوع من الموضوعات إنّما يكون بعد دراسة أربعين مادّة حول ذلك الموضوع، وهكذا باختلاف الموارد، ولعلّ إلى هذا الأصل يستند العرفاء بقولهم: «إنّ كلّ صورة ترسم في الذهن إذا نظر إليها مدة أربعين يوماً، سواء كانت صورة إنسان أو

(٢) الخصال: ٤٥٧، ح ٤.

(١) الاحقاف: ١٥.

(٣) الكافي ٨: ١٠٨، ح ٨٤.

نبات أو جماد، وإن هذه الصورة تعتبر (فيضاً) من الله، ويعبر عنها بالفيض الإلهي». وهذا ما يشير إليه المحدث النوري بقوله: «ومما يشتركان - أي العرفاء وأهل الشرع - فيه: المواظبة على عمل مخصوص أربعين يوماً، وقد ذكرنا في حواشي كتابنا المسمى بكلمة طيبة أربعين خبراً يستظهر منها أن في المواظبة على شيء حسن أوقيح أربعين يوماً تأثيراً في الانتقال من حال إلى حال، وصفة إلى صفة، حسنة كانت أوقيحة»^(١).

وقد رويت في نصوص الأحاديث الآتية آثاراً جلية تترتب على حفظ الأربعين حديثاً، منها قوله ﷺ:

١ - «بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً» كما في الحديث الثاني.

٢ - وبزيادة كلمة «لم يعذبه» في الحديث الأول والسادس.

٣ - «كنت له شفيعاً يوم القيامة» كما في الحديث الرابع.

٤ - «بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء» كما في الحديث التاسع.

٥ - «حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» كما في الحديث السابع .

وبناءً عليه: تفيد ما تقدم من أحاديث الأربعين أنه لا يمكن لأحد أن يدعي معرفة كاملة للإسلام إلا بعد الدراسة بالوعي الكامل لأربعين حديثاً نبوياً في المفاهيم الإسلامية المختلفة دراسة واعية، وإنما يعتبر المسلم مسلماً بعد تطبيق حياته العملية عليها.

نصوص الأحاديث:

اتفقت كلمة المحدثين على اعتبار أحاديث الأربعين والاستناد إليها والتعويل عليها إما لاشتهارها أو استفاضتها أو تواترها - باختلاف تعابيرهم - وبذلك يستغنى عن البحث في سندها. قال الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي (ت ٧٨٦ هـ) «إن حديث حفظ

٤٤٦ شرح الأربعين النبوية

الأربعين هو المشهور في النقل عنه عليه السلام. وقال العلامة المجلسي رحمته الله: «هذا المضمون مشهور مستفيض بين الخاصة والعامة، بل قيل: إنه متواتر»^(١).

وقال شيخنا العلامة اعلى الله مقامه: «قد تحققت السُّنة الأكيدة البالغة إلينا بالطرق الصحيحة عن سيّد الرسل عليه السلام بقوله: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً...»^(٢)

وهكذا نجد الأعلام رفعوا أحاديث الأربعين عن مرتبة الآحاد، واستغنوا عن البحث في الإسناد، وأما دعوى التواتر اللفظي فهو في غاية الإشكال كما يظهر من التأمل في نصوص الأحاديث، وقد أنهاها العلامة المجلسي رحمته الله في بحار الأنوار الى عشرة كاملة.

والمهم: أن القيود المأخوذة في بعض هذه الأحاديث تفيد بأن مجرد الحفظ عن ظهر القلب - كما جرت عليه السيرة - ليست له أية قيمة معنوية في نظر الإسلام ما لم يدعمه العمل، وهذا يدعونا إلى استعراض النصوص كاملة بإيرادها متناوذة ذكرها العلامة المجلسي باسنادها في البحار^(٣).

الأول: قال الصادق عليه السلام: «من حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً»^(٤).

الثاني: قال رسول الله عليه السلام: «من حفظ من أمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً»^(٥).

الثالث: قال رسول الله عليه السلام: «من حفظ من أمتي أربعين حديثاً ممّا يحتاجون إليه في أمر دينهم، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»^(٦).

الرابع: عن النبي عليه السلام: «من حفظ من أمتي أربعين حديثاً من السُّنة كنت له شافعياً يوم

(١) راجع بحار الأنوار ١: ١٥٦. (٢) راجع الذريعة ١: ٤٠٩.

(٣) بحار الأنوار ٢٠: ١٥٣. (٤) الوسائل ٢٧: ٩٦، ح ٣٣٣٠٩.

(٥) أمالي الصدوق: ٣٨٢، ح ٤٨٨. (٦) الخصال ١: ٥٤١، ح ١٥.

القيامة».(١)

الخامس: عن النبي ﷺ أيضاً: «من حفظ عني من أمتي أربعين حديثاً في أمر دينه، يريد به وجه الله عز وجل والدار الآخرة، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً».(٢)

السادس: عن الصادق عليه السلام: «من حفظ عني أربعين حديثاً من أحاديثنا في الحلال والحرام، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ولم يعذبه».(٣)

السابع: عن النبي ﷺ: «من حفظ من أمتي أربعين حديثاً، يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة، حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً».(٤) وسنفرد لهذا بحثاً خاصاً.(٥)

الثامن: عن النبي ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله تعالى يوم القيامة فقيهاً عالماً».(٦)

التاسع: عن النبي ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله تعالى يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء».(٧)

العاشر: عن النبي ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها في أمر دينهم بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً».(٨)

(١) الخصال: ٥٤٢، ح ١٦.

(٢) الخصال: ٥٤٢، ح ١٧.

(٣) روضة الواعظين: ٨.

(٤) الخصال: ٥٤٣، ح ١٩.

(٥) الخصال: ٥٤٣، ح ١٩.

(٦) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٤١، ح ٩٩.

(٧) مستدرك الوسائل ١٧: ٢٨٧، ح ١٢١٣٦٦.

(٨) بحار الانوار ٢: ١٥٦، ح ١٠.

مفردات الحديث

ولا بدّ لنا من شرح بعض المفردات الواردة في النصوص المذكورة:

أولاً - الحفظ:

واختلفت الأقوال في المراد منه، ونقل العلامة المجلسي أقوالاً ثلاثة:
الأول: أن المراد الحفظ عن ظهر القلب، فإنّه هو المتعارف المعهود في الصدر السالف؛
فإن مدارهم كان على النقش على الخواطر لاعلى الرسم في الدفاتر، حتى منع بعضهم من
الاحتجاج بما لم يحفظه الراوي عن ظهر القلب.
الثاني: أن المراد الحراسة وعن الانداس ما يعمّ الحفظ عن ظهر القلب والكتابة والنقل
من الناس ولومن كتاب وأمثال ذلك.

الثالث: أن المراد تحمّل الحديث على إحدى وجوه الرواية المقررة في علم الدراية.
ثم قال المجلسي: «والحق أنّ للحفظ مراتب يختلف الثواب بحسبها، فأحداها: حفظ
لفظها، سواء كان في خاطر أو في الدفاتر وتصحيح لفظها واستجازتها، وثانيها: حفظ
معانيها والتفكير في دقائقها واستنباط الحكم والمعارف منها، وثالثها: حفظها بالعلم بها
والاعتناء بشأنها والاعتاظ بها».

وقال شيخنا العلامة اعلى الله مقامه: ^(١) «واطلاق الحفظ عليه في تلك الأحاديث، لو
فرض شموله للحفظ عن ظهر القلب، أو الحفظ بالتدبر من فهم المراد، والحفظ بالعمل على
طبقه، لكن أظهر مصاديقه كتابة الحديث عنه، ولذا جرت سيرة الأعلام على اقتفاء هذه
السُّنة بتأليف كتاب يدوّن فيه أربعون حديثاً» ^(٢).

(٢) الذريعة ١: ٤٠٩.

(١) بحار الأنوار ٢: ١٥٧.

الحفظ بمعنى التعقل:

وهذا الاضطراب والاختلاف في كلماتهم ناشىء من الجمود على نقول اللغويين في معاني الحفظ، فقد قال ابن سيدة: «الحفظ نقيض النسيان وهو التعاهد وقلة الغفلة»^(١) وفي مختار الصحاح: «حفظ الشيء - بالكسر - حَرَسَهُ، وحفظه أيضاً استظهره»^(٢) واستظهار الدرس هو تلاوته بلا كتاب، وهكذا نجد في كتب اللغة معاني الصيانة والرعاية، وكتمان السر وقوة الذاكرة، ولا تجد فيها للحفظ معنى التعقل، وإذا جاز لنا اعتبار كتب اللغة مستودعات لاستعمال اللفظ العربي في العصور المختلفة، فتختلف دلالة الألفاظ باختلاف الاستعمال، إذاً فيجوز أن يشذ عن بعضهم استعمال خاص في عصر خاص، ويفتقر في تعيين المعنى إلى مزيد اجتهاد في ذلك كي لا يفوت علينا معنى من معاني اللفظ العربي، وهذا ما أراه واقعاً في مادة (الحفظ).

فبالرغم من أننا لانجد في قواميس اللغة من معاني الحفظ: (التعقل)، ولكن هذا المعنى ينطبق تماماً على نصوص الأحاديث، فإن هذه الآثار الدينية التي جاءت بها السُّنة في الدنيا والآخرة، لا يمكن أن تترتب على مجرد حفظ الحديث في الذاكرة، وترديدها كاللبغاء من دون وعي لها أو عمل بها، ويمكن القول بأن المعنى (الوعي والتعقل) هو المراد في مادة (الحفظ). أي التيقُّظ من السقطة و(الحفاظ) على المحارم و(المحافظة) أي المواظبة على الأمر كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٣) أي صلّوها في أوقاتها وواظبوا على إقامتها في مواقيتها. ولا شك أن المعاني الثلاثة المتقدمة - أعني: الحفظ عن ظهر القلب، والحفظ بالكتابة والتأليف، والحفظ بالتخزين في المكتبات - لا أثر لها إلا باعتبارها وسائل توعية ودراستها وأثرها في الحياة العملية.

ويرشدنا إلى أن (التعقل) والوعي من معاني الحفظ: ما نقل عن ابن دأب، أبي الوليد عيسى بن يزيد بن بكير بن دأب، وهو من أهل الحجاز وكان أكثر أهل عصره أدباً وعلماً

(١) لسان العرب ٧: ٤٤١، مادة: «حفظ». (٢) مختار الصحاح: ٨٣.

(٣) البقرة: ٢٣٨.

ومعرفة بأخبار النَّاسِ وأَيَّامِهِمْ^(١) فقد نقل العلامة فقد نقل العلامة المجلسي في معاني الحفظ قوله: «هو الذي تسميه العرب العقل»^(٢) ولعلَّ إلى ذلك يشير ما قاله السيّد علي خان المدني: «الحفظ تارة يقال لقوة النفس التي تثبت ما يؤدي إليها الفهم، وتارة لاستعمال تلك القوة، وتارة لضبط الشيء في النَّفس. والحفظ بمعنى الوعي والتعقل هو المراد في كلمات الأئمة عليه السلام، فقد قال الصادق عليه السلام: «اكتبوا فإنكم لا تحفظون إلا بالكتابة. وقال أيضاً: «أما إنكم لن تحفظوا حتّى تكتبوا» وقال الإمام المجتبى عليه السلام: «تعلموا العلم؛ فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه في بيوتكم»^(٣).

ثانياً - مفهوم الحديث:

يقول العلامة المجلسي: «الحديث في اللغة يرادف الكلام، سمي به لأنه يحدث شيئاً فشيئاً... وعند أكثر محدثي الإمامية يطلق الحديث الآ على ما كان عن المعصوم عليه السلام»^(٤). وطبيعي أنّ هذا المعنى المصطلح ليس مراداً، بل المقصود هو المعنى المتعارف حينذاك، ولا يبعد أن يكون مطلق حفظ الأحكام والمواعظ ونحوها حتّى ولو لم ينطبق المعنى المصطلح عليه، كما في الآيات الكريمة المتعلقة بالأحكام والأخلاق والمواعظ وما شابه، وعليه تشمل هذه الأحاديث الحفظ للمنقول بالمعنى وإن لم يصدق الحديث بالمعنى المصطلح.

ثالثاً - موضوع الأحاديث:

قال العلامة المجلسي: «ظاهر أكثر الأخبار تخصيص الأربعين بما يتعلّق بأمر الدين من أصول العقائد والعبادات القلبية والدينية، لا ما يعمها وسائر المسائل من المعاملات والأحكام، بل يظهر من بعضها كون تلك الأربعين جامعة لامّها العقائد والعبادات

(١) الكنى والألقاب ١: ٢٧٧. (٢) بحار الأنوار ٤٠: ١٠٩.

(٣) راجع بحار الأنوار ٢: ١٥٣. (٤) بحار الأنوار ٢: ١٥٨.

والخصال الكريمة والأفعال الحسنة»^(١).

وما أفاده ﷺ من ظهور اختصاص الأربعين بغير المعاملات والأحكام، غريب؛ وذلك لأن الروايات التي نقلها ﷺ أما مطلقة وأما مقيدة بقوله: (من السنة) أو (في الحلال والحرام) أو (مما يحتاجون إليه في أمر دينهم) وهذه التفسيرات كلّها تعمّ العبادات وغيرها من المعاملات والأحكام؛ فإن الأحكام الإسلامية عامة - عبادة كانت أو غيرها - من السنة المطهرة، وفيها الحلال والحرام، وهي من الأمور الدينية التي تحتاج إليها الأمة، ومما ينتفعون بها، بل في بعضها نص بالمعاملات والأحكام كقوله ﷺ في الحديث الحاوي لأربعين حديثاً: «ولا تأكل مال اليتيم ظلماً، ولا تأكل الربا، ولا تشرب الخمر ولا شيئاً من الأشربة المسكرة، ولا تزن، ولا تلوط، ولا تمش بالنميمة، ولا تحلف بالله كاذباً، ولا تسرق... الخ». فإن هذه الأمور ليست من العقائد ولا من العبادات كما هو واضح.

رابعاً - مفهوم الفقه:

قال العلامة المجلسي: «يطلق الفقيه - غالباً في الأخبار - على العالم الخبير بعيوب النفس وآفاتھا، التارك للدنيا، الزاهد فيها، الراغب إلى ما عنده تعالى من نعيمه وقربه ووصاله»^(٢).

ونقل الشيخ البهائي عن بعض الأعلام قوله: «إن اسم الفقه في العصر الأول إنما كان يطلق على علم الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفس، ومفسدة الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة...» ثم عقبه بقوله: «ولعمري أنه كلام رشيق أنيق»^(٣).

ومن الواضح أن الفقه في اللغة بمعنى مطلق الفهم، وفي الاصطلاح بمعنى العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها. وأما المراد به في الآيات إنما هو خصوص فهم الشريعة الإسلامية ووعي أحكامها كما في قوله تعالى: ﴿ولولا نفر من كل فرقة منهم طائفة

(٢) بحار الأنوار ٢: ١٥٨.

(١) بحار الأنوار ٢: ١٥٧.

(٣) الأربعين: ١٢.

٤٥٢ شرح الأربعين النبوية

ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون»^(١) فإن النفر والإنذار ليس لخصوص الأحكام الخمسة التكليفية، بل مطلق العقائد والأحكام الإسلامية مما يتضمن البشارة تارة والإنذار أخرى، ويتوقف عليه التبليغ والإرشاد، وتحتاج إليه الأمة في أمور معاشها ومعادها، كما يشهد بذلك الحديث النبوي الآتي المتضمن لأهميات العقائد الإسلامية والأحكام الشرعية والآداب الدينية، وتفصيل البحث في ذلك موضعه في علم الأصول.

وحيث لم يثبت التواتر اللفظي في أحاديث الأربعين - كما تقدّم - فيجدر بنا البحث في سند بعضها.

الحديث النبوي:

يعتبر حديث النبي ﷺ الحاوي لأربعين حديثاً تحديداً عملياً لما وقع فيه الخلاف بين الأعلام في مفاهيم (الحفظ) و(الحديث) و(الفقه).

قال الشيخ البهائي: «... فلو تضمن الحديث أربعين حكماً مثلاً كلٌّ منها مستقل بنفسه، فلا شك في جواز نقل كلٍّ منها بانفراده، لكن هل يصدق على من حفظ أربعين حديثاً، فيستحق الثواب المرتب على ذلك؟ لم أجد لأحد فيه تصريحاً، وهو محل تأمل، ولو قيل به لم يكن بعيداً»^(٢).

قال الجلالى: ولم أجد لهذا التأمل والترديد مبرراً؛ وذلك لأن مادة الحديث تطلق على الكثير والقليل، وبعد تحقق الموضوع يتحقق الحكم بلا اشكال، فإذا صدق أن الحديث الواحد يشمل أربعين حديثاً - كما هو المفروض - فعليه تشمله أحاديث الأربعين أيضاً. مع أننا نجد حديثاً نبوياً يفسر أحاديث الأربعين تلك في مجلس واحد، وحديث مفصل لأربعين مادة في المفاهيم الإسلامية المختلفة.

نص الحديث

(٢) كتاب الأربعين: ١١.

(١) التوبة: ١٢٢.

فقد روى الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المتوفى سنة ٣٨١ هـ) في كتابه «الخصال» الحديث النبوي المذكور قائلاً:

«حدثنا علي بن أحمد بن موسى الدقاق والحسين بن أحمد بن هشام المكتب ومحمد بن أحمد السنائي عليه السلام قالوا: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الأسدي الكوفي أبو الحسين، قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن يزيد، عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي وإسماعيل بن أبي زياد السكوني جميعاً، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام، قال: «إن رسول الله ﷺ أوصى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكان فيما أوصى به أن قال له: يا علي من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة، حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أخبرني ما هذه الأحاديث؟ فقال ﷺ: ... إلى آخر الحديث»^(١)، وقد ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب.

سند الحديث:

ولا بدّ لنا من البحث في رجال السند ومعرفة حالهم حتى نقف على مدى اعتبار الحديث، ونتعرض إليهم متسلسلاً:

الأول: علي بن أحمد بن موسى الدقاق.

قال شيخنا العلامة دام ظله في ترجمته: «يروى عنه الصدوق في المجالس وغيره كما في الباب (٢٦) من كمال الدين بعنوان علي بن أحمد بن محمد بن موسى بن عمران، وقد يحذف بعض أجداده، وهو يروي عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي الأسدي. والمهم أن الدقاق يشاركه في رواية هذا الحديث اثنان آخران هما: المكتب والسناني، ويكفي في اعتبار السند وثاقة أحدهم - أو حسن حاله - كيف؟ وكلهم مشتركون في حسن الحال. والدقاق هذا وإن لم يرد نصّ بتوثيقه لكن الشيخ الصدوق روى مترضياً عنه ومترحماً

عليه، وقد ذهب جماعة من أصحاب الرجال على عدّ ذلك توثيقاً. قال المامقاني: «وقد قالوا: إن ذكر الثقات مشايخهم مقروناً بالترضية قرين للمدح، بل هو عدل للتوثيق. قال المحدث الداماد رحمته الله: إن لمشايخنا الكبار كالصدوق رحمته الله مشيخة يلزمون ارداف تسميتهم بالترضية أو الرحمة لهم، فأولئك أثبات أجلاء، والحديث من جهتهم صحيح معتمد عليه...»^(١)

فإنّ ذلك يكشف - على الأقل - عن الاستقامة وحسن الحال، هذا وإن لم يجعل الحديث صحيحاً أعلاّياً بالإصطلاح، إلّا أنّه يكفي في اعتبار الحديث والاعتماد عليه كما ذهب إليه المحقق الداماد رحمته الله، ولا يهتّمنا من أمر الإسناد أكثر من الاعتبار. الثاني: الحسين بن أحمد بن هشام المكتّّب.

اضطربت كلمات أصحاب التراجم في ضبط اسمه ولقبه، قال شيخنا العلامة: «الحسين بن أحمد المكتّّب مرّ بعنوان الحسن - وقال فيه: أبو محمد من مشايخ الصدوق وممن حضر وفاة أبي الحسن علي بن السمري في ٣٢٨ هـ ورأى آخر التوقيعات الذي خرج إليه كما في الباب (٥٠) من كمال الدين».^(٢)

وقال في موضع آخر: «وفي بعض الأسانيد: الحسين بن إبراهيم المؤدّب من دون ذكر جدّه، والظاهر اتحادهما، وفي بعضها الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدّب عن محمد بن جعفر الأسدي الكوفي، كما أن الظاهر اتحاد الجميع مع ما ذكره شيخنا في خاتمة المستدرک) بالعنوان الآتي: الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتّّب».^(٣)

والحق ما أفاده شيخنا العلامة من اتّحاد الجميع؛ لاتحاد طبقة المشايخ والرواة كما لا يخفى، والغريب أن المحقق المامقاني رحمته الله جمع بين الوصفين قائلاً: «المؤدّب المكتّّب»^(٤) فإنه وإن كان المراد منهما واحداً حيث يطلق على (المعلم الاستاذ) هذا الوصف باعتبار قيامه بمهّمة التأديب والتربية وتعليم الكتابة، فإن إطلاق الوصفين معاً لا يصح؛ وذلك لشمول لفظ التأديب لتعليم الكتابة أيضاً.

(١) تنقيح المقال ٢: ٢٦٧. (٢) راجع: نوابغ الرواة.

(٣) تنقيح المقال ١: ٣١٥. (٤) تنقيح المقال ١: ٣١٥.

وفي جامع الرواة: (المؤذن) بدلاً منهما^(١)، وفي موضع من التنقيح: (هاشم الكاتب)^(٢) وذلك كله - على الظاهر - تصحيف.

والكلام عن المكتّب من حيث الوثاقة والاعتبار كما في الذّقاق، والحق اعتبار حديثهما لعدم ورود تضعيف في حقهما، ومع وصفهما بما يستكشف منه حسن حالهما، وقد قال الوحيد البهبهاني في التعليقة: «أنّه يروي الصدوق عنه مترضياً ومترحماً، وأقلّ ما يستفاد منه حسن حاله»^(٣).

الثالث: محمّد بن أحمد السناني الزاهري.

ترجمه الشيخ الطوسي بقوله: «محمّد بن أحمد بن محمد بن السناني الزاهري، يكنّى أبا عيسى، نزيل الرّي، روى عن أبيه عن جده محمد بن سنان، وروى عنه ابن نوح وأبو الفضل»^(٤).

وقال شيخنا العلامة: «هو أبو عيسى محمد بن أحمد بن محمد بن سنان الزاهري؛ لأنّ جدّه محمّد بن سنان (المتوفى سنة ٢٢٠هـ) كان من ولد زاهر مولى عمرو بن الحقم الخزاعي، وكان أبوه الحسن ينسب إلى جدّه سنان، لأنّه كفله كما يأتي... من مشايخ الصدوق (المتوفى بالرّي سنة ٣٨١هـ)، فإنّه أكثر الرواية عنه، وهو يروي عن محمد بن أبي عبدالله الكوفي - يعني محمّد بن جعفر بن عون الأسدي الكوفي - غالباً»^(٥).

وقال المامقاني: «ويمكن عدّ الرجل في الحسان؛ نظراً إلى استفادة كونه إمامياً من عدم غمز الشيخ عليه السلام في مذهبه، واستفادة المدح المعتدّ به فيه من إكثار الصدوق عليه السلام الرواية عند مترحماً عليه^(٦) وجاء في الباب الثاني من رجال ابن داود ما نصّه: «نسبه وحديثه مضطرب» وعقّب المامقاني كلامه بقوله: «... ما عزّاه (= ابن داود) إلى ابن الغضائري لم أجده في رجاله، ولعلّه وقف عليه في موضع آخر، أو في كتاب آخر له، وعلى كلّ حال فلا اعتماد على كلام ابن الغضائري... ولعلّه إشارة إلى الاضطراب الواقع في نسب جدّه، انتهى

(١) جامع الرواة ٢: ٨٢. (٢) تنقيح المقال ٢: ٤٢٩.

(٣) تنقيح المقال ١: ٣١٥. (٤) رجال الطوسي: ٥١٠.

(٥) راجع: نوابغ الرّواة. (٦) تنقيح المقال ٢: ٤٤١.

... وإنما الاضطراب في نسبه الخلاف في أنه خزاعي حقيقة أو أنه مولى خزاعة»^(١).
وظاهر حال السناني التشيع والإيمان، حيث لم يرد في حقّه تضعيف، بل وأكثر
الصدوق من الترضية والرحمة عليه.

الرابع: أبو الحسين محمد بن أبي عبدالله جعفر بن محمد بن عون الأسدي الكوفي
الرازي وهو أحد الأبواب الثقات، وسرد نسبه كذلك المجلسي في مرآة العقول، كما في
تنقيح المقال^(٢)، واستظهره الميرزا محمد الاستر آبادي في رجاله الوسيط المسمى
بتلخيص الأقوال كما في جامع الرواة^(٣) والتكملة^(٤)، وقال شيخنا العلامة في ترجمته:
«ويقال له محمد بن أبي عبدالله كما في كثير من أسانيد أمالي الصدوق»^(٥).

وما أفاده هو الحق كما صرح بذلك النجاشي في ترجمته قائلاً: «محمد بن جعفر بن
محمد بن عون الأسدي، أبو الحسين الكوفي، ساكن الري، يقال له: محمد بن أبي عبدالله، كان
ثقة صحيح الحديث، وكان أبوه وجهاً... ومات ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى
الأولى ٣١٢ هـ»^(٦).

وقال الشيخ الطوسي في الرجال: «محمد بن جعفر الأسدي، يكنى أبو الحسين
الرازي، كان أحد الأبواب»^(٧).

وقال في الفهرست: «له كتاب الرد على أهل الاستطاعة، أخبرنا به جماعة عن
التلعكبري عن محمد بن جعفر الأسدي»^(٨).

وقال في كتاب الغيبة: «كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم
التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل، منهم: أبو الحسين محمد بن جعفر
الأسدي - ثم روى حديثاً جاء فيه - «محمد بن جعفر العربي، فليدفع إليه؛ فإنه من

(١) تنقيح المقال ٢: ٤٤١. (٢) تنقيح المقال ٢: ٤٢٩.

(٣) جامع الرواة ٢: ٨٣. (٤) التكملة ٢: ٣٠٨.

(٥) راجع: نوايغ الرواة. (٦) رجال النجاشي: ٢٨٩.

(٧) رجال الطوسي: ٤٩٦. (٨) الفهرست: ١٧٩.

ثقاتنا»^(١) وكيف كان فلا إشكال في وثاقة الرجل.

الخامس: موسى بن عمران النخعي:

قال المامقاني: «قد روى الصدوق في باب الرهن من الفقيه عن أبي عبد الله الكوفي عنه عن عمّه الحسين بن يزيد. وتكرّر في أسانيد كتاب العلل، وفي بعضها بعنوان موسى بن عمران بن يزيد النخعي النوفلي، وحاله مجهول»^(٢).

لكن نظراً إلى وقوعه في إسناد كامل الزيارات^(٣) وفي إسناد تفسير القمي^(٤) يعتبر من الثقات بناء على رأي سيّدنا الاستاذ الخوئي دام ظله من وثاقة كلّ من يقع في اسناد الكتابين المذكورين إذا لم يُصرّح في كتب الرجال على تضعيفه ولم ينته السند إلى غير المعصومين عليه السلام.

السادس: الحسين بن يزيد بن محمد بن عبد الملك (النوفلي).

قال النجاشي في ترجمته: «.. نوفل النخع، مولا هم، كوفي، أبو عبد الله، كان شاعراً أديباً، سكن الرّي ومات بها، وقال قوم من القميين: أنّه غلا في آخر عمره، والله أعلم، وما رأينا له رواية تدلّ على هذا»^(٥).

ووصفه ابن داود (بالمطّيب) في القسمين الحسان والضعفاء^(٦)، وكذلك العلامة في الخلاصة، قائلاً: «وأنا عندي توقف في روايته لمجرد نقله عن القميين، وعدم الظفر بتعديل الأصحاب له»^(٧).

والحق أنّ المستند في التضعيف هو ما ذكره القميون ونقله النجاشي عنهم، ولا مدرك غيره، ولا يمكن الاستناد إلى ذلك في التضعيف لأمرين:

أولاً: إنّ الذي نقله النجاشي لم يرتضه بنفسه حيث عبّ النقل بقوله: «وما رأينا له

(١) الغيبة. (٢) تنقيح المقال ٢: ٢٥٨.

(٣) كامل الزيارات: ٣٥. (٤) تفسير القمي: ١: ٣٨٨ و ٢: ٣٤٢.

(٥) رجال النجاشي: ٣٨.

(٦) راجع: رجال ابن داود، قسم الحسان والضعفاء.

(٧) الخلاصة: ٣٣٩.

رواية تدلّ على هذا، والله أعلم»^(١).

ثانياً: إنّ الغلوّ في آخر عمره لا يضرّ بما رواه قبله.

مضافاً إلى أنّه شيخ صفوان، وقد قيل بوثاقة شيوخه، ولعلّه من أجل ذلك صحّح المحدث الكاشاني السند إليه^(٢) وكذلك أنّه وقع في إسناد تفسير القمّي^(٣) والمستدرك^(٤).

ونعم ما أفاده السيّد الداماد^(٥) من قوله: «لم يقدح فيه أحد من أئمة الرجال، وما ينقل عن بعض القميين أنّه غلا في آخر عمره، ممّا لا يوجب غمراً فيه، كما في كثير من الثقات الفقهاء الأتبات كيونس بن عبد الرحمن... فإذا هذا الرجل مقبول الرواية وإن لم يكن حديثه معدوداً في الصحاح»^(٥).

السابع: إسماعيل بن الفضل الهاشمي.

قال العلامة الحلي: «إسماعيل بن الفضل، يعقوب بن الفضل بن عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب عن أبي جعفر^(٦)، ثقة من أهل البصرة، روى أنّ الصادق^(٧) قال: هو كهل من كهولنا وسيّد من ساداتنا، وكفى بهذا شرفاً من صحّة الرواية»^(٦).

وقال الكشي: «كان ثقة وكان من أهل البصرة»^(٧) وذكره الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق^(٨) واصفاً له بالمديني^(٨) وفي أصحاب الباقر^(٩) ولكن فيه (إسحاق) بدل (إسماعيل)، والظاهر أنّه تصحيف.

وبالجملة، يكفينا توثيق الكشي إيّاه، ويؤيّد ذلك تصريح العلامة بصحة روايته.

الثامن: إسماعيل بن أبي زياد (السكوني).

(١) رجال النجاشي: ٣٨. (٢) راجع: الوافي ٥: ٢١٩.

(٣) تفسير القمّي ١: ٣٨١ و ٢: ٣٤٢.

(٤) مستدرك الوسائل ٣: ٧٩٤ (الطبعة الحجرية).

(٥) تنقيح المقال ١: ٣٤٩. (٦) خلاصة الأقوال: ٧.

(٧) اختيار معرفة الرجال: ٢١٨. (٨) رجال الطوسي: ١٤٧.

(٩) رجال الطوسي: ١٠٥.

والوارد في السند هو إسماعيل بن أبي زياد مطلقاً، وفي الرجال بهذا العنوان اثنان من أصحاب الصادق عليه السلام:

١ - السلمي الكوفي الثقة من أصحاب الصادق عليه السلام.

٢ - والسكوني، وهو محمد بن اسماعيل بن زياد بن مسلم بن أبي زياد الشعيري الكوفي، من أصحاب الصادق عليه السلام أيضاً.

والظاهر أن المراد به الثاني؛ لكثرة رواية النوفلي المتقدم عنه، وقال النجاشي في ترجمته: «له كتاب قرأته على أبي العباس أحمد بن علي بن نوح السيرافي»^(١). وقال العلامة في الخلاصة: «كان عامياً»^(٢) ولم يدع عاميته أحد غيره، بل ظاهر النجاشي إماميته حيث أن كتابه معد لفهرسة كتب الشيعة، وقد قال الشيخ الطوسي في العدة: «عملت الطائفة بما رواه فيما لم يكن عندهم خلافه»^(٣) ونحن في غنى عن البحث في وثاقته - هنا - لمشاركة سميه الثقة معه في رواية الحديث وهو اسماعيل بن الفضل الهاشمي المدني الثقة كما صرح بذلك الكشي، ولا يضّر انضمام غير الثقة معه في الرواية. هذا كله بناء على الرأي المشهور - اليوم - في معرفة الإسناد، وإما على المختار من انسداد باب العلم مطلقاً في التوثيق فلا طريق سوى العلمي، من ظن خاصّ معتبراً، أو بالظن المطلق، وكلاهما طريقان حدسيّان ليس للحس فيهما مجال، على أن تلقى الرواية بالقبول والعمل على طبقها وصحة مضامينها لهي أمانة واضحة على وصف الحديث بالاعتبار والحسن، ويكفي ذلك في مقام الاستدلال.

(٢) خلاصة الاقوال: ١٩٩.

(١) رجال النجاشي: ٢٠.

(٣) عدة الاصول: ٥٦.

حول الحديث

إن عدد الأحاديث المذكورة في حديث النبي تزيد على الخمسين، وهذا بظاهره لا يستقيم مع قوله ﷺ: «فهذه أربعون حديثاً...».

قال العلامة المجلسي في توجيهه ذلك: «وتصحیح عدد الأربعين إنما يتيسر بجعل بعض الفقرات المكررة ظاهراً تفسيراً أو تأكيداً لبعض»^(١)

ولم يذكر ﷺ موارد التفسير والتأكيد، واكتفى بهذا الاجمال، وقد نبّه المعلق على موضع كلامه في البحار على أربعة موارد فقط كالآتي:^(٢)

المورد الأول: قال دام فضله «كقوله ﷺ: تعبدوا... الخ، وقوله: وتقيم الصلاة، تكونان تفسيراً لسابقهما؛ لأنهما من لوازم الإيمان بالله».

وهذا لا يصح. أولاً: لأن حقيقة الإيمان والعبادة مختلفة، فكيف يكون أحدهما مقسماً للآخر، ولو سلم للزم عد جميع المذكورات كذلك؛ لأنها من لوازم الإيمان، وهو كما ترى؛ إذ يلزم عد الخمسين حديثاً واحداً، مع أنه ﷺ في مقام بيان أحاديث متعددة.

وثانياً: إن جعل الصلاة تفسيراً للعبادة أولى؛ لأنها من مصاديق العبادة دون الإيمان.

وثالثاً: إن في الجمل المتكررة الآتية ما هو أولى لجعلها مفسرة، فإن الصلاة والزكاة والصوم والحج لها عناوين مستقلة تميزها عن سائر العبادات، بخلاف تلك الجمل، كقوله ﷺ: «وأن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك» مع قوله بعد ذلك: «وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك» فلا محيص فيها غير التفسير والتأكيد، بخلاف مثل الصلاة والعبادة حيث يختلفان مفهوماً، كما هو واضح.

(٢) راجع: بحار الانوار ٢: ١٥٦ (الهامش).

(١) بحار الانوار ٢: ١٥٦.

المورد الثاني: قال دام فضله «وكقوله: ان لا تسخر من أحد» تكون بياناً لحكم كليّ تكون الفقرة السابقة من أفرادها».

والفقرة السابقة هي قوله ﷺ: «وان لا تقول لقصير يا قصير ولا لطويل يا طويل تريد بذلك عيبه».

وهذا أيضاً لا مجال للقول بالتفسير فيه؛ فإنهما كلامان مستقلّان، أحدهما في السخرية والآخر في العيب.

المورد الثالث: قال دام فضله: «وكقوله: ان لا تصرّ... الخ، تأكيداً لقوله ان تتوب... الخ؛ «فإن من تاب حقيقة ورجع إلى الله لم يرجع إلى المعصية بعد ذلك». وهذا متين لا غبار عليه؛ فإن الفقرة الأخيرة تفسير لحقيقة التوبة، وأنها إنما تتحقّق مع عدم الإصرار على الذنب، فيكون تأكيداً.

المورد الرابع: قال دام فضله: «وكقوله: وإن تستغنم بالبر... الخ. يكون تأكيداً وتفسيراً لقوله ﷺ: لا تبخل على اخوانك، وغير ذلك».

وهذا أيضاً توجيه بعيد؛ فإن فقرة «لا تبخل» واردة قبل قوله: «تستغنم البرّ» بفقرات متعدّدة، وجعلها تفسيراً لا يخلو من تكلف، مع أنّ النص المذكور هو: «وأن تستغنم البرّ والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات» فجعل الكرامة أي الإكرام تفسيراً للبرّ أولى؛ لتعقّب أحدهما بالثاني، كما لا يخفى.

وقد ذكرنا في المقدّمة أحاديث الأربعين الواردة في معنى الحديث بالرقم المتسلسل، والتزمنا برقم واحد للأحاديث المتعاقبة - وهي لا تتجاوز العشرة - لمناسبة بينها، وذلك بإحدى الوجوه الآتية:

الوجه الأوّل: التطبيق، بأن يكون التالي من مصاديق الأوّل كقوله في الحديث (٣٩): «أن تنظر إلى كلّ ما لا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين، ولا تمل من فعل الخير، ولا تثقل على أحد، وأن لا تمنّ على أحد إذا أنعمت عليه»؛ فإن الأمور المذكورة، أعني: الملل من فعل الخير، والثقل على الناس، والمن. من أظهر مصاديق ما لا يرضى

الانسان فعله لنفسه.

وكذا الحديث (٣٤)، فإن المعاملة بالحق من أظهر مصاديق العمل بالعلم. فالأجدر بالعالم بالحق أن يعمل بعلمه.

الوجه الثاني: التلازم، بأن يكون الثاني مؤكداً للأول؛ لتلازمهما عرفاً كما في الحديث (٢٦)، فإن المراد الحالة المتوسطة بين الخوف والرجاء، لا أحدهما مستقلاً، فعدم الأمان من عقاب الله عرفاً يستلزم عدم القنوط واليأس من رحمته.

وكذلك الحديث (٢٧)، فإن التوبة تستلزم عرفاً عدم الإصرار على الذنوب مع الاستغفار.

وكذلك الحديث (٣١)، فإن الابتعاد عن الكذب يستلزم عرفاً الابتعاد عن مخالطة الكذابين، المستلزم لإيجاد الكذب أو سماعه.

الوجه الثالث: الجامع، بأن يكون الحكم في الموردين بعنوان جامع وإن لم يذكر ذلك العنوان في الحديث، كما في الحديث (٢٨)، فالمراد الإيمان بالقضاء والقدر.

وكذا الحديث (١٠) فإن المراد الابتعاد عن المسكرات لحكمة الإسكار وإن لم يذكر أن التحريم مستند إليه.

وكذا الحديث (٣٦)، فإن المراد هو ذكر الله تعالى سواء كان بالتسبيح أو غيره. وإلى هنا ينتهي البحث حول أحاديث الأربعين عسى أن يكون وافياً بالقصد، والله الموفق والمعين.

وحيث أن حديث الأربعين النبوية رواه الشيخ الصدوق بإسناده في كتاب الخصال، فانه ينبغي ان نلّمح إلى كلّ من الكتاب والمؤلف والاسناد إليه .

كتاب الخصال:

لم أعهد أحداً سبق الشيخ أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (المتوفى سنة ٢٧٤ هـ) في سرد الأخبار العددية مجتمعة، فقد أوردتها في أول كتابه المحاسن بعنوان

(الاشكال والقرائن) ابتداءً من الثلاثة إلى العشرة^(١).

ويعتبر ذلك فصلاً من الكتاب غير شامل لكافة الأعداد ولا مستوعب لجميع الأحاديث العددية.

وقام الشيخ الصدوق عليه السلام بسد هذه الثغرة الشاغرة والفراغ الملموس من ناحية الشمول والاستيعاب، وذلك بتأليف كتاب الخصال، قال في المقدمة ما نصّه: «... أمّا بعد، فإنّي وجدت مشايخي وأسلافي رحمهم الله تعالى قد صنّفوا في فنون العلم كتباً، وأغفلوا عن تصنيف كتاب يشتمل على الأعداد والخصال المحمودة والمذمومة، ووجدت في تصنيفه نفعاً كثيراً لطالب العلم والراغب في الخير، فتقرّبت إلى الله جلّ اسمه بتصنيف هذا الكتاب طالباً لثوابه...»

ولا يختص الكتاب بموضوع خاصّ، وإنّما يحتوي على موضوعات مختلفة يجمعها النظام العددي، فقد ابتداء المؤلف بالعدد الواحد وتجاوز الآحاد إلى العشرات فالمئات والألوف من الأحاديث النبوية المروية عن طريق أهل بيته الطاهرين، قال شيخنا العلامة: «الخصال في الأخلاق... ابتداءً بباب الواحد ثمّ الاثنين ثمّ الثلاثة وهكذا إلى باب الخصال الاربعمئة، وطبع بطهران سنة ١٣٠٢ هـ وقد حذا حذوه مؤلف الاثنى عشرية في المواعظ العددية^(٢).

وقد التبس على شيخنا العلامة عليه السلام وصف موضوعه بالأخلاق من اشتماله على الخصال المحمودة والمذمومة، وهذا لا يصح؛ فإن الأحاديث الواردة لا تنحصر بها، بل تعمّها والموضوعات المختلفة من العقائد والفقه، وإذا جاز لنا أن يعتبر الخصال كتاباً أخلاقياً لصحّ كلّ كتاب في الحديث كذلك، بل هو كتاب حديث يشتمل على موضوعات مختلفة من الفقه والعقائد والأخلاق.

(١) راجع: المحاسن ١: ٣-١٨، ط / طهران، ١٣٧٠.

(٢) الذريعة ٧: ١٦٢.

نعم قد يتبادر من لفظة (الخصال) معنى (الأخلاق) فقد جاء في اللسان: «الخصلة: الفضيلة والرذيلة تكون في الإنسان، وقد غلب على الفضيلة وجمعها خصال والخصلة الخلّة... وفي الحديث من كانت فيه خصلة من التّفاق أي شعبة من شعب التّفاق أو جزء منه أو حالة من حالاته»^(١).

ولا شك أن المؤلف عني بالخصال معنى الأعم من الفضيلة والرذيلة، كما صرح بذلك في المقدمة، ولكن لم يحصر موضوع الكتاب بها، ولا تلازم بين تسمية الكتاب وإن يكون موضوعه خصوص (الأخلاق).

فقد ذكر الحاجي خليفة عدة كتب باسم الخصال في مختلف المواضيع منها:

- ١ - الخصال في فروع الحنفية، لأبي ذر عبدالله الهروي، المتوفى سنة ٤٣٣ هـ.
- ٢ - الخصال، لأبي الحسن علي بن محمد البغدادي، المتوفى حدود ٣٣٠ هـ جمع فيه الأشعار والحكم والأمثال.

- ٣ - الإيصال إلى فهم الخصال، في الفقه؛ لابن حزم الظاهري، المتوفى سنة ٤٥٦ هـ^(٢) ويكفيها في نسبة الكتاب واسمه أن الشيخ الصدوق أحال عليه باسم (الخصال) في تأليف آخر له المسمّى: عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال بعد سرد أخبار الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ما نصّه: «وقد أخرجت طرق هذه الأخبار في كتاب الخصال»^(٣).

فإذا كانت هذه الجملة إخباراً من المؤلف - كما هو الظاهر - ولم تكن تعليقه مقحمة في المتن، فهي واضحة الدلالة على اسم هذا الكتاب من وجهة نظر المؤلف، والطرق المذكورة، خرّجها المؤلف في كتاب الخصال في أبواب العدد (١٢)، وبعد أن أورد إحدى وخمسين حديثاً قال: «قد أخرجت ما رويته في هذا المعنى في كتاب كمال الدين وتمام

(١) لسان العرب «خصل».

(٢) راجع كشف الظنون ١: ٧٠٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٥، ط / قم، سنة ١٣٧٧ هـ.

النعمة في إثبات الغيبة وكشف الحيرة»^(١).

ولم يذكر المتقدمون في ترجمته (كتاب الخصال) في تعداد مؤلفاته. نعم ذكر كل من الشيخ النجاشي (المتوفى سنة ٣٥٠ هـ) والشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ) وابن شهر آشوب (المتوفى سنة ٥٥٨ هـ) من مؤلفاته كتاب (الحافل) ولعله تصحيف (الخصال) المعني به هذا الكتاب.

نسخ الكتاب:

ونسخ الكتاب كثيرة، وقد اعتمدنا على خصوص البحار للعلامة المجلسي، لأنه عرض نسخته على نسختين قديمتين كان على أحدهما اجازة الشيخ مقداد. كما صرح بذلك في (ج ١ ص ٢٦) وبالرغم من كثرة النسخ المخطوطة، والتتبع الجاد في الفهارس لم أقف لحدّ التاريخ على نسخة قديمة منها. وقد طبع طبعات كثيرة، منها: في طهران ١٣٠٢ هـ ولكن هو ١٣٠٧ هـ وطهران ١٣٢٧ هـ و ١٣٧٤ هـ و ١٣٧٦ هـ وأخيراً في النجف ١٣٩١ هـ وأصحّ هذه الطبعات متناً واسناداً هي طبعة طهران ١٣٨٩ هـ المطبوع بتحقيق علي أكبر الغفاري.

وأما المؤلف:

فهو الشيخ الصدوق عليه السلام وهو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (المتوفى سنة ٣٨١ هـ) كانت ولادته بدعوة من صاحب الأمر^(٢). وقد نشأ تحت رعاية والده الذي كان يتمتع بمقام علمي واجتماعي شامخ حتى بلغت مؤلفاته المائتين، قال ابن النديم: «أنه قرأ بخط المؤلف ما نصّه: قد أجزت أن يروى فلان

(١) راجع كمال الدين: ٤٨٠، ط: طهران ١٣٨٩ هـ

(٢) كما في رجال النجاشي: ١٨٤، الغيبة للطوسي: ٢٠١.

٤٦٦ شرح الأربعين النبوية

كتب أبي، علي بن الحسين، وهي مائتا كتاب، وكتبي وهي ثمانية عشر كتاباً^(١).
وتحتاج دراسة حياة المؤلف دراسة دقيقة لكتبه وأسانيده التي تلقي بعض الضوء
على حياته، منها التواريخ الآتية:

٣٣٩ هـ: سمع بقم الشريف أبا يعلى حمزة بن محمد الزيدي.
٣٤٧ هـ: في رجب سمع في الري أبا الحسن محمد بن أحمد الأسدي.
٣٥٢ هـ: فيها اجتمع بالشيخ محمد بن الحسن القمي وتذاكرا في الغيبة.
٣٥٢ هـ: سمع بالكوفة من جماعة أحمد بن هارون الفامي في مسجد الكوفة.
٣٥٥ هـ: ورد بغداد، كما في النجاشي، والظاهر أنه في رجوعه من مكة.
وفيه يقول النجاشي: «سمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن» ويعني أنه حدث
السن بالنسبة إلى شيوخه، وإلا فعمره حينذاك كان ما يقارب الخمسين.
٣٦٨ هـ، في ١٩ شعبان كان في زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وبها ختم أماليه، وفيها سافر
إلى إيلاق وسمرقند ومعه كتبه، وفيها نسخت وانتشرت. ثم استقر في الري وطاب له
المقام بها في ظل حكومة الشيعة بعد أن جال مختلف البلاد الإسلامية رحلة في سبيل
العلم والمعرفة.
وقد أتاحت له الرحلة السماع من كثير من شيوخ العلم - على حداثة سنّه - بالإضافة
إلى تجارب الحياة.

وأرى أن أهم ثمرة جناها من هذه الرحلات - بالإضافة إلى العلم والتجارب
وحصيلتها - هو الاعتقاد بأن أهم شيء يمكن إحياء أُمته به هو التأليف وحده مع التركيز
على الجانب العملي، وأن المنبر والخطابة والمناظرات ليست إلا أصوات ومكاسب وقتية
تموت بانقضاء أمدّها، وما أعظمها من فكرة مقدّسة لا يدرك حقيقتها إلا من ارتحل بمثل
ما ارتحل وحلّ حيث حلّ.

(١) الفهرست؛ لابن النديم: ٢٧٧.

الاربعون حديثاً / حول الحديث ٤٦٧

فقد خلفه ثروة زاخرة من المؤلفات وقد عدّها هو - كما نقل ابن النديم^(١) - بثمانية عشر كتاباً، وهي بالطبع مؤلفاته الرئيسية، أمّا المؤلفات الصغيرة فإنّها بلغت - كما يقول الطوسي - نحواً من ثلاثمائة مصنّف. وبعد أن أدّى ما عليه من واجب إنساني وفكري توفّى هذا الإنسان اليقظ على مستقبل أمّته والساھر على ثقافتهم في سنة ١٣٨ هـ، فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

الإسناد الى المؤلف:

ولنا رواية مؤلفاته عن مشايخي العظام رحمهم الله جميعاً، وأعلامهم سنداً هو شيخنا العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني أعلى الله مقامه (المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ) عن شيخه المحدث النوري (المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ) عن السيّد ميرزا هاشم الخوانساري (ت = ١٣١٧ هـ)، عن السيّد صدر الدين العاملي (ت = ١٢٦٣ هـ)، عن السيّد محمّد مهدي بحر العلوم (ت = ١٢١٢ هـ)، عن محمّد باقر الوحيد البهبهاني المتوفى (ت = ١٢٠٦ هـ)، عن والده محمد اكمل، عن المولى محمد باقر المجلسي (ت = ١١١٠ هـ)، عن والده محمد تقي المجلسي (ت = ١٠٧٠ هـ)، عن الشيخ بهاء الدين العاملي (ت = ١٠٣١ هـ)، عن والده الحسين بن عبد الصمد (ت = ٩٨٤ هـ)، عن الشيخ زين الدّين - الشهيد الثاني (ت = ٩٦٦ هـ)، عن نور الدين علي بن عبدالعال الميسى (ت = ٩٤٠ هـ)، عن شمس الدين محمّد الشهير بابن المؤذن الجزيني، عن ضياء الدّين علي العاملي، عن والده شمس الدين محمد بن مكّي الشهيد الأوّل (ت = ٧٨٦ هـ)، عن فخر المحقّقين أبي طالب محمّد الحلّي (ت = ٧٧١ هـ)، عن والده الحسن بن يوسف العلامة الحلّي (ت = ٧٢٦ هـ)، عن السيّد رضی الدين علي بن موسى بن طاووس (ت = ٦٦٤ هـ)، عن الشيخ نجيب الدين علي السوراي (من أعلام القرن السّادس) عن الشّیخ حسين بن هبة الله بن رطبة (ت = بعد

(١) الفهرست ؛ لابن النديم: ٢٤٦.

٤٦٨ شرح الأربعين النبوية

٥٦٠ هـ، عن الشيخ أبي علي الحسن الطوسي (المتوفى بعد ٥١٥ هـ)، عن والده الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت = ٤٦٠ هـ)، عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن محمد بن النعمان (ت = ٤١٤ هـ)، عن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الصدوق (المتوفى سنة ٣٨١ هـ) بأسانيده المتعددة.

وهذا السند موصوف في علم الدراية بالعلو، وهو أمر مرغوب فيه، وقد ذكرناه اقتداءً بالسلف الصالح وإن كنا في غنى عن الاسناد إلى الكتب المشهورة نسبتها إلى مؤلفيها أمثال كتب الشيخ الصدوق عليه السلام، سوى فائدة التيمّن والتبرّك ومعرفة الطبقة.

وتراجم هؤلاء الأعلام مذكورة في كتب المشيخة والاثبات، وأهمّها الفائدة الثالثة من خاتمة مستدرك الوسائل، تأليف شيخ المحدثين في عصره الشيخ ميرزا حسين النوري (المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ)، ثم الاسناد المصنف لشيخنا العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني (المتوفى ١٣٨٩ هـ) وكذا كتب الرجال والتراجم والفهرسة، والتي أجمعها - اليوم - هو تنقيح المقال؛ للشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١ هـ) وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين (ت = ١٣٧١ هـ) والذريعة لشيخنا الطهراني عليه السلام، فقد قام كل منهم رحمه الله بجهدٍ فردي تعجز عنه المؤسسات الممّولة والمخوّلة في سنين طوال، وما ذلك إلا بفضل الإيمان والإخلاص الذي ينبغي أن يرافق أي مشروع علمي.

أما هذا الشرح:

فقد كتبت نص الحديث لغرض إدراجه في المعجم، وحيث لم أجد شرحاً له كنت انتهاز الفرص لادوّن مايجول في الفكر القاصر في الأوراق والدفاتر، ولما قدّر الله لي الابتعاد عن الوطن والامتحان بالفتن صحبتها معي ورتبتّها وسمّيتها (الروضة البهية في شرح الأربعين النبوية)، وكان الأجدر تجديد النظر فيه وتصحيح ما خائنه الذاكرة أو زاعغت عنه الباصرة، لولا اني رأيت العامة قد أحاطت بهم المغريات وانهكموا في المادّيات فقرّرت نشرها في كراسات عسى أن تكون تبصرة لمن يخاف يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون، وقد

راعى من النقول المأثور، ومن الفتوى المشهور مما يرتبط بالحياة العملية، لا ما اقتصر على الافكار النظرية. ورجائي ممن تجمعني وإياه رابطة الايمان أن يستغل أوقات الفراغ - التي لا تخلو منها حياة الإنسان - ويحفظ عن ظهر القلب حديث النبي ﷺ المذكور، ويكرره لاسيما عقيب الصلوات، حتى تصبح ملكة راسخة عنده، وأن يتأمل في عظم الأثر المترتب عليه والموعود به، وان يجري قلم التصحيح على مواضع الخطأ فيما قدّمناه، فلعله يكون وافياً ببعض ما قصدناه، ولا عصمة إلا لمن عصمه الله، وأسأله سبحانه أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى إنه سميع مجيب. وأنا الراجي محمد حسين الحسيني نسباً، الجلالى لقباً، والحائري مولداً، والنجفى مدفناً - إن شاء الله - بن محسن بن علي بن قاسم بن محمد بن أحمد بن حيدر بن مراد بن حسين بن مراد بن ميرزا حسين بن شمس الدين علي بن شرف الدين محمد بن شمس الدين ميرزا حسين بن شمس الدين علي بن شرف الدين محمد بن شمس الدين علي بن عميد الدين عبدالمطلب بن أبي النصر إبراهيم جلال الدين المختاري، المنتهى نسبه إلى عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد تم ترتيبها وتهذيبها في ليلة الرابع عشر من شهر شوال سنة اربع وتسعين بعد ثلاثمائة وألف هجرية على مهاجرها آلاف السلام والتحية.

قال المحقق: وتم تصحيح الكتاب والعمل علي استخراج النصوص واثبات المصادر في الهامش في سلخ شهر ربيع الاول سنة اربع وعشرين واربعمئة وألف في قضاء سوق الشيوخ في العراق، والحمد لله أولاً وآخراً.

شرح الأربعين النبوية	٤٧٠
----------------------------	-----

الفهرس

المقدمة.....	٥
متن الأربعين النبوية.....	٧

الفصل الاول في الاعتقادات

الايمان والإلحاد.....	١٣
معرفة النفس:.....	١٣
حرية الفكر:.....	١٤
معرفة الله:.....	١٦
الايمان هو الفطرة:.....	١٦
التوحيد.....	١٩
العدل.....	٢٢
البعث والمعاد.....	٢٥
النبوة.....	٢٨
أولوا العزم:.....	٣٠
معرفة النبي ﷺ:.....	٣٢
النبي محمد ﷺ:.....	٣٢
سيرة النبي ﷺ:.....	٣٣
الامامة.....	٣٨
موقف الاسلام:.....	٣٩
معرفة الامام:.....	٤١
هل اوصى النبي ﷺ؟.....	٤٢
عدد الائمة عليهم السلام:.....	٤٦
المهدي المنتظر عليه السلام:.....	٤٩
المرجعية الدينية:.....	٥١

الفصل الثالث في العبادات

العبادات	٥٧
الصلاة	٦٣
اسرار الصلاة:	٦٤
قبل الصلاة:	٦٦
الوضوء	٦٧
مسائل:	٦٨
الغسل	٦٩
كيفية الغسل:	٧٠
مسائل:	٧٠
التيمم	٧١
أسباب التيمم:	٧١
كيفية التيمم:	٧١
مسائل:	٧٢
أحكام النساء	٧٣
الحيض	٧٣
أقسام الحائض:	٧٤
مسائل:	٧٦
الاستحاضة	٧٨
مسائل:	٧٩
النفاس	٨٠
مسائل:	٨٠
الصلوات الواجبة	٨١
التشهد والتسليم:	٨٤
أفعال الصلاة:	٨٥
مسائل:	٩٢
شكوك الصلاة:	٩٣
صلاة الجماعة:	٩٦
صلاة الغفيلة:	١٠٠

الفهرس ٤٧٣

صلاة المسافر:	١٠٠
مسائل :	١٠١
صلاة القضاء :	١٠٣
صلاة الجمعة:	١٠٤
وكيفية صلاة الجمعة:	١٠٤
صلاة الايات :	١٠٥
صلاة الميت:	١٠٦
مسائل فقهية:	١٠٧
١ - الجمع بين الصلاتين :	١٠٧
٢ - السجود على التربة:	١٠٨
٣ - الوضوء :	١٠٨
٤ - التيمم :	١١٠
٥ - الأذان والأقامة:	١١١
٦ - التشويب:	١١٢
٧ - الاذان : بـ « حي على خير العمل »:	١١٢
٩ - الصلوات البتراء:	١١٤
الزكاة	١١٥
حكمة الزكاة:	١١٦
مصارف الزكاة:	١١٨
ما تجب فيه الزكاة:	١١٩
اولا - الثروة الزراعية:	١١٩
ثانيا - الثروة الحيوانية :	١٢٠
ثالثا - الثروة النقدية:	١٢١
الخمس	١٢٣
مصرف الخمس :	١٢٤
مسائل :	١٢٦
الوصية :	١٢٧
جدول المقارنة بين الفطرة والخمس والزكاة	١٢٨
الصوم	١٢٩

١٢٩	خطبة رسول الله ﷺ
١٣٠	شهر رمضان:
١٣٣	حكمة الصيام:
١٣٣	اولا - الصحة:
١٣٣	ثانيا - المساواة:
١٣٤	ثالثا - التحرر من الشهوات ومن النفس الامارة بالسوء:
١٣٥	رابعا - التقوى:
١٣٦	منهاج رمضان:
١٣٧	اولا - السحور:
١٣٨	ثانيا - نهار رمضان:
١٣٩	ثالثا - الافطار:
١٣٩	رابعا - ليالي رمضان:
١٤٢	مسائل في الصوم:
١٤٤	ليالي القدر:
١٤٧	أعمال ليالي القدر الخاصة:
١٤٧	ليلة التاسع عشر:
١٤٨	ليلة الحادي والعشرين:
١٤٨	ليلة الثالث والعشرين:
١٤٩	يوم العيد:
١٥٠	زكاة الفطرة:
١٥١	مسائل:
١٥٢	صلاة العيد:
١٥٥	الحج:
١٥٥	فلسفة الحج:
١٥٦	مدرسه الحج:
١٥٨	ابراهيم القدوة:
١٦٠	ملة ابراهيم عليه السلام:
١٦٠	امتحانات ابراهيم عليه السلام:
١٦٢	الاماكن المقدسة:

- ١٦٢ اولاً، حدود الحرم المكي :
- ١٦٣ ثانياً : أسماء مكة :
- ١٦٤ ثالثاً - المسجد الحرام :
- ١٦٤ رابعاً - الكعبة المعظمة :
- ١٦٧ زمزم :
- ١٦٧ الصفا والمروة :
- ١٦٧ وجوب الحج :
- ١٦٨ أقسام الحج :
- ١٦٨ قبل الحج :
- ١٦٨ كيفية الحج اجمالاً :
- ١٧٠ واليك تفصيل ذلك :
- ١٧٠ الواجب الأول - الاحرام :
- ١٧٢ محرمات الاحرام :
- ١٧٤ الواجب الثاني - الطواف :
- ١٧٤ واجبات الطواف :
- ١٧٧ الواجب الثالث - صلاة الطواف :
- ١٧٧ الواجب الرابع - السعي :
- ١٧٨ أدعية السعي :
- ١٨٠ الواجب الخامس - التقصير :
- ١٨٠ المرحلة الثانية :
- ١٨١ اليوم الثامن : وهو يوم التروية :
- ١٨١ اليوم التاسع : وهو يوم عرفة :
- ١٨٢ في ليلة العاشر : المشعر الحرام :
- ١٨٢ نهار اليوم العاشر : وهو يوم العيد :
- ١٨٣ أولاً : رمي جمرة العقبة (الكبيرة) :
- ١٨٣ ثانياً : بعد الرمي يجب الهدى (الاضحية) :
- ١٨٤ ثالثاً : يجب الحلق على الرجال والتقصير للنساء :
- ١٨٤ وفي مكة :
- ١٨٥ ايام التشريق :

اليوم الثاني عشر:	١٨٦
اليوم الثالث عشر:	١٨٦
أحكام النساء:	١٨٦
العمرة المفردة:	١٨٧
كيفية العمرة المفردة:	١٨٨
مستحبات مكة المكرمة:	١٨٨
المدينة المنورة:	١٨٩
من تاريخ الحضرة النبوية :	١٩٠
أعمال المدينة:	١٩١
اولا - زيارة المرقد النبوي :	١٩٢
ثانيا - زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام :	١٩٣
ثالثاً - اسطوانة ابي لبابة:	١٩٣
رابعاً - الروضة الشريفة:	١٩٤
خامساً - مقام جبرئيل:	١٩٤
سادسا - زيارة أئمة البقيع عليهم السلام :	١٩٥
من تاريخ البقيع :	١٩٦
فائدة :	١٩٧
مسجد قبا:	١٩٨
مشربة ام ابراهيم :	١٩٨
مسجد الفضيخ :	١٩٩
مسجد الاحزاب :	١٩٩
مساجد اخرى :	١٩٩
مسجد القبلتين :	٢٠٠
مسجد الغدير :	٢٠٠
أحد ومرقد حمزة :	٢٠١
فضل زيارته:	٢٠٢
زيارة عبد المطلب جد النبي ﷺ :	٢٠٢
زيارة ابي طالب عم النبي ﷺ :	٢٠٣
زيارة خديجة بنت خويلد	٢٠٣

الفصل الخامس في المواعظ الدينية

٢٢٧	حقوق الوالدين
٢٣١	وحقّ الأم:
٢٣٢	وبعد الموت:
٢٣٥	صلة الأرحام
٢٤٠	رعاية الأيتام
٢٤٤	الربا
٢٤٩	القرض الحسن
٢٥٢	الخمر والمشروبات الكحولية
٢٥٧	المخدرات:
٢٥٩	القمار والمسابقة والرميّة
٢٦٢	السبق والرميّة:
٢٦٥	الزنا واللواط
٢٦٨	اللواط:
٢٧٠	الاستمناء:
٢٧٢	رابطة الزّواج
٢٧٦	مسؤولية البيت:
٢٧٨	الحقوق الزوجيّة:
٢٨١	مسؤولية الأمومة:
٢٨٣	الحجاب:
٢٨٨	تعدّد الزوجات:
٢٨٩	عقد المتعة:
٢٩٠	الطلاق:
٢٩٤	النميمة والإصلاح
٢٩٦	الغيبة
٢٩٨	والإصلاح:

٣٠٠	الحلف والعهد
٣٠٥	السرقه والأمانة
٣١٠	الشهادة ومسؤولية الكلمة
٣١٣	العدالة والظلم
٣١٨	الحقّ والحقيقة
٣٢٠	التقوى والهوى
٣٢٣	حدّ التقوى:
٣٢٤	السبّ والقذف
٣٢٧	الحياء
٣٢٨	الرياء والإخلاص
٣٣٢	والإخلاص:
٣٣٤	الغيب والحسد
٣٣٨	علاج الحسد:
٣٣٩	السخرية والمسؤولية
٣٤٣	الصبر
٣٤٧	الشكر والكفران
٣٥٠	القنوط والأمل
٣٥١	والخوف:
٣٥٤	التوبة والاستغفار
٣٥٧	التوبة النصوح:
٣٦٠	الوعد والوعيد
٣٦١	الجبر والاختيار:
٣٦٣	القضاء والقدر:
٣٦٥	التوكّل والتواكل
٣٦٧	إيثار الدنيا
٣٧٠	البخل والانفاق

٤٧٩	الفهرس
٣٧١	الانفاق :
٣٧٣	والإسراف:
٣٧٥	النفاق
٣٧٨	الصدق والكذب
٣٧٩	والكذب:
٣٨٤	الغضب والحلم
٣٨٨	التربية والأدب
٣٨٨	أولاً - حرية الفرد :
٣٩١	ثانياً - البيت والأسرة :
٣٩٢	مكانة المرأة :
٣٩٤	والأولاد:
٣٩٥	التأديب :
٣٩٧	تسمية المولود:
٣٩٨	الآداب المستحبة للمولود:
٤٠٠	ثالثاً - المجتمع الإسلامي :
٤٠٤	العلم والعمل
٤٠٨	الكسب والتجارة
٤١١	المسامحة والتساهل
٤١٥	الدعاء والذكر
٤١٧	شبهة وحل :
٤٢٠	مدرسة القرآن:
٤٢٤	البر والإحسان
٤٢٧	من هدى النبوة:
٤٢٨	حقوق الأخوة الإسلامية
٤٢٨	مقياس الفضيلة:
٤٣٤	حدود الشريعة

الخاتمة

٤٣٩	الاربعون حديثاً
٤٤٣	حدثان بارزان:
٤٤٤	قمة الكمال:
٤٤٥	نصوص الأحاديث:
٤٤٨	مفردات الحديث
٤٥٢	نصّ الحديث
٤٥٣	سند الحديث:
٤٦٠	حول الحديث
٤٦٢	كتاب الخصال:
٤٦٥	نسخ الكتاب:
٤٦٧	الإسناد الى المؤلف:
٤٦٨	هذا الشرح:
٤٧١	الفهرس



The Open School

P.O. BOX 53573

CHICAGO, IL 60653-0396